التبيان

الجزء: ٩

الشيخ الطوسي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الكتاب: التبيان
المؤلف: الشيخ الطوسي
الجزء: ٩
الوفاة: ٤٦٠
المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة
تحقيق: تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
المصدر:
ملاحظات:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفهرست

العنوان	الصفحة
فهرس السور سورة الزمر	٣
سورة المؤمن	٥٢
حم السجدة (فصلت)	١٠٣
سورة الشورى	١٤٠
سورة الزخرف	١٧٩
سورة الدخان	٢٢٣
سورة الجاثية	٢٤٤
سورة الاحقاق	٢٦٦
سورة محمد	٢٨٨
سورة الفتح	٣٠٢
سورة الحجرات	٣٣٩
سورة ق	٣٥٦
سورة الذاريات	٣٧٨
سورة الطور	٤٠١
سورة النجم	٤٢٠
سورة القمر	٤٤٢
سورة الرحمن	٤٦٢
سورة الواقعة	٤٨٧
سورة الحديد	٥١٧
سورة المجادلة	٥٣٩
سورة الحشر	٥٥٨
سورة الممتحنة	٥٧٥
سورة الصف	٥٩٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
٣٨٥ - ٤٦٠ ه
تحقيق وتصحيح
أحمد حبيب قصير العاملي
المجلد التاسع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الناشر: مكتب الاعلام الاسلامي
تاريخ النشر: رمضان المبارك ١٤٠٩ ه -
الطبعة: الأولى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٣٩ - سورة الزمر
وتسمى أيضا (سورة الغرف)
وهي مكية - في قول مجاهد وقتادة والحسن - ليس فيها ناسخ ولا منسوخ
عدد آياتها خمس وسبعون آية - في الكوفي - وثلاث وسبعون - شامي - وسبعون حجازي وبصري.
بسم الله الرحمن الرحيم
(تنزل الكتاب من الله العزيز الحكيم (١) إنا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين
الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبد هم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون * إن الله
لا يهدي من هو كاذب كفار (٣) لو أراد الله أن يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار (٤) خلق
السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) (٥).

خمس آيات كوفي وست في ما عداه، عد الكوفي (يختلفون) رأس آية، ولم يعده الباقون.

قوله (تنزل الكتاب) رفع بالابتداء، وخبره (من الله). ويجوز أن يكون رفعا على أنه خبر الابتداء. والابتداء محذوف، وتقديره: هذا تنزل، والمراد بالكتاب القرآن - في قول قتادة - وسمي كتابا لأنه مما يكتب. و (العزيز) هو القادر الذي لا يقهر ولا يمنع، و (الحكيم) هو العليم بما تدعو إليه الحكمة وما تصرف عنه. وعلى هذا يكون من صفات ذاته تعالى. وقد يكون بمعنى أن افعاله كلها حكمة ليس فيها وجه من وجوه القبيح. فيكون من صفات الافعال، وعلى الأول يكون تعالى موصوفا في ما لم يزل بأنه حكيم، وعلى الثاني لا يوصف إلا بعد الفعل. وقيل (العزيز) في انتقامه من أعدائه (الحكيم) في ما يفعله بهم من أنواع العقاب. والذي اقتضى ذكر (العزيز الحكيم) في إنزال الكتاب انه تعالى يحفظ هذا الكتاب حتى يصل إليك على وجهه من غير تغيير ولا تبديل لموضع جهته ولا لشئ منه، وفي قوله (العزيز الحكيم) تحذير عن مخالفته.

ثم اخبر تعالى عن نفسه انه أنزل الكتاب الذي هو القرآن (إليك) يا محمد (بالحق) أي بالدين الصحيح.

ثم امره فقال (فاعبد الله مخلصا له الدين) ومعناه توجه عبادتك إليه تعالى وحده مخلصا من شرك الأوثان والأصنام. وقوله (مخلصا له الدين) نصب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(مخلصا) على الحال. ونصب (الدين) بأنه مفعول ل (مخلصا). وقال الفراء: يجوز أن يرفع (الدين)، ولم يجزه الزجاج، قال: لأنه يصير ما بعده تكريرا.
ثم قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) والاخلاص لله أن يقصد العبد بطاعته وعمله وجه الله، لا يقصد الرياء والسمعة، ولا وجها من وجوه الدنيا، والخالص - في اللغة - مالا يشوبه شئ غيره، ومنه خلاصة السمن لأنه تخلصه. وقال الحسن: معناه الاسلام. وقال غيره: معناه ان له التوحيد في طاعة العباد التي يستحق بها الجزاء، فهذا لله وحده لا يجوز أن يكون لغيره، لاستحالة أن يملك هذا الامر سواه.
وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبد هم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) معناه الحكاية عما يقول الكافرون الذين يعبدون الأصنام فإنهم يقولون: ليس نعبد هذه الأصنام إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قربى - في قول ابن زيد - وقال السدي: الزلفى المنزلة. و (الأولياء) جمع ولي، وهو من يقوم بأمر غيره في نصرته، وحذف (يقولون لدلالة الكلام عليه، وهو أفصح، وأوجز.
ثم اخبر تعالى فقال (إن الله يحكم بينهم يوم القيامة في ما هم فيه يختلفون) من إخلاص العبادة لله والاشراك به. ثم قال (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) معناه إن الله تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهدايته إلى الحق، (من هو كاذب) على الله في أنه أمره باتخاذ الأصنام، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لاخلاص العبادة، ولم يرد الهداية إلى الايمان، لأنه قال (واما ثمود فهديناهم) (١).
ثم قال تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) على ما يقول هؤلاء: من أن

---

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الملائكة بنات الله، أو على ما يقوله النصارى: من أن عيسى ابن الله، أو ما يقوله اليهود: من أن عزيزا ابن الله، (لاصطفى) أي لا ختار مما يخلق ما يشاء. ثم نزه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) الذي لا نظير له، القهار لجميع خلقه. ومن هذه صفته كيف يجوز أن يتخذ الأولاد؟!.

ثم بين عن قدرته فقال (خلق السماوات والأرض بالحق) أي لغرض حكمي دون العبث وما لا فائدة فيه. (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه، ومنه كور العمامة. وقال قتادة: معناه يغشي. (وسخر الشمس والقمر) بأن أجراهما على وتيرة واحدة وتقدير واحد، وكل ذلك يجرى (لأجل مسمى) يعني إلى مدة قدر ها الله لهما ان يجريا إليها. وقيل: إلى قيام الساعة.

ثم قال (ألا هو العزيز الغفار) يعني الله الذي لا يقهر ولا يغالب، الغفار لمعاصي عباده إذا تابوا واقلعوا عن ذنوبهم. وفائدة الآية أن من قدر على خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر. وإدخال الليل في النهار ينبغي ان ينزه عن اتخاذ الولد، وإضافة شريك إليه لان جميع ذلك لا يليق به، لأنه من صفات المحتاجين.

قوله تعالى:

(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل
لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا
من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله
إلا هو فأنى تصرفون (٦) إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى

(٦)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى
ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم
بذات الصدور) (٧) آيتان بلا خلاف.
قرأ السوسي، وابن فرج، وهبة عن الأخفش والترمذي إلا ابن فرج،
ومدين من طريق عبد الله بن سلام، والبرجمي وخلف - بضم الهاء ووصلها بواو
في اللفظ. الباقون - بضم الهاء من غير اشباع -
وهذا خطاب من الله تعالى لجميع خلقه من البشر، يقول لهم على وجه
تعداد نعمه عليهم وامتنانه لديهم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم
لان جميع البشر من نسل آدم.
وقوله (ثم جعل منها زوجها) قيل: أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. وقال
قوم: خلقها من فضل طينته. وفى قوله (ثم جعل منها زوجها) و (ثم) تقتضي
التراخي والمهملة، وخلق الوالدين قبل الولد، وذلك يقتضي أن الله تعالى خلق
الخلق من آدم ثم بعد ذلك خلق حواء، وذلك بخلاف المعلوم، لان خلق حواء
كان قبل خلق ولد آدم، فيه ثلاثة أقوال:
أحدها - ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر. ثم خلق
بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاع آدم - على ما روي في الاخبار - وهذا ضعيف
لما بيناه في غير موضع (١) في ما مضى.
والثاني - ان ذلك وإن كان مؤخرا في اللفظ فهو مقدم في المعنى، ويجري

---

(١) انظر بالمجلد الخامس ص ٣٤ - ٣٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مجرى قول القائل: قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس، وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم.
والثالث – انه معطوف على معنى واحدة كأنه قال من نفس واحدة بمعنى أوجد ها.
وقيل: إنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله (زوجها) غير حواء، بل يريد المزدوج من نسل آدم من الذكور والإناث، فكأنه قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) وهي آدم عليه السلام ثم جعل المزدوج من نسل هذه النفس، وهذا لا محالة متأخر عن خلق النفس الواحدة التي هي آدم. وقيل أيضا: إن سبب دخول (ثم) أن الاعتداد بهذه النعمة، والذكر لها على الامتنان، إنما كان بعد ذكر خلقنا من نفس واحدة، فكأنه قال: هو الذي ذكر لكم واعتد عليكم بأنه خلقكم من نفس واحدة، ثم عطف على هذا الاعتداد والامتنان ذكر نعمة أخرى، وهي ان زوج هذه النفس المخلوقة مخلوقة منها. فزمان الخلق المزوج وإن كان متقدما، فزمان ذكره والاعتداد به متزاوج، وزمان الذكر للنعم والاعتداد بها غير الترتيب في زمان الايجاد والتكوين، كما يقول أحدنا لغيره: لي عليك من النعم كذا اليوم، ثم كذا أمس، وإن كان المعطوف متقدما على المعطوف عليه إذا كان زمان الامتنان بذلك على خلاف ترتيب زمان ايصال النعم. وقيل: إن المراد ب (ثم) الواو، فإنه قد يستعمل الواو بمعنى (ثم) و (ثم) بمعنى الواو، لان معنى الجمع الانضمام، وإن أراد بعضه على بعض. قال الله تعالى (فالينا مرجعهم ثم الله شهيد) (١) ومعناه والله شهيد.
وقوله (وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) قال الحسن: معناه وجعل لكم منها. وقال: أنزلها بعد ان خلقها في الجنة ويعني بها، الإبل، والبقر،

---

(١) سورة ١٠ يونس آية ٤٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والضان، والمعز من كل صنف اثنين. وهما زوجان. وهو قول قتادة ومجاهد والضحاك.
وقوله (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) قال قتادة ومجاهد والضحاك والسدي: معناه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسي العظام لحما ثم ينشئ خلقا آخر. وقال ابن زيد: معناه الخلق في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم.
وقوله (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد: يعني ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. وقيل: صلب الرجل وظلمة الرحم.
ثم خاطب خلقه فقال (ذلكم الله ربكم) يعني الذي خلق ما ذكره هو الذي أنشأكم وهداكم ويملك التصرف فيكم (له الملك) على جميع المخلوقات (لا إله إلا هو) مستحق للعبادة (فأنى تصرفون) المعنى تؤفكون أي يكف تنقلبون عن ذلك إلى اتخاذ الآلهة سواه.
ثم قال تعالى مخاطبا لهم (إن تكفروا فان الله غني عنكم) ومعناه إن تجحدوا نعم الله فلا تشكروه، فان الله غني عن شكركم (ولا يرضى العبادة الكفر) وفى ذلك دلالة على أن الكفر ليس من فعل الله، ولا بإرادته، لأنه لو كان مريدا له لكان راضيا به، لان الرضا هو الإرادة إذا وقعت على وجهه. ثم قال (وان تشكروا يرضه لكم) أي ان تشكروا نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويريده منكم ويثيبكم عليه. واشباع الهاء أجود، لان الهاء أولها متحرك مثل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(شرا يره و.. خيرا يره) (١)، والهاء إذا نفتح ما قبلها في نحو الفعل لم يجز الا الاشباع كقولهم كهلهو والهاء (في يرضه) كناية عن المصدر الذي دل عليه (وان تشكروا) كقولهم: من كذب كان شرا له أي كان الكذب شرا له. وشكر الله لعبده هو إثابته على الشكر والطاعات، والشكر من العبد الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. ومن أسكن الهاء قال أبو الحسن: هي لغة كقول الشاعر:

ونضواي مشتاقان له أرقان

فعلى هذه اللغة يحمل دون أن يجري الوصل مجرى الوقف.

وقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه لا يؤاخذ بالذنب الا من يفعله ويرتكبه، ولا يؤاخذ به غيره، وذلك نهاية العدل. وفى ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في أن الله تعالى يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم.

وقوله (ثم إليه مرجعكم) ومعناه إن مصيركم يوم القيامة إلى حيث لا يملك الأمر والنهي سواه (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي يخبركم بما عملتموه ويواقفكم عليه ويجازيكم بحسب ذلك، انه عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شئ لا سر ولا علانية.

قوله تعالى:

(وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل

---

(١) سورة ٩٩ الزلزال آية ٧ - ٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار (٨)
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما
يتذكر أولوا الألباب (٩) قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب) (١٠) ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أمن هو قانت) بتخفيف الميم. الباقون
بتشديدها، من خفف أراد النداء وتقديره يامن هو قانت. قال ابن خالويه:
سمعت ابن الأنباري يقول: ينادي العرب بسبعة ألفاظ: زيد اقبل، وأزيد اقبل
ويا زيد اقبل، وها زيد أقبل، وأيا زيد اقبل، وأي زيد اقبل، وهيا زيد
اقبل. وانشد:
هيا ظبية الوعشاء بين جلايد * وبين النقاء أنت أم أم سالم
ويجري ذلك مجرى قول القائل: فلان لا يصوم ولا يصلي، فيا من يصوم
ويصلي ابشر. وقال أبو علي: النداء - هنا - لا وجه له. والمعنى أمن هو قانت
كمن هو بخلاف ذلك؟! لأنه موضع معادلة، وإنما يقع في مثل هذا الموضع الجمل
التي تكون اخبار وليس كذلك النداء. ويدل على الحذف قوله (قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون) لان التسوية لا تكون إلا بين شيئين وفى جملتين
من الخبر. والمعنى أمن هو قانت كمن جعل الله أندادا ليضل عن سبيله، وقال
أبو الحسن: القراءة بالتخفيف ضعيفة، لان الاستفهام إنما يبني على ما بعده، ولا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يحمل على ما قبله، وهذا الكلام ليس قبله ما يبنى عليه إلا في المعنى ومن شدد احتمل أمرين:
أحدهما - ان يريد أهذا خير أم من هو قانت.
والثاني - أن يكون جعل (أم) بمنزلة (بل) والف الاستفهام، وعلى هذا يكون الخبر محذوفا لدلالة الكلام عليه، كما قال الشاعر:
فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا (١)
والمعنى له أتانا غيرك ما صدقناه، ولا اهتدينا فحذف. وقال تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) و " أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب " كل ذلك محذوف الجواب. والقانت الداعي، والقانت الساكت، والقانت المصلي قائما وانشد:
قانتا لله يتلو كتبه * وعلى عمد من الناس اعتزل
وقيل القانت الدائم على الطاعة لله (في قول ابن عباس والسدي -.
يقول الله عز وجل مخبرا عن حال الانسان وضعف يقينه وشدة تحوله من حال إلى حال إنه إذا مسه ضر من شدة فقر ومرض وقحط (دعا) عند ذلك (ربه منيبا إليه) أي راجعا إليه راغبا فيه (ثم إذا خوله نعمة منه) فإنه إذا أعطاه نعمة عظيمة، فالتخويل العطية العظمية على جهة الهبة، وهي المنحة قال أبو النجم:
اعطى فلم ينجل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول (٢)
" نسي ما كان يدعو إليه من قبل) يعني ترك دعاء الله، كما كان يدعو في حال ضره، قال الفراء: ويجوز أن تكون (ما) بمعنى (من) كما قال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (٣).

---

(١) مر تخريجه في ٥ - ٥٢٩ و ٦ - ٢٥٣ و ٧ - ٣٤١
(٢) مر في ٤ - ٢٢٤
(٣) سورة ٤ النساء آية ٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" وجعل لله أندادا " أي وسمى له تعالى أمثالا في توجيه عبادته إليها من الأصنام والأوثان " ليضل عن سبيله " فمن ضم الياء أراد ليضل بذلك غيره عن سبيل الحق. ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن ذلك، واللام لام العاقبة، لأنهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم أن يضلوا عن سبيل الله، لكن عاقبتهم كان إليه.
فقال الله تعالى لنبيه (قل) له يا محمد على سبيل التهديد (تمتع بكفرك قليلا) يعني مدة حياتك (إنك من أصحاب النار) في العاقبة، وهم الذين يلزمون عذاب جهنم. ثم قال (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) فآناء الليل ساعات الليل واحدها آن، وإني بالياء (ساجدا وقائما) أي في هاتين الحالتين (يحذر الآخرة) أي يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) كمن خالف ذلك، فإنهما لا يتساويان ابدا، ثم قال (قل) لهم على وجه الانكار عليهم (هل يستوي الذين يعلمون) الحق ويعملون به (والذين لا يعلمون) ولا يعملون به، فإنهما لا يتساويان أبدا (إنما يتذكر) في ذلك (أولوا الألباب) أي ذوو العقول
وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال: نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (قل) لهم يا محمد (يا عبادي الذين آمنوا) بالله وصدقوا بوحدانيته وأقروا برسله (اتقوا ربكم) أي عقاب ربكم باجتناب معاصيه. ثم قال (للذين أحسنوا) يعني فعلوا الأفعال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم جزاء لهم على ذلك (في هذه الدنيا حسنة) يعني ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر، وقيل: صحة وسلامة وعافية، ذكره السدي (وارض الله واسعة) فتهاجروا فيها عن دار الشرك - في قول مجاهد - وقيل: أرض الله يعني أرض الجنة واسعة (إنما يوفى الصابرون أجرهم) وثوابهم على طاعتهم وصبرهم على شدائد الدنيا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(بغير حساب) أي لكثرته لا يمكن عده وحسابه. وقيل: إن معناه إنهم
يعطون من المنافع زيادة على ما يستحقونه على وجه التفضل، فكان ذلك بغير حساب
أي بغير مجازاة بل تفضل من الله تعالى.
قوله تعالى:
(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (١١
وأمرت لان أكون أول المسلمين (١٢) قل إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم (١٣) قل الله أعبد مخلصا له ديني (١٤)
فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين (١٥) لهم من
فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون) (١٦) ست آيات بلا خلاف.
ست آيات في الكوفي وخمس بصري وأربع في ما عداه عد الكوفيون
والبصريون (له الدين) وعد الكوفيون (له ديني) ولم يعد الباقون شيئا
من ذلك.
هذا امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم
(إني أمرت أن ا عبد الله مخلصا له الدين) أي اخلص طاعتي له وأوجه عبادتي
نحوه، دون الأصنام والأوثان. والآية وإن توجهت إلى النبي صلى الله عليه وآله فالمراد بها
جميع المكلفين (وأمرت) أيضا (لان أكون أول المسلمين) أي المستسلمين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لما أمر الله به ونهى عنه، وإنما أمر بأن يكون أول المسلمين وإن كان قبله مسلمون كثيرون لان المراد به أول المسلمين من هذه الأمة، ففي ذلك أنه دعاهم إلى ما رضيه الله له ورضيه لنفسه، وأن يقول لهم أيضا (إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني عذاب يوم القيامة. ثم قال (قل) لهم (الله اعبد) أي ا عبد الله (مخلصا) بعبادتي (له) تعالى (ديني) وطاعتي (فاعبدوا) أنتم معاشر الكفار (ما شئتم من دونه) من الأصنام والأوثان على وجه التهديد بذلك ثم قال (قل) لهم (إن الخاسرين) في الحقيقة هم " الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة " بأن فعلوا المعاصي، فخسروا بذلك أهاليهم الذين كانوا معدين لهم من الحور العين لو أطاعوه - في قول الحسن - وخسروا أنفسهم أي أهلكوها بالعذاب المهين الظاهر، لمن أدركه، ولا يخفى على أحد الحال فيه. ثم قال تعالى " ألا ذلك هو الخسران المبين " يعنى الظاهر الذي لا يخفى، ثم بين ذلك الخسران بأن قال " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل " فالظلة السترة القائمة، وجمعها ظلل، ولذلك قيل من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل إذ النار أدراك فهم بين أطباقها - نعوذ بالله منها - فما هو تحت هؤلاء ظلل لمن دونهم ويجوز أن يكون المراد من تحتهم مثل تلك الظلل لان الظلة لا تسمى كذلك إلا إذا كانت عالية فوق من هي ظلة له ثم قال " ذلك يخوف الله به عباده " أي ما أخبركم به من الوعيد وما أعده للكفار يحذر الله به عباده من ارتكاب معاصيه، ثم ناداهم فقال " يا عباد فاتقون " أي اتقوا معاصي وافعلوا طاعاتي والتخويف الاعلام بموضع المخافة لتتقى ومثله التحذير والترهيب. وقرأ رويس " يا عبادي " باثبات الياء - في الحالين - الباقون بحذفها، لان الكسرة تدل على الياء.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم
البشرى فبشر عباد (١٧) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الألباب (١٨) أفمن
حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار (١٩) لكن
الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) (٢٠).
اربع آيات بلا خلاف، في جملتها، وقد اختلفوا في تفصيلها فعد العراقيون والشامي وإسماعيل " فبشر عبادي " ولم يعدها المكي، ولا المدني الأول، وعد المكي والمدني الأول " من تحتها الأنهار ".
لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار وما أعده لهم من أنواع العقاب، اخبر - ههنا - عن حال المؤمنين وما أعده لهم من الثواب فقال " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها " يعني الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت والتقرب إليها بأنواع القرب. والطاغوت جماعة الشياطين في قول مجاهد والسدي وابن زيد. وإنما أنث تأنيث الجماعة، ولفظه لفظ المذكر. وقيل إن كل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت " وأنابوا إلى الله " أي تابوا إليه، واقلعوا عما كانوا عليه " لهم البشرى فبشر عباد " جزاء على ذلك والبشرى والبشارة واحد وهو الاعلام بما يظهر السرور به في بشرة الوجه، وضده السوءى وهو الاعلام بما يظهر الغم به في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الوجه بما يسوء صاحبه.
ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله فقال " فبشر عبادي " فمن أثبت الياء وفتحها، فلانه الأصل ومن حذف الياء اجتزأ بالكسرة الدالة عليها، ثم وصف عباده الذين أضافهم إلى نفسه على وجه الاختصاص فقال " الذين يستمعون القول " يعني يصغون إلى تلاوة القرآن والأقوال الدالة على توحيده " فيتبعون أحسنه " إنما قال " أحسنه " ولم يقل حسنه لأنه أراد ما يستحق به المدح والثواب، وليس كل حسن يستحق به ذلك، لان المباح حسن ولا يستحق به مدح ولا ثواب. والأحسن الأولى بالفعل في العقل والشرع.
ثم اخبر تعالى فقال " أولئك " يعني هؤلاء الذين وصفهم من المؤمنين هم " الذين هداهم الله " يعني إلى الجنة وثوابها، وحكم بأنهم مهتدون إلى الحق " وأولئك هم أولوا الألباب " يعني أولوا العقول على الحقيقة، لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم من حيث اتبعوا ما يجب اتباعه، والكفار وإن كان لهم عقول فكأنهم لا عقول لهم من حيث أنهم لم ينتفعوا بما دعوا إليه.
ثم قال تعالى على وجه التنبيه " أفمن حق عليه كلمة العذاب " أي وجب عليه الوعيد بالعقاب جزاء على كفره كمن وجب له الوعد بالثواب جزاء على ايمانه وحذف لدلالة الكلام عليه تنبيها على أنهما لا يستويان.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " أفأنت تنقذ من في النار " وتقديره أفأنت تنقذه، لا يمكنك ذلك، لان العقاب وجب له بكفره، وأخبر تعالى انه لا يغفر له وإنما اتى بالاستفهام مرتين تأكيدا، للتنبيه على المعنى، قال الزجاج: معناه معنى الشرط والجزاء، والف الاستفهام - ههنا - معناها التوقيف، والثانية في قوله " أفأنت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تنقذ " جاءت مؤكدة لما طال الكلام، لأنه لا يصلح أن يأتي بألف الاستفهام تارة في الاسم والأخرى في الخبر، والمعنى أفمن حق عليه كلمة العذاب أنت تنقذه أو في سياق الكلام حذف. وفيه دليل على المحذوف. والمعنى أفمن حق عليه كلمة العذاب، فيتخلص منه أو ينجو منه أفأنت تنقذه أي لا تقدر عليه ان تنقذه، وقال الفراء: هما استفهام واحد وتقديره: أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب من النار. ومثله " أيعدكم أنكم إذا متم... أنكم مخرجون " (١) وتقديره أيعدكم إنكم تخرجون إذا متم. ثم فسر وبين ما أعده للمؤمن كما فسر ما أعده للكافرين فقال " لكن الذين اتقوا ربهم " يعني اتقوا معاصيه " لهم غرف من فوقها غرف مبنية " في مقابلة ما قال للكافرين لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل لأنها تنقلب عليهم. وقيل: المعنى لهم منازل رفيعة في الجنة وفوقها منازل ارفع منها، فللمؤمنين الغرف " تجري من تحتها الأنهار " وتقديره تجري من تحت أشجارها الأنهار، ثم بين تعالى أن الذي ذكره من ثواب المؤمن " وعد " من " الله " وعد به المؤمن " لا يخلف الله الميعاد " أي لا يخلف الله وعده ولا يكون بخلاف ما اخبر به، ونصب " وعد الله " على المصدر.

قوله تعالى:

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في
الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (٢١) أفمن

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٣٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) الله نزل أحسن
الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد (٢٣) أفمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم
تكسبون (٢٤) كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين على وجه التنبيه لهم على الأدلة الدالة على توحيده واختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره " ألم تر " يا محمد ومعناه ألم تعلم " أن الله انزل من السماء ماء " يعني مطرا " فسلكه ينابيع في الأرض " يعني أدخله في عيون الأرض ومنابعها. وقيل: السلوك دخول في الشئ، ولهذا حسن في صفة الماء الجاري، فقيل فسلكه ينابيع في الأرض، ويقولون: دخل في الاسلام، ولا يقال سلك في الاسلام، والينابيع جمع ينبوع، وهو خروج الماء من العيون. وقيل: الينبوع المكان الذي ينبع منه الماء تقول: نبع الماء من موضع كذا إذا فار منه، وعيون الماء مستودع الماء، ونبع الماء إذا انفجرت به العيون.

وقوله " ثم يخرج به " يعني بذلك الماء " زرعا " وهو كل ما ثبت علي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

غير ساق، والشجر ماله ساق وأغصان. والنبات يعم الجميع، يقال: تنبت النخلة والشجرة والحبة تنبت نباتا. وقوله " مختلفا ألوانه " يعني صنوفه وقيل: مختلف الألوان من اخضر واصفر واحمر وأبيض: من البر والشعير والسمسم والأرز والذرة والدخن وغير ذلك.

وقوله " ثم يهيج فتراه مصفرا " معناه يجف ويضطرب، فالهيج شدة الاضطراب بالانقلاب عن حال الاستقامة والصلاح، هاج يهيج هيجا وهياجا وهاج البعير هيجا. وقيل: معنى " يهيج " أي يحمى ويجف، فكأنه عما يلحق الجميع يخرج إلى تلك الحال فيتغير عن لون الخضرة إلى لون الصفرة. وقوله " ثم يجعله حطاما " فالحطام فتات التبن والحشيش. ثم قال " إن في ذلك " يعني في ما ذكره من انزال الماء من السماء وإنبات الزرع به ونقله من حال إلى حال " لذكرى " أي ما يتذكر به ويفكر فيه لأولي الألباب يعني ذوي العقول السليمة.

ثم قال تعالى على وجه التنبيه للحق " أفمن شرح الله صدره للاسلام " أي من لطف الله له حتى آمن وعرف الله ووحده وصدق نبيه " فهو على نور من ربه " يعني فهو على هداية من الله ودين صحيح، كمن كان بخلاف ذلك، وحذف لدلالة الكلام عليه. ثم قال " فويل للقاسية قلوبهم " يعني الويل والعقاب للذين قست قلوبهم (عن ذكر الله) حتى لم يعرفوه ولا وحدوه يقال قسى الشئ إذا صلب، كما قال " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " (١) ويقال: غسا وعثا وقسا بمعنى واحد، ويقال ما أقسى قلبه إذا كان لا يلين لشئ. والمعنى كلما تلي عليه ذكر الله قسى قلبه. وقوله " عن ذكر الله " معناه غلظ قلبه عن ذكر الله.

والقاسية قلوبهم هم الذين ألفوا الكفر وتعصبوا له فلذلك قست قلوبهم. ثم قال

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٧٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعالى " أولئك " يعني القاسية قلوبهم عن ذكر الله " في ضلال " أي عدول عن الحق " مبين " أي واضح ظاهر.
ثم قال " الله نزل أحسن الحديث " يعني القرآن " كتابا متشابها " نصب (كتابا) على البدل من قوله (أحسن) ومعناه " متشابها " في الحكم التي فيه من الحجج والمواعظ والاحكام التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير يشبه بعضه بعضا لا تناقض فيه " مثاني " أي يثنى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان، ويثنى أيضا في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه في القرآن " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم " أي تقشعر جلود المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعونه فيه من الوعيد " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " وما ضمنه الله على ذلك من الثواب. ثم قال " ذلك " يعني ما وصف به المؤمن من اقشعرار قلوب المؤمنين تارة ولينها أخرجي " هدى الله يهدي به من يشاء " أي لطف الله الذي يلطف به لمن يشاء من عباده الذين يعلم أنه لطف لهم. وقال الجبائي: انه خص به أمة محمد صلى الله عليه وآله. ثم قال " ومن يضلل الله فما له من هاد "
ومعناه من أضله الله عن طريق الجنة لا يقدر أحد على هدايته إليها. ويحتمل أن يكون المراد من حكم الله بأنه ضال لا يقدر أحد ان يحكم بأنه هاد. ثم قال منبها لخلقه " أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة " وتقديره كمن يدخل الجنة؟!
وجاء في التفسير أن الكافر يلقى في النار مغلولا، لا يمكنه ان يتقي النار إلا بوجهه.
ومعنى يتقي يتوفاها كما قال الشاعر:
إذا يتقون بي الأسنة لم اخم * عنها ولكني تضايق مقدمي
أي يقدمونني إلى القتال فيتوقون بي حرها. وحذف كمن كان بخلاف ذلك لدلالة الكلام عليه، فان هذا لا يكون ابدا. ثم حكى الله تعالى ما يقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للكافرين الظالمين نفوسهم بالكفر بالله يوم القيامة إذا دخلوا النار (ذوقوا ما كنتم) أي جزاء ما كنتم (تكسبون) من المعاصي. ثم اخبر تعالى عن الأمم الماضية من أمثالهم من الكفار بأن قال (كذب الذين من قبلهم) بآيات الله وجحدوا توحيده وكذبوا رسله (فأتاهم العذاب) جزاء لهم على فعلهم وعقوبة عاجلة " من حيث لا يشعرون " أي حيث لا يعلمون به ولا يحتسبون.

قوله تعالى:

(فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة
أكبر لو كانوا يعلمون (٢٦) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلهم يتذكرون (٢٧) قرآنا عربيا غير ذي عوج
لعلهم يتقون (٢٨) ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون (٢٩) إنك ميت وإنهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون) (٣١) ست آيات بلا خلاف.

قال المبرد العرب تقول لكل شئ يصل إليك بجارحة من الجوارح: ذق أي يصل معرفته إليك، كما يصل إليك معرفة ما تذوقه بلسانك من حلو ومر ومنه قوله (فذاقوا وبال أمرهم) (١) وقوله (ذق انك أنت العزيز الكريم) (٢) والخزي هو المكروه والهوان، وخزي فلان إذا وقع في المكروه، فالخزي افراط

---

(١) سورة ٦٤ التغابن آية ٥
(٢) سورة ٤٤ الدخان ٤٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الاستحيا، يقال ما استحيا وما تخزى، ورأيته خزيان نادما، قال الشاعر:
ولا أنت دياني فتخزوني
قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (ورجلا سالما) على وزن (فاعل)
معناه خالصا لا يشركه فيه غيره لان الله تعالى ضرب مثلا للمؤمن والكافر، فشبه الكافر بشركاء متنازعين مختلفين، والمؤمن من عبد إلها واحدا. الباقون " سلما لرجل " على المصدر من قولهم: سلم فلان الله سلما بمعنى خلص له خلوصا، كما يقولون: ربح الرجل في تجارته ربحا وربحا: وسلم سلما وسلما وسلامة، وتقديره ذا سلم، فمعنى " إذا قهم الله " أي جعلهم يدركون الألم، كما يدرك الذائق الطعام، والخزي الذل الذي يستحيا من مثله بما فيه من الفضيحة، وخزيهم في الحياة الدنيا هو ما فعله بهم من العذاب العاجل من إهلاكهم واستئصالهم الذي يبقى ذكره على الأبد. ثم قال تعالى " ولعذاب الآخرة أكبر " مما فعل بهم في دار الدنيا " لو كانوا يعلمون " صدق ما أخبرنا به.
ثم اقسم تعالى بأن قال " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون " فالتذكر طلب الذكر بالفكر، وهذا حث على طلب الذكر المؤدي إلى العلم، والمعنى لكي يتذكروا، ويتعظوا فيجتنبوا ما فعل من تقدم من الكفر والمعاصي، لئلا يحل بهم كما حل بأولئك. وقوله " قرآنا عربيا " أي أنزلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج أي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق، ويقال في الكلام عوج - بكسر العين - إذا عدل به عن جهة الصواب.
والمثل علم شبه به حال الثاني بالأول. والمثال مقياس يحتذى عليه، وإنما قال: ضربنا مثلا واحدا، ولم يقل مثلين، لأنهما جميعا ضربا مثلا واحدا، ومثله قوله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعالى " وجعلنا ابن مريم وأمه آية " (١) ولوثني لكان حسنا - في قول الفراء - وقوله " لعلهم يتقون " معناه لكي يتقوا معاصي الله خوفا من عقابه.
ثم قال تعالى " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون " فالتشاكس التمانع والتنازع، تشاكسوا في الامر تشاكسا، وفي الشركاء تشاكس في البيع، وتدبير المملوك ونحو ذلك " ورجلا سلما لرجل " فضرب المثل للموحد بعبادته الله تعالى وحده - عز وجل - والمشرك بعبادته غير الله - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد - (هل يستويان مثلا) في حسن الحال، لا يستويان لان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في امره.
ثم قال (الحمد لله) يعني المستحق للشكر والثناء على الحقيقية هو الله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة، لجهلهم بالله ومواضع نعمه. ثم قال لنبيه (إنك يا محمد (ميت) أي عاقبتك الموت، وكذلك هؤلاء لان (كل نفس ذائقة الموت) (٢) (ثم إنكم) يبعثكم الله (يوم القيامة) ويحشركم يوم القيامة فتختصمون عند الله. ومعناه كل طائفة منكم ترد على صاحبتها يوم القيامة وتخاصمها، فالاختصام رد كل واحد من الاثنين ما اتى به الآخر على وجه الانكار عليه. وقد يكون أحدهما - محقا والآخر مبطلا كالموحد والملحد. وقد يكونان جميعا مبطلين كاختصام اليهودي والنصراني، وقد يكونان جميعا محقين إذا قطع كل واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره، ويكون اختصامهم في الآخرة بذم رؤساء الضلالة في ما دعوهم إليه ودفع أولئك عن أنفسهم، فيقول الأولون: لولا أنتم لكنا مؤمنين

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنين آية ٥١
(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٨٥ وسورة ٢١ الأنبياء آية ٣٥ وسورة ٢٩ العنكبوت آية ٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويقول الرؤساء ما كان لنا عليكم من سلطان إلا أن دعوناكم فاستجبتم لنا. واقبل بعضهم على بعض يتلاومون. وقال ابن زيد: الاختصام يكون بين المؤمنين والكافرين. وقال ابن عباس: يكون بين المهتدين والضالين: والصادقين والكاذبين وقال أبو العالية: يكون بين أهل القبلة. ورجل مشكس إذا كان سئ الخلق. وقال السدي: هذا مثل ضربه الله لأوثانهم. وقال قتادة: هذا للمشرك تنازعه الشياطين مغريين بعضهم ببعض (ورجلا سالما) وهو المؤمن أخلص الدعوة الله والعبادة، وقال أبو عبيدة: متشاكسون الرجل الشكس ورجلا سالما الرجل الصالح. وقال أبو عمرو: معناه خالصا لله. وقال أبو علي: رجلا فيه شركاء يعني في اتباعه أو في شيعته.

قوله تعالى:

(فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه
أليس في جهنم مثوى للكافرين (٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق
به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين (٣٤) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم
بأحسن الذي كانوا يعملون) (٣٥) أربع آيات بلا خلاف.

قوله (فمن أظلم) صورته صورة الاستفهام والمراد به التقريع والتوبيخ، والمعنى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فادعى أن له ولدا وصاحبة، أو أنه حرم ما لم يحرمه، أو أحل ما لم يحله، وإنما كان من كذب على الله وكذب بالحق أظلم الخلق، لأنه ظلم نفسه بأفحش الظلم من جهة كفره بربه وجحوده لحق نعمه حين أشرك به

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعالى من لا نعمة له يستحق بها عبادته. وقال قتادة: (وكذب بالصدق إذ جاءه) يعني بالقرآن.
ثم قال تعالى مهددا لمن هذه صفته (أليس في جهنم مثوى للكافرين)
والمثوى المقام يقال أثوى يثوي اثواء وثوى يثوي ثواء قال الشاعر:
طال الثواء على ربع بيسؤدي * أردى وكل جديد مرت مود
وقوله (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال قتادة وابن زيد: المؤمنون جاؤوا بالصدق الذي هو القرآن وصدقوا به، وهو حجتهم في الدنيا والآخرة.
وقيل الذي جاء بالصدق جبرائيل وصدق به محمد صلى الله عليه وآله. وفي قراءة ابن مسعود
(والذي جاؤوا بالصدق) قال الزجاج: الذي - ههنا والذين بمعنى واحد يراد به الجمع. وقال: لأنه غير موقت. وقيل: الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وآله من قول لا إله إلا الله، وصدق به أيضا هو صلى الله عليه وآله والصحيح أن قوله (وصدق به) من صفة الذين جاؤوا بالصدق، لأنه لو كان غيرهم لقال والذي جاء بالصدق والذي صدق به.
وقوله (أولئك هم المتقون) يعني من جاء بالصدق وصدق به هم المتقون معاصي الله خوف عقابه، وإنما جاء بلفظ الجمع (هم المتقون) مع أن لفظ (الذي) واحد، لأنه أراد به الجنس. ومعناه الجمع كقوله (والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (١) وقال الأشهب بن رميلة:
إن الذي حلت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يالم خالد
ثم بين ما أعد لهم من النعيم فقال (لهم ما يشاؤن عند ربهم) جزاء على تقواهم، وبين أن لهم (ذلك) وانه (جزاء المحسنين) الذين يفعلون الطاعات.

---

(١) سورة ١٠٣ العصر آية ١ - ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (ليكفر الله عنهم أسوء الذي عملوا) أي يسقط عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بتوبتهم ورجوعهم إلى الله (ويجزيهم اجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) يعني يثيبهم على طاعاتهم من الفرض والنفل، وهي أحسن افعالهم لان المباح وإن كان حسنا لا يستحق به ثواب ولا مدح لان الثواب والمدح إنما يستحق على الطاعات.

قوله تعالى:

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه
ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٦) ومن يهد الله فما له من مضل
أليس الله بعزيز ذي انتقام (٣٧) ولئن سألتهم من خلق السماوات
والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن
أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل
هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (٣٨)
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون (٣٩)
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (٤٠)

خمس آيات كوفي وثلاث في ما عداه عد الكوفيون (من هاد) وعدوا (فسوف تعلمون) ولم يعده الباقون. قرأ حمزة والكسائي وخلف (بكاف عباده) على الجمع. الباقون بكاف عبده على التوحيد. من قرأ على التوحيد أراد النبي صلى الله عليه وآله لقوله (ويخوفونك) ومن جمع أراد النبي وسائر الأنبياء، لان أمة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كل نبي خاطبوا نبيهم بمثل ذلك، كما قال تعالى مخبرا عن قوم هود (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (١) وقرأ أبو عمرو والكسائي عن أبي بكر (كاشفات ضره.. ممسكات رحمته) منون فيهما. الباقون بالإضافة. فمن أضاف فللتخفيف. ومن نون، فلانه غير واقع، واسم الفاعل إنما يعمل إذا كان لما يستقبل قوله (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) (٢) على الحكاية.

وقوله (أليس الله بكاف عبده) لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يقرر عباده، فيقول: أليس الله الذي يكفي عبده كيد أعدائه ويصرف عنه شرهم، فمن وحد - أراد محمد صلى الله عليه وآله وهو قول السدي وابن زيد. ومن جمع -

أراد أنبيائه ك (إبراهيم ولوط وشعيب).

وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله بأن الكفار يخوفونه بالأوثان التي كانوا يعبدونها - في قول قتادة والسدي وابن زيد - لأنهم قالوا له: أما تخاف ان تهلكك آلهتنا. وقيل: إنه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبي صلى الله عليه وآله قالوا له ساداتها: إياك يا خالد إن بأسها شديد.

ثم قال (ومن يضلل الله فما له من هاد) يحتمل معناه شيئين:

أحدهما - من أضله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها.

والثاني - ان من حكم الله بضلالته وسماه ضالا إذا ضل هو عن الحق فليس له من يحكم بهدايته وتسميته هاديا. ثم عكس ذلك فقال (ومن يهدي الله فما له من مضل) وهو يحتمل أمرين:

أحدهما - من يهديه الله إلى طريق الجنة فلا أحد يضله عنها.

---

(١) سورة ١١ هود آية ٥٤

(٢) سورة ١٨ الكهف آية ١٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والثاني – من يحكم بهدايته ويسميه هاديا فلا أحد يمكنه ان يحكم بضلالته على الحقيقة.
ثم قرر خلقه فقال (أليس الله بعزيز) اي قادر قاهر لا يقدر أحد على مغالبته (ذي انتقام) من أعدائه والجاحدين لنعمته.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (ولئن سألتهم) يا محمد يعني هؤلاء الكفار (من خلق السماوات
والأرض) وانشأها واخترعها وأوجدها بعد أن كانت معدومة (ليقولن الله) الفاعل لذلك، لأنهم لو أحالوا على غيره لبان كذبهم وافتراؤهم، لأنه لا يقدر على ذلك إلا القادر لنفسه الذي لا يعجزه شئ. ثم قال (قل) لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) فمن أضاف لم يعمل اسم الفاعل. ومن نون أعمله، وهما جميعا جيدان. والمعنى إن من يعجز عن النفع والضر وكشف الكرب عمن يتقرب إليه ولا يتأتى منه ذلك كيف يحسن عبادته؟! وإنما تحسن العبادة لمن يقدر على جميع ذلك ولا يلحقه عجز ولا منع، وهو الله تعالى.
والوجه في الزام من خلق السماوات والأرض إخلاص العبادة له أن من خلق السماوات والأرض هو القادر على النفع والضر بما لا يمكن أحد منعه ويمكنه منع كل أحد من خير أو شر، والعبادة أعلى منزلة الشكر، لأجل النعم التي لا يقدر عليها غير الله، فمن أقر بخلق السماوات والأرض لزمه إخلاص العبادة لمن خلقهما ومن لم يقر دل عليه بما يلزمه الاقرار به.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (حسبي الله) أي يكفني الله (عليه يتوكل المتوكلون) فالتوكل رد التدبير إلى من يقدر على الاحسان فيه، فلما كان لا يقدر على الاحسان في جميع التدبير الذي يصلح الانسان إلا الله تعالى وجب على

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كل عاقل التوكل عليه بما هو حسبه منه.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (يا قوم اعملوا على مكانتكم) قال مجاهد: على ناحيتكم، وقيل على مكانكم من العمل. وقيل: على مكانتكم أي ديانتكم على وجه التهدد لهم. وقيل: على مكانتكم أي جهتكم التي اخترتموها وتمكنتم في العمل بها.
ثم قال (إني عامل) بما أدعوكم إليه (فسوف تعلمون) عاقبة اعمالكم وآخر كفركم وتعرفون (من يأتيه عذاب يخزيه) في الدنيا ويهينه في الآخرة (ويحل عليه) أي ينزل عليه (عذاب مقيم) أي دائم لا يزول، وذلك غاية الوعيد والتهديد.
قوله تعالى:
(إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (٤١) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك الآيات لقوم يتفكرون (٤٢) أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (٤٣) قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون (٤٤) وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (٤٥) خمس
آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة والكسائي إلا قتيبة وخلف (فيمسك التي قضي عليها) على ما
لم يسم فاعله. الباقون (قضى) بفتح القاف، وهو الأجود لان اسم الله تعالى
قد تقدم في قوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقيل: إن الموت - ههنا -
المراد به النوم. والتوفي - ههنا - توفى النفس لا الروح، لان ابن عباس قال في
ابن آدم نفس وروح، فإذا نام قبضت نفسه وبقيت روحه. والروح والذي
يكون بها الغظيط. والنفس هي التي يكون بها التميز، فإذا مات قبضت نفسه وروحه.
فان قيل: كيف قال ههنا (الله يتوفى الأنفس) وقال في موضع آخر
(توفته رسلنا) (١) (وقل يتوفاكم ملك الموت) (٢).
قيل: ان الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله، ومعه رسل
وأعوان، فلذلك قال (توفته رسلنا).
وحجة من بنى الفعل للفاعل قوله (ويرسل الأخرى) ومن بنى للمفعول
به، فلان المعنى يؤول إليه. وقال الفراء تقديره الله يتوفى الأنفس حين موتها
ويتوفى التي لم تمت في منامها عند انقضاء اجلها. وقيل: توفها نومها لقوله (وهو الذي
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) (٣).
يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه (إنا أنزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن
(للناس بالحق). ومعناه أنزلناه على أنه حق، فهذه فائدة الباء. وفي ذلك حجة على

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٦١
(٢) سورة ٣٢ ألم السجدة آية ١١
(٣) سورة ٦ الانعام آية ٦٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من زعم أن الله سبحانه يريد بانزاله إضلال الكافرين عن الايمان، لأنه لو كان كذلك لم يكن منزلا على أنه حق وجب النظر في موجبه ومقتضاه، فما رغب فيه وجب العمل به وما حذر منه وجب اجتنابه، وما صححه وجب تصحيحه وما أفسده وجب افساده، وما دعا إليه فهو الرشد، وما صرف عنه فهو الضلال.

ثم قال (فمن اهتدى) يعني بما فيه من الأدلة (فلنفسه) لان منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه (ومن ضل) عنه وحاد (فإنما يضل عليها) يعني على نفسه، لان وخيم عاقبته من العقاب تعود عليه. ثم قال (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) أي بحفيظ ولا رقيب وإنما عليك البلاغ والوكيل القائم بالتدبير. وقيل (ما أنت عليهم بوكيل) معناه وما أنت عليهم برقيب في ايصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه، ولا تقدر على إكراههم على الاسلام، وإنما الله تعالى القادر عليه.

قوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها) معناه انه يقبضها إليه إذا أراد إمانتها بأن يقبض روحها بأن يفعل فيها الموت " والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت " فلا يردها إليه " ويرسل الأخرى.. " التي يريد ابقائها إلى أن تستوفي اجلها الذي قدره لها. وقد ذكرنا ما روي عن ابن عباس من أن قبض الروح يكون منه ميتا. وقبض النفس يكون به فاقدا للتمييز والعقل، وإن لم يفقد حياته.

والفرق بين قبض النوم والموت ان قبض النوم يضاد اليقظة، وقبض الموت يضاد الحياة وقبض النوم تكون الروح معه في البدن، وقبض الموت يخرج الروح منه عن البدن، وقال سعيد بن جبير والسدي: ان أرواح الاحياء إذا ناموا تجتمع مع أرواح الأموات، فإذا أرادت الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأموات وأرسل أرواح الاحياء.
ثم قال (إن في ذلك) يعني في قبض الأرواح تارة بالموت، وقبض الأنفس بالنوم أخرى (لآيات) أي دلالات واضحات على توحيد الله، فإنه لا يقدر عليه سواه (لقوم يتفكرون) أي يستعملون عقولهم بالفكر في ذلك فيعرفون الله تعالى بذلك.
ثم اخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم، من الأصنام والأوثان فقال (قل) لهم يا محمد (أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) تنبيها لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شئ من الشفاعة ولا غيرهما ولا يعقلون شيئا. والألف في (أولو) الف الاستفهام يراد به التنبيه. ثم قال (قل) لهم يا محمد (لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض) أي الشفاعة لمن له التدبير والتصرف في السماوات والأرض ليس لأحد الاعتراض عليه في ذلك (ثم إليه ترجعون) معاشر الخلق أي إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأمر والنهي سواه، وهو يوم القيامة فيجازي كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب.
ثم اخبر عن حالهم وشدة عنادهم، فقال (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني نفرت نفوسهم عن التوحيد وانقبضت عنه يقال: فلان مشمئز عن كذا إذا انقبض عنه. وفي قوله: اشمأزت قلوبهم دليل على فساد قول من يقول المعارف ضرورة (وإذا ذكر الذين من دونه) قال السدي: يعني أوثانهم (إذا هم يستبشرون) أي يفرحون ويسرون حتى يظهر السرور في وجوههم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة
أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن
للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧)
وبدا لهم سيات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٤٨)
فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما
أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٩)
قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠)
خمس آيات.
هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين ان يدعوه بهذا الدعاء فيقولوا (اللهم فاطر السماوات والأرض) أي خالقهما ومنشئهما ومبتدئهما (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب علمه عن جميع الخلائق وعالم ما شهدوه وعملوه، لا يخفى عليك شئ من الأشياء (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة (في ما كانوا فيه يختلفون) في دار الدنيا من أمر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق. و (فاطر السماوات) عند سيبويه لا يجوز أن يكون صفة (اللهم) قال لأنه غير الاسم في النداء، ولأنه لا يذكر بهذا الذكر إلا بعد ما عرف

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كما لا يضمر الاسم إلا بعد ما عرف، فكما لا توصف المضمرات، فكذلك هذا الاسم، وليس يجب مثل ذلك في قولنا: (الله) لأنه قد يذكره العارف لمن لا يعرفه فيعرفه إياه بصفته، فيقول: الله فاطر السماوات والأرض وخالق الخلق ورب العالمين ومالك يوم الدين. وقال أبو العباس: يجوز أن يكون صفة (اللهم) حملا له على (يا الله فاطر السماوات والأرض).

ثم اخبر تعالى على وجه المبالغة في وقوع عقاب الكفار وعظمه بأنه لو كان لهم ملك جميع ما في الأرض، ومثله معه، زيادة عليه وأراد الظالم لنفسه بارتكاب المعاصي أن يفتدي نفسه من شدة ذلك العذاب يوم القيامة لما قبل منه، ولما فودي به، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه.

ثم قال (وبدا لهم) يعني الكفار ما لم يكونوا يحتسبونه ولا يظنونه واصلا إليهم، والاحتساب الاعتداد بالشئ من جهة دخوله في ما يحسبه، فلما كان أهل النار لم يكونوا يدرون ما ينزل بهم من العذاب صح ان يقال (بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ولا قدروا أنهم يصيرون إليه.

ثم قال (وبدا لهم) أي ظهر لهم أيضا (سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات ما كسبوا من اعمالهم (وحاق بهم) أي نزل بهم " ما كانوا به يستهزؤن " في الدنيا من قول الله ووعده ووعيده.

ثم اخبر تعالى عن شدة تقلب الانسان وتحوله من حال إلى حال بأنه إذا مسه ضر من مرض ومصيبة وبلاء " دعانا " وفزع الينا " ثم " بعد ذلك " إذا خولناه " أي أعطيناه " نعمة منا " والتخويل العطاء بلا مكافات ولا مجازات بل تفضلا محضا " قال إنما أوتيته على علم " قال الحسن معناه أني أوتيته بحيلتي وعملي وقال غيره: معناه على علم برضاه عني فلذلك أعطاني ما أولاني من النعمة. وقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آخرون: معناه على علم بأن تسببت به للعافية وكشف البلية وانه لم ينلها من قبل ربه. ثم قال ليس الامر على ما يقوله " بل هي فتنة " أي بلية واختبار يبتليه الله به فيظهر كيف شكره في مقابلتها، فيجازيه بحسبها، لأنه وإن كان عالما بحاله لم يجز ان يجازيه على علمه، وإنما يجازيه على فعله " ولكن أكثرهم لا يعلمون " صحة ما قلناه من أن ذلك محنة واختبار لقلة معرفتهم بالله وبصفاته. ثم قال " قد قالها الذين من قبلهم " يعني قد قال كلمة مثل ما قال هؤلاء " فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون " من الأموال ويجمعونه بل صارت وبالا عليهم.

قوله تعالى:

(فأصابهم سيأت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيأت ما كسبوا وما هم بمعجزين (٥١) أولم يعلموا أن
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون (٥٢) قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور
الرحيم (٥٣) وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم
العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من
ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) (٥٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا عن حال هؤلاء الكفار في الآخرة وما يصيرون إليه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فقال " فأصابهم سيئات ما كسبوا " قيل في معناه قولان:
أحدهما - فأصابهم عقاب سيئات ما كسبوا وحذف المضاف واقام المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه.
الثاني - انه أراد فأصابهم عقاب ما كسبوا من المعاصي وسماه سيئات لازدواج الكلام، كما قال " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (١).
ثم قال " والذين ظلموا من هؤلاء " يعني من كفار قوم النبي صلى الله عليه وآله " سيصيبهم " أيضا " سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين " أي ليس يفوتون الله، ثم قال على وجه التنبيه لهم على معرفته " أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء " أي يوسعه على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من مصلحته " ويقدر " أي ويضيق على من يشاء منهم بمثل ذلك " إن في تلك لآيات " أي دلالات واضحات " لقوم يؤمنون " أي يصدقون بتوحيد الله ويقرون بأنبيائه. وأضاف الآيات إلى المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بها، ثم قال " قل " لهم يا محمد " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " بارتكاب المعاصي " لا تقنطوا من رحمة الله " أي لا تيأسوا من رحمة الله يقال: قنط يقنط قنوطا إذا يئس " ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم " وفى ذلك دلالة واضحة على أنه يجوز ان يغفر الله بلا توبة تفضلا منه وبشفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأنه لم يشرط التوبة بل أطلقها.
وروي عن
فاطمة عليها السلام أنها قالت: إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي. وروي عن علي عليه السلام
وابن عباس: أنهما قالا: إن لارجى آية في كتاب الله قوله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " (٢) فقال عبد الله بن عمرو بن العاص بل أرجى آية في كتاب الله قوله " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " وهو المروي عن علي أيضا.

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠
(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " وأنيبوا إلى ربكم " امر مستأنف من الله لخلقه بالرجوع إلى الله والتوبة من معاصيهم. والإنابة هي الرجوع " وأسلموا له " معناه آمنوا به وسلموا لا وأمره " من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون " عند نزول العذاب بكم " واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم " إنما قال " أحسن ما أنزل " لأنه أراد بذلك الواجبات والنفل التي هي الطاعات دون المباحات والمقبحات التي لا يأمر بها. وقال السدي (أحسن) أي ما أمر الله تعالى به في الكتاب، وقال قوم (أحسن ما انزل إليكم من ربكم) يريد به الناسخ دون المنسوخ، وهذا خطأ، لان المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح، وقال الحسن أحسنه ان يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه " من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة " أي فجأة في وقت لا تتوقعونه " وأنتم لا تشعرون " أي لا تعرفون وقت نزوله بكم.

قوله تعالى:

(أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله
وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت
من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة
فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠)

خمس آيات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ أبو جعفر من طريق ابن العلاف " يا حسرتاي " بياء ساكنة بعد الألف. وفتح الياء النهرواني عن أبي جعفر. الباقون بلا ياء.

لما امر الله تعالى باتباع طاعاته والانتهاء عن معاصيه تحذيرا من نزول العذاب بهم بغتة وهم لا يعلمون، بين الغرض بذلك وهو لئلا تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، وحذف (لا) كما حذف من قوله (يبين الله لكم أن تضلوا) (١) وقال الزجاج: معناه كراهية أن تقول نفس، ومثله قوله (والقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) (٢) في قول الفراء. وعلى قول الزجاج: كراهية ان تميد بكم، والنفس نفس الانسان. والفرق بين النفس والروح أن النفس من النفاسة، والروح من الريح. وأنفس ما في الحيوان نفسه، وهي جسم رقيق روحاني من الريح، ونفس الشئ هو الشئ بعينه. والتفريط إهمال ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته، ومثله التقصير، وضده الاخذ بالحزم، يقال: فلان حازم وفلان مفرط.

وقوله (في جنب الله) معناه فرطت في طاعة الله أو في أمر الله إلا أنه ذكر الجنب كما يقال: هذا صغير في جنب ذلك الماضي في أمره، وفي جهته، فإذا ذكر هذا دل على الاختصاص به من وجه قريب من معنى جنبه. وقال مجاهد والسدي: معنى (في جنب الله) أي في أمر الله. والألف في قوله (يا حسرتي) منقلبة عن (ياء) الإضافة. ويفعل ذلك في الاستفهام والاستغاثة بمد الصوت. والتحسر الاغتمام على ما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه، ومثله التأسف.

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١٧٥

(٢) سورة ١٦ النحل آية ١٥ وسورة ٣١ لقمان آية ١٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الذي معه. وقيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني إلى الايمان، ومعناه وما كنت إلا من جملة الساخرين اعترافا منهم على نفوسهم.

وقوله تعالى (أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين) معناه فعلنا ذلك لئلا يقول: لو أراد الله هدايتي لكنت من المتقين لمعاصيه خوفا من عقابه (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) ومعناه إنا فعلنا ذلك لئلا يتمنوا إذا نزل بهم البلاء والعذاب يوم القيامة لو أن لي رجعة إلى دار الدنيا لكنت ممن يفعل الطاعات.

ونصب (فأكون) على أنه جواب (لو) ويجوز أن يكون نصبا باضمار (ان) بمعنى لو أن لي كرة فان أكون.

وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن الكافر لا يقدر على الايمان لأنه لو كان إذا رد لا يقدر إلا على الكفر لم يكن لتمنيه معنى.

ثم قال تعالى منكرا عليهم " بلى قد جاءتك آياتي " أي حججي ودلالاتي " فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين " الجاحدين لنعمي عليك. وإنما خاطب بالتذكير والنفس مؤنثة لأنه أراد يا إنسان.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار في الآخرة، فقال " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة " جزاء على كفرهم. ثم قال " أليس في جهنم مثوى " أي موضع إقامة " للمتكبرين " الذين تكبروا عن طاعة الله وعصوا أوامره.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون (٦١) الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل (٦٢)
له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك
هم الخاسرون (٦٣)
قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون (٦٤) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن
أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥) بل الله
فاعبد وكن من الشاكرين (٦٦) ست آيات بلا خلاف.
قرأ روح " وينجي الله " بالتخفيف. الباقون بالتشديد. وقرأ ابن
كثير " تأمروني اعبد " مشددة النون مفتوح الياء. وقرأ نافع وابن عامر في
رواية الداجوني خفيفة النون. وفتح الياء نافع، ولم يفتحها ابن عامر. وقرأ ابن
عامر في غير رواية الداجوني " تأمرونني " بنونين. الباقون مشددة النون ساكنة الياء.
وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا " بمفازاتهم " جماعة. الباقون " بمفازتهم " على
واحدة. فمن وحده قال: هو بمنزلة السعادة والنجاة، كما قال الله تعالى " بمفازة
من العذاب " (١) وقال قوم المفازة الصحراء، فهي مهلكة وتسمى مفازة تفاؤلا،
كما قالوا - لمعوج الرجلين - أحنف، وللحبشي أبو البيضاء. وقال ابن الاعرابي:

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٨٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ليست مقلوبة بل المفازة المهلكة، يقولون: فوز الرجل إذا هلك ومات. ومن قرأ " تأمرونني " فلانه الأصل. ومن شدد أدغم احدى النونين في الأخرى. ومن خفف حذف احدى النونين، كما قال الشاعر:

تراه كالثغام يعل مسكا * بسوء الغانيا إذا قليني (١)

أراد قليننى فحذف. لما اخبر الله تعالى عن حال الكفار وأن الله يحشرهم يوم القيامة مسودة وجوههم، وأن مقامهم في جهنم، اخبر انه ينجي الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه، ويخلصهم. وقوله " بمفازتهم " بمنجاتهم من النار بطاعاتهم التي أطاعوا الله بها. واصل المفازة المنجاة، وبه سميت الفلاة مفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها، كما سموا اللديغ سليما. ومن وحد فلانه اسم جنس أو مصدر يقع على القليل والكثير. ومن جمع أراد تخلصهم من مواضع كثيرة فيها هلاك الكفار وأنواع عذابهم.

وقوله " لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون " معناه إن هؤلاء المؤمنين الذين يخلصهم الله من عقاب الآخرة وأهوالها لا يمسهم عذاب أصلا، ولا هم يغتمون على وجه. وقوله " لا يمسهم السوء " معناه نفيا عاما لسائر أنواع العذاب، والعموم في قوله " ولا هم يحزنون " فيه تأكيد له، وقيل: لئلا يظن ظان انه لما لم يمسهم العذاب جاز أن يمسهم بعض الغم، ففي ذلك تفصيل واضح يزيل الشبهة.

ثم اخبر تعالى انه خلق كل شئ، ومعناه انه يقدر على كل شئ، " وهو على كل شئ وكيل " أي له التصرف في ما يريد حافظ له، وإن حملنا معنى الخلق على الاحداث، فالمراد به " خالق كل شئ " من مقدوراته من الأجسام والاعراض. وقوله " له مقاليد السماوات والأرض " والمقاليد المفاتيح واحده

---

(١) قد مر في ٦ - ٣٤١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(مقليد) كقولك: منديل ومناديل، ويقال في واحده أيضا (إقليد) وجمعه (أقاليد) وهو من التقليد، والمعنى له مفاتيح خزائن السماوات والأرض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء. وقوله " والذين كفروا بآيات الله " يعني كفروا بآياته من مقاليد السماوات والأرض وغيرها وقوله " أولئك هم الخاسرون " يعني هؤلاء الذين كفروا بأدلة الله وحججه " هم الخاسرون "، لأنهم يخسرون الجنة ونعيمها ويحصلون في النار وسعيرها.

وقوله " قل أفغير الله تأمروني اعبد أيها الجاهلون " أمر للنبي صلى الله عليه وآله ان يقول لهؤلاء الكفار تأمروني أيها الكفار ان اعبد الأصنام من دون الله أيها الجاهلون بالله وبآياته؟! والعامل في قوله " أفغير " على أحد وجهين:

أحدهما - أن يكون " تأمروني " اعتراضا، فيكون التقدير: أفغير الله اعبد أيها الجاهلون في ما تأمروني.

الثاني - ان لا يكون اعتراضا ويكون تقديره: أتأمروني اعبد غير الله أيها الجاهلون في ما تأمروني فإذا جعلت " تأمروني " اعتراضا، فلا موضع لقوله " اعبد " من الاعراب، لأنه على تقدير اعبد أيها الجاهلون، وإذا لم تجعله اعتراضا يكون موضعه نصبا على الحال، وتقديره أتأمروني عابدا غير الله، فمخرجه مخرج الحال ومعناه ان اعبد، كما قال طرفة:

ألا ايهذا الزاجري احضر الوغا * وأن اشهد اللذات هل أنت مخلد (١)

أي الزاجر أن احضر، وحذف (أن) ثم جعل الفعل على طريقة الحال.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " ولقد أوحي إليك " يا محمد " وإلى الذين من قبلك " من الأنبياء والرسل " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين "

---

(١) مر في ١ - ٣٢٧ و ٨ - ٢٤٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لثواب الله. وقال قوم: فيه تقديم وتأخير وتقديره: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبط عملك، وإلى الذين من قبلك مثل ذلك. وقال آخرون: هذا مما اجتزئ بأحد الخبرين عن الآخر، كما يقول القائل: لقد قيل لزيد وعمرو ليذهبن، ومعناه لقد قيل لزيد: ليذهبن وعمرو ليذهبن فاستغني بقوله وعمرو عن أن يقال ليذهبن بما صار لزيد.

وليس في ذلك ما يدل على صحة الاحباط على ما يقوله أصحاب الوعيد، لان المعنى في ذلك لئن أشركت بعبادة الله غيره من الأصنام لوقعت عبادتك على وجه لا يستحق عليها الثواب، ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب، فلذلك وصفها بأنها محبطة، وبين ذلك بقوله " بل الله فاعبد " أي وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام ودون كل وثن " تكن من الشاكرين " الذين يشكرون

الله على نعمه ويخلصون العبادة له. ونصب قوله " بل الله " بفعل فسره قوله " فاعبد " وتقديره اعبد الله فاعبد وقال الزجاج: هو نصب بقوله (فاعبد) وتقديره قد بلغت فاعبد الله وقال المبرد: ومعنى (ليحبطن) ليفسدن يقولون: حبط بطنه إذا فسد من داء معروف.

قوله تعالى:

(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيمة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما
يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في
الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام
ينظرون (٦٨) وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٦٩)
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) (٧٠) أربع
آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مخبرا عن حال الكفار أنهم ما عظموه حق عظمته إذ
دعوك إلى عبادة غيره. وقال الحسن: معناه إذ عبد وا الأوثان من دونه.
والأول أقوى - وهو قول السدي - قال محمد بن كعب القرطي " ما قدروا الله
حق قدره " معناه ما علموا كيف حق الله. قال المبرد إشتقاقه من قولك: فلان
عظيم القدر يريد بذلك جلالته. والقدر اختصاص الشئ بعظم حجم أو صغر
أو مساواة.
وقوله " والأرض جميعا قبضته. قال الفراء: كان بجوز في (قبضته)
النصب. وقال الزجاج لا يجوز ان يقال: زيد دارك أي في دارك على حذف
(في) كقولهم شهر رمضان انسلاخ شعبان أي في انسلاخه. قال المبرد: الناصب
ل (جميعا) محذوفة تقديره والأرض إذا كانت جميعا قبضته، وخبر الابتداء (قبضته)
كأنه قال: والأرض قبضته إذا كانت جميعا. ومثله: هذا بسر الطيب منه تمرا
أي إذا كان. ومذهب سيبويه أي ثبتت جميعا في قبضته كقولك هنيئا مريئا
أي ثبت ذلك، لأنه دعاء في موضع المصدر، كما قلت سقيا ومثل الآية قول الشاعر:
إذا المرؤ أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد
أي إذا كان كهلا. وقال الزجاج: هو نصب على الحال. والمعنى
" والأرض " في حال اجتماعها (قبضته يوم القيامة. والسماوات مطويات بيمينه)
على الابتداء والخبر. ومعنى الآية أن الأرض بأجمعها في مقدوره كما يقبض عليه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

القابض، فيكون في قبضته وكذلك قوله (والسماوات مطويات بيمينه) معناه أي في مقدوره طيها، وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك. وقيل اليمين القوة قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين (١)

ثم نزه نفسه تعالى عن أن يكون له شريك في العبادة أو معين في خلق شئ من الأشياء. وقال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ما يضيفه إليه الكفار من الأصنام والأوثان.

وقوله (ونفخ في الصور) قال قتادة هو جمع صورة، فكأنه ينفخ في صور الخلق وروى في الخبر ان الصور قرن ينفخ فيه الصور. ووجه الحكمة في ذلك أنه علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف. ثم تجديد الخلق، فشبه بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول، ولا يتصور ذلك للنفس بأحسن من هذه الطريقة.

وقوله (فصعق من في السماوات ومن في الأرض) قيل: معناه يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض، ومنه الصواعق التي تأتي عند شدة الرعد، وصعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة الشديدة. وقوله (إلا من شاء الله) استثنى من جملة الذين يهلكون قوما من الملائكة، لان الملك الذي ينفخ فيه يبقى بعده، ويجوز أن يبقى غيره من الملائكة. وقال السدي: المستثنى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت - وهو المروي في حديث مرفوع - وقال سعيد بن جبير: هم الشهداء. الذين قتلوا في سبيل الله. وقوله (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) فهذه النفخة

---

(١) مر تخريجه في ٨ - ٥١٢ وهو في تفسير الشوكاني ٤ - ٤٦٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الثانية للحشر. وقال قتادة: وروي أيضا ان صاحب الصور إسرافيل عليه السلام وقيل: يفني الله تعالى بعد الصعق وموت الخلق الأجسام كلها ثم يعيدها ومعنى فإذا هم قيام ينظرون إخبار عن سرعة إيجاد هم، لأنه إذا نفخ النفخة الثانية أعاد هم عقيب ذلك فيقومون من قبور هم احياء ينظرون ما يراد ويفعل بهم.

وقوله (وأشرقت الأرض بنور ربها) قيل: معناه أضاءت بعدل ربها والحكم بالحق فيها. وقال الحسن: معناه بعدل ربها (ووضع الكتاب) يعني الكتب التي أعمالهم فيها مكتوبة (وجئ بالنبيين والشهداء) لأنهم يؤتى بهم. والشهداء هم الذين يشهدون على الأمم للأنبياء بأنهم قد بلغوا، وانهم كذبتهم أممهم، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير (وقضي بينهم بالحق) أي يفصل بينهم بالحق ولا ينقص أحد منهم شيئا مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به مالا يستحقه من العقاب، وقوله (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) معناه انه يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الكمال دون النقصان والله تعالى أعلم من كل أحد بما يفعلون من طاعة أو معصية لا يخفى عليه شئ منها.

قوله تعالى:

(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها
فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٢) وسيق الذين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (٧٣)
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (٧٤) وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (٧٥) خمس آيات بلا خلاف
قرأ أهل الكوفة إلا الكسائي عن أبي بكر (فتحت.. وفتحت) بالتخفيف
فيهما. الباقون بالتشديد. من خفف قال: لأنها تفتح دفعة واحدة، ومن شدد قال:
لأنها تفتح مرة بعد أخرى. ولقوله (مفتحة لهم الأبواب) (١).
لما اخبر الله تعالى عن حال الكافرين والمؤمنين وانه يحشر الخلق في ارض
الموقف، وانه يعاقب كل أحد على قدر استحقاقه، اخبر - ههنا - عن قسمة أحوالهم
فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) فالسوق الحث على السير يقال:
ساقه يسوقه سوقا، فهو سائق وذاك مسوق، ومنه قولهم: الكلام يجري على
سياقة واحدة، ومنه السوق لان المعاملة فيها تساق بالبيع والشراء، ومنه الساق
لأنه ينساق به البدن، و (الزمر) جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت المزمار، ومنه
مزامير داود عليه السلام يعني أصوات له كانت مستحسنة، وقال الشاعر:
له زجل كأنه صوت حاد * إذا طلب الوسيقة اوزمير (٢)

---

(١) سورة ٢٨ صلى الله عليه وآله آية ٥٠
(٢) قائله الشماخ اللسان (زجل) وسيبويه ١ - ١١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال أبو عبيدة: معناه جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض (حتى إذا جاؤها) يعني جاؤوا جهنم (فتحت أبوابها) أي أبواب جهنم (وقال لهم خزنتها) الموكلون بها على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعلهم (ألم يأتكم رسل منكم) يعني من أمثالكم من البشر (يتلون) أي يقرؤن (عليكم آيات ربكم) أي حجج ربكم، وما يدلكم على معرفته ووجوب عبادته (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي ويخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه، فيقول الكفار لهم (بلى) قد جاءتنا رسل ربنا، وخوفونا لأنه لا يمكنهم جحد ذلك لحصول معارفهم الضرورية (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) ومعناه أنه وجب العقاب على من كفر بالله، لأنه تعالى اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره، فقطع على عقابه، فلم يكن يقع خلاف ما علمه واخبر به، فصار كوننا في جهنم موافقا لما أخبر به تعالى وعلمه، فيقول لهم عند ذلك الملائكة الموكلون بجهنم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أي مؤبدين لا آخر لعقابكم ثم قال تعالى (فبئس مثوى) أي بئس مقام (المتكبرين) جهنم. ثم اخبر تعالى عن حال أهل الجنة بعد حال أهل جهنم فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم " باجتناب معاصيه وفعل طاعاته " إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها " وإنما جاء في الجنة، وفتحت أبوابها بالواو، وفى النار فتحت بغير واو، لأنه قيل: أبو أب النار سبعة، وأبو أب الجنة ثمانية، ففرق بينهما للايذان بهذا المعنى، قالوا: لان العرب تعد من واحد إلى سبعة وتسميه عشرا ويزيدون واوا تسمى واو العشر، كقوله " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف " ثم قال (والناهون عن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المنكر) (١) فاتى بالواو بعد السبعة، وقال (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) (٢) فاتى بالواو في الثامنة. وقيل: ان المعنى واحد، وإنما حذفت تارة وجئ بها أخرى تصرفا في الكلام. قال الفراء:
الواو لا تقحم إلا مع (لما) و (حتى) و (إذا) وانشد.
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى (٣)
أرار انتحى وقيل: دخلت الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وإذا كان بغير واو افادانها فتحت في ذلك الوقت وجواب (حتى إذا) في صفة أهل الجنة محذوف وتقديره حتى
إذا جاؤها قالوا المنى أو دخلوها أو تمت سعادتهم أو ما أشبه ذلك وحذف الجواب أبلغ لاحتماله جميع ذلك ومثله قول عبد مناف بن ربيع.
حتى إذا سلكوهم في قتائدة شلا * كما تطرد الجمالة الشردا (٤)
وهو آخر القصيدة، فحذف الجواب. وقوله (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) أي طابت أفعالكم من الطاعات وزكت (فادخلوها) أي الجنة جزاء على ذلك (خالدين) مؤبدين لا غاية له ولا انقطاع، وقيل: معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة.
ثم حكى تعالى ما يقول أهل الجنة إذا دخلوها، فإنهم يقولون اعترافا بنعم الله عليهم (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض) يعنون ارض الجنة. وقيل: ورثوها عن أهل النار، وقيل: لما صارت الجنة عاقبة أمر هم كما يصير الميراث، عبر عن ذلك بأنه أورثهم وقوله (نتبوء من الجنة حيث نشاء) معناه

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ١١٣
(٢) سورة ٦٦ التحريم آية ٥
(٣) مر تخريجه في ٦ / ١٠٩
(٤) مر في ١ / ١٢٨، ١٤٩ و ٦ / ٣٢٢، ٤٥٩ و ٧ / ٣٦٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نتخذ متبوءا أي مأوى حيث نشاء، وأصله الرجوع من قولهم: باء بكذا أي رجع به. ثم قال (فنعم اجر العاملين) يعني المقام في الجنة والتنعم فيها.
ثم قال تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين به - في قول قتادة والسدي - (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها. وقيل: تسبيحهم ذلك الوقت على سبيل التنعم والتلذذ ثوابا على أعمالهم لا على وجه التعبد، لأنه ليس هناك دار تكليف. وقيل: الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدنيا، فان السلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضاء بين الخلق قعد على سريره واقام حشمه وجنده قدامه وحوله تعظيما لامره فلذلك عظم الله أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين وإن لم يكن تعالى على العرش لان ذلك يستحيل عليه لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الأجسام.
ثم قال تعالى (وقضي بينهم بالحق) أي فصل بين الخلائق بالحق لا ظلم فيه على أحد، وقيل (الحمد لله رب العالمين) اخبار منه تعالى أن جميع المؤمنين يقولون عند ذلك معترفين بأن المستحق للحمد والشكر الذي لا يساويه حمد ولا شكر (الله) الذي خلق العالمين ودبرها. وقيل لان الله خلق الأشياء الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، فلما أفنى الخلق ثم بعثهم واستقر أهل الجنة في الجنة ختم بقوله (الحمد لله رب العالمين).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٠ - سورة المؤمن

مكية - في قول مجاهد وقتادة - ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. وقال الحسن هي مكية إلا آية واحدة وهي قوله (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) يعني بذلك صلاة الفجر والمغرب وقد ثبت أن فرض الصلاة كان بالمدينة. وهي خمس وثمانون آية في الكوفي وأربع في المدنيين واثنتان في البصري.

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه
المصير (٣) ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك
تقلبهم في البلاد (٤) كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من
بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) (٥).

خمس آيات في الكوفي وأربع في ما عداه عد الكوفيون (حم) آية ولم يعدها الباقون.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا وابن ذكوان (حاميم) بإمالة الألف. الباقون بالفتح من غير إمالة وهما لغتان فصيحتان. وقال قوم (حم) موضعه نصب، وتقديره أتل (حم) اقرأ (حم) وقال آخرون: موضعه جر بالقسم. ومن جزم قال: لأنها حروف التهجي وهي لا يدخلها الاعراب، وقد فتح الميم عيسى ابن عمر، وجعله اسم السورة، فنصبه ولم ينون، لأنه على وزن (هابيل) ويجوز أن يكون فتح لالتقاء الساكنين. والقراء على تسكين الميم وهو الأجود لما بيناه. وقد بينا اختلاف المفسرين وأهل العربية في مبادئ السور بحروف التهجي ومعناها، وأن أقوى ما قيل في ذلك انها أسماء للسور، وذكرناها في الأقوال، فلا نطول بإعادته.

وقال قتادة والحسن: (حم) اسم السورة. وقال شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني (حم) والرمح شاهر * فهلا تلا (حم) قبل لتقدم

وقال الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آية * تأولها مناتقي ومعرب

وقوله (تنزل الكتاب) أي هو تنزيل (من الله) أنزله على نبيه (العزيز) معناه القادر الذي لا يغالب ولا يقهر المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره. وهذه الصفة لا تصح إلا لله تعالى واصل الصفة المنع من قولهم: عز كذا وكذا أي امتنع، وفلان عزيز أي منيع بسلطانه أو عشيرته أو قومه " والعليم " الكثير العلوم والعالم الذي له معلوم.

وقوله (غافر الذنب) جر بأنه صفة بعد صفة، ومعناه من شأنه غفران الذنب في ما مضى وفي ما يستقبل، فلذلك كان من صفة المعرفة (وقابل التواب)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال الفراء: إنما جعلها نعتا للمعرفة وهي نكرة، لان المعنى ذي الغفران، وذي قبول التوبة كقوله " ذي الطول " وهو معرفة وإن جعلته بدلا كانت النكرة والمعرفة سواء، ومعنى " قابل التوب " إنه يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاصي ما تقدمها تفضلا منه، ولذلك كان صفة مدح، ولو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح و (التوب) يحتمل وجهين:

أحدهما - أن يكون جمع توبة كدوم ودومة وعوم وعومة.

والثاني - أن يكون مصدر (تاب يتوب توبا).

وقوله " شديد العقاب " معناه شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله " غافر الذنب " لأنه أراد لئلا يعول المكلف على العفو بل يخاف عقابه أيضا لأنه كما أنه يغفر لكونه غافرا فقد يعاقب لكونه شديد العقاب. وفرق بين شدة العقاب وتضاعف الآلام بان الخصلة الواحدة من الألم يكون أعظم من خصال كثيرة من ألم آخر كالألم في أجزاء كثيرة من قرض برغوث.

وقوله " ذي الطول " قال ابن عباس وقتادة: معناه ذي النعم. وقال ابن زيد: معناه ذي القدرة. وقال الحسن: ذي التفضل على المؤمنين. وقيل (الطول) الانعام الذي تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذي فيه افضال على صاحبه. ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا. ويقال: لفلان على فلان طول أي فضل.

وقوله " لا إلا إلا هو " نفي منه تعالى أن يكون معبود على الحقيقة يستحق العبادة غيره تعالى. ثم قال " إليه المصير " ومعناه تؤل الأمور إلى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي والضر والنفع غيره تعالى، وهو يوم القيامة، لان دار الدنيا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قد ملك الله كثيرا من خلقه الأمر والنهي والضر والنفع. ثم قال " ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا " معناه لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلا الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بآياته وأدلته. ثم قال لنبيه " فلا يغررك " يا محمد " تقلبهم في البلاد " أي تصرفهم لقولهم: لفلان مال يتقلب فيه أي يتصرف فيه. والمعنى لا يغررك سلامتهم وإمهالهم، فان عاقبتهم تصير إلي ولا يفوتونني. وفي ذلك غاية التهديد.

ثم بين ذلك بأن قال " كذبت قبلهم " أي قبل هؤلاء الكفار " قوم نوح " بان جحدوا نبوته " والأحزاب من بعد هم " أيضا كذبوا رسلهم " وهمت كل أمة برسولهم " وإنما قال برسولهم لأنه أراد الرجال. وفي قراءة عبد الله " برسولها ليأخذوه " قال قتادة هموا به ليقتلوه " وجادلوا بالباطل " أي وخاصموا في دفع الحق بباطل من القول. وفي ذلك دليل على أن الجدال إذا كان بحق كان جائزا " ليدحضوا به الحق " أي ليبطلوا الحق الذي بينه الله واظهره ويزيلوه، يقال: أدحض الله حجته. وقال تعالى " حجتهم داحضة عند ربهم " (١) أي زائلة. ثم قال " فاخذتهم " أي فأهلكتهم ودمرت عليهم " فكيف كان عقاب " فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك؟!

قوله تعالى:

(وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار (٦) الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم (٧) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم (٨)
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو
الفوز العظيم (٩) إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر
من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) (١٠)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ نافع وابن عامر " حقت كلمات " على الجمع. الباقون على التوحيد.
من وجد فلان الكلمة تقع على القليل والكثير مفردة. ومن جمع فلان ذلك قد يجمع إذا اختلف أجناسها، كما قال " وصدقت بكلمات ربها " (١) يعني شرائعه لان كتبه قد ذكرت. والمعنى وحقت كلمات ربك، كقولهم: الحق لازم.
ووجه التشبيه في قوله " وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا " أن الكفار يعاقبون في الآخرة بالنار، كما عوقبوا في الدنيا بعذاب الاستئصال إلا انهم في الآخرة على ملازمة النار والحصول فيها، وقد حقت الكلمة عليهم في الامرين جميعا، فحقت الكلمة على هؤلاء كما حقت الكلمة على أولئك، وموضع " إنهم أصحاب النار " يحتمل أن يكون نصبا على تقدير بأنهم أو لأنهم. ويحتمل أن يكون رفعا على البدل من (كلمة). وقال الحسن: حقت كلمة ربك على مشركي

---

(١) سورة ٦٦ التحريم آية ١٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

العرب كما حقت على من قبلهم.
ثم اخبر تعالى عن حال الملائكة وعظم منزلتهم بخلاف ما عليه الكفار من البشر، فقال " الذين يحملون العرش " عبادة لله تعالى وامتثالا لامره " ومن حوله " يعني الملائكة الذين حول العرش يطوفون به ويلجئون إليه " يسبحون بحمد ربهم " أي ينزهونه عما لا يليق به ويحمدونه على نعمه " ويؤمنون به " أي ويصدقون به ويعترفون بوحدانيته " ويستغفرون للذين آمنوا " أي يسألون الله المغفرة للذين آمنوا - من البشر - أي صدقوا بوحدانيته واعترفوا بالإلهية.
ويقولون: أيضا مع ذلك " ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما " ونصبهما على التميز ومعناه وسعت رحمتك أي نعمتك ومعلومك كل شئ. فنقل الفعل إلى الموصوف على وجه المبالغة، كما قالوا: طبت به نفسا، وجعل العلم في موضع المعلوم، كما قال " ولا يحيطون بشئ من علمه " (١) أي بشئ من معلومه على التفصيل، وتقديره: وسعت رحمتك وعلمك كل شئ، ويقولون أيضا ربنا " فاغفر للذين تابوا " من معاصيك ورجعوا إلى طاعتك " واتبعوا سبيلك " الذي دعوت خلقك إليه من التوحيد وإخلاص العبادة " وقهم عذاب الجحيم " أمنع منهم عذاب جهنم لا يصل إليهم، وحذف يقولون قبل قوله " ربنا " لأنه مفهوم من الكلام.
واستغفارهم للذين تابوا يدل على أن اسقاط العقاب غير واجب لأنه لو كان واجبا لما كان يحتاج إلى مسألتهم بل الله تعالى كان يفعله لا محالة.
ثم حكى تمام ما يدعوا به حملة العرش والملائكة للمؤمنين، فإنهم يقولون أيضا " ربنا وأدخلهم " مع قبول توبتك منهم ووقاية النار (جناب عدن التي

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وعدتهم) أي الجنة التي وعدت المؤمنين بها وهي جنة عدن أي إقامة وخلود ودوام (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) كل ذلك في موضع نصب. ويحتمل أن يكون عطفا على الهاء والميم في (وأدخلهم) وتقديره وادخل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم الجنة أيضا. ويحتمل أن يكون عطفا على الهاء والميم في (وعدتهم) وتقديره أدخلهم جنات عدن التي وعدت المؤمنين ووعدت من صلح من آبائهم (إنك أنت العزيز) في انتقامك من أعدائك (الحكيم) في ما تفعل بهم وبأولئك، وفي جميع أفعالك. وقولهم (وقهم السيئات) معناه وقهم عذاب السيئات ويجوز أن يكون العذاب هو السيئات وسماه سيئات، كما قال (وجزاء سيئة سيئة) (١) للاتساع وقوله (ومن تق السيئات) أي تصرف عنه شر عاقبة سيئاته من صغير اقترفه أو كبير تاب منه فتفضلت عليه (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) أي صرف العذاب عنهم هو الفلاح العظيم، والفوز الظاهر.

ثم اخبر تعالى (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) قال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: مقتوا أنفسهم حين عاينوا العقاب، فقيل لهم: مقت الله إياكم أكبر من ذلك. وقال الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم. وقال البلخي: لما تركوا الايمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت، كما يقول أحدنا لصاحبه: إذا كنت لا تبالي بنفسك فلما أبالي بك؟! وليس يريد انه لا يبالي بنفسه لكنه يفعل فعل من هو كذلك. وقال قوم: لمقت الله أكبر من مقت بعضكم لبعض. والمقت أشد العداوة والبغض

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم بين أن مقت الله إياهم حين دعاهم إلى الايمان على لسان رسله فكفروا به وبرسلهم فمقتهم الله عند ذلك، وتقدير (ينادون لمقت الله) ينادون إن مقت الله إياكم، ونابت اللام مناب (إن) كما تقولون ناديت إن زيدا لقائم وناديت لزيد قائم. وقال البصريون هذه لام الابتداء، كما يقول القائل: لزيد أفضل من عمرو أي يقال لهم والنداء قول.

قوله تعالى:

(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل (١١) ذلكم بأنه إذا دعي الله
وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (١٢)
هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر
إلا من ينيب (١٣) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون (١٤) رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من
أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (١٥) يوم هم
بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار (١٦) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم إن الله سريع الحساب) (١٧).

سبع آيات عند الكل إلا أن الشامي قد خالفهم في التفصيل، وهي عندهم سبع عدوا (يوم التلاق) ولم يعده الشامي، وعد الشامي (يومهم بارزون) ولم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يعده الباقون.
حكى الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم انهم يقولون بعد حصولهم في النار والعذاب يا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال السدي الإماتة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ إذا أحيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي والبلخي. وقال قتادة: الإماتة الأولى حال كونهم نطفا فأحياهم الله، ثم يميتهم، ثم يحيهم يوم القيامة. وفي الناس من استدل بهذه الآية على صحة الرجعة، بأن قال: الإماتة الأولى في دار الدنيا والاحياء الأول حين إحيائهم للرجعة، والإماتة الثانية بعدها. والاحياء الثاني يوم القيامة، فكأنهم اعتمدوا قول السدي، ان حال كونهم نطفا لا يقال له إماتة، لان هذا القول يفيد إماتة عن حياة والاحياء يفيد عن إماتة منافية للحياة وإن سموا في حال كونهم نطفا مواتا. وهذا ليس بقوي لأنه لو سلم ذلك لكان لابد من أربع احياءات وثلاث إماتات أول إحياء حين أحياهم بعد كونهم نطفا، لان ذلك يسمى احياء بلا شك. ثم إماتة بعد ذلك في حال الدنيا. ثم أحياء في القبر ثم إماتة بعده ثم إحياء في الرجعة ثم إماتة بعدها. ثم إحياء يوم القيامة لكن يمكن أن يقال: إن إخبار الله عن الاحياء مرتين والإماتة مرتين لا يمنع من احياء آخر وإماتة أخرى، وليس في الآية انه أحياهم مرتين وأماتهم مرتين بلا زيادة، فالآية محتملة لما قالوه ومحتملة لما قاله السدي، وليس للقطع على أحدهما سبيل. قال ابن عباس وعبد الله والضحاك: هو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون) (١).
وقوله (فاعترفنا بذنوبنا) إخبار منه تعالى أن الكفار يعترفون بذنوبهم

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التي اقترفوها في الدنيا لا يمكنهم جحدها، وإنما تمنوا الخروج مما هم فيه من العذاب، فقالوا (فهل إلى خروج من سبيل) والمعنى فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك واتباع مرضاتك. ولو علم الله تعالى انهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف، لأنه لا يمنع احسانا بفعل ما ليس باحسان. ولا يؤتى أحد من عقابه إلا من قبل نفسه، وكذلك قال في موضع آخر (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (١) تنبيها أنهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنوه، وإنما يقولون هذا القول على سبيل التمني بكل ما يجدون إليه سبيلا في التلطف للخروج عن تلك الحال، وإنه لا يمكن أحدا أن يتجلد على عذاب الله، كما يمكن ان يتجلد على عذاب الدنيا. ووجه اتصال قوله (فاعترفنا بذنوبنا) بما قبله هو الاقرار بالذنب بعد الاقرار بصفة الرب، كأنه قيل: فاعترفنا بأنك ربنا الذي أمتنا وأحييتنا وطال امهالك لنا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك واتباع مرضاتك. وفي الكلام حذف وتقديره: فأجيبوا ليس من سبيل لكم إلى الخروج (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) أي إذا دعي الله وحده دون آلهتكم جحدتم ذلك (وإن يشرك به تؤمنوا) أي إن يشرك به معبودا آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا. ثم قال (فالحكم الله) في ذلك والفاصل بين الحق والباطل (العلي الكبير) فالعلي القادر على كل شئ يجب أن يكون قادرا عليه، ويصح ذلك منه وصفة القادرين تتفاضل، فالعلي القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه ولا من هو مساو له في مقدوره، وجاز وصفه تعالى بالعلي، لان الصفة بذلك قد تقلب من علو المكان إلى علو الشأن يقال: استعلى عليه بالقوة، واستعلى عليه بالحجة وليس كذلك الرفعة فلذلك لا يسمى بأنه رفيع، والكبير العظيم في صفاته

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التي لا يشاركه فيها غيره. وقال الجبائي: معناه السيد الجليل. ثم قال تعالى (هو الذي يريكم آياته) يعني حججه ودلائله (وينزل من السماء رزقا) من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق الخلق (وما يتذكر إلا من ينيب) أي ليس يتفكر في حقيقة ذلك إلا من يرجع إليه. وقال السدي: معناه إلا من يقبل إلى طاعة الله.

ثم امر الله تعالى المكلفين، فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي وجهوا عبادتكم إليه تعالى وحده (ولو كره) ذلك (الكافرون) فلا تبالوا بهم.

ثم رجع إلى وصف نفسه فقال (رفيع الدرجات) وقيل معناه رفيع طبقات الثواب التي يعطيها الأنبياء والمؤمنين في الجنة (ورفيع) نكرة أجراها على الاستئناف أو على تفسير المسألة الأولى، وتقديره، وهو رفيع (ذو العرش) بأنه مالكه وخالقه ومعناه عظيم الثواب لهم والمجازاة على طاعتهم (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) قيل: الروح القرآن وكل كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه وقيل: معنى الروح - ههنا - الوحي، لأنه يحيا به القلب بالخروج من الجهالة إلى المعرفة ومنه قوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) (١) ذكره قتادة والضحاك وابن زيد. وقيل: الروح - ههنا - النبوة، وتقديره لينذر من يلقي عليه الروح يوم التلاق: من يختاره لنبوته ويصطفيه لرسالته. وقوله (لينذر يوم التلاق) أي ليخوف يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض - في قول قتادة والسدي وابن زيد - وقيل يوم يلقى فيه المرؤ عمله، وهو يوم القيامة حذر منه، وقيل يوم يلتقي فيه الأولون والآخرون. والضمير في قوله (لينذر كناية) عن النبي صلى الله عليه وآله. ويحتمل أن يكون فيه ضمير الله، والأول أجود، لأنه قد قرئ

---

(١) سورة ٤٢ الشورة آية ٥٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالتاء، وهو حسن. ومن أثبت الياء فلأنها الأصل، ومن حذف اجتزأ بالكسرة الدالة عليها.

وقوله (يوم هم بارزون) أي يظهرون من قبورهم ويهرعون إلى ارض المحشر وهو يوم التلاق ويوم الجمع ويوم الحشر. ونصب (يوم) على الظرف. وقوله لا يخفى على الله منهم شئ) إنما خصهم بأنه لا يخفى عليه منهم شئ وإن كان لا يخفى عليه لا منهم ولا (من) غيرهم شئ لاحد أمرين:

أحدهما - أن تكون (من) لتبيين الصفة لا للتخصيص والتبعيض.

والآخر - أن يكون بمعنى يجازيهم من لا يخفى عليه شئ منهم، فذكر بالتخصيص لتخصيص الجزاء بمن يستحقه دون مالا يستحقه ولا يصحل له من المعلوم.

وقيل: لا يخفى على الله منهم شئ فلذلك صح أنه انذرهم جميعا.

وقوله (لمن الملك اليوم) قيل في معناه قولان:

أحدهما - انه تعالى يقرر عباده، فيقول لمن الملك؟ فيقر المؤمنون والكافرون بأنه لله الواحد القهار.

والثاني - انه القائل لذلك وهو المجيب لنفسه، ويكون في الاخبار بذلك مصلحة للعباد في دار التكليف. والأول أقوى لأنه عقيب قوله (يوم هم بارزون) وإنما قال (لمن الملك اليوم) مع أنه يملك الأنبياء والمؤمنين في الآخرة الملك العظيم لاحد وجهين:

أحدهما - لأنه على تخصيص يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنة ما يملكهم.

والثاني - لا يستحق إطلاق الصفة بالملك إلا الله تعالى، لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك، فهو أحق باطلاق الصفة. وقوله (اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم) اخبار منه تعالى أن يوم القيامة تجزى كل نفس على قدر

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عملها لا يؤاخذ أحد بجرم غيره، لا يظلم ذلك اليوم أحد ولا يبخس حقه (إن الله سريع الحساب) لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره، فحساب جميعهم على حد واحد.

قوله تعالى:

(وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (١٨) يعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور (١٩) والله يقضي بالحق والذين
يدعون من دونه لا يقضون بشئ إن الله هو السميع البصير) (٢٠)

ثلاث آيات في الكوفي وأربع في ما سواه عدوا (كاظمين) رأس آية ولم يعده الكوفيون.

قرأ نافع وهشام عن ابن عامر (والذين تدعون) بالتاء. الباقون بالياء.

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، وتقديره: قل لهم يا محمد. ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب.

امر الله تعالى نبيه محمدا أن يخوف المكلفين عقاب يوم الآزفة، يخبرهم بما فيه من الثواب والعقاب. والأزفة الدانية من قولهم: ازف الامر إذا دنا. وازف الوقت إذا دنا يأزف أزفا، ومنه (ازفة الآزفة) (١) أي دنت القيامة. والمعنى دنوا للمجازاة، وهو يوم القيامة.

وقوله (إذ القلوب لدى الحناجر) أي في الوقت الذي تنتزع فيه القلوب من أمكنتها، وهي الصدور، فكظمت به الحناجر، فلم تستطيع ان تلفظها

---

(١) سورة ٥٣ النجم آية ٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولم تعد إلى أماكنها وقيل: الكاظم الساكت على امتلائه غيظا أو غما. ونصب (كاظمين) على الحال - في قول الزجاج - وتقديره قلوب الظالمين لدى الحناجر (كاظمين) أي في حال كظمهم، والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم. وقيل: إنما خصت الحناجر بذلك لان الفزع ينتفخ منه سحره أي رئته فيرتفع القلب من مكانه لشدة انتفاخه حتى يبلغ الحنجرة. والكاظم للشئ الممسك على ما فيه، ومنه قوله (والكاظمين الغيظ) (١) ومنه قولهم: كظم قربته إذا شد رأسها، لان ذلك الشد يمسكها على ما فيها، فهؤلاء قد اطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم لشدة الخوف.

وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) نفي من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلا، وان حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون إنما أراد نفي شفيع يطاع، وليس في ذلك نفي شفيع يجاب، ويكون المعنى ان الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه لا أنه يجب على الله ان يطيعهم فيه. وقد يطاع الشافع بأن يكون الشافع فوق المشفوع إليه. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لبريرة (إنما أنا شافع) لكونه

فوقها في الرتبة ولم يمنع من إطلاق اسم الشفاعة على سؤاله، وليس لاحد أن يقول الكلام تام عند قوله (ولا شفيع) ويكون قوله (يطاع) ابتداء بكلام آخر لان هذا خلاف لجميع القراء لأنهم لا يختلفون ان الوقف عند قوله (يطاع) وهو رأى آية وهو يسقط سؤال وأيضا فلو وقفت عند قوله (ولا شفيع) لما كان لقوله " يطاع "

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٣٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعلق به ولا معنى، لان الفعل لايلي فعلا، فان قدر يطاع الذي يعلم كان ذلك شرطا ليس هو في الظاهر، فحمل الآية على مالا يحتاج إلى زيادة أولى.
وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين) أي يعلم ما تختان به الأعين من النظر إلى غير ما يجوز النظر إليه على وجه السرقة " وما تخفي الصدور " أي تضمره لا يخفى عليه شئ من جميعه. وقيل: النظرة الأولى مباحة والثانية محرمة. فقوله " خائنة الأعين " في النظرة الثانية " وما تخفي الصدور " في النظرة الأولى فان كانت الأولى تعمدا كان فيها الاثم أيضا، وإن لم تكن تعمدا، فهي مغفورة ثم قال " والله يقضي بالحق " أي يفصل بين الخلائق بمر الحق فيوصل كل واحد إلى حقه " والذين يدعون من دونه " من الأصنام لا يقضون بشئ من الحق. ومن قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم. ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب للكفار. ثم اخبر تعالى " ان الله هو السميع " أي من يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت المسموعات " البصير " أي يجب ان يبصر المبصرات إذا وجدت المبصرات، وحقيقتهما يرجع إلى كونه حيا لا آفة به. وقال قوم: معناه العالم بالمسموعات العالم بالمبصرات.
قوله تعالى:
(أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانواهم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله إنه قوي شديد العقاب (٢٢) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
وسلطان مبين (٢٣) إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء
الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في
ضلال) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عباس " أشد منكم " بالكاف. الباقون بالهاء. قال أبو علي: من
قرأ بالهاء فلان ما قبله " أو لم يسيروا " على أن لفظه لفظ الغيبة، فحمله على
ذلك فقرأ " أشد منهم " ومن قرأ بالكاف انصرف من الغيبة إلى الخطاب،
كقوله " إياك نعبد " بعد قوله " الحمد لله " وحسن - هنا - لأنه خطاب لأهل مكة.
يقول الله تعالى منبها لهؤلاء الكفار على النظر في ما نزل بالماضين جزاء على
كفرهم فيتعظوا بذلك وينتهوا عن مثل حالهم، فقال " أو لم يسيروا في الأرض "
والسير والمسير واحد، وهو الجواز في المواضع، يقال: سار يسير سيرا وسايره
مسايرة وسيرة تسييرا، ومنه قوله " السيارة " (١) والثياب المسيرة: التي فيها خطوط
وقوله " فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم " أي يتكفروا
في عواقب الكفار من قوم عاد وقوم لوط، فيرون بلادهم هالكه وآثارهم دارسة
ومنازلهم خالية بما حل بهم من عذاب الله ونكاله جزاء على جحودهم نعم الله
واتخاذهم معه إلها غيره، وكان الأمم الماضية أشد قوة من هؤلاء. والقوة هي
القدرة، ومنه قوله " القوي العزيز " (٢) وقد يعبر بالقوة عن الصلابة، فيقال:

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ١٠
(٢) سورة ١١ هود آية ٦٦ وسورة ٤٢ الشورى آية ١٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

خشبة قويه وحبل قوي أي صلب، وأصله من قوى الحبل، وهو شدة الفتل ثم نقل إلى معنى القدرة، كما نقل (كبر) عن كبر الجثة إلى كبر الشأن، والأثر حدث يظهر به أمر، ومنه الآثار التي هي الأحاديث عمن تقدم بما تقدم بها من أحوالهم وطرائقهم في أمر الدنيا والدين. وقوله " فاخذهم الله بذنوبهم " ومعناه فأهلكهم الله جزاء على معاصيهم " وما كان لهم من الله من واق " في دفع العذاب عنهم ومنعهم من نزوله بهم - وهو قول قتادة -.

ثم بين تعالى انه إنما فعل بهم ذلك لأنهم " جاءتهم رسلهم بالبينات " يعني بالمعجزات الظاهرات والدلالات الواضحات فكذبوهم وجحدوا رسالتهم فاستحقوا العذاب " فاخذهم الله بذنوبهم " أي أهلكهم الله جزاء على معاصيهم " انه قوي شديد العقاب " أي قادر شديد عقابه.

ثم ذكر قصة موسى عليه السلام فقال " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا " أي بعثناه بحججنا وأدلتنا " وسلطان مبين " أي حجة ظاهرة نحو قلب العصى حية وفلق البحر وغير ذلك " إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب " يعني موسى. ثم قال تعالى " فلما جاءهم " يعني موسى عليه السلام " بالحق من عندنا قالوا " يعني فرعون وهامان وقارون " اقتلوا أبناء الذين آمنوا " بموسى ومن معه " واستحيوا نساءهم " أي استبقوهم، قال قتادة: كان هذا الامر بقتل الأبناء والاستحياء للنساء امرا من فرعون بعد الأمر الأول. وقيل استحياء نسائهم للمهنة. وقيل: معناه استحيوا نساءهم وقتلوا الأبناء ليصدوهم بذلك عن اتباعه ويقطعوا عنه من يعلونه، وإنما ذكر قصة موسى ليصبر محمد صلى الله عليه وآله على قومه كما صبر موسى قبله.

ثم اخبر تعالى ان ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه وان كيده، وكيد الكافرين لا يكون الا في ضلال عن الحق واسم (كان) الأولى قوله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" عاقبة " وخبرها (كيف) وإنما قدم لان الاستفهام له صدر الكلام، واسم (كان) الثانية الضمير الذي دل عليه الواو، وخبره (من قبلهم)، واسم (كان) الثالثة الضمير، و (هم) فصل عند البصريين، وعماد عند الكوفيين " وأشد " خبر (كان) الثالثة. فان قيل: الفصل لا يكون الا بين معرفتين (وأشد) نكرة كيف صار (هم) فصلا؟ قيل: ان (افعل) الذي معه (من) بمنزلة المضاف إلى المعرفة. قال الله تعالى " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا " كان خيرا خير في الأصل فحذفت الهمزة تخفيفا.

قوله تعالى:

(وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني
أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (٢٦)
وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب (٢٧) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب (٢٨) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم
إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩) وقال الذي آمن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب " أوان " بألف قبل الواو. الباقون " وأن " بغير الف. وقرأ نافع ويعقوب وأبو جعفر وأبو عمرو وحفص عن عاصم " يظهر " بضم الياء " الفساد " نصبا. الباقون " يظهر " بفتح الياء " الفساد " رفعا. من نصب (الفساد) أشركه مع التبديل، وتقديره إني أخاف ان يبدل دينكم وأخاف ان يظهر الفساد، ومن رفع لم يشركه، وقال تقديره إني أخاف ان يبدل دينكم، فإذا بدل ظهر في الأرض الفساد. وكلتا القراءتين حسنة فأما (أو) فقد تستعمل بمعنى الواو، كما قلناه في " وأرسلناه إلى مئة الف أو يزيدون " (١) أي ويزيدون أو بل يزيدون. ولا تكون الواو بمعنى (أو) في قول أبي عبيدة.
وقال ابن خالويه إذا كانت (أو) إباحة كانت الواو بمعناها، لان قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين بمنزلة الإباحة، وكذلك قوله " ولا تطع منهم آثما أو كفورا " (٢) لان معناه ولا كفورا. وقال أبو علي: من قرأ (وأن) فالمعنى إني أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزا أو تمرا أي هذا الضرب. ومن قرأ (وأن) المعنى إني أخاف هذين الامرين وعلى الأول يجوز أن يكون الأمران يخافا، ويجوز أن يكون أحدهما، وعلى الثاني هما معا يخافان، ومن ضم الياء في قوله " ويظهر " فلانه أشبه بما قبله، لان قبله يبدل فأسند الفعل إلى موسي وهم كانوا في ذكره، ومن فتح الياء أراد انه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل أو أراد يظهر الفساد بمكانه. وقال قوم: أراد ب (أو) الشك لان فرعون قال إني

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٧
(٢) سورة ٧٦ الدهر (الانسان) آية ٢٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أخاف ان يبدل موسى عليكم دينكم، فإن لم يفعله فيوقع الفساد بينكم، ولم يكن قاطعا على أحدهما به. وروي رواية شاذة عن أبي عمرو: انه قرأ " وقال رجل " باسكان الجيم. الباقون بضمها وذلك لغة قال الشاعر:

رجلان من ضبة اخبرانا * إنا رأينا رجلا عريانا

أراد رجلين فأسكن وهو مثل قولهم: كرم فلان بمعنى كرم.

حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال لقومه " ذروني " ومعناه اتركوني اقتل موسى، وذلك يدل على أن في خاصة فرعون كان قوم يمنعونه من قتل موسى، ومن معه ويخوفونه ان يدعو ربه فيهلك، فلذلك قال ذروني اقتله وليدع ربه، كما تقولون. وقال قوم: ذلك حين قالوا لو هو ساحر فان قتلته قويت الشبهة بمكانه بل " ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين " (١) " وليدع ربه " في دفع القتل عنه، فإنه لا يخشى من دعائه شئ، وهذا عنف من فرعون وتمرد وجرأة على الله وإيهام لقومه بأن ما يدعو به موسى لا حقيقة له.

ثم قال فرعون " إني أخاف ان يبدل " يعني موسى " دينكم " وهو ما تعتقدونه من إلهيتي " أو ان يظهر في الأرض الفساد " بأن يتبعه قوم نحتاج ان نقاتله فيخرب في ما بين ذلك البلاد، ويظهر الفساد. وقال قتادة: الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله. فمن قرأ " أوان " فإنه جعل المخوف أحد الامرين وإن جعل (أو) بمعنى الواو جعل الامرين مخوفين معا، ومن قرأ بالواو جعل المخوف الامرين معا: تبديل الدين وظهور الفساد. والتبديل رفع الشئ إلى غيره في ما يقع موقعه إلا أنه بالعرف لا يستعمل إلا في رفع الجيد بالردي، والفساد انتقاض الامر بما ينافي العقل أو الشرع أو الطبع، ونقيضه الصلاح. والاظهار

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٣٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

جعل الشئ بحيث يقع عليه الادراك.
ثم حكى تعالى ما قال موسى عند ذلك فإنه قال " إني عذبت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " والعياذ هو الاعتصام بالشئ من عارض الشر، عذت بالله من شر الشيطان واعتصمت منه بمعنى واحد. ومن أظهر ولم يدغم. قال: لان مخرج الذال غير مخرج التاء. ومن ادغم فلقرب مخرجهما، والمعنى اني اعتصمت بربي وربكم الذي خلقني وخلقكم من كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بالثواب والعقاب فلا يخاف.
وقوله " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه " أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات " يعني الحجج الواضحة " من ربكم " قال السدي كان القائل ابن عم فرعون، فعلى هذا يكون قوله " ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " (١) مخصصا، وقال غيره كان المؤمن إسرائيليا يكتم إيمانه عن آل فرعون، فعلى هذا يكون الوقف عند قوله (وقال رجل مؤمن) ويكون قوله (من آل فرعون) متعلقا بقوله (يكتم) أي يكتم إيمانه من آل فرعون.
والأول أظهر في أقوال المفسرين. وقال الحسن: كان المؤمن قبطيا. وقوله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) معناه إن المؤمن قال لفرعون إن يك موسى كاذبا في ما يدعوكم إليه فوبال ذلك عليه وان يك صادقا في ما يدعيه يصيبكم بعض الذي يعدكم، قيل: انه كان يتوعدهم بأمور مختلفة، قال ذلك مظاهرة في الحجاج والمعنى انه يلقي بعضه. والمراد يصيبكم بعضه في الدنيا. وقيل: هو من لطيف الكلام، كما قال الشاعر:
قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل (٢)

---

(١) آية ٤٦ من هذه السورة
(٢) قائله عمر القطامي تفسير القرطبي ١٥ / ٣٠٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أي لا يحكم بهداية من كان مسرفا على نفسه ومتجاوز الحد في معصية الله كذابا على الله. ويحتمل أن يكون المراد ان الله لا يهدي إلى طريق الثواب والجنة من هو مسرف كذاب ويجوز أن يكون ذلك حكاية عما قال المؤمن من آل فرعون. ويجوز أن يكون ذلك ابتداء خبر من الله تعالى بذلك، ثم قال يعني مؤمن آل فرعون (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أي لكم الملك والسلطان على أهل الأرض وذلك لا يمنع من بأس الله (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد) في ما أدعوكم من الهيتي وتكذيب موسى. ثم حكى ما قال المؤمن فقال (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم) عذابا (مثل) عذاب " يوم الأحزاب " قال قوم: القائل لذلك موسى نفسه، لان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه، وهذا ضعيف لان قوله هذا كقوله (أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله) (١) وكما اظهر هذا جاز ان يظهر ذلك.

قوله تعالى:

(مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (٣١) ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين مالكم من الله

---

(١) آية ٢٨ من هذه السورة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به
حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو، والأخفش والداجوني عن هشام وقتيبة (على كل قلب
متكبر) منون. الباقون على الإضافة. من نون جعله نعتا للقلب، لان القلب إذا
تكبر تكبر صاحبه، كما قال (فظلت أعناقهم لها خاضعين) (١) لان الأعناق
إذا خضعت خضع أربابها، وتكبر القلب قسوته وإذا قسا القلب كان معه ترك
الطاعة. ومن أضاف قال: لان في قراءة ابن مسعود على (قلب كل متكبر
جبار) قال الفراء: وسمعت أحدهم يقول: ان فلانا مرجل شعره يوم كل جمعة
يقوم. والجبار: هو الذي يقتل على الغضب، ويقال: اجبره فهو جبار مثل
أدرك فهو دراك. قال الفراء: ولا ثالث لهما، قال ابن خلويه: وجدت لهما ثالثا
اسأر فهو سئار.
لما حكى الله تعالى عن مؤمن آل فرعون انه حذر قومه بالعذاب مثل عذاب
يوم الأحزاب، فسر ذلك فقال (مثل دأب قوم نوح) يعني كعادته مع قوم نوح.

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والدأب العادة يقال: دأب يدأب دأبا فهو دائب في عمله إذا استمر فيه. والعادة تكرر الشئ مرة بعد مرة. وإنما فعل بهم ذلك حين كفروا به، فأغرقهم الله وكقوم هود وهم عاد. وكقوم صالح: وهم ثمود والذين من بعدهم من الأنبياء وأممهم الذين كذبوهم، فأهلكهم الله بأن استأصلهم جزاء على كفرهم.
ثم اخبر انه تعالى لا يريد ظلما للعباد، ولا يؤثره لهم. وذلك دال على فساد قول المجبرة الذين يقولون إن كل ظلم في العالم بإرادة الله.
ثم حكى أيضا ما قال لهم المؤمن المقدم ذكره، فإنه قال (يا قوم اني أخاف عليكم) عقاب " يوم التناد " وقيل: هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور، لما يرى من سوء عقاب الكفر والمعصية. وقيل: انه اليوم الذي ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار " أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا " (١) وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة " أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله " (٢) في قول الحسن وقتادة وابن زيد، وقيل: " يوم التناد " هو اليوم الذي يدعى فيه " كل أناس بامامهم " (٣) ومن أثبت الياء في (التنادي) فلأنها الأصل، ومن حذفها فلاجتزائه بالكسرة الدالة عليها، ولأنها آخر الآية، فهي فصل شبهت بالقوافي. وقرئ " يوم التناد " بالتشديد من قولهم ند البعير إذا هرب (روي ذلك عن ابن عباس -.
وقوله " يوم تولون مدبرين " قال الحسن وقتادة: معناه منصرفين إلى النار وقال مجاهد: مارين غير معوجين ولا معجزين. وقيل: يولون مدبرين والمقامع تردهم إلى ما يكرهونه من العقاب.

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٤٣
(٢) سورة ٧ الأعراف آية ٤٩
(٣) سورة ١٧ الاسرى آية ٧١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " مالكم من الله من عاصم " أي مانع من عذاب ينزل بكم، واصله المنع، وشبه بذلك من فعل به ذلك اللطف الذي يمتنع عنده، يقال عصمه فهو عاصم وذاك معصوم إذا فعل به ذلك اللطف. ومنه قوله (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) (١) أي لا مانع. ثم قال (ومن يضلل الله فما له من هاد) أي من يحكم الله بضلاله فليس له من يحكم بهدايته على الحقيقة. ويحتمل أن يكون المراد ومن يضله الله عن طريق الجنة فما له من يهديه إليها.

ثم قال تعالى حاكيا ما قال لهم موسى فإنه قال لهم: (ولقد جاءكم يوسف من قبل) قيل: هو يوسف ابن يعقوب كان قبل موسى جاءهم (بالبينات) يعني الحجج الواضحات (فما زلتم في شك) من موته حتى إذا هلك ومات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) آخر. ثم قال (كذلك يضل الله) أي مثل ما حكم الله بضلال أولئك يحكم بضلال (كل مسرف) على نفسه بارتكاب معاصيه (مرتاب) أي شاك في أدلة الله، ثم بينهم فقال (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم) أي يسعون بغير سلطان أي بغير حجة آتاهم الله، وموضع الذين نصب لأنه بدل من (من) ويجوز أن يكون رفعا بتقدير (هم) ثم قال (كبر مقتا) أي كبر ذلك الجدال منهم مقتا (عند الله) أي عداوة من الله. ونصبه على التمييز (وعند الذين آمنوا) بالله مثل ذلك. ثم قال (كذلك) أي مثل ما طبع على قلوب أولئك بان ختم عليها علامة لكفرهم يفعل مثله (ويطبع على كل قلب متكبر جبار) من نون (قلب) جعل (متكبر جبار) من صفة القلب ومن اضافه جعل (القلب) للمتكبر الجبار. قال أبو علي: من أضاف لا يخلو ان يترك الكلام على ظاهره أو يقدر فيه حذفا، فان تركه على ظاهره كان تقديره:

---

(١) سورة ١١ هود آية ٤٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يطبع الله على كل قلب متكبر أي على جملة القلب من المتكبر، وليس ذلك المراد وإنما المراد يطبع على قلب كل متكبر، والمعنى انه يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا من كل متكبر بمعنى انه يختم عليها.

قوله تعالى:

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ
الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني
لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧) وقال الذي آمن
يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يا قوم إنما هذه
الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل
سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير
حساب) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حفص وعاصم (فاطلع) نصبا على جواب (لعلي) الباقون رفعا عطفا على قوله تعالى (لعلي أبلغ الأسباب... فأطلع) وقيل: إن هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح، وقرأ أهل الكوفة (وصد) بضم الصاد على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتحها، فمن ضم أراد صده الشيطان عن سبيل الحق وطابق قوله تعالى (زين لفرعون سوء عمله) ومن فتح الصاد أراد انه صد غيره

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن سبيل الحق. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم (يدخلون) بالضم كقوله (يرزقون). الباقون بفتح الياء، لأنهم إذا ادخلوا، فقد دخلوا، حكى الله تعالى ان فرعون قال لهامان (يا هامان) وقيل: إنه كان وزيره (ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد، وهو من التصريح بالامر وهو اظهاره بأتم الاظهار (لعلي أبلغ الأسباب) ثم فسر تلك الأسباب فقال (أسباب السماوات) وقال ابن عامر أراد به منزل السماء. وقال قتادة: معناه أبواب طرق السماوات. وقال السدي طرق السماوات. وقيل: هي الأمور التي يستمسك بها. فهي أسباب لكونها على ما هي به ولا تضطرب ولا تسقط إلى الأرض بثقلها، ولا تزول إلى خلاف جهتها، وقوله " فاطلع إلى إله موسى " معناه فأشرف عليه لا رآه. وقيل: إن فرعون كان مشبها فطلب رؤية الاله في السماء كما ترى الأشخاص إذا أشرف عليها. وقيل: يجوز أن يكون أراد، فاطلع إلى بعض الآيات التي يدعيها موسى الدالة على إله موسى، لأنه كان يعلم أن الصرح لا يبلغ السماء، فكيف يرى من الصرح ما هو في السماء، ولو كان فيها على قول المجسمة، ويجوز أن يكون قال ذاك تمويها لما علم من جهل قومه. وقوله " وإني لأظنه كاذبا " حكاية ما قال فرعون وإنه يظن أن ما يقوله موسى أن له إله خلق السماء والأرض كاذب في قوله. وقال الحسن: إنما قال فرعون هذا على التمويه وتعمد الكذب، وهو يعلم أن له إلها. وقوله " وكذلك زين لفرعون سوء عمله " أي مثل ما زين لهؤلاء الكفار أعمالهم كذلك زين لفرعون سوء عمله، وقال المزين له سوء عمله جهله بالله تعالى والشيطان الذي أغواه ودعاه إليه لأنه الجهل بالقبح في العمل يدعو إلى أنه حسن وصواب، فلما جهل فرعون ان له إلها يجب عليه عبادته وتوهم كذب ما دعاه إليه نبيه موسى،

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سولت له نفسه ذلك من أمره. وقد بين الله تعالى ذلك في موضع آخر فقال " زين لهم الشيطان أعمالهم " (١).
وقوله " وصد عن السبيل " من ضم أراد انه صده غيره. ومن فتح أراد انه صد نفسه وغيره. ثم قال تعالى " وما كيد فرعون إلا في تباب " يعني في هلاك. والتباب الهلاك بالانقطاع، ومنه قوله " تبت يدا أبي لهب " (٢) أي خسرت بانقطاع الرجاء، ومنه تبا له. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معنى " تباب " خسران.
ثم حكى تعالى ما قال مؤمن آل فرعون في قوله " وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد " وهو الايمان بالله وتوحيده وإخلاص العبادة له والاقرار بموسى عليه السلام وقال لهم أيضا على وجه الوعظ لهم والزجر عن المعاصي " يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع " يعني انتفاع قليل، ثم يزول بأجمعه ويبقى وزره وآثامه " وإن الآخرة هي دار القرار " أي دار مقام، وسميت دار قرار لاستقرار الجنة بأهلها واستقرار النار بأهلها. والقرار المكان الذي يستقر فيه.
ثم قال (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) ومعناه أي من عمل معصية فليس يجازى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا أكثر من ذلك (ومن عمل صالحا من ذكر أو انني وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) جزاء على إيمانهم (يرزقون فيها بغير حساب) أي زيادة على ما يستحقونه تفضلا منه تعالى، ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحسابه. قال الحسن: هذا كلام مؤمن آل فرعون. ويحتمل أن يكون ذلك اخبارا منه تعالى عن نفسه.

---

(١) سورة ٨ الأنفال آية ٤٩
(٢) سورة ١١١ اللهب آية ١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١)
تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا
أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢) لا جرم أنما تدعونني إليه
ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله
وأن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ما أقول
لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (٤٤) فوقيه
الله سيأت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥)
النار يعرضون عليها عدوا وعشيا * ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل
فرعون أشد العذاب) (٤٦) ست آيات بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (ادخلوا آل فرعون) بقطع الهمزة على أنه
يؤمر الملائكة بادخالهم النار. الباقون بوصلها بمعنى انهم يؤمرون بدخولها،
وعلى الأول يكون (آل فرعون) نصبا على أنه مفعول به (وأشد) المفعول
الثاني. وعلى الثاني يكون نصبا على النداء.
حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون قال لهم (مالي أدعوكم إلى النجاة)
يعني إلى ما فيه خلاصكم: من توحيد الله وإخلاص العبادة له والاقرار بموسى عليه السلام
- وهو قول الحسن وابن زيد - و (تدعونني) أنتم (إلى النار) لأنهم إذا
دعوا إلى عبادة غير الله التي يستحق بها النار، فكأنهم دعوا إلى النار، لان من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

دعا إلى سبب الشئ فقد دعا إليه، ومن صرف عن سبب الشئ فقد صرف عنه، فمن صرف عن معصية الله فقد صرف عن النار، ومن دعا إليها فقد دعا إلى النار. والدعاء طلب الطالب
الفعل من غيره، فالمحق يدعو إلى عبادة الله وطاعته وكل ما أمر الله به أو نهى عنه والمبطل يدعو إلى الشر والعصيان، فمنهم من يدري انه عصيان ومنهم من لا يدري ثم بين ذلك فقال (تدعونني لا كفر بالله) واجحد نعمه (واشرك به) في العبادة (ما ليس لي به علم) مع حصول العلم ببطلانه. لأنه لا يصح ان يعلم شريك له ومالا يصح أن يعلم باطل، فدل على فساد اعتقادهم للشرك من هذه الجهة ثم قال (وأنا أدعوكم) معاشر الكفار (إلى) عبادة (العزيز) يعني القادر الذي لا يقهر، ولا يمنع لاستحالة ذلك عليه (الغفار) لمن عصاه إذا تاب إليه تفضلا منه على خلقه. وقوله (لا جرم إن ما تدعونني إليه) قال الزجاج: هو رد الكلام كأنه قال لا محالة إن لهم النار. وقال الخليل: لا جرم لا يكون إلا جوابا تقول: فعل فلان كذا فيقول المجيب: لا جرم إنه عوين والفعل منه جرم يجرم. وقال المبرد معناه حق واستحق (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) والمعنى ليس له دعوة ينتفع بها في أمر الدنيا ولا في الآخرة فأطلق ليس له دعوة، لأنه أبلغ وإن توهم جاهل ان له دعوة ينتفع بها، فإنه لا يعتد بذلك لفساده وتناقضه. وقال السدي وقتادة والضحاك: معناه ليس لهذه الأصنام استجابة دعاء أحد في الدنيا ولا في الآخرة. وقيل: معناه ليس لها دعوة تجاب بالآلهية في الدنيا، ولا في الآخرة (وإن مردنا إلى الله) أي وجب ان مردنا إلى الله، ووجب (أن المسرفين) بارتكاب المعاصي. وقال مجاهد: يعني بقتل النفس من غير حلها. وقال قتادة بالاشراك بالله (هم أصحاب النار) يعني الملازمون لها. قال الحسن:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هذا كله من قول مؤمن آل فرعون.
ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ (فستذكرون) صحة (ما أقول لكم) إذا حصلتم في العقاب يوم القيامة. ثم اخبر عن نفسه فقال (وأفوض أمري إلى الله) أي أسلمه إليه (إن الله بصير بالعباد) أي عالم بأحوالهم، وما يفعلونه من طاعة ومعصية. وقال السدي: معنى أفوض اسلم إليه. ثم اخبر تعالى فقال (فوقاه الله سيئات ما مكروا) وقال قتادة: صرف الله عنه سوء مكرهم، وكان قبطيا من قوم فرعون فنجى مع موسى. وقوله (وحاق بآل فرعون) أي حل بهم ووقع بهم (سوء العذاب) لان الله تعالى غرقهم مع فرعون، وبين انهم مع ذلك في (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء، ورفع النار بدلا من قوله (سوء العذاب) (ويوم تقوم الساعة) يعني إذا كان يوم القيامة يقال للملائكة (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) فيمن قطع الهمزة.
ومن وصلها أراد ان الله يأمرهم بذلك. والعرض إظهار الشئ ليراه الذي يظهر له. ومنه قوله (وعرضوا على ربك) (١) أي اظهروا (صفا) كما يظهرون المرائي لهم. ومنه قولهم: عرضت الكتاب على الأمير، فهؤلاء يعرضون على النار لينالهم من ألمها والغم بالمصير إليها. والغدو المصير إلى الشئ بالغداة غدا يغدو غدوا. وقولهم: تغدى أي اكل بالغداة، وغدا أي سابق إلى الامر بالغداة.
و (قيام الساعة) وجودها، ودخولها على استقامة بما يقوم من صفتها، وقامت السوق إذا حضر أهلها على ما جرت به العادة و (أشد العذاب) اغلظه.
وفى الآية دلالة على صحة عذاب القبر لأنه تعالى اخبر انهم يعرضون على النار غدوا وعشيا. وقال الحسن: آل فرعون أراد به من كان على دينه.

---

(١) سورة ١٨ الكهف ٤٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وكان السدي يقول: أرواحهم في أجواف طير سود يعرضون على النار غدوا وعشيا، ويجوز ان يحيهم الله بالغداة والعشي ويعرضهم على النار، ووجه الاحتجاج على رؤساء الضلال بالاتباع انهم كانوا يدعونهم إلى اتباعهم بما يدعون من صواب مذاهبهم. وهذا يلزمهم الرفع بها عنهم وأن يسعوا في تخفيف عذابهم، فإذا هي سبب عذابهم. وقال الفراء وقوم من المفسرين - ذكره البلخي - في الكلام تقديما وتأخيرا، وتقديره وحاق بآل فرعون سوء العذاب، ويوم تقوم الساعة يقال: لهم ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويكون معنى غدوا وعشيا مع أنهم فيها أبدا أنه تتجدد جلودهم بعد الاحتراق غدوا وعشيا. وقال قوم: يجوز أن يكون المراد انهم بعرضها، كما يقال: فلان يعرضه شر شديد أي يقرب من ذلك. وقال قوم: يجوز أن يكون المراد إن اعمالهم اعمال من يستحق النار، فكأنهم يغدون ويروحون إليها باعمالهم. وقال قوم: المعنى يعرضون عليها وهم أحياء بالزجر والتحذير والوعد والوعيد، فإذا كان يوم القيامة - وماتوا على كفرهم - ادخلوا أشد العذاب.

قوله تعالى:

(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار (٤٧)
قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين
العباد (٤٨) وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب (٤٩) قالوا أو لم تك تأتيكم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (٥٠) أربع آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه واذكر يا محمد (إذ) أي الوقت الذي (يتحاجون في النار) ويخاصم بعضهم بعضا يعني الرؤساء والاتباع (فيقول الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء (انا كنا لكم) معاشر الرؤساء (تبعا) ويحتمل أن يكون ذلك جمع تابع كغايب وغيب وحايل وحول، ويجوز أن يكون مصدرا أي تبعناكم تبعا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لامره، فيسألونهم هؤلاء أن يغنوا عنهم قسطا من النار أي طائفة منها، فيقول الرؤساء الذين استكبروا (إنا كل فيها) أي نحن وأنتم في النار، فكيف ندفع عنكم. ورفع " كل فيها " على أنه خبر (إنا) كقوله (إن الامر كله لله) (١) ويجوز أن يكون رفعا بالابتداء، وخبره (فيها) (ان الله حكم) بذلك (بين العباد) وانه يعاقب من اشرك به وعبد معه غيره ثم حكى ما يقوله (الذين) حصلوا (في النار) من الاتباع والمتبوعين (لخزنة جهنم) وهم الذين يتلون عذاب أهل النار " ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) ويقولون ذلك، لأنه لا صبر لهم على شدة العذاب لا انهم يطمعون في التخفيف، لان معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفف عنهم.

ثم حكى ما يجيب به الخزنة لهم فإنهم يقولون لهم " أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات " يعني بالحجج والدلالات على صحة توحيده ووجوب إخلاص العبادة له؟ فيقولون في جوابهم " بلى " قد جاءتنا الرسل بالبينات فكذبناهم وجحدنا نبوتهم وانكرنا

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٥٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بيناتهم فيقول لهم الخزنة إذا " فادعوا " بمالا ينفعكم ويقولون أيضا " وما دعاء الكافرين إلا في ضلال " لأنه في وقت لا ينفع.

قوله تعالى:

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد (٥١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار (٥٢) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني
إسرائيل الكتاب (٥٣) هدى وذكرى لأولي الألباب (٥٤)
فأصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار) (٥٥)

اربع آيات في الشامي وفى عدد إسماعيل وخمس في ما عداهما عدوا " بني إسرائيل الكتاب " ولم يعده الأولان.

قرأ نافع وأهل الكوفة (يوم لا ينفع الظالمين) بالياء، لان المعذرة ليس تأنيثها حقيقيا ولأنهم أرادوا عذرهم. الباقون بالتاء لتأنيث المعذرة.

اخبر الله تعالى عن نفسه بأنه ينصر رسله الذين بعثهم بالحق إلى خلقه وينصر الذين آمنوا به وصدقوا رسله في دار الدنيا، وينصرهم أيضا يوم يقوم الاشهاد. والنصر المعونة على العدو، وهو على ضربين: نصر بالحجة ونصر بالغلبة في المحاربة بحسب ما يعلم
الله تعالى من المصلحة وتقتضيه الحكمة، هذا إذا كان في دار التكليف. فأما نصره إياهم يوم القيامة فهو اعلاء كلمتهم وظهور حقهم وعلو منزلتهم وإعزازهم بجزيل الثواب وإذلال عدوهم بعظيم العقاب. والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وأهل الحق وعلى المبطلين والكافرين بما قامت به الحجة يوم القيامة وفى ذلك سرور المحق وفضيحة المبطل في ذلك المجمع العظيم والمحفل الكبير. وقال قتادة الاشهاد الملائكة والأنبياء والمؤمنون وقال مجاهد: هم الملائكة. ثم بين سبحانه وتعالى اليوم الذي يقوم فيه الاشهاد، فقال " يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم " فالمعذرة والاعتذار واحد. وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار التكليف لان الآخرة دار الالجاء إلى العمل، والملجأ غير محمود على العمل الذي ألجئ إليه، لأنه لا يعمله لداعي الحكمة إلى ما يمكنه أن يعمله ولا يعمله فيضمن الحمد على فعله. وقيل: إنما لم يقبل معذرتهم، لأنهم يعتذرون بالباطل – في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين.

ثم بين تعالى إن لهم مع بطلان معذرتهم اللعنة، وهي الابعاد من رحمة الله والحكم عليهم بدوام العقاب ولهم سوء الدار وهو عذاب النار نعوذ بالله منها. والظالمين الذين لا تنفعهم المعذرة هم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم بارتكاب المعاصي التي يستحق بها دوام العقاب.

ثم اخبر تعالى على وجه القسم فقال " ولقد آتينا موسى الهدى " أي أعطيناه التوراة فيها أدلة واضحة على معرفة الله وتوحيده وأنزلنا عليه الكتاب وأورثناه بني إسرائيل يعني التوراة، وهدى يعني أدلة واضحة على معرفة الله وتوحيده و " ذكرى " أي ما يتذكر به أولوا الألباب، وإنما خص العقلاء بذلك، لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا يعقل.

ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله فقال " فاصبر " يا محمد على أذى قومك وتحمل المشقة في تكذيبهم إياك " إن وعد الله حق " الذي وعدك به من الثواب والجنة لمن أطاعك والنار والعقاب لمن عصاك حق لا خلف له. واطلب أيضا المغفرة لذنبك.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويجوز أن يكون الخطاب له والمراد به أمته " وسبح بحمد ربك " أي نزه الله تعالى واعترف بشكره بما أنعم الله عليك (بالعشي والابكار) أي صباحا ومساء. وقيل (وسبح بحمد ربك) معناه صل بحمد ربك و (بالعشي) معناه من زوال الشمس إلى الليل. و (الابكار) من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس.

قوله تعالى:

(إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتيهم إن
في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع
البصير (٥٦) لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس
ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥٧) وما يستوي الأعمى
والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ قليلا
ما تتذكرون (٥٨) إن الساعة لآتية لا ريب فيما ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩) وقال ربكم ادعوني أستجب
لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين) (٦٠) خمس آيات. وست في المدني الأخير.

قرأ أهل الكوفة " تتذكرون " بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الاخبار عنهم. وقرأ أبو جعفر وابن كثير ورويس ويحيى والبرجمي وابن غالب " سيدخلون " بضم الياء. على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح الياء على اسناد الفعل إليهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يقول الله تعالى " ان الذين يجادلون " أي يخاصمون " في " رفع " آيات الله " وابطالها " بغير سلطان " أي بغير حجة " اتاهم " أعطاهم الله إياها يتسلط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم " إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه " أي ليس في صدورهم إلا كبر. قال مجاهد: معناه الا عظمة وجبرية ما هم ببالغي تلك العظمة، لان الله تعالى مذلهم. وقيل: معناه إلا كبر بحسدك على النبوة التي أكرمك الله بها (ما هم ببالغيه) لان الله يرفع بها من يشاء. وقيل، منعا إلا كبر ما هم ببالغي مقتضاه ولا نالوه لان الكبر إنما يعمله صاحبه لمقتضى ان يعظم حاله، وهؤلاء يصير حالهم إلى الاذلال والتحقير بكفرهم فلا يبلغون ما في صدورهم من مقتضي كبرهم. وقيل: الآية نزلت في اليهود وان الكبر الذي ليس هم ببالغيه توقعهم امر الدجال، فاعلم الله تعالى ان هذه الفرقة التي تجادل ألا تبلغ خروج الدجال. فلذلك قال تعالى " فاستعذ بالله " ثم امر نبيه بأن يستعيذ بالله من شر هؤلاء المخاصمين " انه هو السميع البصير " ومعناه انه يسمع ما يقول هؤلاء الذين يخاصمون في دفع آيات الله بصير بما يضمرونه وفي ذلك تهديد لهم في ما يقدمون عليه. وقيل: فيه وعدله بكفاية شرهم.

ثم قال تعالى " لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس " معناه إن خلق السماوات والأرض على ما هما عليه من العظم والثقل مع وقوفهما من غير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب أعظم في النفس وأهول في الصدر من خلق الناس، وإن كان عظيما لما فيه من الحياة والحواس المهيأة لأنواع مختلفة من الادراكات إلا أن امر السماوات والأرض خارج عن مقتضى الطبيعة، أو أن يكون فاعلهما وخالقهما يجرى مجرى العباد في الجسمية، فهو أكبر شأنا من هذه الجهة " من لكن أكثر الناس لا يعلمون " لعدولهم عن الفكر فيه والاستدلال على

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

صحته وإدخال الشبهة على نفوسهم فيه، وذكر كبر خلق السماوات والأرض وما هو خارج عن الطبيعة حجة على المشركين في انكار النشأة الثانية مما هو خارج عن عادة الولادة.

ثم قال " وما يستوي الأعمى والبصير " أي لا يتساوى من عمي عن طريق الرشد والصواب فلم يهتد إليها، والبصير الذي أبصرها واهتدى إليها " والذين آمنوا وعملوا الصالحات. ولا المسيئ " أي ولا يتساوى أيضا الذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات من الاعمال والذين أساؤا وظلموا نفوسهم بارتكاب المعاصي.

ثم قال " قليلا ما تتذكرون " أي ما أقل ما تتفكرون في ذلك.

والوقف على قوله " قليلا ".

وقوله " ما تتذكرون " يجوز أن تكون (ما) صلة ويجوز أن تكون بمعنى المصدر وتقديره قليلا ما تذكركم. ومن قرأ بالتاء أراد قل لهم وخاطبهم به. ومن قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عنهم بذلك.

ثم اخبر " إن الساعة " يعني القيامة (آتية لا ريب فيها) أي جائية واقعة لا شك في مجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله وشكهم في اخباره.

ثم قال " وقال ربكم ادعوني استجب لكم " يعني استجب لكم إذا اقتضت المصلحة اجابتكم. ومن يدعو الله ويسأله فلا بد أن يشترط المصلحة إما لفظا أو اضمارا، وإلا كان قبيحا، لأنه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كان قبيحا.
ثم قال تعالى مخبرا (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) أي من يتكبر، ويتعظم عن إخلاص العبادة لله تعالى (سيدخلون جهنم داخرين) من ضم الياء ذهب إلى انهم تدخلهم الملائكة كرها ومن فتح الياء قال: لأنهم إذا دخلوا فقد دخلوا، فأضاف الفعل إليهم. ومعنى (يستكبرون عن عبادتي) أي عن دعائي بالخضوع لي. وقال السدي (داخرين) معناه صاغرين.
قوله تعالى:
(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون (٦١) ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا إله إلا
هو فأتي تؤفكون (٦٢) كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون (٦٣) الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء
وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله
ربكم فتبارك الله رب العالمين (٦٤) هو الحي لا إله إلا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) (٦٥)
خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه بأنه " الله الذي جعل لكم) معاشر الخلق (الليل) وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني (لتسكنوا فيه) أي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وغرضه منه سكونكم واستراحتكم فيه من كد النهار وتعبه (وجعل لكم النهار) أيضا وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس (مبصرا) تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعله (مبصرا) لما كان يبصرون فيه المبصرون. ثم اخبر تعالى (إن الله لذو فضل) أي لذو زيادة كثيرة من نعمه (على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعمه أي لا يعترفون بها بل يجحدونها ويكفرون بها. ثم قال مخاطبا لخلقه (ذلكم الله) يعني الذي قدم وصفه لكم هو الذي خلقكم (ربكم خالق كل شئ) من مقدوراته من السماوات والأرض وما بينهما مما لا يقدر عليه سواه (لا إله إلا هو) أي لا يستحق العبادة سواه تعالى (فأتى تؤفكون) أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده، ثم قال مثل ما انقلب وانصرف هؤلاء (كذلك يؤفك) أي يصرف (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) ومعناه كما خدع هؤلاء بما كذب لهم كذب من كان قبلهم من الكفار (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي بدلالات الله وبيناته، ولا يفكرون فيها.

ثم عاد إلى ذكر صفاته تعالى فقال (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) أي هيأها لكم بحيث تستقرون عليها (والسماء بناء) أي وجعل السماء بناء مرتفعا فوقنا ولو جعلهما رتقا لما أمكن الخلق الانتفاع في ما بينهما. ثم قال (وصوركم فأحسن صوركم) لان صور ابن آدم أحسن من صور الحيوان. والصور جمع صورة مثل سورة وسور (ورزقكم من الطيبات) لأنه ليس لشئ من الحيوان من الطيبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله لابن آدم، فان أنواع الطيبات واللذات التي خلقها الله لهم لا تحصى لكثرتها من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك. ثم قال (ذلكم) يعني الذي تقدم وصفه هو الذي يحق له العبادة على الحقيقة وهو (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أي جل بأنه الثابت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الدائم الذي لم يزل ولا يزال.
ثم قال (هو الحي) ومعناه الحي على الاطلاق هو الذي يستحق الوصف
بأنه حي لا إلى اجل (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)
قال ابن عباس وسعيد بن جبير: إذا قال أحدكم (لا إله إلا الله وحده) فليقل
في آخرها (الحمد لله رب العالمين).
قوله تعالى:
(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما
جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين (٦٦) هو
الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من
قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون (٦٧) هو الذي يحيي
ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٦٨) ألم
تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون (٦٩) الذين
كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) (٧٠)
خمس آيات بلا خلاف.
هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله ان يقول الكفار قومه (إني نهيت)
أي نهاني الله (ان اعبد) أي أوجه العبادة إلى (الذين تدعون من دون الله)
التي تجعلونها آلهة (لما جاءني البينات من ربي) أي حين أتاني الحجج والبراهين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من جهة الله دلتني على ذلك (وأمرت) مع ذلك (أن اسلم لرب العالمين) أي استسلم لامر رب العالمين الذي خلقكم وأوجدكم ويملك تدبير الخلائق أجمعين. ثم وصفه فقال (وهو الذي خلقكم) معاشر البشر (من تراب) ومعناه خلق أباكم آدم من تراب وأنتم نسله واليه ترجعون واليه تنتمون (ثم من نطفة..) أي ثم أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة ثم قلبها إلى علقة وهي القطعة من الدم لأنها تعلق بما يمر به لظهور اثرها فيه وخلقكم منها (ثم يخرجكم طفلا) أي أطفالا واحدا واحدا، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال " بالأخسرين اعمالا " (١) لان لكل واحد منهم اعمالا قد خسر بها " ثم لتبلغوا أشدكم " وهو حال استكمال القوة وهو جمع شدة وأشد كنعمة وانعم. واصل الشدة اللف الذي يصعب منه الانحلال، ثم " لتكونوا شيوخا " بعد ذلك " ومنكم من يتوفى من قبل " ان يصير شيخا ومن قبل ان يبلغ أشده " ولتبلغوا اجلا مسمى " أي يبلغ كل واحد منكم ما سمى له من الأجل. وقال الحسن: هو النسل الذي يقوم عليه القيامة والأجل المسمى القيامة (ولعلكم تعقلون) أي خلقكم لهذه الاغراض التي ذكرها ولكي تفكروا في ذلك فتعقلوا ما أنعم الله عليكم من أنواع النعم واراده منكم من اخلاص العبادة. ثم قال (هو الذي يحيى ويميت) يعني من خلقكم على هذه الأوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فأولكم من تراب وآخركم إلى تراب تعودون (فإذا قضى امرا) أي أراد امرا من الأمور (فإنما يقول له كن فيكون) ومعناه انه يفعل ذلك من غير أن يتعذر عليه ولا يمتنع منه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون، لا انه خاطب المعدوم بالتكوين، لان ذلك محال.

---

(١) سورة ١٨ الكهف ١٠٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والله لا يأمر بالمحال.
ثم قال (الذين يجادلون في آيات الله) يعني المشركين الذين يخاصمون في دفع آيات الله وابطالها (أنى يصرفون) أي كيف ومن أين ينقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله. قال ابن زيد أراد بذلك المشركين. ثم وصفهم فقال (الذين كذبوا بالكتاب يعني بالقرآن جحدوه وكذبوا بما أرسلنا به من الكتب في الشرائع رسلنا قبلك (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم إذا حل بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه ويعرفون ان ما دعوتهم إليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد.
قوله تعالى:
(إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون (٧٣) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥)
خمس آيات كوفي وشامي وأربع في ما عداهما سوى البصري عد إسماعيل والكوفي والشامي " يسبحون " وعد المدني الأول والمكي " في الحميم " وعد الكوفي والشامي " تشركون " وهي ثلاث آيات بصري لأنه عندهم آخر الأولى " يسبحون والثانية " الكافرون " والثالثة " تمرحون ".

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله " إذا الاغلال " متعلق بقوله " فسوف يعلمون.. إذ الاغلال "
أي يعلمون في حال ما تجعل الاغلال وهي جمع غل، وهو طرق يدخل في العنق للألم والذل. وأصله الدخول من قولهم: انغل في الشئ إذا دخل فيه. والغلول الخيانة التي تصير كالغل في عنق صاحبها، والأعناق جمع عنق وهو مركب الرأس بين البدن وبينه، وقوله " فاضربوا فوق الأعناق " (١) أي أصل الرأس وما والاه، وقوله " والسلاسل " أي وتجعل السلاسل أيضا في أعناقهم. وقرأ ابن عباس " والسلاسل " بالنصب " يسحبون " بفتح الياء بمعنى يسحبون السلاسل. وحكي عنه الجر أيضا بتقدير، وهم في السلاسل يسبحون. والجر ضعيف عند النحويين، لان حرف الجر لا يجوز إضماره وأجاز بعضهم ذلك على ضعفه بأن يتوهم أن التقدير إذ الاغلال في الأعناق. والسلاسل جمع سلسلة وهي حلق منتظمة في جهة الطول مستمرة. ويقال: تسلسلت المعاني إذا استمرت شيئا قبل شئ كالسلسلة الممدودة، وقوله " يسحبون " أي يجرون على الأرض. وموضع " يسحبون " النصب على الحال، وتقديره إذ الاغلال والسلاسل في أعناقهم مسحوبين على النار والسحب جر الشئ على الأرض، هذا أصله يقال: سحب عليه ما يلزمه من الأصل الفاسد، ويسحب الكافر على وجهه في النار سحبا " في الحميم " وهو الماء الذي يبلغ الغاية في الحرارة " ثم في النار يسجرون " فالسجر القاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود، فهؤلاء الكفار لجهنم كالسجار للتنور " ثم قيل لهم " على وجه التوبيخ لا يلام قلوبهم كايلام أبدانهم بالتعذيب " أينما كنتم تشركون من دون الله " فتوجهون العبادة إليه من الأصنام والأوثان فيخلصوكم وينصروكم من عذاب الله " قالوا " في الجواب " ضلوانا عنا " ثم يستدركون

---

(١) سورة ٨ الأنفال آية ١٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيقولون: بل لم نكن ندعو من قبل شيئا " ومعناه لم نكن ندعو من قبل شيئا يستحق العبادة وما ينتفع بعبادته، فلذلك أطلق القول فقال الله تعالى " كذلك يضل الله الكافرين " قال الحسن: معناه كذلك يضل اعمالهم بأن يبطلها. وقيل: معناه كذلك يضل الله الكافرين عن نيل الثواب. وقيل: كذلك يضل الله الكافرين عما اتخذوه إلها بأن يصرفهم عن الطمع في نيل منفعته من جهتها. ثم يقول موبخا لهم " ذلكم " أي ما فعل بكم جزاء " بما كنتم تفرحون في الأرض " والفرح والمرح والبطر والأشر نظائر " بغير الحق " أي كنتم تفرحون بالباطل والفرح بالحق لا يوبخ عليه " بما كنتم تمرحون " أي وجزاء بما كنتم تبطرون في معاصي الله. والمرح الاختيال في السرور والنشاط قال الشاعر:

ولا ينسني الحدثان عرضي * ولا ارخي من الفرح الازارا (١)

قوله تعالى:

(أدخلوا أبو أب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦)
فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو
نتوفينك فالينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان
لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي
بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨) الله الذي جعل لكم

---

(١) مر في ٨ / ١٠٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) (٨٠)
خمس آيات بلا خلاف.
لما حكى الله تعالى ما يقال للكفار من قوله " ذلكم بما كنتم تفرحون في
الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون " حكى أيضا انه يقال لهم " ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها " أي مؤبدين فيها لا انقطاع لكونكم فيها ولا نهاية لعقابكم.
وقيل: إنما جعل لجهنم أبو أب كما جعل فيها الادراك تشبيها بما يتصور الانسان في
الدنيا من المطابق والسجون والمطامير، فان ذلك أهول وأعظم في الزجر.
وقيل: لجهنم أبو أب، كما قال تعالى " لها سبعة أبو أب " (١) وقوله " فبئس مثوى
المتكبرين " أي بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله وتجبروا عن الانقياد له،
وإنما أطلق عليه اسم بئس مع كونه حسنا لان الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن
القبيح بالذم عليه، فحسن لهذه العلة اطلاق اسم بئس عليه. ووصف الواحد منا
بأنه متكبر اسم ذم. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فاصبر " يا محمد على أذى قومك
وتكذيبهم إياك
ومعناه أثبت على الحق، فسماه صبرا للمشقة التي تلحق فيه كما تلحق بتجرع المر، ولذلك
لا يوصف أهل الجنة بالصبر. وإن وصفوا بالثبات على الحق. وكان في الوصف
به في الدنيا فضل، ولكن يوصفون بالحلم، لأنه مدح ليس فيه صفة نقص. وقوله
(إن وعد الله حق) معناه إن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في

---

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٤٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الجنة وتوعد الكفار من العقاب (حق) لاشك فيه بل هو كائن لا محالة ثم قال (فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) معناه إنا إن أريناك يا محمد بعض ما نعدهم من العقاب عاجلا وإهلاكهم في دار الدنيا، وإن لم نفعل ذلك بهم وقبضناك إلينا، فالينا يرجعون يوم القيامة، فنفعل بهم ما وعدناهم من العقاب وأليم العذاب. وقال الحسن: تقديره إما نرينك بعض الذي نعدهم فنرينك ذلك في حياتك أو نتوفينك، فيكون ذلك بعد موتك فأي ذلك كان (فالينا يرجعون).

ثم قال تعالى (ولقد أرسلنا) يا محمد (رسلا من قبلك منهم) أي من جملتهم (من قصصنا عليك) قصتهم (ومنهم من لم نقصص عليك) وروي عن علي عليه السلام أنه قال (من بعث الله نبيا اسود لم يذكره الله) وقيل: بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم. ولم يذكر إلا نفرا يسيرا. ثم قال (وما كان لرسول أن يأتي بآية) أي بمعجزة ولا دلالة (إلا بإذن الله) وأمره (فإذا جاء امر الله) يعني قيام الساعة (قضي بالحق) أي فصل بين الخلائق (وخسر هنالك المبطلون) لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلا منها (وذلك هو الخسران المبين) ثم قال تعالى على وجه تعداد نعمه على الخلق (الله الذي جعل لكم الانعام) من الإبل والبقر والغنم (لتركبوا منها ومنها تأكلون) اي خلقها لتنتفعوا بركوبها وتأكلوا منها، فإنه جعلها للامرين. وقال قوم: المراد بالانعام - ههنا - الإبل خاصة، لأنها التي تركب ويحمل عليها في أكثر العادات. واللام في قوله (لتركبوا) لام الغرض، فإذا كان الله تعالى خلق هذه الانعام وأراد ان ينتفع خلقه بها، وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح، فلابد أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة إليه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ولكم فيها مناع) أخرى من ألبانها وأصوافها وأشعارها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) ان تركبوا وتبلغوا المواضع التي تقصدونها لحوائجكم (وعليها) يعني على الانعام (وعلى الفلك) وهي السفن (تحملون) أيضا لأنه تعالى هو الذي يسيرها في البحر بالريح إلى حيث تقصدون وتبلغون أغراضكم منها. وقال أبو عبيدة معنى (وعلى الفلك) في الفلك كما قال (ولأصلبنكم في جذوع النخل) (١) وأراد عليها، فحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض.

قوله تعالى:

(ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٨٣) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) (٨٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطبا للكفار الذين جحدوا آياته وأنكروا أدلته الدالة على

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٧١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

توحيده وإخلاص العبادة له (ويريكم آياته) أي يعلمكم حججه ويعرفكم إياها، منها إهلاك الأمم الماضية على ما اخبر عنهم ووجه الآية فيه انهم بعد النعمة العظيمة صاروا إلى النقم لأنهم عصوا فاقتضى ذلك العصيان أولا النقمان ثانيا. وكان فيه أوضح الدليل على تثبيت القديم تعالى الذي لولاه لم يصح فعل ولا تدبير. ومنها الآية في خلق الانعام التي قدم ذكرها، ووجه الآية فيه تسخيرها لمنافع العباد بالتصرف في الوجوه التي قد جعل كل شئ منها لما يصلح له وذلك يقتضي ان الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره، وإنما يرى الآيات بالبيان عنها الذي يحضر للناس معناها ويخطرها ببالهم، وينبه عليها، فإنه يحتاج أولا في الآية احضارها للنفس ثم الاستدلال عليها والتمييز بين الحق والباطل منها، فأول الفائدة إخطارها بالبال والتنبيه عليها. والثاني الاستدلال عليها إلى الحق.

ثم قال (فأي آيات الله تنكرون) توبيخا لهم على جحدها، وقد يكون الانكار للآية تارة بجحدها أصلا. وقد يكون تارة بجحد كونها دالة على صحة ما هي دالة عليه، والخلاف في الدلالة يكون من ثلاثة أوجه: اما في صحتها في نفسها، أو في كونها دلالة، أو فيهما. وإنما يجوز من الجهال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لأمور:

منها اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة.

ومنها التقليد لمن ترك النظر في الأمور.

ومنها السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمتنع ذلك من توليد النظر للعلم.

ثم نبههم فقال (أفلم يسيروا في الأرض) بأن يمروا في جنباتها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) أي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأعظم آثارا في الأرض بالأبنية العظيمة التي نبوها والقصور المشيدة التي شيدوها.
وقال مجاهد: بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم، فلما عصوا وكفروا بالله أهلكهم الله
واستأصلهم " فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون " معناه لم يغن عنهم ما كسبوه من الأموال والبنيان. وقيل إن (ما) بمعنى أي، وتقديره فأي شئ اغنى عنهم كسبهم؟! على وجه التهجين لفعلهم والتقريع لهم، فتكون (ما) الأولى نصبا وموضع الثانية رفعا.
ثم قال تعالى " فلما جاءتهم رسلهم بالبينات " يعني لما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له " فرحوا بما عندهم من العلم " وفى الكلام حذف، وتقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها وعد الله تعالى الرسل باهلاك أممهم ونجاة الرسل فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك. وقيل: إن المعنى فرحوا بما عندهم من العلم يعني الكفار بما اعتقدوا انه علم إذ قالوا: نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، فكان ذلك جهلا واعتقدوا انه علم، فأطلق الاسم عليه بالعلم على اعتقادهم، كما قال " حجتهم داحضة " (١) وقال " ذق انك أنت العزيز الكريم " (٢) يعني عند نفسك وعند قومك، فالأول قال به الجبائي، والثاني قول الحسن ومجاهد. وقيل: المعنى إن الكفار فرحوا بما عند الرسل فرح استهزاء وسخرية لا فرح سرور وغبطة وقوله " وحاق بهم " أي حل بهم " ما كانوا به يستهزؤن " أي جزاء ما كانوا به يسخرون برسلهم من الهلاك والعذاب.
ثم اخبر تعالى عنهم انهم " فلما رأوا بأسنا " بأس الله ونزول عذابه " قالوا

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦
(٢) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آمنا بالله وحده " وخلعنا الأنداد من دونه " وكفرنا بما كنا به مشركين " في عبادة الله من الأصنام والأوثان فقال الله سبحانه " فلم يك ينفعهم إيمانهم " عند رؤيتهم بأس الله وعذابه، لأنهم يصيرون عند ذلك ملجئين وفعل الملجأ لا يستحق به الثواب. ثم قال " سنة الله التي قد خلت في عباده " نصب " سنة الله " على المصدر، والمعنى طريقة الله المستمرة من فعله بأعدائه والجاحدين لنعمه واتخاذ الولايج من دونه في ما مضى مع عباده الذين كفروا به " وخسر هنالك الكافرون " لنعمه لفوتهم الثواب والجنة واستحقاقهم العذاب والكون في النار.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤١ - سورة حم السجدة
هي مكية في قول قتادة ومجاهد ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وهي اربع وخمسون.
آية كوفي وثلاث في المدنيين واثنتان وخمسون في البصري والشامي.
بسم الله الرحمن الرحيم
(حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) بشيرا ونذيرا فأعرض
أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا
إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا
عاملون) (٥).
خمس آيات في الكوفي وأربع في الباقي عد الكوفيون " حم " ولم يعده الباقون
قرأ بعض الكوفيين (حم) رفع ب (تنزيل) ر (تنزيل) رفع ب (حم) وقال
الفراء: ارتفع (تنزيل) باضمار (ذلك) أو هذا تنزيل. وقال البصريون (تنزيل)
رفع بالابتداء، وخبره " كتاب فصلت آياته " و " قرانا " نصب على المصدر أو

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحال ذهب إليه قوم.
قد بينا اختلاف المفسرين في معنى قوله (حم) فلا وجه لا عادته. وقيل:
في وجه الاشتراك في أسماه هذه السور السبع ب (حم) انه للمشاكلة التي بينهما بما يختص به بما ليس لغيرها، لأنه اسم علم أجري على الصفة الغالبة بما يصح فيه الاشتراك، والتشاكل الذي اختصت به هو ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول والقصر ومع شدة تشاكل الكلام في النظام، وحكم الكتاب البيان عن طريق النجاة الذي يصغر كل شئ في حنب الفائدة به من طريق الهلاك الذي لا صبر للنفس عليه، وهو على وجوه: منها تبيين الواجب مما ليس بواجب، وتبيين الأولى في الحكمة مما ليس بأولى، وتبيين الجائز مما ليس بجائز، وتبيين الحق في الدين من الباطل، وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل، وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه، وما يحذر منه مما لا يحذر مثله. وغير ذلك من وجوه أحكامه وهي أكثر من أن تحصى.
وقوله " تنزل من الرحمن الرحيم " وصف الكتاب بأنه تنزيل لان جبرائيل عليه السلام نزل به على محمد صلى الله عليه وآله وفى ذلك دلالة على حدوثه، لان التنزيل
لا يكون إلا محدثا.
وقوله " كتاب فصلت آية " أي هذا كتاب، وإنما وصف القرآن بأنه كتاب وإن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع، لأنه مما ينبغي أن يكتب ويدون لان الحافظ ربما نسيه أو نسي بعضه، فيتذكر، وغير الحافظ فيتعلم منه. وقوله " فصلت آياته " معناه ميزت دلائله. وإنما وصفه بالتفصيل دون الاجمال، لان التفصيل يأتي على وجوه البيان، لأنه تفصيل جملة عن جملة أو مفرد عن مفرد، ومدار أمر البيان على التفصيل والتمييز في ما يحتاج إليه من أمور الدين إذ العلم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

علمان: علم دين وعلم دنيا وعلم الدين أجلهما وأشرفهما لشرف النفع به. وقيل: " فصلت آياته " بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب.
ونصب قوله " قرآنا عربيا " على الحال - في قول الزجاج - وتقديره فصلت آياته في حال جمعه. ووصف بأنه قرآن، لأنه جمع بعضه إلى بعض، وبأنه عربي لأنه يخالف جميع اللغات التي هي ليست عربية " لقوم يعلمون " أي لمن يعلم العربية.
وقوله " بشيرا " أي مبشرا بالجنة وثوابها " ونذيرا " أي مخوفا من النار وعقابها.
وقوله " فاعرض أكثرهم " اخبار منه تعالى عن الكفار أن أكثرهم يعدل عن التفكر فيه وعن سماعه " فهم لا يسمعون " لعدولهم عنه. ويجوز أن يكون مع كونهم سامعين إذا لم يفكروا فيه ولم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه. وقال البلخي: معناه إنهم يفعلون فعل من لا يسمعه، لأنهم مع سماعه يستثقلونه ويعرضون عن الفكر فيه.
ثم حكى ما قاله الكفار من قولهم " قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه " قال مجاهد والسدي: معناه في أغطية وإنما قالوا ذلك ليئوسوا النبي صلى الله عليه وآله من قبولهم
دينه، فهو على التمثيل، فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شئ مما وراءه، وفيه تحذير من مثل حالهم في كل من دعي إلى امر أن لا يمتنع أن يكون هو الحق، فلا يجوز ان يدفعه بمثل ذلك الدفع " وفي آذاننا وقر " أي ثقل عن استماع هذا القرآن " ومن بيننا وبينك حجاب " قيل الحجاب الخلاف الذي يقتضي أن يكون بمعزل عنك. قال الزجاج: معناه حاجز في النحلة والدين أي لا نوافقك في مذهب " فاعمل اننا عاملون " معناه فاعمل بما يقتضيه دينك، فانا عاملون بما يقتضيه ديننا، وقال الفراء: معناه فاعمل في هلاكنا، فإننا عاملون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

في هلاكك، تهديدا منهم.
قوله تعالى:
(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله
واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون (٧) إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون (٨) قل أئنكم لتكفرون بالذي
خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين (٩)
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها
في أربعة أيام سواء للسائلين) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أبو جعفر " سواء " رفعا. وقرأه يعقوب خفضا. وقرأه الباقون نصبا.
فمن رفعه فعل الاستئناف. ومن خفضه جعله نعتا للأيام. ومن نصبه فعلى المصدر.
امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء الكفار " إنما انا بشر مثلكم " لحم ودم، ومن ولد آدم، وإنما خصني الله بنبوته وأمرني برسالته وميزني منكم بأني " يوحى إلي أنما إلهكم " الذي يستحق العبادة " إله واحد " لا شريك له في العبادة (فاستقيموا إليه) أي استمروا على وجه واحد في الطاعة له وإخلاص العبادة له على ما تقتضيه الحكمة " واستغفروه " أي واطلبوا المغفرة من جهته لذنوبكم.
ثم اخبر فقال " فويل للمشركين " الذين أشركوا بعبادة الله غيره من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأصنام والأوثان ووصفهم بأنهم " الذين لا يؤتون الزكاة " وقال الحسن: معناه لا يؤتون ما يكونون به أزكياء أتقياء من الدخول في دين الله. وقال الفراء: الزكاة في هذا الموضع ان قريشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله. وقال قوم: إنما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم لأنهم متعبدون
بجميع العبادات ويعاقبون على تركها وهو الظاهر. وقال الزجاج: معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة. وإنما خص الزكاة بالذكر تقريعا لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل ويتركون ما يقتضي انهم ان يعملوه عملوه لأجله. وفي ذلك دعاء لهم إلى الايمان وصرف لهم عن الشرك. وكان يقال: الزكاة قنطرة الايمان فمن عبرها نجا. وقال الطبري: معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التي يطهرهم بها ويزكي أبدانهم، ولا يوحدونه. وقال عكرمة: هم الذين لا يقولون: لا إله إلا الله. وقد بينا أن الأقوى قول من قال إن الذين
لا يؤدون زكاة أموالهم، لان هذا هو حقيقة هذه اللفظة " وهم بالآخرة هم كافرون " معناه وهم مع ذلك يجحدون ما أخبر الله به من الثواب والعقاب في الآخرة.
ثم اخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال " ان الذين يؤمنون بالآخرة " أي يصدقون بأمر الآخرة من الثواب والعقاب " وعملوا الصالحات " أي الطاعات " لهم اجر غير ممنون " أي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع، بل هو متصل دائم، ويجوز أن يكون معناه انه لا أذى فيه من المن الذي يكدر الصنيعة.
ثم امر النبي صلى الله عليه وآله ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم بلفظ الاستفهام " أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين " أي تجحدون نعمة من خلق الأرض في يومين " وتجعلون له أندادا " أي تجعلون له أشباها وأمثالا في استحقاق العبادة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال الذي يستحق العبادة " ذلك رب العالمين " الذي خلق الخلائق وملك التصرف فيهم.
وقوله " وجعل فيها رواسي من فوقها " أي وخلق في الأرض جبالا راسيات ثابتات فوق الأرض " وبارك فيها " بما خلق فيها من المنافع " وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين " روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (إن الله
خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس
والقمر والنجوم والملائكة وآدم). وقال الحسن والسدي: وابن زيد " قدر فيها أقواتها " أي أرزاقها. وقال قتادة: معناه قدر فيها ما فيه صلاحها. قال أبو عبيدة، الأقوات جمع قوت وهي أرزاق الخلق وما يحتاجون إليه. وقيل: إنما خلق ذلك شيئا بعد شئ في هذه الأربعة أيام لتعتبر به الملائكة وقيل: لاعتبار العباد في الاخبار عن ذلك إذا تصوروه على تلك الحال. وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأني في الأمور وألا يستعجلوا فيها بأن الله تعالى كان قادرا على أن يخلق ذلك في لحظة. لكن خلقها في هذه المدة لما قلنا. وقال قوم إنما خلق ذلك في هذه المدة ليعتبروا بذلك على أنها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الاحكام إذ لو كان صادرا عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة. وقال الزجاج: " في أربعة أيام " معناه في تتمة أربعة أيام.
وقوله " سواء للسائلين " قال قتادة والسدي: معناه سواء للسائلين عن ذلك لان كلا يطلب القوت ويسأله. وفي قراءة عبد الله " وقسم فيها أقواتها " ومعناه خلق في هذه البلدة ما ليس في هذه ليتعايشوا ويتجروا. ومن نصب (سواء) فعلى تقدير استوت سواء واستواه لمن سأل في كم خلقت السماوات

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والأرض؟ فقيل في أربعة أيام سواء لا زيادة ولا نقصان.
قوله تعالى:
(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١) فقضيهن سبع
سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا
بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (١٢) فإن أعرضوا
فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣) إذ جاءتهم
الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا له
شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون (١٤)
فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا
قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا
بآياتنا يجحدون) (١٥).
اربع آيات في البصري والشامي وخمس في ما عداه. اختلفوا في قوله
" وثمود " فلم يعدها البصريون والشاميون وعدها الباقون.
اخبر الله تعالى انه بعد خلق الأرض والجبال وتقدير الأقوات فيها " استوى
إلى السماء وهي دخان " قال الحسن: معناه استوى امره ولطفه إلى السماء.
وقال غيره: معنى الاستواء إلى السماء العمد والقصد إليها، كأنه قال: ثم قصد
إليها. واصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له. وقوله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" ثم استوى على العرش " (١) معناه ثم استوى تدبيره بتقدير القادر عليه. وقيل إن الاستوى بمعنى الاستيلاء، كما قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق (٢)

فاما الاستواء عن اعوجاج فمن صفات الأجسام لا يجوز ذلك على الله تعالى. وقوله " ثم استوى إلى السماء " يفيد انه خلق السماء بعد خلق الأرض وخلق الأقوات فيها، ولا ينافي ذلك قوله " أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها " إلى قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) (٣) لان ذلك يفيد أن الأرض كانت مخلوقة غير مدحوة، فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض فبسطها، وإنما جعل الله السماوات أولا دخانا ثم سبع سماوات طباقا ثم زينها بالمصابيح، لما في ذلك من الدلالة على أن صانعها وخالقها ومدبرها ليس كمثله شئ من الموجودات غني عن كل شئ سواه، وإن كل ما سواه يحتاج إليه من حيث إنه قادر لنفسه لا يعجزه شئ، عالم لنفسه لا يخفى عليه شئ. و (الدخان) جسم لطيف مظلم، فالله تعالى خلق السماوات أولا دخانا ثم نقلها إلى حال السماء من الكثافة والالتئام لما في ذلك من الاعتبار واللطف لخلقه.

وقوله (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين) قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار، وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا إطاعة، ولا

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٢ وسورة ٢٥ الفرقان آية ٥٩ وسورة ٣٢ ألم السجدة آية ٤ وسورة ٥٧ الحديد آية ٤

(٢) مر في ١ / ١٢٥ و ٢ / ٣٩٦ و ٤ / ٤٥٢ و ٥ / ٣٨٦

(٣) سورة ٧٩ النازعات آية ٣٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

جواب لذلك القول بل أخبر تعالى عن اختراعه السماوات والأرض وانشائه لهما من غير تعذر ولا مشقة ولا كلفة ومن غير ملابسة ولا معاناة بمنزلة ما قيل: للمأمور افعل ففعل من غير تلبث ولا توقف، فعبر عن ذلك بالامر والطاعة وهو كقوله (كن فيكون) (١) وقد بينا الوجه في ذلك ويكون التقدير كأنه قيل: أتينا بمن فينا طائعين أي سبحانه فعل الطبائع في ما أمر به وإنما قلنا ذلك لأنه تعالى لا يأمر المعدوم ولا الجماد، لان ذلك قبيح يتعالى الله عن ذلك ومثل ذلك قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني * مهلا رويدا قد ملأت بطني (٢)

ونظائر ذلك كثيرة بيناها في ما مضى وإنما قال (طائعين) ولم يقل طائعتين، لأنه لما اسند الفعل اليهما وهو مالا يكون إلا من العقلاء اخبر عنهما بالياء والنون، وقال قطرب: لان المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء. وقال الشاعر:

فأجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآني

فقلت له أين الذين عهدتهم * بجنبيك في حفض وطيب زمان

فقال مضوا واستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدثان (٣)

وقوله (فقضاهن سبع سماوات في يومين) معناه جعلهن سبع سماوات على اتمام خلقهن لان القضاء جعل الشئ على إتمام وإحكام ولذلك قيل: انقضى أي قد تم ومضى، وقضى فلان إذا مات، لان عمره تم ومضى. وقيل: إن السماء موج مكفوف، روي ذلك في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله. وقال الحسن: هي سبع أرضين

---

(١) سورة ٣٦ يس آية ٨٢ وغيرها

(٢) مر في ١ / ٤٣١ و ٨ / ٨٥، ٣٦٩

(٣) قد مر في ٨ / ٣٦٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام. وقوله (في يومين) قال السدي: خلق الله السماوات وسواها يوم الخميس والجمعة وسمي جمعة لأنه جمع في خلق السماوات والأرض، وإنما خلقها في يومين نظير خلق الأرض في يومين، فان قيل: قوله (خلق الأرض في يومين) وخلق الجبال والأقوات في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين يكون ثمانية أيام، وذلك مناف لقوله (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) (١) قلنا: لا تنافي بين ذلك، لأنه خلق السماوات والأرض وخلق الجبال والأشجار والأقوات في أربعة أيام منها اليومان المتقدمان، كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ثم إلى الكوفة في خمسة عشر يوما أي في تمام هذه العدة، ويكون قوله (فقضاهن سبع سماوات في يومين) تمام ستة أيام. وهو الذي ذكره في قوله في ستة أيام. وزال الاشكال.

وقوله (وأوحى في كل سماه أمرها) قال السدي معناه جعل فيها ما اراده من ملك وغيره. وقيل معناه أوحي في كل سماء بما يصلحها " وزينا السماء الدنيا بمصابيح " روي أن الكواكب في السماء الدنيا، وهي الأقرب إلى الأرض دون ما فوقها من السماوات.

وقوله (وحفظا) منصوب على المعنى وتقديره جعلناها زينة وحفظا أي وجعلناها حفظا من استراق الشياطين السمع بالكواكب التي جعلت فيها. وقيل: حفظا من أن تسقط على الأرض (ذلك تقدير العزيز العليم) يعني القادر الذي لا يغالب العليم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شئ منها.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (فان أعرضوا) يعني ان عدل الكفار عن الفكر في ما ذكرنا والتدبر لما بينا وأبوا إلا الشرك والجحود (فقل) لهم مخوفا لهم (أنذرتكم

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

صاعقة) أي خوفتكم إياها ان ينزل بكم كما نزل بمن قبلكم ونصب (صاعقة) على أنه مفعول ثان (مثل صاعقة عاد وثمود) التي أرسلها الله عليهم وأهلكهم بها، فقال السدي: الصاعقة أراد بها العذاب، وقال قتادة: معناه وقيعة. وقيل: إن عادا أهلكت بالريح والصاعقة جميعا. وقوله (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) ف (إذ) متعلقة بقوله (صاعقة) أي نزلت بهم إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم، منهم من تقدم زمانه ومنهم من تأخر عنه، وقال الفراء: أتت الرسل إياهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم أي وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل فيكون الهاء والميم في خلفهم للرسل، ويكون لهم بجعل ما خلفهم ما معهم. وقال قوم: معناه قبلهم وبعد أن بلغوا وتعبدوا بأمر الرسل الذين تقدموهم، قال البلخي: ويجوز أن يكون المراد أتتهم اخبار الرسل من ههنا وههنا مع ما جاءهم منهم (ألا تعبدوا إلا الله) أي أرسلناهم بأن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وألا يشركوا بعبادته غيره، فقال المشركون عند ذلك (لو شاء ربنا) أن نؤمن ونخلع الأنداد " لا نزل ملائكة " يدعوننا إلى ذلك ولم يبعث بشرا مثلنا، فكأنهم انفوا من الانقياد لبشر مثلهم وجهلوا أن الله يبعث الأنبياء على ما يعلم من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بها وقالوا لهم أيضا (إنا) معاشر قومنا (بما أرسلتم به) من إخلاص العبادة والتوحيد (كافرون) جاحدون، ثم فصل تعالى اخبارهم فقال (فاما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) أي تجبروا وعتوا وتكبروا على الله بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح (وقالوا من أشد منا قوة) لما كان الله تعالى أعطاهم من فضله قوة تقوى بها على أهل زمانهم، فقال الله تعالى (أو لم يروا)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومعناه أو لم يعلموا (ان الله الذي خلقهم) واخترعهم وخلق فيهم هذه القوة (أشد منهم قوة) وأعظم اقتدارا (وكانوا) مع ذلك (بآيات الله) وأدلته (يجحدون) أي ينكرونها، ولا يعترفون بها.

قوله تعالى:

(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم
لا ينصرون (١٦) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا
الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨) ويوم يحشر أعداء الله إلى النار
فهم يوزعون (١٩) حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع (نحسات) ساكنة الحاء، الباقون بكسرها، لان (نحسات) صفة، تقول العرب، يوم نحس مثل رجل هرم. وقيل: هما لغتان، وقرأ نافع ويعقوب (ويوم نحشر) بالنون كقوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) (١) وقوله (ونجينا الذين آمنوا) بالنون. الباقون بضم الياء على ما لم يسم فاعله، لأنه عطف عليه. قوله (فهم يوزعون) فطابق بينهما.

لما حكى الله عن عاد وثمود انه ارسل إليهم رسلا وأمرهم بعبادة الله وحده

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ١٢٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأن لا يشركوا به شيئا وانهم كفروا بذلك وجحدوه. واخبر انه أهلكهم بأن أرسل عليهم ريحا صرصرا أي شديدا صوته واشتقاقه من الصرير ولذلك ضوعف اللفظ اشعارا بمضاعفة المعنى، يقال صريصر صريرا، وصرصر يصرصر صرصرة وريح صرصر شديد هبوبها. وقال قتادة: يعني باردة وقال السدي: باردة ذات صوت. وقال مجاهد: شديدة السموم. وقيل: أصله صرر قلبت الراء صادا، كما قيل: رده، ورد ده، ونهه ونهنه. وقال رؤية:

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأولى حلم ليس بالمتقه (١)

وكما قيل: كففه وكفكفه، قال النابغة:

اكفكف عبرة غلبت عبراتي * إذا نهنتها عادت ذباحا (٢)

ومنه سمي نهر صرصر لصوت الماء الجاري فيه،

وقوله (في أيام نحسات) قال مجاهد وقتادة والسدي: يعني مشومات، والنحس سبب الشر، والسعد سبب الخير، وبذلك سميت سعود الأيام ونحوسها وسعود النجوم ونحوستها، ومن سكن الحاء خففه، ومن جرها فعلى الأصل.

وقال أبو عبيدة: معناه أيام ذات نحوس أي مشائيم العذاب.

وقوله (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) إخبار منه تعالى انه إنما يفعل بهم ذلك ليذيقهم حال الهوان في الدنيا، والخزي الهوان الذي يستحيا منه خوفا من الفضيحة، يقال: خزي يخزي خزيا وأخزاه الله إخزاء فهو مخزي.

ثم بين تعالى ان عذاب الآخرة أخزى وأفضح من ذلك فقال (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) أي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم.

ثم قال تعالى (واما ثمود فهديناهم) فالذي عليه القراء رفع الدال، وقرأ

---

(١) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٩، ٦٠

(٢) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٩، ٦٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحسن بالنصب على تقدير هدينا ثمود هديناهم، والرفع أجود، لان (اما) لا يقع بعدها إلا الأسماء، فالنصب ضعيف. والمعنى واما ثمود دللناهم على طريق الرشاد فعدلوا عنها إلى طريق الغي والفساد، والهدي يتصرف على وجوه بيناها في ما مضى. وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد: معناه بينا لهم، وإنما لم يصرف ثمود لأنه اسم القبيلة أو الأمة، وهو معرفة. وإنما رفع لان (أما) رفع الاسم بعدها أولى.

وقوله (فاستحبوا العمى على الهدى) معناه اختاروا العمى على طريق الحق والاهتداء إليها وبئس الاختيار ذلك - وهو قول الحسن.

وفى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة في أن الله يضل الكفار عن الدين ولا يهديهم إليه لأنه صرح بأنه هدى ثمود إلى الدين وانهم اختاروا العمى على الهدى، وذلك واضح لا اشكال فيه. وقوله (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ارسل عليهم الصاعقة التي بعثها للعذاب دون غيره، والهون والهوان واحد - في قول أبي عبيدة - وقال السدي: معناه الهوان (بما كانوا يكسبون) أي جزاء على ما كسبوه من الشرك والكفر.

وقوله (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اخبار من الله تعالى انه خلص من جملتهم من آمن بالله واتقى معاصيه خوفا من عقابه نجاهم الله من ذلك العذاب. ثم قال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله) يبعثون وهو يوم القيامة. فمن قرأ بالنون فعلى الاخبار من الله عن نفسه بذلك. ومن قرأ بالياء المضمومة فعلى انهم يبعثون ويجمعون إلى النار (فهم يوزعون) أي يمنعون من التفرق ويحبسون ويكفون، يقال: وزعت الرجل إذا منعته، ومنه قول الحسن لابد للناس من وزعة وقوله (أوزعني) أي الهمني. وقول الشاعر:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وإني بها باذا المعارج موزع
ويروى موزع (حتى إذا ما جاؤها) معناه حتى إذا أتي هؤلاء الكفار النار،
وأراد الله إلقاءهم فيها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)
وقيل: في شهادة هذه الجوارح قولان:
أحدهما - انها تبنى بنية حي وتلجأ إلى الشهادة والاعتراف بما فعله أصحابها.
والآخر - ان يفعل فيها الشهادة ويضاف إليها مجازا.
ووجه ثالث - قال قوم: إنه يظهر فيها امارات تدل على كون أصحابها
مستحقين للنار، فسمى ذلك شهادة مجازا. كما يقال: عيناك تشهد بسهرك أي
فيها ما يدل على سهرك. وقيل: المراد بالجلود الفروج، على طريق الكناية. وقيل:
لا: بل الجلود المعروفة وهو الظاهر.
قوله تعالى:
(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله
الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١)
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (٢٢)
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من
الخاسرين (٢٣) فان يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم
من المعتبين (٢٤) وقيضنا لهم قرناء فزينوا له ا بين أيديهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من
الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
هذا حكاية من الله من الكفار في الآخرة بعد ما شهدت عليهم أبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون من المعاصي في دار الدنيا أنهم يقولون (لجلودهم لم
شهدتم علينا) منكرين عليهم إقامة تلك الشهادة. وقيل: اشتقاق الجلد من
التقوية من قولهم: فلان يتجلد على كذا، وهو جلد أي قوي، فتقول جلودهم في
الجواب عن ذلك (أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) فالانطاق جعل القادر على
الكلام ينطق إما بالالجاء إلى النطق أو الدعاء إليه. فهؤلاء يلجئهم الله إلى أن
ينطقوا بالشهادة. والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام، ولذلك لا يوصف تعالى
بأنه ناطق، وإن وصف بأنه متكلم. ومعنى (أنطق كل شئ) أي كل شئ
لا يمتنع منه النطق كالاعراض والموات، والفائدة في الاخبار عنهم بذلك التحذير
من مثل حالهم في ما ينزل بهم من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم بما كانوا
يعملون من الفواحش. فلم يكن عندهم في ذلك أكثر من هذا القول الذي لا ينفعهم
وقال قوم: إن الجوارح تشهد عليهم حين يجحدون ما كان منهم.
وقوله (وهو خلقكم أول مرة) اخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذي
حلقهم في الابتداء (واليه ترجعون) في الآخرة إلى حيث لا يملك أحد النهي
والامر سواه.
وقوله (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم)
قال مجاهد (وما كنتم تستترون) أي تتقون. وقال السدي: معناه لم تكونوا
في دار الدنيا تستخفون عن معاصي الله بتركها. وقيل: إن الآية نزلت في ثلاثة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نفر تساروا، فقال بعضهم لبعض: أترى الله يسمع أسرارنا؟ وقال الفراء: معناه لم تكونوا تخافون ان تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها ولم تكونوا تقدروا على الاستتار منها، ويكون على وجه التغيير أي ولم تكونوا تستترون منها.

وقوله (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها، فبين الله بذلك جهلهم به تعالى، وانهم وإن علموه من جهة انه قادر غير عاجز وعالم بما فعلوا فإذا ظنوا انه يخفى عليه شئ منها فهو جاهل على الحقيقة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي قراءة عبد الله (ولكن زعمتم) قال الفراء: الزعم والظن يكونان بمعنى واحد وقد يختلفان.

ثم حكى ما يخاطبهم به فإنه يقال لهم (وذلكم ظنكم) معاشر الكفار (الذي ظننتم بربكم أرادكم) أي أهلككم يقال: ردى فلن يردى إذا هلك قال الأعشى:

أي الطوف خفت علي الردى * وكم من رد أهله لم يرم (١)

وقوله (فأصبحتم من الخاسرين) معناه فظللتم من جملة من خسر في تجارته لأنكم خسرتم الجنة وحصل لكم النار. ثم قال (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) قال البلخي: معناه فان يتخيروا المعاصي فالنار مصير لهم، وقال قوم: معناه وإن يصبروا في الدنيا على المعاصي فالنار مثواهم (وإن يستعتبوا) - بضم الياء - قرأ به عمرو ومعناه إن طلب منهم العتبى لم يعتبوا أي لم يرجعوا ولم ينزعوا.

وقال قوم: المعنى فان يصبروا أو يجزعوا فالنار مثوى لهم، (وإن يستعتبوا) معناه فان يجزعوا فيستعتبوا (فما هم من المعتبين) لأنه ليس يستعتب إلا من قد جزع مما قد اصابه، فطلب العتبى حينئذ، كما قال (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا

---

(١) ديوانه (دار بيروت) ٢٠٠ وقد مر في ٨ / ٤٩٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سواء عليكم) (١) ومعنى الآية (فان يصبروا) على ما هم فيه فمقامهم في النار (وإن يستعتبوا) أي وإن يطلبوا العتبي وهي الرضا (فما هم من المعتبين) أي ليس بمرضي عنهم، لان السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الاعتاب، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل.

وقوله (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) قال الحسن: معناه خلينا بينهم وبين الشياطين الذين أغووهم ودعوهم إلى ما استوجبوا العقاب به، ولم نمنعهم منهم، جزاء على ما استحقوه من الخذلان، فمعنى (قيضنا) خلينا ومكنا. قال الجبائي: (التقييض) إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، وكحاجة الغني إلى الفقير يستعمله وحاجة الفقير إلى أن يستعمله الغني وغير ذلك من احواج بعضهم إلى بعض. وقال قوم: التقييض المماثلة، والمقايضة المقايسة، قال الشماخ:

تذكرت لما اثقل الدين كاهلي * وغاب يزيد ما أردت تعذرا
رجالا مضوا عني فلست مقايضا * بهم أبدا من سائر الناس معشرا

فالمعنى على هذا إنا نضم إلى كل كافر قرينا له من الجن مثله في الكفر في نار جهنم كما قال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) (٢) ومعنى (فزينوا لهم) يعني فعل أهل الفساد الذين في زمانهم، وفعل من كان قبلهم، وقيل (ما بين أيديهم) من أمر الدنيا (وما خلفهم) من أمر الآخرة - في قول الحسن والسدي - وذلك بدعائهم إلى أنه لا بعث ولا جزاء. وقال الفراء (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة، فقالوا: لا جنة ولا نار

---

(١) سورة ٥٢ الطور آية ١٦
(٢) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولا بعث ولا حساب (وما خلفهم) من امر الدنيا فزينوا لهم اللذات وجمع الأموال وترك انفاقها في سبيل الله. وقيل: زينوا لهم اعمالهم التي يعملونها، وهي (ما بين أيديهم) وزينوا لهم ما عزموا عليه أن يعملوه وهو (ما خلفهم).

وقوله (وحق عليهم القول) يعني وجب عليهم القول بتصييرهم إلى العذاب الذي كان اخبر انه يعذب به من عصاه (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) أي حق على هؤلاء الكفار وعلى أمم من الجن والإنس انهم متى عصوا الله حق القول بأنهم يعاقبون. ثم قال تعالى (انهم كانوا خاسرين) خسروا الجنة وحصلت لهم النار.

قوله تعالى:

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء
الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨)
وقال الدين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس
نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩) إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشر بالجنة التي كنتم توعدون) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حكى الله تعالى عن الكفار انهم يقول بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذي يقرؤه محمد صلى الله عليه وآله ولا تصغوا إليه (والغوا فيه) لكي تغلبوه، ويجوز ان تغلبوه فاللغو هو الكلام الذي لا معنى له يستفاد، وإلغاء الكلمة إسقاط عملها، ويقال: لغا يلغو لغوا، ولغا، قال الراجز:

عن اللغا ورفث التكلم (١)

وإذا كانت جملة الكلام لغوا لا فائدة فيه لم يحسن وإذا كان تأكيدا لمعنى تقدم - وإن لم يكن له معنى في نفسه مفرد - حسن لأنه يجري مجرى المتمم للكلمة التي تدل معها على المعنى، وإن لم يكن له معنى في نفسه. وقال مجاهد: قالوا خلطوا عليهم القول بالمكاء والصفير، وقال غيره: هو الضجيج والصياح، وأقسم تعالى فقال (فلنذيقن الذين كفروا) بالله وجحدوا آياته (عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) قيل: معناه أسوأ الذي كانوا يعملون من المعاصي من جملة ما كانوا يعملون دون غيرها مما لا يستحق به العقاب. وقال قوم: خص بذلك الكبائر - زجرا وتغليظا - بعينها. واقتصر في الصغير على الجملة في الوعيد. ثم قال (ذلك) يعني ما تقدم الوعيد به (جزاء أعداء الله) الذين عادوه بالعصيان وكفروا به، وعادوا أولياءه: من الأنبياء والمؤمنين وهي (النار) والكون فيها. ف (النار) رفع بأنه بدل من قوله (ذلك) جزاؤهم وهو دخولهم فيها (لهم فيها دار الخلد) أي منزل دوام وتأبيد (جزاء) لهم وعقوبة على كفرهم به تعالى في الدنيا وجحدهم لآياته. قال الفراء: هو كقولهم: لأهل الكوفة فيها دار صالحة، والدار هي الكوفة، وحسن ذلك لما اختلف لفظاهما، فكذلك قوله (ذلك جزاء أعداء الله النار) ثم قال (لهم فيها دار الخلد) وهي النار بعينها.

---

(١) مر في ٢ / ١٣٢، ١٦٤، ٢٣٠ و ٧ / ١٣٨ و ٨ / ١٦٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وفي قراءة عبد الله (ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد)، فهذا بين لا شئ فيه لان الدار هي النار، فأعداء الله العصاة الذين يعاديهم الله - عز وجل - وليس هو من عداوة الانسان لغيره إلا أن يراد به أنه يعمل عمل المعادي، كما قال (يخادعون الله والذين آمنوا..) (١).

ثم حكى ما يقول الكفار أيضا، فإنهم يقولون (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس) قيل: أراد به إبليس الأبالسة وهو رأس الشياطين، وابن آدم الذي قتل أخاه، وهو قابيل. روي ذلك عن علي عليه السلام، لان قابيل أسس الفساد في ولد آدم. وقيل: هم الدعاة إلى الضلال من الجن والإنس.

وقوله (نجعلهما تحت أقدامنا) انهم لشدة عداوتهم وبغضهم لهم بما أضلوهم وأغووهم يتمنون ان يجعلوهما تحت اقدامهم ويطؤهم (ليكونا من الأسفلين) وقيل: المعنى فيكونا في الدرك الأسفل من النار.

وقوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) اخبار منه تعالى أن الذين يقرون بلسانهم بتوحيد الله ويصدقون أنبياءه ويعترفون بالله (يقولون ربنا الله ثم استقاموا) أي استمروا على ما توجبه الربوبية. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: معناه ثم استقاموا على طاعة الله (تتنزل عليهم الملائكة) قال مجاهد والسدي: يعني عند الموت. وقال الحسن: تتنزل عليهم الملائكة تستقبلهم إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة. ويقولون لهم (لا تخافوا) عقاب الله " ولا تحزنوا " لفوات الثواب (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها في دار الدنيا جزاء على الطاعات. وموضع (أن لا تخافوا) النصب وتقديره تتنزل عليهم والملائكة بأن لا تخافوا، فلما حذف الباء نصب، وفي قراءة عبد الله (لا تخافوا) بلا (أن)

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قبلها، وتقديره يقولون لهم: لا تخافوا، وقال مجاهد: معنى لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما تخلفونه في دار الدنيا. وقيل البشرى في ثلاثة مواضع: عند الموت، وفي القبر، وفي البعث.

قوله تعالى:

(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢) ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى أن الملائكة تتنزل على المؤمنين المستقيمين على طاعة الله التاركين لمعصيته وتبشرهم بالجنة وتؤمنهم من عقاب الله. ذكر أيضا انهم يقولون لهم مع ذلك (نحن أولياؤكم) وهو جمع ولي أي أنصاركم وأحباؤكم في الحياة الدنيا وأولياؤكم أيضا في الآخرة، ففي ذلك البشارة للمؤمنين بمودة الملائكة لهم وفي الآية بشارة لهم بنيل مشتهاهم في الجنة. وتفيد الآية وجوب اعتقاد تودد الملائكة إلى من كان مستقيما على طاعاته. وفيها حجة على شرف الاستقامة بالطاعة على كل ما عداه من أعمال العباد يتولى الملائكة لصاحبه من اجله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) يعني ما تشتهونه وتتمنونه من المنافع ما تدعي انه لك فهو لك بحكم الله لك بذلك. وقوله (نزلا من غفور رحيم) تقديره أنزلكم ربكم في ما تشتهون من النعمة نزلا. فيكون نصبا على المصدر. ويجوز أن يكون نصبا على الحال، وتقديره: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلا كما تقول: جاء زيد مشيا تريد ماشيا. وقال الحسن (نزلا من غفور رحيم) ليس منا. وقيل: معناه إن هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة لمعطيه بعد ان غفر الذنب حتى صار بمنزلة ما لم يكن رحمة منه لعباده فهو أهنأ لك واكمل للسرور به.

وقوله " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين " صورته صورة الاستفهام، ونصب " قولا " على التفسير، ومعناه النفي وتقديره وليس أحد أحسن قولا ممن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الاعمال الصالحات، ويقول مع ذلك إنني من المسلمين الذين استسلموا لامر الله وانقادوا إلى طاعته. وقيل: المعني بالآية النبي صلى الله عليه وآله لأنه الداعي إلى الله. وروي أنها نزلت في المؤذنين. وفى الآية دلالة على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله من أصحاب عبد الله بن مسعود، لأنه لا أحد أحسن قوله منه، فيجب عليه أن يقول: إني مسلم ويقطع في الحكم إذا لم يكن فاسقا.

ثم قال " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة " أي لا يتماثلان، ودخلت (لا) في " ولا السيئة " تأكيدا. وقيل: دخلت لتحقيق انه لا يساوي ذا ذاك، ولا ذاك ذا، فهو تبعيد المساواة.

وقوله " أدفع بالتي هي أحسن " أمر للنبي صلى الله عليه وآله ان يدفع بالتي هي أحسن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل: معنى الحسنة - ههنا - المداراة. والسيئة المراد بها الغلظة. فأدب الله تعالى عباده بهذا الأدب. ثم قال " فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " معناه دار القوم ولا تغلظ عليهم حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك من حسن عشرتك له وبشرك له. ويدعو ذلك أيضا عدوك إلى أن يصير لك كالولي الحميم. وقيل: المراد ان من أساء إليك فأحسن إليه ليعود عدوك وليك. وكأنه حميمك. والحميم القريب الذي يحم لغضب صاحبه.

وقوله " وما يلقاها إلا الذين صبروا " معناه ما يعطى هذه الخصلة في رفع السيئة بالحسنة إلا ذو نصيب في الخير عظيم. وقيل: معناه وما يلقاها يعني البشرى بالجنة والأمان من العذاب إلا الذين صبروا على طاعة الله والجهاد في دينه " وما يلقاها " أيضا " إلا ذو حظ عظيم " من الثواب والخير وقد لقي الله تعالى جميع الخلق مثل ما لقي من صبر، غير أن فيهم من لم يتلقه كما يتلقاه من صبروا وقبلوا ما أمرهم الله به.

قوله تعالى:

(وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو
السميع العليم (٣٦) ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن
كنتم إياه تعبدون (٣٧) فان استكبروا فالذين عند ربك
يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون (٣٨) ومن آياته أنك
ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شئ قدير (٣٩) إن الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم
من يأتي آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون
بصير) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.
قوله " واما ينزغنك " أصله (إن) التي للشرط وزيد عليها (ما) تأكيدا
فأشبه ذلك القسم، فلذلك دخلت نون التأكيد في قوله " ينزغنك " كما تقول:
والله ليخرجن. والنزغ النخس بما يدعوا إلى الفساد ومنه قوله " من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي " (١) فنزغ الشيطان وسوسته ودعاؤه إلى معصية الله
بايقاع العداوة بين من يجب موالاته، يقال نزغ ينزغ نزغا فهو نازغ بين رجلين.
وفلان ينزغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب. والمعنى وإن
ما يدعوك إلى المعاصي نزغ من الشيطان بالاغواء والوسوسة " فاستعذ بالله " ومعناه
اطلب الاعتصام من شره من جهة الله واحذر منه وامتنع من جهته بقوة الله، فنحن
نستعيذ بالله من شر كل شيطان وشر كل ذي شر من انس وجان.
وقوله " إنه هو السميع العليم " يعني انه سميع لأقوالكم من الاستعاذة
وغيرها عليم بضمائركم قادر على إجابة دعائكم وقوله " ومن آياته الليل والنهار
والشمس والقمر " معناه ومن أدلته وحججه الباهرة الدالة على توحيده وصفاته
التي باين بها خلقه الليل بذهاب الشمس عن بسيط الأرض والنهار بطلوعها على وجهها
بالمقادير التي أجريا عليه ورتبا فيه بما يقتضي تدبير عالم بهما قادر على تصريفهما،

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ١٠٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لان ذلك لا يقدر عليه غير الله. والشمس والقمر وجه الدلالة فيهما أن الاجرام الثقيلة لا تقف بغير عمد ولا تتصرف على غير قرار ولا عماد إلا أن يصرفهما قادر ليس كالقادرين من الأجسام التي تحتاج في نقلها وتمسكها إلى غيرها، وكل جسم ثقيل يصرف من غير عماد فمصرفه هو الله تعالى. والافعال الدالة على الله تعالى على وجهين:

أحدهما - مالا يقدر عليه إلا هو كخلق الحياة والقدرة والأجسام وغير ذلك والآخر - أنه إذا وقع على وجه مخصوص لا يتأتى من القادر بقدرة وإن كان جنسه مقدورا للعباد كتسكين الأرض من غير عمد وتصرف الشمس والقمر بكونها مرة صاعدة ومرة هابطة ومرة طالعة ومرة غاربة مع ثقل أجرامهما وبعدهما من عماد

لها أعظم دلالة على أن لهما مصرفا ومدبرا لا يشبههما ولا يشبهه شئ. قال تعالى " لا تسجدوا

للشمس ولا للقمر " كما يفعل قوم من المجوس بل " اسجدوا لله الذي خلقهن " وأنشأهن. وإنما قال " خلقهن " لأنه أجري مجرى جمع التكسير، ولم يغلب المذكر على المؤنث، لأنه في مالا يعقل. وقال الزجاج: تقديره الذي خلق هذه الآيات " إن كنتم إياه تعبدون " أي ان كنتم تقصدون بعبادتكم الله فوجهوا العبادة إليه دون الشمس والقمر. ثم قال " فان استكبروا " يعني هؤلاء الكفار أي تكبروا عن توجيه العبادة إلى الله وأبوا إلا عبادة الأصنام " فالذين عند ربك " يعني من الملائكة " يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون " أي لا يفترون من عبادته ولا يملونه. والسجود عند أصحابنا عند قوله " إن كنتم إياه تعبدون " وهو مذهب أبي عمرو بن العلا. وعند الباقين عند قوله " وهم لا يسأمون ".

ثم قال تعالى " ومن آياته " أي من أدلته الدالة على توحيده وإخلاص العبادة له " إنك ترى الأرض خاشعة " يعني دارسة مهشمة - في قول قتادة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والسدي - والخاشع الخاضع فكان حالها حال الخاضع المتواضع " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت " أي تحركت بالنبات " وربت " قال السدي: معناه انفتحت وارتفعت قبل ان تنبت. وقرئ " ربأت " بمعنى عظمت، ومعنى ربأت ارتفعت - ذكره الزجاج - ثم قال " إن الذي أحياها " يعني من أحيا الأرض بما أنزله من الماء حتى تنبت " لمحيي الموتى " مثل ذلك بعد ان كانوا أمواتا ويرد فيها الأرواح، لأنه قادر على ذلك. ومن قدر على ذلك قدر على هذا، لأنه ليس أحدهما بأعجب من الآخر " انه على كل شئ قدير " يصح أن يكون مقدورا له، وهو قادر لا تتناهى مقدوراته.
ثم قال " إن الذين يلحدون في آياتنا " معناه الذين يميلون عن الحق في أدلتنا يقال: الحد يلحد إلحادا. وقيل: لحد يلحد أيضا. وقال مجاهد: معناه ما يفعلونه من المكاء والصفير. وقال أبو روق: يعني الذين يقعون فيه " لا يخفون علينا " بل نعلمهم على التفصيل، لا يخفى علينا شئ من أحوالهم.
ثم قال على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم " أفمن يلقى في النار " جزاء على كفره ومعاصيه " خير أم من يأتي آمنا " من عذاب الله جزاء على معرفته بالله وعمله بالطاعات. ثم قال " اعملوا ما شئتم " ومعناه التهديد وإن كان بصورة الامر، لأنه تعالى لم يخيرنا، ويجبنا أن نفعل ما شئنا، بل نهانا عن القبائح كلها. ثم قال " إنه بما تعملون بصير " أي عالم بأفعالكم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم بحسبها.
قوله تعالى:
(إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد (٤٢) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك
إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣) ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم
عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (٤٤) ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
وإنهم لفي شك منه مريب) (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ " أعجمي وعربي " على الخبر حفص والحلواني عن هشام وابن مجاهد عن قنبل في غير رواية ابن الحمامي عن بكار. الباقون بهمزتين. وحففهما أهل الكوفة إلا حفصا وروح. والباقون بتخفيف الأولى وتليين الثانية. وفصل بينهما بألف أهل المدينة إلا ورشا وأبو عمر. ومن قرأ بلفظ الاستفهام أراد الانكار، فادخل حرف الاستفهام على الف " أعجمي " وهي الف قطع. ومن حققها، فلأنها الأصل. ومن خففهما أو فصل بينهما فلكراهة اجتماع الهمزتين. ومن قرأ على الخبر، فالمعنى هلا كان النبي عربيا والقرآن أعجميا. والنبي أعجميا والقرآن عربيا، فكان يكون ابهر في باب الاعجاز.

يقول الله تعالى مخبرا " إن الذين كفروا بالذكر " الذي هو القرآن وجحدوه وسمي القرآن ذكرا، لأنه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية إلى الحق، والمعاني التي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يعمل عليها فيه. واصل الذكر ضد السهو وهو حضور المعنى للنفس " لما جاءهم " أي حين جاءهم، وخبر (ان) محذوف، وتقديره: إن الذين كفروا بالذكر هلكوا به وشقوا به ونحوه. وقيل تقديره: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به، فحذف لدلالة الكلام عليه. وقيل خبره " أولئك ينادون من مكان بعيد " وقيل قوله " وانه لكتاب عزيز " في موضع الخبر، وتقديره الكتاب الذي جاءهم عزيز، وقوله " وإنه " الهاء كناية عن القرآن، والمعنى وإن القرآن لكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على أن يأتي بمثله، ولا يقاومه في حججه على كل مخالف فيه. وقيل: معناه إنه عزيز باعزاز الله - عز وجل - إياه إذ حفظه من التغيير والتبديل. وقيل: هو عزيز حيث جعله على أتم صفة الاحكام. وقيل: معناه انه منيع من الباطل بما فيه من حسن البيان ووضوح البرهان، ولان احكامه حق يقضي بصحتها العقل.

وقوله " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " قيل في معناه أقوال خمسة:

أحدها - انه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة وهو الحق المخلص والذي لا يليق به الدنس.

والثاني - قال قتادة والسدي: معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا.

الثالث - ان معناه لا يأتي بشئ يوجب بطلانه مما وجد قبله ولا معه ولا مما يوجد بعده. وقال الضحاك: لا يأتيه كتاب من بين يديه يبطله ولا من خلفه أي ولا حديث من بعده يكذبه.

الرابع - قال ابن عباس: معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره.

والخامس - ان معناه لا يأتيه الباطل في اخباره عما تقدم ولا من خلفه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولا عما تأخر.
ثم وصف تعالى القرآن بأنه " تنزيل من حكيم حميد " فالحكيم هو الذي افعاله كلها حكمة فيكون من صفات الفعل، ويكون بمعنى العالم بجميع الأشياء واحكامها فيكون من صفات الذات. و (الحميد) هو المحمود الذي يستحق الحمد والشكر على جميع افعاله لان افعاله كلها نعمة يجب بها الشكر.
وقوله " ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك " قيل في معناه أقوال:
أحدها - من الدعاء إلى الحق في عبادة الله تعالى ولزوم طاعته.
والثاني - ما حكاه تعالى بعده من " ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم " فيكون على جهة الوعد والوعيد.
والثالث - قال قتادة والسدي: وهو تعزية للنبي صلى الله عليه وآله بأن ما يقول لك المشركون مثل ما قال من قبلهم من الكفار لأنبيائهم من التكذيب والجحد لنبوتهم.
وقوله " إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم " أي وقد يفعل العقاب بالعصاة من الكفار قطعا ومن الفساق على تجويز عقابهم، فلا ينبغي ان يغتروا ويجب عليهم أن يتحرزوا بترك المعاصي وفعل الطاعات.
ثم قال تعالى " ولو جعلناه " يعني الذكر الذي قدم ذكره " قرآنا أعجميا " أي مجموعا بلغة العجم، يقال: رجل أعجمي إذا كان لا يفصح وإن كان عربي النسب، وعجمي إذا كان من ولد العجم وإن كان فصيحا بالعربية. قال أبو علي: يجوز ان يقال: رجل أعجمي يراد به أعجم بغير ياء كما يقال: أحمري واحمر، ودواري ودوار " قالوا لولا فصلت آياته " ومعناه هلا فصلت آياته وميزت. وقالوا " أعجمي وعربي " أي، قالوا القرآن أعجمي ومحمد عربي - ذكره سعيد بن جبير - وقال السدي: قالوا أعجمي وقوم عرب. ومن قرأ على الخبر حمله على أنهم يقولون ذلك

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مخبرين. ومن قرأ على الاستفهام أراد انهم يقولون ذلك على وجه الانكار، وإنما قوبل الأعجمي في الآية بالعربي، وخلاف العربي العجمي لان الأعجمي في أنه لا يبين مثل العجمي عندهم من حيث اجتمعا في أنهما لا يبينان، قوبل به العربي في قوله " أعجمي وعربي " وحكى ان الحسن قرأ " أعجمي " بفتح العين قابل بينه وبين قوله " وعربي " فقال الله تعالى لنبيه " قل " لهم يا محمد " هو " يعني القرآن " للذين آمنوا " بالله وصدقوا بتوحيده وأقروا بنبوة نبيه " هدى " يهتدون به " وشفاء " من سقم الجهل " والذين لا يؤمنون " بالله ولا يصدقون بتوحيده " في آذانهم وقر " يعني ثقل إذ هم بمنزلة ذلك من حيث لم ينتفعوا بالقرآن فكأنهم صم أو في آذانهم ثقل " وهو عليهم عمى " حيث ضلوا عنه وجاروا عن تدبيره فكأنه عمى لهم. وقوله " أولئك ينادون من مكان بعيد " على وجه المثل، فكأنهم الذين ينادون من مكان بعيد ويسمعوا الصوت ولا يفهموا المعنى من حيث لم ينتفعوا به. وقال مجاهد: لبعده عن قلوبهم. وقال الضحاك: ينادون الرجل في الآخرة كبأشنع أسمائه، وقيل: معناه أولئك لا يفهمون ذلك كما يقال لمن لا يفهم شيئا: كأنك تنادى من مكان بعيد.

ثم اقسم تعالى بأنه آتى " موسى الكتاب " يعني التوراة " فاختلف فيه " لأنه آمن به قوم وجحدوه آخرون، تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عن جحود قومه وإنكارهم

نبوته. ثم قال " ولولا كلمة سبقت من ربك " في أنه لا يعاجلهم بالعقوبة وانه يؤخرهم إلى يوم القيامة " لقضي بينهم " أي لفصل بينهم بما يجب من الحكم. ثم اخبر عنهم فقال: وإنهم لفي شك منه " يعني مما ذكرناه " مريب " يعني أقبح الشك لان الريب أفظع الشك. وفى ذلك دلالة على جواز الخطأ على أصحاب المعارف لأنه تعالى بين انهم في شك وانهم يؤاخذون مع ذلك.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك
بظلام للعبيد (٤٦) إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات
من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم
أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد (٤٧) وضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص (٤٨) لا يسئم
الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط (٤٩) ولئن
أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة
قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) (٥٠) خمس
آيات بلا خلاف.
قرأ أهل المدينة وابن عار وحفص " ثمرات " على الجمع. الباقون
" ثمرة " على التوحيد من قرأ على الجمع فلاختلاف أجناس الثمار، ولأنه في المصاحف
مكتوبا بتاء ممدودة. ومن وحده قال: الثمرة تفيد الجمع والتوحيد فلا يحتاج إلى
الجمع، لأنه في مصحف عبد الله مكتوب بالهاء، و " الأكمام " جمع (كم) في قول
الفراء، و (كمة) في قول أبي عبيدة. وهي الكفرى. قال ابن خالويه: يجوز أن
يكون (الأكمام) جمع (كم) و (كم) جمع كمة، فيكون جمع الجمع.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يقول الله تعالى " من عمل صالحا " أي فعل افعلا هي طاعة " فلنفسه " لان ثوابه واصل إليه، وهو المنتفع به دون غيره " ومن أساء " يعني فعالا فعلا قبيحا، من الإساءة إلى غيره أو غيرها " فعليها " أي فعلى نفسه لان وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره.

ثم قال تعالى على وجه النفي عن نفسه مالا يليق به من فعل القبيح والتمدح به " وما ربك " أي وليس ربك " بظلام للعبيد " وإنما قال (بظلام) على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه مع أنه لا يفعل مثقال ذرة لامرين:

أحدهما - انه لو فعل فاعل الظلم، وهو غير محتاج إليه مع علمه بقبحه وبأنه غني لكان ظلاما، وما هو تعالى بهذه القصة لأنه غني عالم.

الثاني - إنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يفعل ظلم العباد. فقال: ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال، فيأخذ أحدا بذنب غيره، والظلام هو الفاعل لما هو من أفحش الظلم. والظالم من فعل الظلم، وظالم صفة ذم، وكذلك قولنا فاعل الظلم هما سواء، وكذلك آثم فاعل الاثم، وسيئ فاعل الإساءة.

وقوله " إليه يرد علم الساعة " معناه إليه يرد علم الساعة التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي فاحذروها قبل ان تأتي، كما يرد إليه علم إخراج الثمار وما يكون من الأولاد والنتاج، فذاك غائب عنكم وهذا مشاهد لكم، وقد دل عليه ولزم، وكل من سئل متى قيام الساعة؟ وجب أن يقول: الله تعالى العالم به حتى يكون قد رده إلى الله " وما يخرج من ثمرة من أكمامها " معناه وعنده علم ذلك. وأكمام الثمرة وعائها الذي تكون فيه. وقيل: الآكمام جمع كمة، وهو الطرف المحيط بالشئ. وقال الحسن: الآكمام - ههنا - ليف النخيل. وقيل: من أكمامها معناه خروج الطلع من قشره " وما تحمل من أنثى وما تضع إلا بعلمه " أي وعنده

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعالى علم ما تحمله كل أنثى من حمل ذكرا كان أو أنثى ولا تضع الأنثى إلا بعلمه أي إلا في الوقت الذي علمه انه تضع فيه.
وقوله (ويوم يناديهم أين شركائي) أي ويوم يناديهم مناد أين شركاء الله الذين كنتم تعبدونهم من دون الله (قالوا أذناك ما منا من شهيد) معناه إنهم يقولون أعلمناك ما منا من شهيد لمكانهم. ثم بين ذلك فقال (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص) قال السدي: معناه أيقنوا وقال ابن عباس أذناك معناه أعلمناك. وقيل المنادي هو الله تعالى، وقال السدي: ما منا من شهيد ان لك شريكا. وقيل: معناه أذناك أقررنا لك ما منا من شهيد بشريك له معك. وقيل قوله أذناك من قول المعبودين ما منا من شهيد لهم بما قالوا: وقيل هذا: من قول العابدين ما منا من شهيد بأنهم آلهة. وقال آخرون: يجوز أن يكون العابدون والمعبودون يقولون ذلك.
وقوله (وظنوا مالهم من محيص) أي أيقنوا ليس لهم من مخلص.
ودخل الظن على (ما) التي للنفي كما تدخل (علمته) على لام الابتداء، وكلاهما له صدر الكلام.
وقوله (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أي لا يمل الانسان من طلب المال وصحة الجسم - وهو قول ابن زيد - وقال بعضهم: معناه لا يمل الانسان من الخير الذي يصيبه (وإن مسه الشر) أي إن ناله بذهاب مال أو سقم في جسمه (فيؤس قم ط) أي يقنط من رحمة الله وييأس من روحه، ففي ذلك إخبار عن سرعة؟ الانسان وتنقله من حال إلى حال. ثم قال تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا) يعني لئن أذقنا الانسان نعمة وأنلناه إياها (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة لحقته (ليقولن هذا لي) قال مجاهد: يقول أنا حقيق بهذا الفعل (وما

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي ان لي عند للحسنى) أي لو قامت لكان لي الحسني يعني الجنة. فقال الله تعالى على وجه التهديد لمن هذه صفته (فلننبئن الذين كفرا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أي فلنجزين الكفار بعد ان نعلمهم ما عملوه من كفرهم ومعاصيهم ثم نجازيهم عليها بأن نذيقهم من عذاب غليظ قدر ما يستحقونه.

قوله تعالى:

(وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه
الشر فذو دعاء عريض (٥١) قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم
كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٥٢) سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف
بربك أنه على كل شئ شهيد (٥٣) ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم
ألا إنه بكل شئ محيط) (٥٤) أربع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى عن جهل الانسان الذي تقدم وصفه بمواضع نعم الله وما يجب عليه من الاعتراف بشكره، بتركه النظر المؤدي إلى معرفته، فقال (وإذا أنعمنا على الانسان) بنعمة من اعطاء مال أو ولد أو صحة جسم (اعرض) عن القيام بشكر الله على ذلك حسب ما يلزمه (ونآء بجانبه) أي بعد بجانبه كبرا وتجبرا عن الاعتراف بنعم الله. وقيل: معناه وبعد عن الواجب (وإذا مسه الشر) يعني إذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس (فذو دعاء عريض) قال السدي يدعو

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله كثيرا عند ذلك. وإنما قال (فذو دعاء عريض) ولم يقل: طويل، لأنه أبلغ، لان العرض يدل على الطول، ولا يدل الطول على العرض إذ قد يصح طويل ولا عرض له. ولا يصح عريض ولا طول له، لان العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول الامتداد في أي جهة كان.

وفى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: انه ليس الله على الكافر نعمة، لأنه اخبر تعالى بأنه ينعم عليه وانه يعرض عن موجبها من الشكر وفي دعائه عند الشدة حجة عليه، لأنه يجب من اجل قلة صبره على الشدة ان يشكر برفعها عنه إلى النعمة، فقال الله تعالى لهم على وجه الانكار عليهم (قل أرأيتم إن كان) هذه النعمة (من عند الله وكفرتم به) أي وجحدتموه (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي في مشاقة الله بخلافه له بعيد عن طاعته. والشقاق المبل إلى شق العداوة لا لأجل الحق كأنه قال لا أحد أضل ممن هو في شقاق بكفره، وبه يذم من كان عليه، كما قال علي عليه السلام (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ، الأخلاق) وقيل: الشقاق فراق الحق إلى العداوة وأهله.

وقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) معناه إن الدلائل في آفاق السماء بسير النجوم وجريان الشمس والقمر فيها بأتم التدبير، وفي أنفسهم جعل كل شئ لما يصلح له من آلات الغذاء ومخارج الأنفاس، ومجاري الدم، وموضع العقل والفكر، وسبب الافهام، وآلات الكلام. وقال السدي: آياتنا في الآفاق بصدق ما يخبر به النبي صلى الله عليه وآله من الحوادث عنها. وفي ما يحدث من أنفسهم، وإذا رأوا ذلك تبينوا وعلموا أن خبره حق، وانه من قبل الله تعالى.

وقوله (أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) أي هو عالم لجميع ذلك والباء زائدة، والتقدير أو لم يكف ربك انه عالم بجميع الأشياء. والمعنى أليس في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله كفاية في معاقبة هؤلاء الكفار على كفرهم إذ كان عالما بكل شئ مشاهدا لجميع ما يفعلونه قادرا على مجازاتهم عليه، وكما أنه شهيد على ذلك هو شهيد على جميع الحوادث ومشاهد لجميعها وعالم بها لا يخفى عليه شئ من موضعها.

وقوله (إنه) يحتمل أن يكون موضعه رفعا ب (يكف) ويحتمل أن يكون جرأ بالباء. وتقديره بأنه على كل شئ شهيد.

ثم قال (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) أي هم في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه، لأنهم في شك من البعث والنشور (ألا انه بكل شئ محيط) أي هو عالم بكل شئ قادر عليه.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٢ - سورة الشورى
مكية في قول قتادة ومجاهد، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وهي ثلاث وخمسون آية في الكوفي، وخمسون في البصري والمدنيين.
بسم الله الرحمن الرحيم
(حم (١) عسق (٢) كذلك يوحي إليك وإلى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم (٣) له ما في السماوات وما في الأرض
وهو العلي العظيم (٤) تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا
إن الله هو الغفور الرحيم) (٥).
خمس آيات في الكوفي وثلاث في ما عداه عد الكوفيون (حم) وعدوا (عسق) ولم يعده الباقون.
قال أبو عبد الله بن خالويه سألت ابن مجاهد، فقلت: إن القاف أبعد من الميم، فلم اظهر حمزة النون عند الميم في (طسم) ولم يظهرها عند القاف في (عسق) فقال والله ما فكرت في هذا قط، قال أبو عبد الله الحجة في ذلك ان (طسم) أول سورة النمل ثم جاءت سورتان فيهما الميم، فبين ليعلم ان الميم زائدة على هجاء

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

السين واتفق أهل الكوفة على أن لم يفردوا السين بين حرفين في الكلام هذا على الأصل. واما الحجة من جهة التخفي، فان النون تدغم في الميم وتخفى عند القاف والمخفي بمنزلة المظهر، فلما كره التشديد في (طسم) اظهروا لما كان المخفي بمنزلة الظاهر ولم يحتج إلى اظهار القاف، قال الفراء: ذكر عن ابن عباس أنه قال (حمسق) بلا عين. وقال السين كل فرقة تكون. والقاف كل جماعة كانت، قال الفراء وكانت في بعض مصاحف عبد الله مثل ذلك. وقرأ ابن كثير وحده (يوحى إليك) بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله، فعلى هذا يكون اسم الله مرتفعا بمحذوف يدل عليه المذكور قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح (١)

أي يبكيه ضارع، فيكون التقدير يوحى إليك يوحي الله. قال أبو علي: ذكر أن مثل هذه السورة أوحى إلى من تقدم من الأنبياء، فعلى هذا يكون التقدير يوحي إليك هذه السورة كما أوحى إلى الذين، وقال الزجاج، والفراء: يقال إن (حمعسق) أوحيت إلى كل نبي كما أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وآله قال ابن عباس: وبها

كان علي عليه السلام يعلم الفتن. وقرأ الباقون يوحي - بكسر الحاء - فيكون على هذا اسم

الله مرتفعا بأنه فاعل (يوحي) وقد قرئ شاذا (نوحي) بالنون مع كسر الحاء فعلى هذا يحتمل رفع اسم الله لوجهين:

أحدهما - أن يكون رفعا بالابتداء.

والثاني - أن يكون مرتفعا بفعل مقدر يدل عليه (يوحي) الأول، كما قلناه في من فتح الحاء. ويجوز أن يكون بدلا من الضمير. ويجوز أن يجعل اسم الله خبر ابتداء محذوف، وتقديره هو الله العزيز الحكيم. وقرأ أبو عمرو وعاصم في

---

(١) مر هذا البيت في ٤ / ٣١٠ و ٦ / ٣٢٩ و ٧ / ٤٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

رواية أبي بكر (يكاد) بالياء (ينفطرن) بالياء والنون، لان تأنيث السماوات غير حقيقي، وقد تقدم الفعل ولذلك أتت (يتفطرن) لما تأخر الفعل عن السماوات وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة في رواية حفص (تكاد) بالتاء لتأنيث السماوات (وينفطرن) بالياء والنون لما قدمناه. وقرأ نافع والكسائي (يكاد) بالياء لما قلناه من أن التأنيث غير حقيقي (يتفطرن) بياء، وتاء و (يتفطرن) في معنى تنفطر وهو مضارع فطرته فتفطر وفطرته بالتخفيف فانفطر، ومعنى بتفطرن يتشققن.

قيل إنما عدوا (حم) و (عسق) آية ولم يعد (طس) لان (طس) لما انفرد عن نظيره من (طسم) فأشبه الاسم حمل عليه، ولما لم ينفرد (حم) عن نظيره جرى عليه حكم الجملة التامة التي تعد آية من اجل انها آية. فلما اجتمع في (طس) الانفراد عن النظير وأشبه (قابيل) وكل واحد من هذين الوجهين يقتضي مخالفة حكم (طسم) وجب الخلاف. وأما انفراد (حاميم) بالزنة فقط، لم يجب الخلاف كما وجب في ما اجتمع فيه سببان. وفى (حم) من الفائدة تعظيم الله - عز وجل - السورة وتسميتها وتشريفا لها وتنويها باسمها وإجراؤها في التفصيل مجرى ما يعقل في فضله على مالا يعقل من الأجسام والاعراض. وقيل إن (حم عسق) انفردت بأن معاينها أوحيت إلى سائر الأنبياء، فلذلك خصت بهذه التسمية. وقيل إنما فصل (حم عسق) من سائر الحواميم ب (عسق) لان جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه السورة فإنه دل عليه دلالة التضمين بذكر الوحي الذي يرجع إلى الكتاب، والوحي أعم من الكتاب في معناه إلا أنه دال في هذا الموضع على الكتاب بهذه الصفة.

وقوله (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك) قيل في المشبه به في قوله (كذلك) وجها:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أحدهما - كالوحي الذي تقدم يوحي إليك.
والثاني - هذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحى إليك، لان ما لم يكن حاضرا يراه صلح فيه (هذا) لقرب وقته و (ذلك) لبعده في نفسه. ومعنى التشبيه في (كذلك) أن بعضه كبعض في أنه حكمة وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ والفوائد التي يعمل عليها في الدنى (وإلى الذين من قبلك) معناه مثل ذلك أوحى إلى الذين من قبلك من الأنبياء وتعبدهم بشريعة كما تعبدك بمثل ذلك.
وقوله (العزيز الحكيم) معناه القادر الذي لا يغالب الحكيم في جميع أفعاله.
ومن كان بهاتين الصفتين خلصت له الحكمة في كل ما يأتي به، لأنه العزيز الذي لا يغالب والغني الذي لا يحتاج إلى شئ، ولا يجوز أن يمنعه مانع مما يريده، وهو الحكيم العليم بالأمور لا يخفى عليه شئ منها لا يجوز أن يأتي إلا بالحكمة. فاما الحكيم غيره يحتاج فلا يوثق بكل ما يأتي به إلا أن يدل على ذلك الحكمة دليل.
قوله (له ما في السماوات والأرض) معناه أنه مالكهما ومدبرهما وله التصرف فيهما ولا أحد له منعه من ذلك ويكون (العلي) مع ذلك بمعنى المستعلي على كل قادر العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها أحد.
وقوله (تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن " قيل في معناه قولان:
أحدهما - قال ابن عباس وقتادة والضحاك: يتفطرن من فوقهن من عظمة الله وجلاله.
والثاني - ان السماوات تكاد تتفطرن من فوقهن استعظاما للكفر بالله والعصيان له مع حقوقه الواجبة على خلقه، وذلك على وجه التمثيل ليس لان السماوات تفعل شيئا أو تنكر شيئا، وإنما المراد ان السماوات لو انشقت لمعصيته استعظاما لها أو لشئ من الأشياء لتفطرت استعظاما لكفر من كفر بالله وعبد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معه غيره.
وقوله (الملائكة يسبحون بحمد ربهم) معناه ينزهونه عما لا يجوز عليه من صفات، ومالا يليق به من افعال (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين. وفي ذلك صرف الاهلاك لهم ولغيرهم من أهل الأرض يصرفه عنهم.
ثم قال (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) لعباده عصيانهم تارة بالتوبة وتارة ابتداء منه كل ذلك تفضلا منه ورأفة بهم ورحمة لهم.
قوله تعالى:
(والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت
عليهم بوكيل (٦) وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى
ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة
وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن
يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير (٨)
أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو
على كل شئ قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى
الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب) (١٠) خمس
آيات بلا خلاف.
هذا اخبار من الله تعالى (أن الذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني الكفار الذين اتخذوا الأصنام آلهة ووجهوا عبادتهم إليها. وجعلوهم أولياء لهم وأنصارا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من دونه. وإنما قال (من دونه) لان من اتخذ وليا بأمر الله لم يتخذه من دون الله.
وقوله (الله حفيظ عليهم) أي حافظ عليهم أعمالهم وحفيظ عليها بأنه
لا يعزب عنه شئ منها، وانه قد كتبها في اللوح المحفوظ مظاهرة في الحجة عليهم
وما هو أقرب إلى أفهامهم إذا تصوروها مكتوبة لهم وعليهم.
وقوله (وما أنت عليهم بوكيل) معناه إنك لم توكل بحفظ اعمالهم، فلا
يظن ظان هذا، فإنه ظن فاسد وإنما بعثك الله نذيرا لهم وداعيا إلى الحق ومبينا
لهم سبيل الرشاد، وقيل: معناه إنك لم توكل عليهم أي تمنعهم من الكفر بالله،
لأنه قد يكفر من لا يتهيأ له منعه من كفره بقتله.
وقوله (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) معناه مثل ما أوحينا إلى من
تقدمك من الأنبياء بالكتب التي أنزلناها عليهم أوحينا إليك أيضا قرآنا عربيا
لتنذر أم القرى أي لتخوفهم بما فيه من الوعيد وتبشرهم بما فيه من الوعد. قال
السدي: أم القرى مكة والتقدير لتنذر أهل أم القرى (ومن حولها) من سائر
الناس. وسميت أم القرى، لأنه روي أن الله تعالى دحا الأرض من تحت الكعبة
قال المبرد: كانت العرب تسمي مكة أم القرى (ومن حولها) ومن يطيف بها
(وتنذر يوم الجمع) معناه وتخوفهم يوم الجمع أيضا، ونصب (يوم) لأنه مفعول ثان
وليس بظرف، لأنه ليس ينذر في يوم الجمع، وإنما يخوفهم عذاب الله يوم الجمع.
وقيل هو يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك فيه وفى كونه.
ثم قسم أهل يوم القيامة فقال (فريق) منهم (في الجنة) بطاعتهم (وفريق)
منهم (في السعير) جزاء على معاصيهم. ثم قال (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة)
معناه الاخبار عن قدرته بأنه لو شاء ان يلجئهم إلى الايمان ودين الاسلام، لكان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قادرا على ذلك وفعله، لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف وهو ان يفعلوا العبادة على وجه يستحقون بها الثواب، ومع الالجاء لا يمكن ذلك، فلذلك لم يشأ ذلك. فالآية تفيد قدرته على الالجاء وتأتي ذلك. ثم قال (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يدخلهم في الجنة وثوابها من يشاء منهم إذا أطاعوا واجتنبوا معاصيه وبين أن (الظالمين) نفوسهم بارتكاب معصية الله (مالهم من ولي) يواليهم (ولا نصير) يمنعهم من عذاب الله إذا أراد فعله بهم جزاء على معاصيهم، ثم قال (أم اتخذوا من دونه أولياء) معناه بل هؤلاء الكفار اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام والأوثان يوالونهم وينصرونهم. ثم قال (فالله هو الولي) معناه المستحق في الحقيقة للولاية والتقرب إليه هو الله تعالى دون غيره (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) يصح أن يكون مقدورا له قادر. ومن كان بهذه الصفة فهو الذي يجب ان يتخذ وليا.

وقوله (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله) معناه ان الذي تختلفون فيه من أمر دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه (فحكمه إلى الله) يعني أنه الذي يفصل بين المحق فيه وبين المبطل، لأنه العالم بحقيقة ذلك، فيحكم على المحق باستحقاق الثواب وعلى المبطل باستحقاق العقاب.

وقيل: معناه فحكمه إلى الله، لأنه يجب ان يرجع إلى أمره في الدنيا وفصل القضاء في الآخرة. ثم قال لنبيه قل لهم (ذلك) الذي وصفته من أنه يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير (هو الله ربي) ومدبري (عليه توكلت) بمعنى فوضت أمري إليه وأسندت ظهري إليه (واليه أنيب) أي ارجع إليه في جميع أموري واحوالي.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا
ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم (١٢) شرع لكم من الدين
ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى
وعيسى أن أقموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣)
وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة
سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤) فلذلك فادع واستقم
كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (١٥)
خمس آيات بلا خلاف.
لما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم الذي وصفته بأنه الذي يحيي ويميت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هو ربي واليه ارجع في أموري كلها، زاد في صفاته تعالى (فاطر السماوات والأرض) أي هو فاطر السماوات، ومعنى فاطر خالق السماوات ابتداء. وحكي عن ابن عباس أنه قال لم أكن أعرف معنى (فاطر) حتى تحاكم إلى أعرابيان في بئر فقال أحدهما انا فطرته بمعنى أنا ابتدأته، والفطر أيضا الشق. ومنه قوله تعالى (تكاد السماوات يتفطرن منه) وقوله (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني اشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن إليها ويألفها. ومن الانعام أزواجا من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين، ذكورا وإناثا ووجه الاعتبار بجعل الأزواج ما في ذلك من إنشاء الشئ مالا بعد حال على وجه التصريف الذي يقتضي الاختيار، وجعل الخير له أسباب تطلب كما للشر أسباب تجتنب، فخعل لكل حيوان زوجا من شكله على ما تقتضيه الحكمة فيه.

وقوله (يذرؤكم فيه) أي يخلقكم ويكثركم فيه يعني في التزويج وفي ما حكم فيه. وقال الزجاج والفراء: معناه يذرؤكم به أي بما جعل لكم أزواجا وانشد الأزهري قول الشاعر يصف امرأة:

وارغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنني عن سنبس لست ارغب (١)

أي ارغب بها عن لقيط. فالذرء إظهار الشئ بايجاده يقال: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا واصله الظهور، ومنه ملح ذرآني لظهور بياضه. والذرية لظهورها ممن هي منه. وقوله (ليس كمثله شئ) قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها - إن الكاف زائدة وتقديره ليس مثل الله شئ من الموجودات ولا المعدومات كما قال أوس بن حجر:

---

(١) مر في ٦ / ٢٧٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقتلى كمثل جذوع النخيل * يغشاهم سيل منهر (١)
وقال آخر:
سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم * ما إن كمثلهم في الناس من أحد (٢)
وقال الراجز:
وصاليات ككما توثقين (٣)
الثاني - قال الرماني: إنه بلغ في نفي الشبيه إذا نفى مثله، لأنه يوجب نفي الشبهة على التحقيق والتقدير، وذلك أنه لو قدر له مثل لم يكن له مثل صفاته ولبطل أن يكون له مثل ولنفرده بتلك الصفات، وبطل أن يكون مثلا له فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لامثل له أصلا إذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته وكان ذلك الشئ الآخر هو الذي له تلك الصفات، لأنها لا تصح إلا لواحد في الحقيقة وهذا لا يجوز أن يشبه بشبه حقيقة، ولا بلاغة فوجب التبعيد من الشبه لبطلان شبه الحقيقة.
الثالث - وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي (رحمة الله عليه) جارانا فيه فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده، وهو ان لا تكون الكاف زائدة ويكون المعنى انه نفى أن يكون لمثله مثل وإذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له أيضا. لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، لان الموجودات على ضربين: أحدهما - لا مثل له، كالقدرة فلا أمثال لها أيضا. والثاني - له مثل كالسواد والبياض وأكثر الأجناس فله أمثال أيضا وليس في الموجودات ماله مثل واحد فحسب، فعلم بذلك ان المراد انه لا مثل له أصلا من حيث لا مثل لمثله.
وقوله (وهو السميع البصير) معناه انه على صفة يجب ان يسمع المسموعات

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٨ والقرطبي ١٦ / ٨ والشوكاني ٤ / ٥١٤
(٢) تفسير الطبري ٢٥ / ٨ والقرطبي ١٦ / ٨ والشوكاني ٤ / ٥١٤
(٣) تفسير الطبري ٢٥ / ٨ والقرطبي ١٦ / ٨ والشوكاني ٤ / ٥١٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إذا وجدت ويبصر المبصرات إذا وجدت وذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفة به، وفائدة ذكره - ههنا - هو انه لما نفى أن يكون له شبه على وجه الحقيقة والمجاز، وعلى وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير، لئلا يتوهم نفي هذه الصفة له على الحقيقة فقط، فإنه لا مدحة في كونه مما لا مثل له على الانفراد، لان القدرة لا مثل لها، وإنما المدحة في أنه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا، وذلك يدل على التفرد الحقيقي.

وقوله (له مقاليد السماوات والأرض) معناه له مفاتيح الرزق منها بانزال المطر من السماء واستقامة الهواء فيها وابنات الثمار والأقوات من الأرض. ثم قال (يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسعه له (ويقدر) أي يضيق لمن يشاء ذلك على ما يعلمه من مصالحهم (إنه بكل شئ عليم) مما يصلحهم أو يفسدهم.

ثم خاطب تعالى خلقه فقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) معنى شرع بين وأظهر، وهو (الذي أوحينا إليك) يا محمد صلى الله عليه وآله وهو (ما وصينا به إبراهيم وموصى وعيسى) وسائر النبيين، وهو أنا أمرناهم بعبادة الله والشكر له على نعمه وطاعته في كل واجب وندب مع اجتناب كل قبيح، وفعل ما أمر به مما أدى إلى التمسك بهذه الأصول مما تختلف به شرائع الأنبياء.

ثم بين ذلك فقال (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وموضع (ان أقيموا) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب:

أحدها - أن يكون نصبا بدلا من (ما) في (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا).

الثاني - أن يكون جرا بدلا من الهاء في (به).

الثالث - أن يكون رفعا على الاستئناف، وتقديره هو ان أقيموا الدين.

وقوله (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) معناه كبر عليهم واستعظموا كونك

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

داعيا إلى الله، ودعاؤك يا محمد وأنت مثلهم بشر ومن قبيلتهم إنك نبي، وليس لهم ذلك، لان الله يجتبي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمله لها، فاجتباك الله تعالى كما اجتبى موسى ومن قبلك من الأنبياء، ومعنى (يجتبى) يختار. وقوله (ويهدي إليه من ينيب) معناه ويهديه إلى طريق الثواب ويهدي المؤمنين الذين أنابوا إليه وأطاعوه. وقيل: يهديه إلى طريق الجنة والصواب بأن يلطف له في ذلك إذا علم أن له لطفا، ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ومعناه إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن اتاهم طريق العلم بصحة نبوتك، فعدلوا عن النظر فيه بغيا بينهم للحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا واتباع الهوى. وقيل: إن هؤلاء لم يختلفوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، لكن فعلوا ذلك للبغي.

ثم قال (ولولا كلمة سبقت من ربك) بأن اخبر بأنه يبعثهم (إلى أجل مسمى) ذكر انه يبقيهم إليه لم يجز مخالفته، لأنه يصير كذبا (لقضي بينهم) أي لفصل بينهم الحكم وانزل عليهم ما يستحقونه من العذاب عاجلا. ثم قال (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) قال السدي: يعني اليهود والنصارى من بعد الذين أورثوا الكتاب الذي هو القرآن (لفي شك منه مريب) أي من الدين. وقال غيره: الذين أورثوا الكتاب من بعد اليهود والنصارى في شك من الدين مريب، وهم الذين كفروا بالقرآن وشكوا في صحته وانه من عند الله من سائر الكفار والمنافقين.

وقوله (فلذلك فادع واستقم) معناه فإلى ذلك فادع، كما قال (بأن ربك أوحى لها) (١) أي أوحى إليها يقال دعوته لذا وبذا وإلى ذا. وقيل:

(١) سورة ٩٩ الزلزال آية ٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معنا فلذلك الدين فادع. وقيل: معناه فلذلك القرآن فادع. والأول أحسن وأوضح وقوله (ولا تتبع أهواءهم) نهي للنبي صلى الله عليه وآله عن اتباع ما هو به المشركون والمراد به أمته. وقيل: ثلاث من كن فيه نجا: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والخشية في السر والعلانية. وثلاث من كن فيه هلك: شح مطاع، وهوى متبع، وعجب المرء بنفسه.

وقوله (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) أي قل لهم صدقت بما انزل الله من القرآن وبكل كتاب أنزله الله على الأنبياء قبلي (وأمرت لأعدل بينكم). وقيل في معناه قولان: أحدهما - أمرت بالعدل. والثاني - أمرت كي اعدل. وقل لهم أيضا (الله ربنا وربكم) أي مدبرنا ومدبركم ومصرفنا ومصرفكم (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) ومعناه أن جزاء أعمالنا لنا من ثواب أو عقاب وجزاء اعمالكم لكم من ثواب أو عقاب، لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، كما قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (١) (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة بيننا - في قول مجاهد وابن زيد - أي قد ظهر الحق فسقط الجدال والخصومة. وقيل: معناه إن الحجة لنا عليكم لظهورها، وليست بيننا بالاشتباه والالتباس. وقيل: معناه لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة، لا على طريق الشبهة، وليس ذلك على جهة تحريم إقامة الحجة، لأنه لم يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها الحق من الباطل فإذا صار الانسان إلى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين أهل الحق. ثم قال (الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير) أي المرجع حيث لا يملك أحد الحكم فيه ولا الأمر والنهي غيره، فيحكم بيننا بالحق. وفي ذلك غاية التهديد. وقيل: إن

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ وسورة ١٧ الاسرى آية ١٥ وسورة ٣٥ آية فاطر آية ١٨ وسورة ٣٩ الزمر آية ٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ذلك كان قبل الامر بالقتال والجهاد.
قوله تعالى:
(والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦) الله الذي
أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (١٧)
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها
ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال
بعيد (١٨) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩)
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) (٢٠) خمس
آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى إن (الذين يحاجون في الله) أي يجادلون في الله بنصرة
مذهبهم (من بعد ما استجيب له) وقيل في معناه قولان:
أحدهما - من بعد ما استجاب له الناس لظهور حجته بالمعجزات التي أقامها
الله - عز وجل - والآيات التي أظهرها الله فيه، لأنهم بعد هذه الحال في حكم
المعاندين بالبغي والحسد. قال مجاهد: كانت محاجتهم بأن قولوا: كتابنا قبل
كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالحق منكم، فلذلك قال الله تعالى " حجتهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

داحضة " لان ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ الله كتابهم وما شرعه النبي الذي كان قبله.
والثاني - معناه من بعد ما استجيب للنبي دعاءه بالمعجزات التي أجاب الله تعالى دعاءه في إقامتها له. قال الجبائي: أجاب الله تعالى دعاءه في كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدي المؤمنين، وأجاب دعاءه عليهم بمكة وعلى مضر من القحط والشدائد التي نزلت بهم، وما دعا به من إنجاء الله المستضعفين من أيدي قريش فأنجاهم الله وخلصهم من أيديهم وغير ذلك مما يكثر تعداده، فقال الله تعالى " حجتهم داحضة عند ربهم " وهي شبهة، وإنما سماها حجة - على اعتقادهم - فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها، و (داحضة) معناه باطلة " عند ربهم وعليهم غضب من الله " أي لعن واستحقاق عقاب والاخبار به عاجلا " ولهم " مع ذلك " عذاب شديد " يوم القيامة.
وقوله تعالى " الله الذي انزل الكتاب " يعني القرآن " بالحق والميزان "
فقوله " بالحق " فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة: بأن الله أنزله ليكفروا به وأراد منهم الضلال والعمل بالباطل. وانزل " الميزان " يعني العدل، لان الميزان إظهار التسوية من خلافها في ما للعباد إليه الحاجة في المعاملة أو التفاضل ومثل الموازنة المعارضة والمقابلة والمقايسة، فالقرآن إذا قوبل بينه وبين ما يدعونه، وقويس بينهما ظهرت فضيلته، وبانت حجته، وعلمت دلالته، فلذلك وصفه بالميزان.
وقال مجاهد وقتادة: الميزان - ههنا - العدل. وقال الجبائي: انزل الله عليهم الميزان من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به. وقيل: إن الحق الذي انزل به الكتاب وصفه على عقد معتقده على ما هو به من ثقة. والحق قد يكون بمعنى حكم ومعنى امر أو نهي ومعنى وعد أو وعيد ومعنى دليل.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " وما يدريك " يا محمد ولا غيرك " لعل الساعة قريب " إنما قال (قريب) مع تأنيث الساعة، لان تأنيثها ليس بحقيقي. وقيل: التقدير لعل مجيئها قريب. وإنما اخفى الله تعالى الساعة ووقت مجيئها عن العباد، ليكونوا على خوف ويبادروا بالتوبة، ولو عرفهم عنها لكانوا مغريين بالقبيح قبل ذلك تعويلا على التأني بالتوبة.

وقوله " يستعجل بها " يعني بالساعة " الذين لا يؤمنون بها " أي لا يقرون بها ولا يصدقون لجهلهم بما عليهم في مجيئها من استحقاق العقاب وما للمؤمنين من الثواب. وقال " والذين آمنوا " أي صدقوا بها " مشفقون منها " أي خائفون من مجيئها لعلمهم بما فيها من استحقاق العقاب والأهوال فيحذرونها " ويعلمون انها الحق " أي ويعلمون ان مجيئها الحق الذي لا خلاف فيه. ثم قال تعالى ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد أي يجادلون في مجيئها على وجه الانكار لها لفي ضلال عن الصواب وعدول عن الحق بعيد.

ثم قال تعالى " الله لطيف بعباده " فلطفه بعباده إيصاله المنافع إليهم من وجه يدق على كل عاقل إدراكه، وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم، وإيصال السرور إليهم والملاذ، وتمكينهم بالقدرة والآلات إلى غير ذلك من ألطافه التي لا تدرك على حقيقتها ولا يوقف على كنهها لغموضها. ثم قال تعالى " يرزق من يشاء وهو القوي " يعني القادر الذي لا يعجزه شئ " العزيز " الذي لا يغالب.

وقوله " من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه " قيل: معناه إنا نعطيه بالحسنة عشرا إلى ما شئنا من الزيادة " ومن كان يريد حرث الدنيا " أي من عمل الدنيا " نؤته " أي نعطيه نصيبه " منها " من الدنيا لا جميع ما يريده بل على

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما تقتضيه الحكمة دون الآخرة، وشبه الطالب بعمله الآخرة بالزارع في اطلب النفع لحرثه، وكذلك الطالب بعمله نفع الدنيا. ثم قال " وماله " يعني لمن يطلب الدنيا دون الآخرة " في الآخرة من نصيب " من الثواب والنعيم في الآخرة. وقيل: إن الذي وعدهم الله به أن يؤتيهم من الدنيا إذا طلبوا حرث الدنيا هو ما جعل لهم من الغنيمة والفئ إذا قاتلوا مع المسلمين، لأنهم لا يمنعون ذلك مع إظهارهم الايمان لكن ليس لهم في الآخرة نصيب من الثواب.

قوله تعالى:

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (٢١)
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم
ذلك هو الفضل الكبير (٢٢) ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا
وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (٢٣)
أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات
الصدور (٢٤) وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
ويعلم ما تفعلون) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم " يفعلون " بالياء. الباقون بالتاء.
من قرأ بالياء، فعلى أن الله يعلم ما يفعله الكفار فيجازيهم عليه. ومن قرأ بالتاء فعلى وجه الخطاب لهم بذلك.
لما اخبر الله تعالى ان من يطلب بأعماله الدنيا أنه يعطيه شيئا منها، وانه ليس له حظ من الخير في الآخرة. وقال (أم لهم شركاء) يعني بل هؤلاء الكفار لهم شركاء في ما يفعلونه أي أشركوهم معهم في أعمالهم بأن " شرعوا لهم من الدين " الذي قلدوهم فيه " ما لم يأذن به الله " أي لم يأمر به ولا أذن فيه. ثم قال " ولولا كلمة الفصل " أي كلمة الحكم الذي قال الله: إني أؤخر عقوبتهم، ولا أعاجلهم به في الدنيا " لقضي بينهم " وفصل الحكم فيهم وعوجلوا بما يستحقونه من العذاب. ثم قال " وإن الظالمين " لنفوسهم بارتكاب المعاصي " لهم عذاب اليم " أي مؤلم أي هم مستحقون لذلك يوم القيامة. ثم قال " ترى الظالمين " يا محمد " مشفقين " أي خائفين " مما كسبوا " يعني من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقوه " وهو واقع بهم " لا محالة لا ينفعهم اشفاقهم منه، ولا خوفهم من وقوعه، والاشفاق الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الامر، واصل الشفقة الرقة من قولهم ثوب مشفق أي رقيق ردئ، ودين فلان مشفق أي ردئ.
ثم قال " والذين آمنوا " بالله وصدقوا رسله " وعملوا " الافعال " الصالحات " من الطاعات " في روضات الجنات " فالروضة الأرض الخضرة بحسن النبات، والجنة الأرض التي يجنها الشجر، والبستان التي عمها النبات أي هم مستحقون للكون فيها " لهم ما يشاؤن عند ربهم " ومعناه لهم ما يشتهون من اللذات، لان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الانسان لا يشاء الشئ إلا من طريق الحكمة أو الشهوة أو الحاجة في دفع ضرر ودفع الضرر لا يحتاج إليه في الجنة، وإرادة الحكمة تتبع التكليف، فلم يبق بعد ذلك إلا انهم يشاؤن ما يشتهون. وقوله " عند ربهم " يعني يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غيره، وليس يريد ب " عند ربهم " من قرب المسافة، لان ذلك من صفات الأجسام.

ثم قال " ذلك " يعني الكون عند ربهم وأن لهم ما يشاؤن " هو الفضل الكبير " يعني الزيادة التي لا يوازيها شئ في كثرتها. ثم قال " ذلك " يعني ما تقدم ذكره مما يشاؤنه هو " الذي يبشر الله عباده " به ومن شدد الشين أراد التكثير، ومن خفف، فلانه يدل على القليل والكثير. وقيل: هما لغتان، وحكى الأخفش لغة ثالثة: أبشرته. ثم وصفهم فقال " الذين آمنوا " بالله وصدقوا رسله " وعملوا " الاعمال " الصالحات ".

ثم قال " قل " لهم يا محمد صلى الله عليه وآله " لا أسألكم عليه " أي على أدائي إليكم " أجرا " عن الرسالة، وما بعثني الله به من المصالح " إلا المودة في القربى " وقيل في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما - إنه استثناء منقطع لان المودة في القربى ليس من الاجر ويكون التقدير لكن أذكركم المودة في قرابتي.

الثاني - إنه استثناء حقيقة ويكون أجرى المودة في القربى كأنه أجر، وإن لم يكن أجر واختلفوا في معنى " المودة في القربى " فقال علي بن الحسين عليهما السلام وسعيد

ابن جبير وعمرو بن شعيب: معناه أن تودوا قرابتي، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقال الحسن: معناه " إلا المودة في القربى " إلى الله تعالى والتودد بالعمل الصالح إليه. وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وابن زيد وعطاه بن دينار: معناه إلا أن تودوني لقرابتي منكم. وقالوا: كل قرشي كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة، ويكون المعنى إن لم تودوني لحق النبوة
أفلا تودوني لحق القرابة. والأول هو الاختيار عندنا، وعليه أصحابنا. وقال بعضهم: إلا أن تصلوا قرابتكم. وقال آخرون: معناه إلا أن تتقربوا إلى الله بالطاعات.
ثم قال تعالى " ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا " أي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا بأن نوجب له عليها الثواب. والاقتراب الاكتساب واصله من قرفت الشئ إذا كشفت عنه، كقولك قرفت الجلد وهو من الاعتماد والاكتساب " إن الله غفور " أي ستار على عباده معاصيهم بالتوبة وغير التوبة تفضلا منه تعالى وإحسانا منه إلى عباده " شكور " ومعناه إنه يعاملهم معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل إليه النفع فشكره. وقيل: معناه يجازيهم على شكرهم إياه فسماه شكرا على عادتهم في تسمية الشئ باسم ما كان سببه مجازا، كما قال " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (١).
ثم قال " أم يقولون افترى على الله كذبا " بمعنى بل يقولون هؤلاء الكفار إنك يا محمد افتريت على الله كذبا في ادعائك رسالة على الله فقال له تعالى " فان يشأ الله يختم على قلبك " قال قتادة: معناه يختم على قلبك بأن ينسيك القرآن. وقيل: معناه لو حدثتك نفسك بأن تفتري على الله كذبا لطبعت على قلبك واذهبت الوحي الذي أتيتك، لأني أمحو الباطل وأحق الحق. وقال الزجاج: معناه فان يشأ الله ان يربط على قلبك بالصبر على أذاهم لك وعلى قولهم افترى على الله كذبا " ويمحو الله الباطل " وقوله " ويمحو الله الباطل " رفع إلا أنه حذف الواو من المصاحف كما حذف من قوله " سندع الزبانية " (٢) على اللفظ وذهابه لالتقاء

---

(١) آية ٤٠ من هذه السورة
(٢) سورة ٩٦ العلق آية ١٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الساكنين، وليس بعطف على قوله " يختم " لأنه رفع " وبين ذلك بقوله " ويحق الحق بكلماته " أي ويثبت الحق بأقواله التي ينزلها على أنبيائه يتبين بها كذب من ادعى على الله كذبا في أنه نبي، ولا يكون كذلك " إنه عليم بذات الصدور " أي بأسرار ما في الصدور، لا يخفى عليه شئ منها. ثم قال " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون " فتمدحه بأن يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات بأن لا يعاقب عليها دليل على أن إسقاط العقاب عندها تفضل، ويعلم ما تفعلونه من التوبة وغيرها فيجازيكم عليها. فمن قرأ بالتاء فعلى الخطاب ومن قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عن الغائب.

قوله تعالى:

(ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢٦) ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير
بصير (٢٧) وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد (٢٨) ومن آياته خلق السماوات والأرض
وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) وما
أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر ونافع " بما كسبت " بلا فاء، وكذلك هو في مصاحف أهل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المدينة وأهل الشام. الباقون بالفاء، وكذلك في مصاحفهم، فعلى هذا يكون جزاء وعلى الأول يكون المعنى الذي أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم.
لما اخبر الله تعالى انه يقبل التوبة عن عباده وانه يعلم ما يفعلونه من طاعة أو معصية وانه يجازيهم بحسبها، ذكر انه " يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات " يجيبهم بمعنى و (الذين) في موضع نصب، وأجاب واستجاب بمعنى واحد، قال الشاعر:
وداع دعايا من يجيب إلى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب (١)
وقيل: الاستجابة موافقة عمل العامل ما يدعو إليه، لأجل دعائه إليه، فلما كان المؤمن يوافق بعمله ما يدعو النبي صلى الله عليه وآله من اجل دعائه كان مستجيبا له، وكذلك من وافق بعمله داعي عقابه كان مستجيبا للداعي بالفعل. وعن معاذ بن جبل: إن الله تعالى يجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دعاء بعضهم لبعض.
وقيل: معناه ويجيب المؤمنون ربهم في ما دعاهم إليه، فبكون (الذين) في موضع رفع، ويكون قوله " ويزيدهم " راجعا إلى الله أي يزيدهم الله من فضله. وقيل: معناه ويستجيب دعاء المؤمنين، ولا يستجيب دعاء الكافرين، لأنه ثواب ولا ثواب للكافرين. وقيل: بل يجوز أن يكون ذلك إذا كان فيه لطف للمكلفين.
وقوله " ويزيدهم من فضله " معناه ويزيدهم زيادة من فضله على ما يستحقونه من الثواب. وقال الرماني: الزيادة بالوعد تصير اجرا على العمل إذا كان ممن يحسن الوعد بها من طريق الوعد، كما لو كان إنسان يكتب مئة ورقة بدينار، ورغبه ملك في نسخ مئة ورقة بعشرة دنانير، فإنه يكون الأجرة حينئذ عشرة دنانير وإذا بلغ غاية الاجر في مقدار لا يصلح عليه أكثر من ذلك، فإنما تستحق

---

(١) مر تخريجه في ٢ / ١٣١ و ٣ / ٨٨ و ٦ / ٢٣٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الزيادة بالوعد.
وقوله " والكافرون لهم عذاب شديد " اخبار عما يستحقه الكافر على كفره من العقاب المؤلم الشديد.
وقوله " ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض " إخبار منه تعالى بأنه لو وسع رزقه على عباده وسوى بينهم لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا، وكان ذلك يؤدي إلى وقوع الفساد بينهم والقتل وتغلب بعضهم على بعض واستعانة بعضهم ببعض ببذل الأموال، ولكن دبرهم على ما علم من مصلحتهم في غناء قوم وفقر آخرين، وإحواج بعضهم إلى بعض وتسخير بعضهم لبعض، فلذلك قال " ولكن ينزل بقدر ما يشاء " مما يعلمه مصلحة لهم " إنه بعباده خبير بصير " يعني عالم بأحوالهم بصير بما يصلحهم مما يفسدهم.
ثم قال " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا " أي ينزله عليهم من بعد أياسهم من نزوله، ووجه إنزاله بعد القنوط انه أدعى إلى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بمواقع إحسانه، وكذلك الشدائد التي تمر بالانسان، ويأتي الفرج بعدها، تعلق الامل بمن يأتي به وتكسب المعرفة بحسن تدبيره في ما يدعو إليه من العمل بأمره والانتهاء إلى نهيه. ونشر الرحمة عمومها لجميع خلقه، فهكذا نشر رحمة الله مجددة حالا بعد حال. ثم يضاعفها لمن يشاء، وكل ذلك على مقتضى الحكمة وحسن التدبير الذي ليس شئ لحسن منه " وهو الولي الحميد " معناه هو الأولى بكم وبتدبيركم المحمود على جميع افعاله لكونها منافعا وإحسانا.
ثم قال " ومن آياته " أي من حججه الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها خلقه " خلق السماوات والأرض " لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والأجناس التي لا يقدر عليها قادر بقدرة " وما بث فيهما من دابة " أي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من سائر أجناس الحيوان " وهو على جمعهم إذا يشاء قدير " أي على جمعهم يوم القيامة وحشرهم إلى الموقف بعد إماتتهم قادر، لا يتعذر عليه ذلك.
ثم قال " وما أصابكم من مصيبة " معاشر الخلق (فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال الحسن: ذلك خاص في الحدود التي تستحق على وجه العقوبة. وقال قتادة: هو عام. وقال قوم: ذلك خاص وإن كان مخرجه مخرج العموم لما يلحق من المصائب على الأطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين. وقال قوم: هو عام بمعنى ان ما يصيب المؤمنين والأطفال إنما هو من شدة محنة تلحقهم، وعقوبة للعاصين
كما يهلك الأطفال والبهائم مع الكفار بعذاب الاستئصال. ولأنه قد يكون فيه استصلاح اقتضاه وقوع تلك الاجرام.
وقيل قوله (ولو بسط الله الرزق لعباده) بحسب ما يطلبونه ويقترحونه (لبغوا في الأرض) فإنه لم يمنعهم ذلك لعجز، ولا بخل. وقوله (إذا يشاء) يدل على حدوث المشيئة، لأنه لا يجوز أن يكون إذا قدر على شئ فعله ولا إذا علم شيئا فعله. ويجوز إن شاء ان يفعل شيئا فعله.
وقوله (أصابكم) قال أبو علي النحوي: يحتمل أمرين أحدهما - أن يكون صلة ل (ما). والثاني - أن يكون شرطا في موضع جزم، فمن قدره شرطا لم يجز سقوط الفاء - على قول سيبويه - وأجاز ذلك أبو الحسن والكوفيون. وإن كان صلة فالاثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين، فإذا ثبت الفاء كان ذلك دليلا على أن الأمر الثاني وجب بالأول كقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم) (١) فثبوت الفاء يدل على وجوب الانفاق وإذا حذف احتمل الامرين.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالكم من دون الله من
ولي ولا نصير (٣١) ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام (٣٢)
إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك
لا يأت لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن
كثير (٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥)
خمس آيات كوفي وأربع في ما عداه عد الكوفيون (كالاعلام) ولم
يعد، الباقون.
قرأ أبو عمرو، ونافع (الجواري في البحر) بياء في الوصل، ووقف / ابن
كثير بياء أيضا. الباقون بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع وأبو جعفر وابن
عامر (ويعلم الذين) رفعا على الاستئناف، لان الشرط والجزاء قد تم، فجاز
الابتداء بما بعده. الباقون بالنصب. فمن نصبه فعلى الصرف، كما قال النابغة:
فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والبلد الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام (١)
قال الكوفيون: هو مصروف من مجزوم إلى منصوب، وقال البصريون:
هو نصب بإضمار (أن) وتقديره ان يعلم، كما قال الشاعر:
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب إلي من لبس الشفوف
وتقديره وأن تقر عيني، قال أبو علي: ومن نصب (ويعلم) فلان قبله

---

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٣٤ والشوكاني ٤ / ٥٢٥ والطبري ٢٥ / ٢٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شرط وجزاء، وكل واحد منهما غير واجب، تقول في الشرط إن تأتني وتعطيني أكرمك فينصب وتعطيني، وتقديره إن يكون منك اتيان وإعطاء أكرمك، والنصب بعد الشرط إذا عطفته بالفاء أمثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني أكرمك، فالذي يختار سيبويه في العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني الجزم، فيختار (ويعلم الذين) إذا لم يقطعه عن الأول فيرفعه، وإن عطف على جزاء الشرط، فالنصب أمثل. ومن أثبت الياء في الحالين في قوله (الجواري) فلا أنها الأصل، لكن خالف المصحف، ومن أثبتها وصلا دون الوقف استعمل الأصل وتبع المصحف، ومن حذفها في الحالين يتبع المصحف، واجتزأ بالكسوة الدالة على الياء. وواحد الجواري جارية، وهي السفينة، وحكي عن ابن مسعود انه قرأ بضم الراء كأنه قلب، كما قالوا (شاك) في (شائك) فأراد الجوائر فقلب.

قوله (وما أنتم بمعجزين في الأرض) خطاب من الله تعالى للكفار بأنكم لستم تفوتون الله بالهرب منه في الأرض ولا في السماء، فإنه يقدر عليكم في جميع الأماكن ولا يمكن النجاة من عذابه إلا بطاعته، فواجب عليكم طاعته، ففي ذلك استدعاء إلى عبادة الله وترغيب في كل ما أمر به وتحذير عما نهى عنه. ووجه الحجة بذلك على العبد انه إذا كان لا يعجز الله، ولا يجد دافعا عن عقابه خف عليه عمل كل شئ في جنب ما توعد به.

وقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) اي ليس لكم من يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد فعله بكم ولا ينصركم عليه، فيجب أن ترجعوا إلى طاعة من هذه صفته.

وقوله (ومن آياته الجواري في البحر كالاعلام) معناه من آياته الدالة على

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

انه تعالى مختص بصفات لا يشركه فيها أحد، السفن الجارية في البحر مثل الجبال، لأنه تعالى يسيرها بالريح لا يقدر على تسييرها غيره، ووجه الدلالة في السفن الجارية هو ان الله خلق الماء العظيم وعدل الريح بما يمكن أن يجري فيه على حسب المراد لأنه إذا هبت الريح في جهة وسارت بها السفينة فيها، فلو اجتمعت الخلائق على صرفها إلى جهة أخرى لما قدروا، وكذلك لو سكنت الريح لوقفت. وما قدر أحد على تحريكها، ولا إجرائها غيره تعالى.

ثم بين ذلك بأن قال (إن يشأ يسكن الريح) وتقديره إن يشأ يسكن الريح أسكنها أو إن يشأ ان يسكنها سكنت، وليس المعنى إن وقعت منه مشيئة أسكن لا محالة، لأنه قد وقعت منه مشيئة لأشياء كثيرة ولم تسكن الريح. والجواري السفن - في قول مجاهد والسدي - والاعلام الجبال - في قولهما - وقوله (فيظللن رواكد على ظهره) قال ابن عباس: معناه تظل السفن واقفة على ظهر الماء، قال الشاعر:

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وقوله (إن في ذلك) يعني في تسخير البحر وجريان السفن فيها لآيات أي حججا واضحات (لكل صبار) على أمر الله (شكور) على نعمه، وإنما أضاف الآيات إلى كل صبار وإن كانت دلالات لغيرهم أيضا من حيث هم الذين انتفعوا بها دون غيرهم، ممن لم ينظر فيها.

وقوله (أو يوبقهن بها كسبوا) معناه يهلكهن بالغرق - في قول ابن عباس والسدي ومجاهد - (بما كسبوا) أي جزاء على ما فعلوا من المعاصي (ويعفو عن كثير) اخبار منه تعالى انه يعفو عن معاصيهم لا يعاجلهم الله بعقوبتها.

وقوله (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص) اخبار منه تعالى أن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الذين يجادلون في إبطال آيات الله تعالى ويدفعونها سيعلمون انه ليس لهم محيص أي ملجأ يلجئون إليه - في قول السدي -.

قوله تعالى:

(فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦) والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (كبير الاثم) على التوحيد. الباقون (كبائر) على الجمع جمع التكسير. ومن وحد قال: إنه اسم جنس يقع على القليل والكثير. وقال قوم: أراد الشرك فقط. ومن جمع، فلان أنواع الفواحش، واختلاف أجناسها كثيرة.

يقول الله تعالى مخاطبا لمن تقدم وصفه (وما أوتيتم) يعني ان الذي أوتيتموه وأعطيتموه (من شي ء) من الأموال، (فمتاع الحياة الدنيا) أي هو شئ ينتفع به عاجلا لا بقاء له ولا محصول له. والمتاع يخير به عن الامتاع ويعبر به عن الأثاث، ففي ذلك تزهيد في الدنيا وحث على عمل الآخرة. ثم قال (وما عند الله) يعني من الثواب في الجنة (خير وأبقى) من هذه المنافع العاجلة التي هي قليلة والآخرة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

باقية دائمة، وهذه فانية منقطعة. ثم بين انها حاصلة (للذين آمنوا) بتوحيد الله وتصديق رسله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون أمرهم إليه تعالى دون غيره فالتوكل على الله تفويض الامر إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفزع إليه بالدعاء في كلما ينوب. والتوكل واجب، الترغيب فيه كالترغيب في جملة الايمان.

وقوله (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) يحتمل أن يكون (الذين) في موضع جر بالعطف على قوله (للذين) فكأنه قال وما عند الله خير وأبقى المؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الاثم والذنوب. والفواحش جمع فاحشة، وهي أقبح القبيح. ويحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء، ويكون الخبر محذوفا، وتقديره الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش (وإذا ما غضبوا) مما يفعل بهم من الظلم والإساءة (هم يغفرون) ويتجاوزون عنه ولا يكافونهم عليه لهم مثل ذلك.

والعفو المراد في الآية هو ما يتعلق بالإساءة إلى نفوسهم الذي لهم الاختصاص بها فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين. فأما ما يتعلق بحدود الله ووجوب حدوده فليس للامام تركها ولا العفو عنها، ولا يجوز له ان يعفو عن المرتد وعمن يجرى مجراه. ثم زاد في صفاتهم فقال (والذين استجابوا لربهم) في ما دعاهم إليه (وأقاموا الصلاة) على حقها (وأمرهم شورى بينهم) أي لا ينفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم، لأنه قيل: ما تشاور قوم إلا وفقوا لأحسن ما يحضرهم (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله وسبيل الخير.

ثم قال (والذين إذا أصابهم البغي) من غيرهم وظلم من جهتهم (هم ينتصرون) يعني ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا فيها فيقتلوا غير القاتل ويجنوا على غير الجاني، وفي قوله (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) ترغيب في انكار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المنكر. ثم قال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قال أبو نجيح والسدي: معناه إذا قال أخزاه الله متعديا قال له مثل ذلك أخزاه الله. ويحتمل أن يكون المراد ما جعل الله لنا إلا الاقتصاص منه من (النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) (١) فان للمجني عليه أن يفعل بالجاني مثل ذلك من غير زيادة وسماه سيئة للازدواج، كما قال (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (٢) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٣) ثم مدح العافي عما له أن يفعله، فقال (فمن عفى وأصلح) عما له المؤاخذة فيه " فأجره " في ذلك وجزاؤه " على الله " فإنه يثيبه على ذلك.

وقوله (إنه لا يحب الظالمين) قيل في معناه وجهان:

أحدهما - إني لم أرغبكم في العفو عن الظالم لأني أحبه، بل لأني أحب الاحسان والعفو.

والثاني - إني لا أحب الظالم لتعديه ما هو له إلى ما ليس له في القصاص ولا غيره.

وقيل الكبائر الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، واكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، واكل الحرام.

وعندنا كل معصية كبيرة، وإنما تسمى صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها لا انها تقع محبطة، لان الاحباط باطل عندنا. وقيل إن هذه الآيات نزلت في قوم من المهاجرين والأنصار.

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ٤٨

(٢) سورة ١٦ النحل آية ١٢٦

(٣) سورة ٣ البقرة آية ١٩٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١)
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير
الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن
عزم الأمور (٤٣) ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين
لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتريهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي
وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم
يوم القيمة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) (٤٥) خمس آيات بلا خلاف
قوله (ولمن انتصر من بعد ظلمه) اخبار من الله تعالى أن من انتصر لنفسه
بعد أن كان ظلم وتعدي عليه، فاخذ لنفسه بحقه، فليس عليه من سبيل. قال
قتادة: بعد ظلمه في ما يكون فيه القصاص بين الناس في النفس أو الأعضاء أو
الجراح، فأما غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه ولا ذم له على فعله. وقال
قوم: معناه إن له أن ينتصر على يد سلطان عادل بأن يحمله إليه ويطالبه بأخذ
حقه منه، لان السلطان هو الذي يقيم الحدود، ويأخذ من الظالم للمظلوم، ويمكن
أن يستدل بذلك على أن من ظلمه غيره بأخذ ماله كان له إذا قدر أن يأخذ من
ماله بقدره، فلا إثم عليه، والظالم هو الفاعل للظلم. وقد بينا حكم الظالم في غير
موضع، فلما بين أن للمظلوم أن يقتص منه، وانه متى اخذ بحقه لم يكن عليه سبيل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بين (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) ويأخذون ما ليس لهم ويتعدون عليهم (ويبغون) عليهم (في الأرض بغير الحق) لأنه متى سعى فيها بالحق لم يكن مذموما به إن طلب بذلك ما أباحه الله له (أولئك لهم عذاب اليم) اخبار منه تعالى أن من قدم وصفه لهم عذاب موجع مؤلم. ثم مدح تعالى من صبر على الظلم ولم ينتصر
لنفسه ولا طالب به ويغفر لمن أساء إليه بأن قال (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)
أي من ثابت الأمور التي أمر الله بها فلم ينسخ. و (عزم الأمور) هو الاخذ بأعلاها في باب نيل الثواب والاجر واحتمال الشدائد على النفس وإيثار رضا الله على ما هو مباح. وقيل: (ان ذلك لمن عزم الأمور) جواب القسم الذي دل عليه (لمن صبر وغفر) كما قال (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم) (١) وقيل: بل هي في موضع الخبر. كأنه قال إن ذلك منه لمن عزم الأمور، وحسن ذلك مع طول الكلام.
وقوله (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) يحتمل أمرين:
أحدهما - ان من أضله الله عن طريق الجنة إلى عذاب النار فليس له ناصر ينصره عليه ويرفعه عنه من بعد ذلك بالتخليص منه.
والثاني - أن من حكم الله بضلاله وسماه ضالا عن الحق فما له من ولي ولا ناصر يحكم بهدايته ويسميه هاديا.
ثم قال (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل)
اخبار منه تعالى إنك يا محمد ترى الظالمين إذا شاهدوا عذاب النار يقولون هل إلى الرجوع والرد إلى دار التكليف. من سبيل تمنيا منهم لذلك والتجاء إلى هذا القول لما ينزل بهم من البلاء. مع علمهم بأن ذلك لا يكون، لان معارفهم ضرورية.

---

(١) سورة ٥٩ الحشر آية ١٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي)
قال ابن عباس: من طرف ذليل. وقال الحسن وقتادة: يسارقون النظر، لأنهم
لا يجرؤن أن ينظروا إلى النار بجميع أبصارهم لما يرون من هول النار وألوان
العذاب. وقيل: يرون النار بقلوبهم، لأنهم يحشرون عميا (وقال الذين آمنوا)
يعني الذين صدقوا الله ورسوله ذلك اليوم إذا رأوا حصول الظالمين في النار واليم
العقاب (إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) باستحقاق النار (وأهليهم)
لما حيل بينهم وبينهم (يوم القيامة ألا إن) هؤلاء (الظالمين في عذاب مقيم)
أي دائم لا زوال له. وقد منعوا من الانتفاع بنفوسهم وأهليهم ذلك اليوم.
قوله تعالى:
(وما كان لم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن
يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن
يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجا يومئذ وما لكم
من نكير (٤٧) فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن
عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور (٤٨)
لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) (٥٠) خمس آيات بلا خلاف

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لما اخبر الله تعالى أن الظالمين أنفسهم بارتكاب المعاصي وترك الواجبات في عذاب مقيم دائم غير منقطع، اخبر في الآية التي بعدها انهم لم يكن لهم أولياء في ما عبدوه من دون الله، ولا فيمن أطاعوه في معصية الله، أي أنصار ينصرونهم من دون الله ويرفعون عنهم عقابه. وقيل: المراد من يعبدونه من دون الله أو يطيعونه في معصية الله لا ينفعهم يوم القيامة. فالفائدة بذلك اليأس من أي فرج إلا من قبل الله، فلهذا من كان هلاكه بكفره لم يكن له ناصر يمنع منه.

ثم قال (ومن يضلل الله) أي من أضله الله عن طريق الجنة وعدل به إلى النار (فما له من سبيل) يوصله إلى الجنة والثواب. ويحتمل أن يكون المراد ومن يحكم الله بضلاله ويسميه ضالا لم يكن لاحد سبيل إلى أن يحكم بهدايته. ثم قال تعالى لخلقه (استجيبوا لربكم) يعني أجيبوه إلى ما دعاكم إليه ورغبكم فيه من المصير إلى طاعته والانقياد لامره (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ) أي لا مرجع له بعد ما حكم به. وقيل معناه لا يتهيأ لاحد رده ولا يكون لكم ملجأ تلجؤن إليه في ذلك اليوم. والملجأ والمحرز نظائر (ومالكم من نكير) أي تعيير انكار. وقيل: معناه من نصير ينكر ما يحل بكم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله

(فان اعرضوا) يعني هؤلاء الكفار وعدلوا عما دعوناهم إليه ولا يستجيبون إليه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا تمنعهم من الكفر (إن عليك) أي ليس عليك (إلا البلاغ) وهو ايصال المعنى إلى أفهامهم وتبين لهم ما فيه رشدهم، فالذي يلزم الرسول دعاؤهم إلى الحق، ولا يلزمه ان يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق. ثم اخبر تعالى عن حال الانسان وسرعة تنقله من حال إلى حال فقال (وانا إذا أذقنا الانسان منا رحمة) وأوصلنا إليه نعمة (فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) أي عقوبة جزاء بما قدمته أيديهم من المعاصي (فان الانسان كفور) يعدد المصائب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويجحد النعم وقوله (لله ملك السماوات والأرض) ومعناه له التصرف في السماوات والأرض وما بينهما وسياستهما بما تقتضيه الحكمة حسب ما يشاء (ويخلق ما يشاء) من أنواع الخلق (يهب لمن يشاء) من خلقه (إناثا) يعني البنات بلا ذكور (ويهب لمن يشاء) من خلقه (الذكور) بلا إناث (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) قال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي: معناه أن يكون حمل المرأة مرة ذكرا ومرة أنثى ويحتمل أن يكون المراد ان يرزقه. تواما ذكرا وأنثى أو ذكرا وذكرا. وأنثى وأنثى وهو قول ابن زيد (ويجعل من يشاء عقيما) فالعقيم من الحيوان الذي لا يكون له ولد ويكون قد عقم فرجه عن الولادة بمعنى منع (انه عليم) بمصالحهم (قدير) أي قادر على خلق ما أراد من ذلك.

قوله تعالى:

(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١)
وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك
لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢)
صراط الله الذي له ما في السماوات
وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) (٥٣) ثلاث آيات بلا خلاف

قرأ نافع وابن عامر في رواية الداحوني عن صاحبه (أو يرسل.. فيوحي) بالرفع على تقدير أو هو يرسل فيوحى ويكون المعنى يراد به الحال بتقدير إلا موحيا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أو مرسلا وذلك كلامه إياهم. الباقون بالنصب ويرسل فيوحي على تأويل المصدر، كأنه قال إلا أن يوحي أو يرسل. ومعنى (أو) في قوله (أو يرسل رسولا) يحتمل وجهين:

أحدهما - العطف، فيكون ارسال الرسول أحد اقسام بكلام كما يقال عتابك السيف كأنه قيل الا وحيا أو ارسالا.

الثاني - أن يكون (الا ان) كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي، فلا يكون الارسال في هذا الوجه كلاما. ولا يجوز أن يكون (أو يرسل) فيمن نصب عطفا على قوله (أن يكلمه الله) لأنك لو حملته على ذلك لكان المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله أو ان يرسل رسولا، ولم يخل قولك (أو يرسل رسولا) من أن يكون المراد به أو يرسله رسولا أو يكون المراد أو يرسل إليه رسولا، والتقدير ان جميعا فاسدان، لاناء نعلم أن كثيرا من البشر قد ارسل رسولا، وكثيرا منهم ارسل إليه رسولا، فإذا بطل ذلك صح ما قدرناه أولا، ويكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي وسيا أو يرسل رسولا، فيوحي، ويجوز في قوله (إلا وحيا) أمران:

أحدهما - أن يكون استثناء منقطعا.

والآخر - أن يكون حالا، فان قدرته استثناء منقطعا لم يكن في الكلام شئ توصل به (من) لان ما قبل الاستثناء لا يعمل في ما بعده، لان حرف الاستثناء في معنى حرف النفي، ألا ترى أنك إذا قلت: قام القوم إلا زيدا، فالمعنى قام القوم لا زيد. فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي في - ما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء - إذا كان كلاما تاما - في ما بعده إذ كان بمعنى النفي، وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد (إلا) في ما قبلها، فإذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل (إلا)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويمتنع أن يتصل به الجار من وجه آخر، وهو ان قوله (أو من وراء حجاب) من صلة (يوحي) الذي هو بمعنى (أن يوحي) فإذا كان كذلك لم يجز ان يحمل الجار الذي هو
في قوله (من وراء حجاب) على (أو يرسل) لأنك تفصل بين الصلة والموصول بما ليس منهما. ألا ترى أن المعطوف على الصلة من الصلة إذا حملت العطف على ما ليس في الصلة فصلت
بين الصلة والموصول بالأجنبي الذي ليس منها، فإذا لم يجز حمله على (يكلمه) في قوله (ما كان لبشر أن يكلمه الله) ولم يكن بد من أن يعلق الجار بشئ،
ولم يكن في اللفظ شئ يحمل عليه أضمرت (بما يكلم) وجعلت الجار في قوله (أو من وراء حجاب) متعلقا بفعل مراد في الصلة محذوف حذفا للدلالة عليه، ويكون في المعنى معطوفا على الفعل المقدر صلة، لان الموصول يوحي، فيكون التقدير: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، فحذف (يكلم) من الصلة، لان ذكره قد جرى وإن كان خارجا من الصلة، فحسن لذلك حذفه من الصلة.
ومن رفع (أو يرسل رسولا) فإنه يجعل (يرسل) حالا والجار في قوله (أو من وراء حجاب) يتعلق بمحذوف، ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال، ويكون قوله (إلا وحيا) على هذا التقدير مصدرا وقع موقع الحال، كقولك جئت ركضا أو اتيت عدوا. ومعنى (أو من وراء حجاب) فيمن قدر الكلام استثناء منقطعا أو حالا: يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه، يريد ان كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى، كما ترى سائر المتكلمين، ليس ان ثم حجابا يفصل موضعا من موضع، فيدل ذلك على تحديد المحجوب.
ومن رفع (يرسل) كان (يرسل) في موضع نصب على الحال. والمعنى هذا كلامه كما تقول: تحبتك الضرب وعتابك السيف.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يقول الله تعالى إنه ليس لبشر من الخلق أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه وحيا (أو من وراء حجاب) معناه أو بكلام بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب، لأنه تعالى لا يجوز عليه مالا يجوز إلا على الأجسام من ظهور الصورة للابصار (أو يرسل رسولا) فان جعلناه عطفا على إرسال الرسول، كان أحد أقسام الكلام كما قلناه في قولهم: عتابك السيف، كأنه قال إلا وحيا أو إرسالا، وإن لم تجعله عطفا لم يكن أحد أقسامه، ويكون كقولهم: لألزمنك أو تعطيني حقي، فلا يكون الارسال في هذا الوجه كلاما، فيكون كلام الله لعباده على ثلاثة أقسام:

أولها - ان يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب الله به موسى عليه السلام.

الثاني - بوحي يأتي به الملك إلى النبي من البشر كسائر الأنبياء.

الثالث - بتأدية الرسول إلى المكلفين من الناس، وقيل في الحجاب ثلاثة أقوال:

أحدها - حجاب عن إدراك الكلام لا المكلم وحده.

الثاني - حجاب لموضع الكلام.

الثالث - إنه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب (فيوحي باذنه ما يشاء) معناه إن ذلك الرسول الذي هو الملك يوحي إلى النبي من البشر بأمر الله ما شاءه الله (إنه علي حكيم) معناه إن كلامه المسموع منه لا يكون مخاطبة يظهر فيها المتكلم بالرؤية، لأنه العلي عن الادراك بالابصار وهو الحكيم في جميع افعاله وفي كيفية خطابه لخلقه.

وقال السدي: معنى الآية إنه لم يكن لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا بمعنى إلا إلهاما بخاطر أو في منام أو نحوه من معنى الكلام إليه في خفاء (أو من وراء حجاب) يحجبه عن إدراك جميع الخلق إلا عن المتكلم الذي يسمعه كما سمع موسى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كلام الله (أو يرسل رسولا) يعني به جبرائيل.
وقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) معناه مثل ما أوحينا إلى من تقدم من الأنبياء أوحينا إليك كذلك الوحي من الله إلى نبيه روح من أمره وهو نور يهدي به من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم بصاحبه إلى الجنة والصراط المستقيم الطريق المؤدي إلى الجنة، وهو صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ملك له يتصرف فيه كيف يشاء، وهو صراط من تصير الأمور إليه، ولا يبقى لاحد أمر ولا نهي ولا ملك ولا تصرف، وهو يوم القيامة. وقوله " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان " يعني ما كنت قبل البعث تدري ما الكتاب ولا ما الايمان قبل البلوغ " ولكن جعلناه " يعني الروح الذي هو القرآن " نورا نهدي من نشاء من عبادنا " يعني من المكلفين، لان من ليس بعاقل وإن كان عبد الله، فلا يمكن هدايته لأنه غير مكلف.
ثم قال " وانك لتهدي " يا محمد " إلى صراط مستقيم " أي طريق مفض إلى الحق، وهو الايمان، وإنما جر (صراط الله) بأنه بدل من قوله " صراط مستقيم " ثم قال " ألا إلى الله تصير الأمور، أي إليه ترجع الأمور والتدبير وحده يوم القيامة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٣ - سورة الزخرف
هي مكية في قول مجاهد وقتادة وهي تسع وثمانون آية بلا خلاف في جملتها.
بسم الله الرحمن الرحيم
(حم (١) والكتاب المبين (٢) إنا جعلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون (٣) وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (٤)
أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) (٥).
خمس آيات في الكوفي وأربع في ما سواه، عد الكوفيون " حم " ولم بعده الباقون.
قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف " ان كنتم " بكسر الهمزة جعلوه شرطا مستأنفا واستغنى عما تقدم، كقولك: أنت عالم ان فعلت، فكأنه قال: ان كنتم قوما مسرفين نضرب. الباقون بفتحها جعلوه فعلا ماضيا أي إذا كنتم، كما قال " أن جاءه الأعمى " (١) والمعنى إذ جاءه الأعمى، فموضع (ان) نصب عند البصريين، وجر عند الكسائي، لان التقدير أفنضرب الذكر صفحا لان كنتم، وبأن كنتم قوما مسرفين. والمسرف الذي ينفق ماله في معصية الله، ولا اسراف في الطاعة.
قد بينا معنى " حم " في ما مضى، واختلاف المفسرين فيه، فلا معنى لا عادته

---

(١) سورة ٨ (عبس آية ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " والكتاب " خفض بالقسم. وقيل: تقديره ورب الكتاب،
والمراد بالكتاب القرآن، والمبين صفة له وإنما وصف بذلك لأنه أبان عن طريق الهدى من الضلالة، وكل ما تحتاج إليه الأمة في الديانة. والبيان هو الدليل الدال على صحة الشئ وفساده. وقيل: هو ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر والسمع، وهو على خمسة أوجه: باللفظ، والحظ، والعقد بالأصابع، والإشارة إليه، والهيئة الظاهرة للجاسة، كالاعراض عن الشئ، والاقبال عليه، والتقطيب وضده وغير ذلك. واما ما يوجد في النفس من العلم، فلا يسمى بيانا على الحقيقة وكل ما هو بمنزلة الناطق بالمعنى المفهوم فهو مبين.
وقوله " انا جعلناه قرآنا عربيا " اخبار منه تعالى انه جعل القرآن الذي ذكره عربيا بأن يفعله على طريقة العرب في مذاهبها في الحروف والمفهوم. ومع ذلك فإنه لا يتمكن أحد منهم من انشاء مثله والاتيان بما يقاربه في علو طبقته في البلاغة والفصاحة، اما لعدم علمهم بذلك أو صرفهم على حسب اختلاف الناس فيه. وهذا يدل على جلالة موقع التسمية في التمكن به والتعذر مع فقده. وفيه دلالة على حدوثه لان المجعول هو المحدث. ولان ما يكون عربيا لا يكون قديما لحدوث العربية. فان قيل: معنى جعلناه سميناه لان الجعل قد يكون بمعنى التسمية. قلنا: لا يجوز ذلك - ههنا - لأنه لو كان كذلك لكان الواحد منا إذا سماه عربيا فقد جعله عربيا، وكان يجب لو كان القرآن على ما هو عليه وسماه الله أعجميا أن يكون أعجميا أو كان يكون بلغة العجم وسماه عربيا أن يكون عربيا، وكل ذلك فاسد.
وقوله " لعلكم تعقلون " معناه جعلناه على هذه الصفة لكي تعقلوا وتفكروا في ذلك فتعلموا صدق من ظهر على يده.
وقوله " وانه " يعني القرآن " في أم الكتاب لدنيا " يعنى اللوح المحفوظ

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الذي وكتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما فيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه وللخلق فيه من اللطف بالاخبار عنه " وأم الكتاب " أصله لان أصل كل شئ أمه.

وقوله " لعلي حكيم " معناه لعال في البلاغة مظهر ما بالعباد إليه الحاجة مما لا شئ منه إلا يحسن طريقه ولا شئ أحسن منه. والقرآن بهذه الصفة علمه من علمه وجهله من جهله لتفريطه فيه و (حكيم) معناه مظهر المعنى الذي يعمل عليه المؤدي إلى العلم والصواب. والقرآن من هذا الوجه مظهر للحكمة البالغة لمن تدبره وأدركه.

ثم قال لمن جحده ولم يعتبر به على وجه الانكار عليهم " أفنضرب عنكم الذكر صفحا " معناه أنعرض عنكم جانبا باعراضكم عن القرآن والتذكر له والتفكر فيه " أن كنتم قوما مسرفين " على نفوسكم بترككم النظر فيه والاعتبار بحججه.

ومن كسر الهمزة جعله مستأنفا شرطا. ومن فتحها جعله فعلا ماضيا أي إذ كنتم كما قال " أن جاءه الأعمى " (١) بمعنى إذ جاءه الأعمى، فموضع (أن) نصب عند البصريين وجر عند الكسائي، لان التقدير الذكر صفحا، لان كنتم وبأن كنتم.

قال الشاعر:

أتجزع ان بان الخليط المودع * وجعل الصفا من عزة المتقطع (٢)

والمسرف الذي ينفق ماله في معصية الله، لان من انفقه في طاعة أو مباح لم يكن مسرفا وقال علي عليه السلام (لا إسراف في المأكول والمشروب) و (صفحا) نصب على المصدر، لان قوله " أفنضرب عنكم الذكر " يدل على أن اصفح عنكم صفحا وكأن قولهم: صفحت عنه أي أعرضت ووليته صفحة العنق. والمعنى أفنضرب ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم أن كنتم قوما مسرفين، كما قال " أيحسب الانسان

---

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٢

(٢) مر في ١ / ٣٤٩ و ٧ / ٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أن يترك سدى " (١) ومن كسر فعلى الجزاء واستغنى عن جوابه بما تقدم كقولهم: أنت ظالم ان فعلت كأنه قال إن كنتم مسرفين نضرب، وقال المبرد: المعنى متى فعلتم هذا طلبتم أن نضرب الذكر عنكم صفحا. قال الفراء: تقول العرب: أضربت عنك وضربت عنك بمعنى تركتك وأعرضت عنك. وقال الزجاج: المعنى أفنضرب عنكم الذكر أي نهلكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لان أسرفتم وأصل ضربت عنه الذكران الراكب إذا ركب دابة فأراد أن يصرفها عن جهة ضربها بعصا أو سوط لتعدل به إلى جهة أخرى يريدها ثم يوضع الضرب موضع الصرف والعدل. وصفحا مصدر أقيم قيام الفاعل، ونصب على الحال. والمعنى أفنضرب عنكم تذكيرنا إياكم الواجب صافحين أو معرضين، يقال صفح فلان بوجهه عني أي اعرض قال كثير:

صفوح فما تلقاك إلا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

والصفوح في صفات الله معناه العفو يقال: صفح عن ذنبه إذا عفا. وقال بعضهم: المعنى أفظننتم أن نضرب عنكم هذا الذكر الذي بينا لكم فيه امر دينكم صفحا، فلا يلزمكم العمل بما فيه، ولا نؤاخذكم لمخالفتكم إياه إن كنتم قوما مسرفين على أنفسكم، وجرى ذلك مجرى قول أحدنا لصاحبه وقد أنكر فعله أأتركك تفعل ما تشاء أغفل عنك إذا أهملت نفسك، ففي ذلك إنكار ووعيد شديد.

قوله تعالى:

(وكم أرسلنا من نبي في الأولين (٦) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤن (٧) فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضي

---

(١) سورة ٧٥ القيامة آية ٣٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مثل الأولين (٨) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض
ليقولن خلقهن العزيز العليم (٩) الذي جعل لكم الأرض مهدا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) (١٠) خمس آيات بلا خلاف
يقول الله تعالى مخبرا " وكم أرسلنا من نبي في الأولين " يعني في الأمم الماضية (وكم) موضوعة للتكثير في باب الخبر، وهي ضد (رب) لأنها للتقليل.
ثم اخبر عن تلك الأمم الماضية انه كان ما يجيئهم نبي من قبل الله إلا كانوا يستهزؤن به بمعنى يسخرون منه. فالاستهزاء إظهار خلاف الابطان استصغارا أو استحقارا فالأمم الماضية كفرت بالأنبياء واحتقروا ما أتوا به، وظنوا انه من المخاريق التي لا يعمل عليها لجهلهم وفرط عنادهم، فلذلك حملوا أنفسهم على الاستهزاء بهم، وهو عائد بالوبال عليهم.
فان قيل: لم بعث الله الأنبياء مع علمه بأنهم يستهزؤن بهم ولا يؤمنون عنده؟ قيل: يجوز أن يكون قوم آمنوا وإن قلوا. وإنما اخبر الله بالاستهزاء عن الأكثر، ولذلك قال في موضع " ومن آمن وما آمن معه إلا قليل " (١) وأيضا فكان يجوز أن يكون لولا إرسالهم لوقع منهم من المعاصي أضعاف ما وقع عند إرسالهم، فصار إرسالهم لطفا في كثير من القبائح، فلذلك وجب وحسن، على أن في إرسالهم تمكينهم مما كلفوه، لأنه إذا كان هناك مصالح لا يمكنهم معرفتها إلا من جهة الرسل وجب على الله أن يبعث إليهم الرسل ليعرفوهم تلك المصالح، فإذا لم يؤمنوا بهم وبما معهم من المصالح أتوا بالقبائح من قبل نفوسهم، والحجة قائمة عليهم
وقوله " فأهلكنا أشد منهم بطشا " اخبار منه تعالى انه أهلك الذين هم أشد

---

(١) سورة ١١ هود آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بطشا من هؤلاء المشركين الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله، فلذلك قال " أو مضى
مثل الأولين " أي وهو مثل هؤلاء الباقين، ومعناه انكم قد سلكتم في تكذيب الرسل مسلك من كان قبلكم فاحذروا أن ينزل بكم من الخزي ما نزل بهم. قال الحسن: أشد قوة من قومك. ثم قال " ولئن سألتهم " يعني الكفار " من خلق السماوات والأرض " بأن انشاءها واخترعها " ليقولن " أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا " خلقهن " يعني السماوات والأرض " العزيز " الذي لا يغالب ولا يقهر " العليم " بمصالح الخلق، وهو الله تعالى، لأنهم لا يمكنهم أن يحلفوا في ذلك على الأجسام والأوثان لظهور فساد ذلك، وليس في ذلك ما يدل على أنهم كانوا عالمين بالله ضرورة، لأنه لا يمتنع أن يكونوا عالمين بذلك استدلالا وإن دخلت عليهم شبهة في أنه يستحق العبادة، سواه. وقال الجبائي لا يمتنع أن يقولوا بذلك تقليدا لأنهم لو علموه ضرورة لعلموا أنه لا يجوز أن يعبد معه غيره وهو الذي يليق بمذهبنا في المواقاة.
ثم وصف العزيز العليم الخالق للسموات والأرض فقال هو " الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا " تسلكونها لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في أسفاركم.
وقيل: معناه لتهتدوا إلى الحق في الدين والاعتبار الذي جعل لكم بالنظر فيها.
قوله تعالى:
(والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا
كذلك تخرجون (١١) والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون (١٢) لتستووا على ظهوره ثم
تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون (١٤)
وجعلوا له من عباده جزءا إن الانسان لكفور مبين) (١٥) خمس
آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى إن الذي جعل لكم الأرض مهدا لتهتدوا إلى مراشدكم
في دينكم ودنياكم هو " الذي نزل من السماء ماء " يعني غيثا ومطرا (بقدر) أي على
قدر الحاجة لا زيادة عليها فيفسد ولا ناقصا عنها فيضر ولا ينفع، بل هو مطابق
للحاجة وبحسبها وذلك يدل على أنه واقع من مختار يجعله على تلك الصفة قد قدره
على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بجميع ذلك.
وقوله " فانشرنا به بلدة ميتا " أي أحييناها بالنبات بعد أن كانت ميتا بالقحل
والجفاف تقول: أنشر الله الخلق فنشروا أي أحياهم فحييوا، ثم قال " وكذلك
تخرجون " أي مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسة فأحياها بالنبات مثل
ذلك يخرجكم من القبور بعد موتكم، وإنما جمع بين أخراج الانبات وإخراج
الأموات لان كل ذلك متعذر على كل قادر إلا القادر لنفسه الذي لا يعجزه شي ء
ومن قدر على أحدهما قدر على الآخر بحكم العقل.
وقوله " والذي خلق الأزواج كلها " معناه الذي خلق الاشكال من الحيوان
والجماد من الحيوان الذكر والأنثى ومن غير الحيوان مما هو متقابل كالحلو والحامض
والحلوا والمر والرطب واليابس وغير ذلك من الاشكال. وقال الحسن: الأزواج
الشتاء والصيف، والليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والجنة والنار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " وجعل لكم من الفلك " يعني السفن " والانعام ما تركبون " يعني الإبل والبقر وما جرى مجراهما من الدواب والحمير التي تصلح المركوب.
ثم بين انه خلق ذلك وغرضه (لتستووا على ظهوره) وإنما وحد الهاء في قوله " على ظهوره " لأنها راجعة إلى (ما) كما قال " مما في بطونه " (١) وفي موضع آخر (بطونها) ردها إلى الانعام، فذكر في (ما) وأنث في الانعام.
وقال الفراء: أضاف الظهور إلى الواحد، لان الواحد فيه بمعنى الجميع، فردت الظهور إلى المعنى. ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد.
ومعنى الآية ان غرضه تعالى ان تنتفعوا بالاستواء على ظهورها " ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه " فتشكروه على تلك النعم وتقولوا معترفين بنعم الله ومنزهين له عن صفات المخلوقين " سبحان الذي سخر لنا هذا " يعني هذه الانعام والفلك " وما كنا له مقرنين " أي مطيقين، يقال: أنا لفلان مقرن أي مطيق أي انا قرن له، ويقال: أقرن يقرن إقرانا إذا أطاق وهو من المقارنة كأنه يطيق حمله في تصرفه. وقيل " مقرنين " أي مطيقين أي يقرن بعضا ببعض حتى يسيرها إلى حيث يشاء، وليقولوا أيضا " وإنا إلى ربنا لمنقلبون " أي راجعون إليه يوم القيامة.
فان قيل: قوله " ولتستووا على ظهوره " يفيد ان غرضه بخلق الانعام والفلك ان يستووا على ظهورها، وإنه يريد ذلك منهم. والاستواء على الفلك والانعام مباح، ولا يجوز ان يريده الله تعالى؟!
قيل: يجوز أن يكون المراد بقوله " لتستووا على ظهوره " في المسير إلى

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٦٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما أمر الله بالمسير إليه من الحج والجهاد وغير ذلك من العبادات، وذلك يحسن إرادته، وإنما لا يحسن إرادة ما هو مباح محض. وأيضا، فإنه تعالى قال " ثم تذكروا نعمة ربكم " أي تعترفون بنعم الله بالشكر عليها وتقولوا " سبحان الذي سخر لنا هذا " وذلك طاعة يجوز أن يكون مرادا تتعلق الإرادة به.

وقوله " وجعلوا له من عباده جزءا " اخبار منه تعالى ان هؤلاء الكفار جعلوا لله من عباده جزءا. وقيل فيه وجهان:

أحدهما - انهم جعلوا لله جزءا من عبادته لأنهم أشركوا بينه وبين الأصنام.

وقال الحسن: زعموا ان الملائكة بنات الله وبعضه فالجزء الذي جعلوه له من عباده هو قولهم " الملائكة بنات الله " ثم قال تعالى مخبرا عن حال الكافر لنعم الله فقال " إن الانسان لكفور " لنعم الله جاحد لها " مبين " أي مظهر لكفره غير مستتر به.

قوله تعالى:

(أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفيكم بالبنين (١٦) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم (١٧) أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (١٨) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون (١٩) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر " أو من ينشأ " بضم الياء وتشديد الشين.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الباقون بفتح الياء والتخفيف. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " عند الرحمن " بالنون. الباقون " عباد " على الجمع وقرأ نافع " أأشهدوا " بضم الألف وفتح الهمزة من (أشهدت) الباقون " اشهدوا " من (شهدت) من قرأ (ينشأ) بالتشديد جعله في موضع مفعول لأنه تعالى قال " إنا أنشأناهن إنشاء " (١) فأنشأت ونشأت بمعنى إذا ربيت. وتقول: نشأ فلان ونشأه غيره وغلام ناشئ أي مدرك. وقيل في قوله " ثم أنشأناه خلقا آخر " (٢) قال هو نبات شعر إبطه ومن خفف جعل الفعل لله، لان الله أنشأهم فنشؤوا، ويقال للجوار الملاح: النشأ قال نصيب:

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار (٣)

ومن قرء عباد فجمع (عبد) فهو كقوله " لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون " (٤) فأراد الله أن يكذبهم في قولهم: إن الملائكة بنات الله، وبين انهم عباده. ومن قرأ " عند " بالنون، فكقوله " إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته " (٥) وقال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس في مصحفي " عباد " فقال: حكه. ووجه قراءة نافع " أأشهدوا " انه جعله من اشهد يشهد جعلهم مفعولين وقال تعالى (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم) (٦) من قرأ بفتح الهمزة جعله من شهد يشهد فهؤلاء الكفار إذا لم يشهدوا خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم من أين علموا ان الملائكة بنات الله وهم

---

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٣٥
(٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ١٤
(٣) مر في ٤ / ٣٠٤ و ٨ / ١٩٤
(٤) سورة ٤ النساء آية ١٧١
(٥) سورة ٧ الأعراف آية ٢٠٥
(٦) سورة ١٨ الكهف آية ٥٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لم يشهدوا ذلك، ولم يخبرهم عنه مخبر؟!.
لما اخبر الله تعالى عن الكفار انهم جعلوا له من عباده جزءا على ما فسرناه، وحكم عليهم بأنهم يجحدون نعمه ويكفرون أياديه، فسر ذلك وهو انهم قالوا " أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين " في هذا القول حجة عليهم لأنه ليس بحكيم من يختار لنفسه أدون المنزلتين ولغيره أعلاهما، فلو كان على ما يقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه لم يتخذ لنفسه البنات ويصفيهم بالبنين فغلطوا في الأصل الذي هو جواز اتخاذ الولد عليه، وفي البناء على الأصل باتخاذ البنات، فنعوذ بالله من الخطاء في الدين. ومعنى (أصفاكم) خصكم وآثركم بالذكور واتخذ لنفسه البنات.
ثم قال تعالى " وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا " يعني إذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما أضافوها إلى الله تعالى ونسبوها إليه على وجه المثل لذلك " ظل وجهه مسودا " أي متغيرا مما يلحقه من الغم بذلك حتى يسود وجهه ويربد " وهو كظيم " قال قتادة معناه حزين، وفى هذا أيضا حجة عليهم لان من اسود وجهه بما يضاف إليه مما لا يرضى فهو أحق ان يسود وجهه بإضافة مثل ذلك إلى من هو اجل منه، فكيف إلى ربه.
ثم قال تعالى على وجه الانكار لقولهم " أو من ينشؤ في الحلية " قال ابن عباس " أو من ينشوء في الحلية " المراد به المرأة. وبه قال مجاهد والسدي، فهو في موضع نصب والتقدير أو من ينشؤ في الحلية يجعلون. ويجوز أن يكون الرفع بتقدير أولئك ولده على ما قالوا هم بناته يعني من ينشؤ في الحلية على وجه التزين بها يعني النساء في قول أكثر المفسرين. وقال أبو زيد: يعني الأصنام. والأول أصح " وهو في الخصام غير مبين " في حال الخصومة، فهو ناقص عمن هو بخلاف هذه الصفة من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الشبيه على ما يصلح للجدال ودفع الخصم الألد بحسن البيان عند الخصومة، فعلى هذا يلزمهم ان يكونوا بإضافة البنات قد أضافوا أدنى الصفات إليه.
ثم قال تعالى " وجعلوا " يعني هؤلاء الكفار " الملائكة الذين هو عباد الرحمن " متذللون له خاضعون له. ومن قرأ بالنون أراد الذين هم مصطفون عند الله " إناثا " فقال لهم على وجه الانكار " اشهدوا خلقهم " ثم قال " ستكتب شهادتهم " بذلك " ويسألون " عن صحتها. وفائدة الآية أن من شهد بمالا يعلم فهو حقيق بأن يوبخ ويذم على ذلك وشهادته بما هو متكذب به على الملائكة أعظم من الفاحشة، للاقدام على تنقصهم في الصفة، وإن كان في ذلك على جهالة.
ثم حكى عنهم إنهم قالوا " لو شاء الرحمن ما عبدناهم " كما قالت المجبرة بأن الله تعالى أراد كفرهم، ولو لم يشأ ذلك لما كفروا، فقال الله لهم على وجه التكذيب " مالهم بذلك من علم أن هم إلا يخرصون " أي ليس يعلمون صحة ما يقولونه وليس هم إلا كاذبين. ففي ذلك إبطال مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد القبيح من افعال العباد. لان الله تعالى قطع على كذبهم في أن الله تعالى يشأ عبادتهم للملائكة، وذلك قبيح لا محالة وعند المجبرة الله تعالى شاءه. وقد نفاه تعالى عن نفسه وكذبهم في قولهم فيه.
قوله تعالى:
(أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون (٢١) بل
قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (٢٢) وكذلك
ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣) قال أولو جئتكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به
كافرون (٢٤) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم (قال أولو جئتكم) على أنه فعل ماض،
وتقديره قال النذير. الباقون (قل) على الامر على وجه الحكاية لما أوحي الله
إلى النذير. قال كأنه قال أوحينا إليه أي فقلنا له (قل أولو جئتكم) وقرأ أبو
جعفر (جئناكم) بالنون على وجه الجمع.
لما حكى الله تعالى تخرص من يضيف عبادة الأصنام والملائكة إلى مشيئة
الله، وبين انه لا يشاء ذلك قال (أم آتيناهم كتابا) والمعنى التقريع لهم على خطئهم
بلفظ الاستفهام، والتقدير أهذا الذي ذكروه شئ تخرصوه وافتروه (أم آتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون)؟! فإذا لم يمكنهم ادعاء ان الله أنزل بذلك كتابا
علم أنه من تخرصهم ودل على حذف حرف الاستفهام (أم) لأنها المعادلة.
ثم قال ليس الامر على ما قالوه (بل قالوا) يعني الكفار (إنا وجدنا
آباءنا على أمة) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: يعني على ملة وسميت الديانة
أمة لاجتماع الجماعة على صفة واحدة فيها. وقرئ " على إمة " - بكسر الهمزة -
والمراد به الطريقة (وانا على آثارهم) أي على آثار آبائنا (مهتدون) نهتدي
بهداهم. ثم قال مثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر كذلك لم
نرسل من قبلك في قرية ومجمع من الناس نذيرا - لان (من) زيادة - (إلا قال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مترفوها) وهم الذين آثروا الترفة على طلب الحجة، وهم المتنعمون الرؤساء (إنا وجدنا آباءنا على أمة) يعني على ملة (وانا على آثارهم مقتدون) نقتدي بهم فأحال الجميع على التقليد للآباء فحسب، دون الحجة، والتقليد قبيح بموجب العقل لأنه لو كان جائزا للزم فيه أن يكون الحق في الشئ ونقيضه، فيكون عابد الوثن يقلد أسلافه، وكذلك يقلد اسلافه اليهودي والنصراني والمجوسي، وكل فريق يعتقد أن الآخر على خطأ وضلال. وهذا باطل بلا خلاف، فإذا لابد من الرجوع إلى حجة عقل أو كتاب منزل من قبل الله، فقال الله تعالى للنذير (قل) لهم (أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) فهل تقبلونه؟ وفي ذلك حسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق، وهو انه لو كان ما تدعونه حقا وهدى على ما تدعونه، لكان ما جئتكم به من الحق اهدى من ذلك وأوجب ان يتبع ويرجع إليه، لان ذلك، إذا سلموا أنه اهدى مما هم عليه بطل الرد والتكذيب، وإذا بطل ذلك لزم اتباعه في ترك ما هم عليه.

ثم حكى ما قالوا في الجواب عن ذلك فإنهم قالوا (انا بما أرسلتم به) معاشر الأنبياء (كافرون) ثم اخبر تعالى فقال (فانتقمنا منهم) بأن أهلكناهم وعجلنا عقوبتهم (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المكذبين) لأنبياء الله والجاحدين لرسله.

قوله تعالى:

(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (٢٦)
إلا الذي فطرني فإنه سيهدين (٢٧) وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون (٢٨) بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ورسول مبين (٢٩) ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد (إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب (إنني براء مما تعبدون) أي برئ من عبادتكم الأصنام والكواكب فقوله (براء) مصدر وقع موقع الوصف، لا يثني ولا يجمع ولا يؤنث. ثم استثنى من جملة ما كانوا يعبدونه الله تعالى فقال (إلا الذي فطرني) معناه إني برئ من كل معبود سوى الله تعالى الذي فطرني أي خلقني وابتدأني، وتقديره إلا من الذي فطرني. وقال قتادة: كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان (فإنه سيهدين) في ما بعد. والمعنى انه سيهديني إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه يكون داعيا إلى أن أتمسك به حتى يؤديني إليها، وإنما قال ذلك ثقة بالله تعالى ودعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من ربه. والتبري من كل معبود من دون الله واجب بحكم العقل، كما يجب ذمهم على فعل القبيح لما في ذلك من الزجر عن القبيح والردع عن الظلم، فكذلك يجب قبول قول من أخلص عبادة الله، كما يجب مدحه على فعله.

وقوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) معناه جعل هذه الكلمة التي قالها إبراهيم كلمة باقية في عقبه بما أوصى به مما أظهره الله من قوله إجلالا له وتنزيها له ورفعا لقدره بما كان منه من جلالة الطاعة والصبر على أمر الله. وقال قتادة ومجاهد والسدي: معنى قوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قوله: لا إله إلا الله لم يزل في ذريته من يقولها وقال ابن زيد: هو الاسلام بدلالة قوله (هو سماكم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المسلمين) (١). وقال ابن عباس: في عقبه من خلفه. وقال مجاهد: في ولده وذريته. وقال السدي: في آل محمد عليهم السلام. وقال الحسن: عقبه ولده إلى يوم القيامة. وقوله (لعلهم يرجعون) قال الحسن: معناه راجع إلى قوم إبراهيم. وقال الفراء: معناه (لعلهم يرجعون) عما هم عليه إلى عبادة الله، وقال قتادة: معناه لعلهم يعترفون ويذكرون الله. وقال الله تعالى إنا لم نعاجل هؤلاء الكفار بالعقوبة (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق) يعني القرآن (ورسول مبين) أي مظهر للحق، يعني محمدا صلى الله عليه وآله.

ثم قال تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر) وهو حيلة خفية توهم المعجزة (وإنا به) يعني بالقرآن (كافرون) أي جاحدون لكونه من قبل الله تعالى وإنما كان من نسب الحق والدين إلى السحر كافرا بالله، لأنه بمنزلة من عرف نعمة الله وجحدها في عظيم الجرم، فسمي باسمه ليدل على ذلك.

قوله تعالى:

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم (٣١) أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون (٣٢) ولولا أن
يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون (٣٣) ولبيوتهم أبو أبا وسررا

---

(١) سورة ٢٢ الحجج آية ٧٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليها يتكئون (٣٤) وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة
الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وأبو عمرو (سقفا) على التوحيد - بفتح السين - الباقون
(سقفا) بضم السين والقاف - على الجمع - وقرأ حمزة والكسائي (لما متاع الحياة
الدنيا) مشددة الميم. الباقون خفيفة. من شدد الميم جعل (لما) بمعنى (إلا) ومن
خفف جعل (ما) صلة إلا ابن عامر فإنه خفف وشدد. قال أبو علي: من خفف
جعل (إن) المخففة من الثقيلة وأدخل اللام للفصل بين النفي والايجاب، كقوله
(وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) (١) ومن نصب بها مخففة، فقال إن زيدا منطلق
استغنى عن اللام، لان النافية لا ينتصب بعدها الاسم، و (ما) زائدة. والمعنى:
وإن كل ذلك لمتاع الحياة.
حكى الله عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا لما جاءهم الحق الذي
هو القرآن (لولا نزل) إن كان حقا (على رجل من القريتين عظيم) يعني
بالقريتين مكة والطائف، ويعنون بالرجل العظيم من أحد القريتين - في قول ابن
عباس - الوليد ابن المغيرة المخزومي القرشي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو
ابن عمير من الطائف، وهو الثقفي. وقال مجاهد: يعني بالذي من أهل مكة
عقبة بن ربيعة، والذي من أهل الطائف ابن عبد باليل. وقال قتادة: الذي من
أهل مكة يريدون الوليد ابن المغيرة، والذي من أهل الطائف عروة بن مسعود
الثقفي. وقال السدى: الذي من أهل الطائف كنانة بن عمرو. وإنما قالوا ذلك
لان الرجلين كانا عظيمي قومهما، وذوي الأموال الجسيمة فيهما، فدخلت الشبهة

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٠١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليهم فاعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوة. وهذا غلط لان الله تعالى يقسم الرحمة بالنبوة كما يقسم الرزق في المعيشة على حسب ما يعلم من مصالح عباده فليس لأحد ان يتحكم في شئ من ذلك. فقال تعالى على وجه الانكار عليهم والتهجين لقولهم (أهم يقسمون رحمة ربك) أي ليس لهم ذلك بل ذلك إليه تعالى.

ثم قال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وقيل: الوجه في اختلاف الرزق بين الخلق في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة إن في ذلك تسخير بعض العباد لبعض باحواجهم إليهم، لما في ذلك من الأحوال التي تدعو إلى طلب الرفعة وارتباط النعمة ولما فيه من الاعتبار بحال الغنى والحاجة، وما فيه من صحة التكليف على المثوبة.

ثم قال تعالى (ورحمة ربك خير مما يجمعون) يعني رحمة الله ونعمه من الثواب في الجنة خير مما يجمعه هؤلاء الكفار من حطام الدنيا.

ثم اخبر تعالى عن هوان الدنيا عليه وقلة مقدارها عنده بأن قال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أنهم يصيرون كلهم كفارا (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) استحقارا الدنيا وقلة مقدارها ولكن لا يفعل ذلك، لأنه يكون مفسدة. والله تعالى لا يفعل ما فيه مفسدة.

ثم زاد على ذلك وكنا نجعل لبيوتهم على كون سقفهم من فضة معارج، والسقف بالضم سقف مثل رهن ورهن. وقال مجاهد: كل شئ من السماء فهو سقف، وكل شئ من البيوت فهو سقف بضمتين، ومنه قوله (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) (١) قال الفراء قوله (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا) يحتمل أن تكون اللام

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الثانية مؤكدة للأولى، ويحتمل أن تكون الثانية بمعنى (على) كأنه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا، كما تقول: جعلنا لك لقومك العطاء أي جعلته لأجلك (ولبيوتهم أبو أبا وسررا) جمع سرير (عليها يتكئون) من فضة أيضا وحذف لدلالة الكلام عليها. وقوله (وزخرفا) قال ابن عباس: هو الذهب.
وبه قال الحسن وقتادة والضحاك. وقال ابن زيد: هو الفرش ومتاع البيت، والمزخرف المزين. وقال الحسن المزخرف المنقوش والسقف جمع سقوف كرهون ورهن. وقيل: هو جمع سقف ولا نظير له والأول أولى، لأنه على وزن زبور وزبر. والمعارج الدرج - في قول ابن عباس وقتادة - وهي المراقي قال جندب بن المثنى:
يا رب رب البيت ذي المعارج (١)
(ومعارج) درجا (عليها يظهرون) أي يصعدون. وقال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي لولا أن يكون الناس أمة واحدة أي يجتمعون كلهم على الكفر. وقال ابن زيد: معناه يصيرون كلهم أمة واحدة على طلب الدنيا.
ثم قال (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) معناه ليس كل ذلك يعني ما ذكره من الذهب والفضة والزخرف إلا متاع الحياة الدنيا الذي ينتفع به قليلا ثم يفنى وينقطع.
ثم قال (والآخرة) أي العاقبة (عند ربك) الثواب الدائم (للمتقين) الدين يتقون معاصيه ويفعلون طاعاته فصار كل عمل ما للدنيا صغير بالإضافة إلى ما يعمل للآخرة، لان ما يعمل للدنيا منقطع وما يعمل للآخرة دائم.
قوله تعالى:
(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٠٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم
مهتدون (٣٧) حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين (٣٨) وينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب
مشتركون (٣٩) أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال
مبين) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وحفص عن عاصم (جاءنا) بالتوحيد.
الباقون (جاءانا) على التثنية. من قرأ على التثنية أراد الكافر وقرينه من الشياطين كقوله (وإذا النفوس زوجت) (١) أي قرنت بنظيرها. ومن أفرد قال: لان الكافر هو الذي أفرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بانفاذ الرسول إليه فاجتزى بالواحد عن الاثنين، كما قال (لينبذن في الحطمة) (٢) والمراد لينبذان يعني هو وما له. وقرأ يعقوب والعليمي (يقيض) بالياء على لفظ الخبر عن الغائب. الباقون بالنون على وجه الخبر عن الله تعالى.
يقول الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عن ذكر الله لا ظلامه عليه لجهله، يقال: عيشا يعشو عشوا وعشوا إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأنه عليها غشاوة قال الشاعر:
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا (٣)
وإذا ذهب بصره قيل: عشى يعشى عشاء، ومنه رجل أعشى وامرأة

---

(١) سورة ٨١ كورت آية ٧
(٢) سورة ١٠٤ الهمزة آية ٤
(٣) تفسير الطيري ٢٥ / ٣٩ والكتاب لسيبويه ١ / ٣٩٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عشواء، فعشى يعشى مثل عمي يعمى، وعشا يعشو إذا نظر نظرا ضعيفا. وقرئ (من يعش) بفتح الشين. ومعناه يعمى يقال: عشا إلى النار إذا تنورها فقصدها وعشى عنها إذا أعرض قاصدا لغيرها كقولهم مال إليه ومال عنه. وقيل: معناه بالعين من يعرض عن ذكره. وقوله (نقيض له شيطانا) قيل في معناه ثلاثة أقوال:
أحدها - قال الحسن: نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فلا نمنعه منه.
الثاني - وقيل: نجعل له شيطانا قرينا، يقال قيض له كذا وكذا أي سهل ويسر.
الثالث - قال قتادة: نقيض له شيطانا في الآخرة يلزمه حتى يصير به إلى النار فحينئذ يتمنى البعد عنه. وأما المؤمن فيوكل به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة. وإنما جاز ان يقيض له الشيطان إذا أعرض عن ذكر الله حتى يغويه لأنه إذا كان ممن لا يفلح فلو لم يغوه الشيطان لفعل من قبل نفسه مثل ذلك كالفساد الذي يفعله باغواء الشيطان أو أعظم منه فلم يمنع لطفا، وقيض له الشيطان عقابا. وفى ذلك غاية التحذير عن الاعراض عن حجج الله وآياته.
ثم قال تعالى (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم) يعني الكفار (عن السبيل) يعني عن سبيل الحق الذي هو الاسلام (ويحسبون انهم مهتدون) إلى طريق الحق. وقوله (حتى إذا جاءانا) على التثنية أراد حتى إذا جاء الشيطان ومن أغواه يوم القيامة إلى الموضع الذي يتولى الله حساب الخلق فيه وجزاءهم. ومن قرأ على التوحيد فالمراد حتى إذا جاء الكافر وعلم ما يستحقه من العقاب ضرورة قال ذلك الوقت لقربه (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) قيل في معناه قولان:
أحدهما - أنه عنى المشرق والمغرب الا انه غلب أحدهما، كما قيل سنة العمرين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقال الشاعر:
أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم طوالع (١)
يعني الشمس والقمر، وقال المفضل: أراد النبي محمد وإبراهيم عليها السلام وقال الآخر:
وبصرة الأزد منا والعراق لنا * والموصلان ومنا مصر والحرم (٢)
يعني الموصل والجزيرة.
الثاني - انه أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، كما قال (رب المشرقين ورب المغربين) (٣) وإنما أراد (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك (فبئس القرين) كنت أنت، يقول لهذا الشيطان الذي أغواه، فقال الله تعالى (ولن ينفعكم اليوم) هذا الندم (إذ ظلمتم) نفوسكم بارتكاب المعاصي (إنكم في العذاب مشتركون) أي لأنكم في العذاب شركاء، فلذلك لا ينفعكم هذا القول. وقيل: إن المراد لا يسليكم عما أنتم فيه من أنواع العذاب أن أعداءكم شركاؤكم فيها لأنه قد يتسلى الانسان عن محنة يحصل فيها إذا رأى أن عدوه في مثلها فبين الله تعالى أن ذلك لا ينفعكم يوم القيامة ولا يسليكم عن العذاب ولا يخفف عنكم ذلك يوم القيامة.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (أفأنت) يا محمد (تسمع الصم أو تهدي العمي) شبه الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه من إنذار النبي صلى الله عليه وآله ووعظه بالصم الذين
لا يسمعون، وفى عدم انتفاعهم بما يرونه بالعمي الذين لا يبصرون شيئا (ومن كان في ضلال) عن الحق (مبين) أي بين ظاهر لا شبهة فيه. ومن لا يطلب الحق ولا يجتهد فيه لسبقه إلى الباطل واغتباطه به، فهو الذي يمتنع هدايته ولا حيلة

---

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٩١ والطبري ٢٥ / ٤٠
(٢) تفسير الطبري ٢٥ / ٤٠
(٣) سورة ٥٥ الرحمن آية ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيه ولا طريق إلى ارشاده وصار بمنزلة الأصم والأعمى عنه.
وقرأ ابن عامر وحده (ولن ينفعكم اليوم إنكم) بكسر الهمزة، جعل تمام الآية والوقف على قوله (إذ ظلمتم) ثم استأنف (إنكم) وفتح الباقون، جعلوا (أن) اسما في موضع رفع.
قوله تعالى:
(فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (٤٢) فاستمسك بالذي أوحي
إليك إنك على صراط مستقيم (٤٣) وإنه لذكر لك ولقومك
وسوف تسئلون (٤٤) وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) (٤٥) خمس آيات بلا خلاف
قوله (فاما نذهبن بك فانا منهم) معناه إن نذهب بك، فلما دخلت (ما) على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد والايذان بطلب التصديق، فدخلت النون في الكلام لذلك لان النون تلزم في جواب القسم ولا تلزم في الجزاء، لأنه شبه به، وإنما وجب باذهاب النبي إهلاك قومه من الكفار، لأنه علامة اليأس من فلاح أحد منهم، كما اسرى لوط بأهله، وموسى بقومه وغيرهما من النبيين وكأنه قال: فاما نذهبن بك على سنتنا فيمن قبلك فيكون إذهابه به إخراجه من بين الكفار. وقال قوم: إنما أراد إذهابه بالموت، ويكون قوله (فانا منهم منتقمون) على هذا ما كان من نقم الله على أهل الكفر أكرم بها نبيه حيث أعلمه ما كان من النقمة في أمته بعده - ذهب إليه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحسن وقتادة - وهو الذي روي عن أهل البيت عليه السلام ورووا أن التأويل: فانا بعلي منهم منتقمون، وقال الأولون إن ذلك في المشركين، وقووا ذلك بان الله ذكر ذلك عقيب ذكر المشركين، قالوا: وهو ما كان من نقم الله على المشركين يوم بدر بعد إخراج النبي من مكة وإنه استعلى عليهم واسر منهم مع قلة أصحابه وضعف عددهم وكثرة الكفار وشدة شوكتهم وكثرة عدتهم، فقتلوهم كيف شاؤوا وأسروا من أحبوا وكان ذلك مصداقا لما قاله لهم. وقوله (أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدون) يعني ما أراهم بهم يوم بدر في ما قدمناه. وبين تعالى أنه على ذلك قادر وكان كما قال، ومن قال بالتأويل الأخير، قال معنى (أو نرينك) أو نعلمنك ما وعدناهم وفعلنا بهم. ثم قال لنبيه (فاستمسك بالذي أوحي إليك) من إخلاص العبادة لله تعالى واتباع أوامره والانتهاء عما نهى عنه (إنك على صراط مستقيم) وصف الاسلام بأنه صراط مستقيم لأنه يؤدى إلى الحق المطلوب حيث يستقيم بصاحبه حتى يوصله إليه.

وقوله (وإنه لذكر لك ولقومك) قيل في معناه قولان:

أحدهما - ان هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله - عز وجل - من الحكمة ولقومك بما عرضهم له من إدراك الحق به وانزاله على رجل منهم.

الثاني - انه حجة تؤدي إلى العلم لك ولكل أمتك. والأول أظهر. وقال الحسن: ولقومك لامتك. وقيل: إنه لذكر لك ولقومك يذكرون به الدين ويعلمونه وسوف تسألون عما يلزمكم من القيام بحقه والعمل به.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) قال قتادة والضحاك: سل من أرسلنا يعني أهل الكتابين التوراة والإنجيل، وقال ابن زيد: إنما يريد الأنبياء الذين جمعوا ليلة الاسراء. وهو الظاهر، لان من قال بالأول

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يحتاج ان يقدر فيه محذوفا، وتقديره وإرسال أمم من أرسلنا من قبلك. وقيل:
المراد سلهم فإنهم وإن كانوا كفارا، فان تواتر خبرهم تقوم به الحجة. وقيل:
الخطاب وإن توجه إلى النبي صلى الله عليه وآله فالمراد به الأمة كأنه قال واسألوا من أرسلنا
كما قال (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) (١) وقوله (اجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون) معناه سلوا من ذكرناه هل جعل الله في ما مضى معبودا سواه يعبده
قوم: من الأصنام أو غيرها، فإنهم يقولون لكم إنا لم نأمرهم بذلك ولا تعبدناهم به.
قوله تعالى:
(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني
رسول رب العالمين (٤٦) فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها
يضحكون (٤٧) وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم
بالعذاب لعلهم يرجعون (٤٨) وقالوا يا أية الساحر ادع لنا ربك
بما عهد عندك إننا لمهتدون (٤٩) فلما كشفنا عنهم العذاب إذا
هم ينكثون) (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.
هذا قسم من الله تعالى بأنه أرسل موسى بالآيات الباهرات والحجج الواضحات
إلى فرعون واشراف قومه وخص الملاء بالذكر، وإن كان مرسلا إلى غيرهم، لان
من عداهم تبع لهؤلاء، فقال موسى له (اني رسول من رب العالمين) الذي
خلق الخلق أرسلني إليكم. ثم اخبر تعالى فقال (فلما جاءهم بآياتنا) يعني موسى
جاء إلى فرعون وملائه بالآيات والحجج (إذا هم منها) يعني من تلك

---

(١) سورة ٦٥ لطلاق آية ١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الآيات (يضحكون) جهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها، وما لم من النفع بحصول علمهم بها. وفى الخبر عن ضحك أولئك الجهال عند ظهور الآيات زجر عن مثل حالهم ودعاء إلى العلم الذي ينافي الجهل. وفيه أيضا أنه لا ينبغي ان يلتفت إلى تضاحك أمثالهم من الأدلة إذا كان الانسان على يقين من أمره.
والأنبياء كلهم يشتركون في الدعاء إلى الله باخلاص عبادته وطاعته في جميع ما يأمر به أو ينهى عنه، ودعوتهم إلى محاسن الافعال ومكارم الخلاق وإن اختلفت شرائعهم وتباينت مللهم ونسخت بعضها بعضا.
وقوله (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) معناه إنه تعالى لا يريهم يعني فرعون وقومه معجزة ولا دلالة إلا وهي أكبر من الأخرى عند إدراك الانسان لها لما يهوله من أمرها، فيجد نفسه يقضي أنها أكبر كما يقول الانسان: هذه العلة التي نزلت بي أعظم من كل علة، وهو يريد أن لها مزية أعظم منها لا انه ذهب هول الأولى بانصرافها وحكم الثانية بحضورها. وقال قوم: المعنى وما نريهم من آية إلا هي أهول في صدورهم من التي مضت قبلها.
ثم قال تعالى (واخذناهم بالعذاب) إذ عصوا فيها، وفكروا بها (لعلهم يرجعون) إلى طاعته وإنما جاز أخذهم بالعذاب ليرجعوا مع العلم بأنهم لا يرجعون لامكان أن يرجعوا إليه، لان كلما في المعلوم أنه لا يقع لا يجوز أن يفعل العالم شيئا من أجل انه سيقع ولكن يجوز أن يفعل شيئا لامكان أن يقع والمعنى - ههنا - لعلهم يرجعون إلى طريق الحق الذي ذهبوا عنه إلى طريق الباطل.
ثم حكى تعالى ما قال فرعون وملاءه لموسى عند ذلك فإنهم (قالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إنا لمهتدون) وقال قوم: إنما قالوا له يا أيها الساحر لجهلهم بنبوته وصدقه واعتقادهم انه سحرهم بذلك. وقال قوم:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كان الساحر عندهم هو العالم ولم يكن صفة ذم. وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء بموسى، كما قال المشركون (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (١) وقال الزجاج: وجه ذلك أنه جرى ذلك على ألسنتهم على عادتهم فيه قبل ذلك. وقال قوم: أرادوا يا أيها الفطن يا أيها العالم، لان السحر عندهم دقة النظر والعلم بالشئ كالسحر الحلال، يقال فلان: يسحر بكلامه.
وقال قوم: وخاطبوه بما تقدم تشبيها له بالساحر، فقالوا له (ادع لنا ربك بما عهد عندك) معناه أن يا موسى ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب - في قول مجاهد - فإنه متى كشف عنا ذلك اهتدينا ورجعنا إلى الحق الذي يدعونا إليه. وفى الكلام حذف لان تقديره فدعا موسى وسأل ربه وضرع إليه أن يكشف عنهم العذاب، فكشف الله عنهم ذلك فإذا هم عند ذلك ينكثون. ومعناه ينقضون ما عقدوا على أنفسهم. وقال قتادة: معناه يغدرون، وإنما أخبر الله تعالى وقص خبر موسى وما جرى له تسلية للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى إن حال موسى مع قومه وحالك مع قومك سواء، فاصبر إن أمرك يؤول إلى الاستعلاء، كما آل أمر موسى عليه السلام.
قوله تعالى:
(ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من
هذا الذي هو مهين * ولا يكاد يبين (٥٢) فلولا ألقي عليه أسورة
من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين (٥٣) فاستخف قومه

---

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (٥٤) فلما آسفونا انتقمنا منهم
فأغرقناهم أجمعين (٥٥) فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين (٥٦)
ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) وقالوا
أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم
خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني
إسرائيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض
يخلفون) (٦٠).

عشر آيات كوفي وشامي. واحدى عشرة في ما عداه، عدوا (مهين) ولم يعده الكوفيون والشاميون.

قرأ حفص عن عاصم (أسورة) بغير ألف. الباقون (أسلورة) بألف.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف " سلفا " بضم السين واللام. الباقون بفتحهما. فمن قرأ بالضم فيهما أراد جمع سليف أي جمع قد مضى من الناس. ومن قرأ " أسورة " أراد جمع سوار، وقال أبو عبيدة: وقد يكون أسوار جمع أسورة. ومن قرأ " سلفا " بضم السين واللام جعله جمع سليف. وقال أبو علي: ويجوز أن يكون جمع (سلف)

مثل أسد واسد، ووثن ووثن. ومن فتح فلان (فعلا) جاء في حروف يراد بها الكثرة، فكأنه اسم من أسماء الجمع، كقولهم خادم وخدم. والفتح أكثر. وقد روي - بضم السين - وقرأ الكسائي ونافع وابن عامر " يصدون " بضم الصاد بمعنى يعرضون أي يعدلون. الباقون - بفتح الياء وكسر الصاد - بمعنى يضجون.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل: هما لغتان.
لما حكى الله تعالى عن قوم فرعون أنه حين كشف العذاب عنهم نكثوا عهدهم وعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، نادى فرعون في قومه الذين اتبعوه على دينه، وقال لهم " يا قوم " على وجه التقرير لهم " أليس لي ملك مصر " أتصرف فيها كما أشاء لا يمنعني أحد منه " وهذه الأنهار " كالنيل وغيرها " تجري من تحتي " أي من تحت أمري. وقيل: إنها كانت تجري تحت قصره، وهو مشرف عليها " أفلا تبصرون " أن ما ادعيه حق وأن ما يقوله موسى باطل. وقيل: قوله " من تحتي " معناه إن النيل كانت تجري منه أنهار تحت قصره. وقيل (من تحتي) من بين يديه لارتفاع سريره. ثم قال لهم فرعون " أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين " وقال قوم: معنى (أم) بل. فكأنه قال: بل أنا خير من موسى، وقال قوم: مخرجها مخرج المنقطعة، وفيها معنى المعادلة لقوله " أفلا تبصرون " أم أنتم بصراء، لأنهم لو قالوا نعم لكان بمنزلة قولهم أنت خير.
والأصل في المعادلة على أي الحالين أنتم على حال البصر أم على حال خلافه. ولا يجوز أن يكون المعنى على أي الحالين أنتم على حال البصر أم حال غيرها في أني خير من هذا الذي هو مهين، وإنما المعادلة تفصيل ما أجمله. وقيل له - ههنا - بتقدير أنا خير من هذا الذي هو مهين أم هو إلا أنه ذكر ب (أم) لاتصال الكلام بما قبله. وحكى الفراء (اما أنا) وهذا شاذ على أنه جيد المعنى. والمهين الضعيف - في قول قتادة والسدي - وقيل: معناه فقير. وقيل يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه، ولا يكاد يبين - وقال الزجاج للثة كانت في لسانه. وقال قتادة: كانت في لسانه آفة - وبه قال السدي. وقيل: إنه كان احترق لسانه بالجمر الذي وضعه في فيه حين أراد أن يعتبر فرعون عقله لما لطم وجهه، وأراد أن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يأخذ غير النار فضرب جبرائيل يده إلى النار، فدفع عنه القتل، وقال الحسن: كان في لسانه ثقل، فنسبه إلى ما كان عليه أولا.

وقوله " فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب " معناه هلا إن كان صادقا في نبوته طرح عليه أساورة من ذهب. فمن قرأ (أساورة) بألف أراد جمع أسورة وأسورة جمع سوار وهو الذي يلبس في اليد. وأما أسوار، فهو الرامي الحاذق بالرمي، ويقال أسوار - بالضم - ومن جعله جمع أسورة أراد أسلوير، فجعل الهاء عوضا عن الياء. مثل الزنادقة، فلذلك صرفه، لأنه صار له نظير في الآحاد. ومثله في الجمع الزنادقة. والأسورة الرجل الرامي الحاذق بالرمي من رجال العجم.

وقوله " أو جاء معه الملائكة مقترنين " قال قتادة ومعناه متتابعين، وقال السدي معناه يقارن بعضهم بعضا. وقيل معناه متعاضدين متناصرين كل واحد مع صاحبه مماليا له على أمره. وقال مجاهد: معناه مقترنين يمشون معه.

وقوله " فاستخف قومه " يعني فرعون استخف عقول قومه، فأطاعوه في ما دعاهم إليه، لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل، وهو قوله " أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي " ولو عقلوا وفكروا لقالوا ليس في ملك الانسان ما يدل على أنه محق لكون ملوك كثيرة يخالفونك مبطلين عندك، وليس يجب ان يأتي مع الرسل ملائكة، لان الذي يدل على صدق الجميع المعجز دون غيره.

ثم اخبر الله تعالى عنهم بأنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله إلى معصيته. ثم قال " فلما أسفونا انتقمنا منهم " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: معنى أسفونا أغضبونا، لان الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى يريد عقابهم، ويرضى عن المطيعين بأن يريد ثوابهم بما يستحقونه من طاعاتهم ومعاصيهم كما يستحقون المدح والذم. وقيل الأسف هو الغيظ من المغتم إلا أنه - ههنا - بمعنى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الغضب. ثم بين تعالى بماذا انتقم منهم، فقال " فأغرقناهم أجمعين " ثم قال " فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين " فالسلف المتقدم على غيره قبل مجيئ وقته، ومنه السلف في البيع. والسلف نقيض الخلف. ومن قرأ - بضم السين واللام - فهو جمع سليف من الناس، وهو المتقدم أمام القوم. وقيل: معناه " جعلناهم سلفا " متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. وقال قتادة: جعلناهم سلفا إلى النار ومثلا أي عظة للآخرين. والمثل بيان عن أن حال الثاني كحال الأول بما قد صار في الشهرة كالعلم، فحال هؤلاء المشركين كحال من تقدم في الاشراك بما يقتضي أن يجروا مجراهم في الاهلاك إن أقاموا على الطغيان.

ثم قال الله تعالى " ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون "

قيل: المراد بذلك لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم في قوله " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم " (١) اعترض على النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك قوم من كفار قريش، فأنزل

الله تعالى هذه الآية. ووجه الاحتجاج في شبه المسيح بآدم ان الذي قدر أن ينشئ آدم من غير ذكر قادر على إنشاء المسيح من غير ذكر، فلا وجه لاستنكاره من هذا الوجه. وقيل: إنه لما ذكر المسيح بالبراءة من الفاحشة وانه كآدم في الخاصة، قالوا: هذا يقتضي ان نعبده كما عبده النصارى. وقيل: انه لما نزل قوله " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " (٢) قالوا قد رضينا أن يكون آلهتنا مع المسيح. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يوما لعلي عليه السلام (لولا أني

أخاف ان يقال فيك ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك قولا لا تمر بملاء إلا اخذوا التراب من تحت قدميك) انكر ذلك جماعة من المنافقين، وقالوا: لم برض

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩

(٢) سوره ٢١ الأنبياء آية ٩٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ان يضرب له مثلا إلا بالمسيح، فأنزل الله الآية.
وقوله " يصدون " بكسر الصاد وضمها لغتان. وقد قرئ بهما مثل يشد ويشد وينم وينم من النميمة. وقيل: معنى يصدون - بكسر الصاد - يضجون أي يضجون سرورا منهم بأنهم عبد وا الأوثان كما عبد النصارى المسيح ومن ضمها أراد يعرضون.
ثم حكى عن الكفار انهم قالوا آلهتنا خير أم هو؟! قال السدي: يعنون أم المسيح. وقال قتادة: يعنون أم محمد صلى الله عليه وآله وقيل: معنى سؤالهم آلهتنا خير أم
هو؟ انهم ألزموا مالا يلزم على ظن منهم وتوهم، كأنهم قالوا: ومثلنا في ما نعبد مثل المسيح، فأيهما خير أعبادة آلهتنا أم عبادة المسيح، على أنه إن قال عبادة المسيح أقر بعبادة غير الله، وكذلك إن قال عبادة الأوثان. وإن قال ليس في عبادة المسيح خير، قصر به عن المنزلة التي ليست لاحد من سائر العباد. وجوابهم عن ذلك إن اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب ذلك أنه قد أنعم على غيره النعمة. ووجه اتصال سؤالهم بما قبله انه معارضة لالهية الأوثان بإلهية المسيح كمعارضة إنشاء المسيح عن غير ذكر بانشاء آدم عليه السلام من غير ذكر. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله ما ضربوه يعني المسيح مثلا " إلا جدلا " أي خصومة
لك ودفعا لك عن الحق، لان المجادلة لا تكون إلا وأحد المجادلين مبطلا. والمناظرة قد تكون بين المحقين، لأنه قد يعارض ليظهر له الحق.
ثم قال تعالى " بل هم قوم خصمون " أي جدلون في دفع الحق بالباطل.
ثم وصف المسيح عليه السلام فقال " إن هو الا عبد أنعمنا عليه " أي ليس هو سوى عبد خلقناه وأنعمنا عليه " وجعلناه مثلا لبني إسرائيل " قال السدي وقتاة: يعني موعظة وعبرة لهم يعتبرون به ويتعظون به. ثم قال " ولو نشاء لجعلنا منكم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ملائكة " أي بدلا منكم معاشر بني آدم ملائكة في الأرض " يخلفون " بني آدم غير أنه أنشأ بني آدم لاسباغ النعمة عليهم. وقرأ قالون عن نافع " آلهتنا " بهمزة واحدة بعدها مدة. الباقون بهمزتين على أصولهم، غير أنه لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف، وإنما حققهما أهل الكوفة وروح. ولين الباقون الثانية. وقال أبو عبد الله بن خالويه: هي ثلاث ألفات الأولى للتوبيخ والتقرير بلفظ الاستفهام والثانية الف الجمع والثالثة أصلية. والأصل " أآلهتنا " فصارت الهمزة الثانية مدة ثم دخلت الف الاستفهام.

قوله تعالى:

(وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (٦١) ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٢) ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون (٦٣) إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٦٤) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

الضمير في قوله " وانه لعلم للساعة " يحتمل أن يكون راجعا إلى عيسى عليه السلام لان ظهوره يعلم به مجيئ الساعة، لأنه من أشراطها، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد. وقيل: إنه إذا نزل المسيح رفع التكليف

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان في ما يأمرهم به عن الله وينهاهم عنه.
وقيل: انه عليه السلام يعود غير مكلف في دولة الهدي وإن كان التكليف باقيا على أهل ذلك الزمان. وقال قوم: إن الضمير يعود إلى القرآن يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أحوالها. وهو قول الحسن، والفائدة بالعلم بالساعة انه يجب التأهب لها من اجل انها تقوم للجزاء لا محالة، وفى الشك فيها فتور في العمل لها، ويجب لأجلها اجتناب القبائح التي يستحق بها الذم والعقاب واجتناء المحاسن التي يستحق بها المدح والثواب. وروي عن ابن عباس شاذا أنه من - العلم - بفتح العين واللام بمعنى انه علامة ودلالة على الساعة وقربها.
ثم خاطب الأمة فقال " فلا تمترن بها " أي لا تشكن فيها. والمرية الشك ويدل على أن المراد به جميع الأمة قوله " واتبعوني هذا صراط مستقيم " أي ما أخبرتكم به من البعث والنشور والثواب والعقاب " صراط مستقيم " ثم نهاهم فقال " ولا يصدنكم الشيطان " أي لا يمنعكم الشيطان عن اتباع الطريق المستقيم الذي بينه الذي يفضي بكم إلى الجنة، ولا يعدل بكم إلى الطريق المؤدي إلى النار " إنه لكم عدو مبين " فالعداوة طلب المكروه والمكيدة والايقاع في كل مهلكة من أجل العداوة التي في هلاك صاحبها شفاء لما في صدره منها.
ثم اخبر تعالى عن حال عيسى عليه السلام حين بعثه الله نبيا فقال " ولما جاء عيسى بالبينات " يعني بالمعجزات. قال قتادة يعني بالإنجيل " قال " لهم " قد جئتكم بالحكمة " أي بالذي من عمل به من العباد نجا ومن خالفه هلك. وقوله تعالى " ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه ". قال مجاهد: يعني من احكام التوراة وقال قوم: تقديره قد جئتكم بالإنجيل، وبالبينات التي يعجز عنها الخلق. والذي جاء به عيسى هو بعض ما اختلفوا فيه، وبين لهم فيه. وقال قوم: البعض يراد به

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

- ههنا - الكل كأنه قال: ولابين لكم جميع ما تختلفون فيه. وقيل أراد به من أمر دينكم دون أمر دنياكم. والاختلاف أصل كل عداوة. والوفاق أصل كل ولاية لان الخلاف يوجب البغضة، ثم يقوى بالكثرة حتى يصير عداوة، ثم قال لهم يعني عيسى عليه السلام " فاتقوا الله " بأن تجتنبوا معاصيه وتفعلوا طاعاته " وأطيعون " في ما أدعوكم إليه من العمل بطاعة الله. ثم قال لهم أيضا " إن الله " الذي تحق له العبادة " هو ربي وربكم فاعبدوه " خالصا ولا تشركوا به معبودا آخر. ثم قال " هذا صراط مستقيم " يفضي بكم إلى الجنة وثواب الله.

وقوله " فاختلف الأحزاب من بينهم " قال السدي يعني اليهود والنصارى.

وقال قتادة: يعني الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى عليه السلام فقال الله تعالى " فويل للذين ظلموا " نفوسهم بارتكاب معاصي الله " من عذاب يوم اليم " وهو يوم القيامة.

قوله تعالى (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم
لا يشعرون (٦٦) الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٧)
يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين آمنوا
بآياتنا وكانوا مسلمين (٦٩) أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم
تحبرون) (٧٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطبا لخلقه وموبخا لهم " هل ينظرون " أي هؤلاء الكفار، ومعناه هل ينتظرون " إلا الساعة " يعني القيامة. وقيل: معناه هل ينتظر بهم لأنهم لم يكونوا ينتظرونها، فأضاف إليهم مجازا. وقيل: سميت القيامة الساعة لقرب أمرها، كأنها تكون في ساعة. ثم يحصل أهل الجنة في الجنة وأهل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

النار في النار، وقيل: سميت بذلك لأنها ابتداء أوقات الآخرة، فهي ابتداء تجديد الساعات.
وقوله " بغتة " أي فجأة، وإنما كانت الساعة بغتة مع تقديم الانذار بها، لأنهم مع الانذار لا يدرون وقت مجيئها، كما لا يدري الانسان وقت الرعد والزلازل، فتأتي بغتة وإن علم أنها تكون.
ثم قال تعالى " الأخلاء " وهو جمع خليل " يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين " يعني من كانت خلته في دار الدنيا في غير طاعة الله بل كانت في معصية الله، فان تلك الخلة تنقلب عليه عداوة، لان صاحبها يتبين فساد تلك الخلة يوم القيامة وإنما كان كذلك، لان كل واحد من المتخالين في غير طاعة الله يزين لصاحبه خلاف الحق ويدعوه إلى ما يوبقه ويورثه سوء العاقبة بدل ما كان يلزمه من النصيحة له في الدعاء إلى ترك القبيح وفعل الحسن ثم استثنى من جملة الأخلاء الذين اخبر عنهم أنهم يصيرون أعداءا " المتقين " لان من كانت مخالته في طاعة الله وعلى ما أمر الله به فإنها تتأكد ذلك اليوم ولا تنقلب عداوة.
ثم اخبر تعالى بما يقال للمؤمنين المطيعين من عباده فإنه يناديهم فيقول لهم " يا عبادي " وخصهم بأنهم عباده من حيث أطاعوه واجتنبوا معاصيه " لا خوف عليكم اليوم " من العقاب " ولا أنتم تحزنون " من فوت الثواب. ثم وصف عباده وميزهم من غيرهم فقال " الذين آمنوا بآياتنا " يعني الذين صدقوا بحجج الله فاتبعوها " وكانوا مسلمين " أي مستسلمين لما أمرهم الله به منقادين له.
ثم بين انه يقال لهم " ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم " اللاتي كن مؤمنات " تحبرون " أي تسرون فيها، والحبور السرور الذي يظهر في بشرة الوجه اثره، وحبرته حسنة بما يظهر أثر السرور به. وقال قتادة وابن زيد: معنى " تحبرون "

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تنعمون - قال السدي: معناه تكرمون، والمراد بالأزواج من كان مستحقا للثواب ودخل الجنة. وقيل: المراد بالأزواج اللاتي يزوجهم الله بهن من الحور العين في الجنة.

قوله تعالى:

(يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها
ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون (٧١) وتلك
الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (٧٢) لكم فيها فاكهة
كثيرة منها تأكلون (٧٣) إن المجرمين في عذاب جهنم
خالدون (٧٤) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) (٧٥) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم " ما تشتهيه " الأنفس ب (هاء). الباقون " تشتهي " بلا هاء. وحذف الهاء من الصلة إذا كانت للمفعول حسن، كقوله تعالى " أهذا الذي بعث الله رسولا " (١) ومن أثبتها، فلانه الأصل.

لما استثنى الله تعالى المتقين من جملة الأخلاء الذين تنقلب خلتهم عداوة وأن خلتهم باقية وأنه يقال لهم ولأزواجهم ادخلوا الجنة محبورين، اخبر بما لهم فيها من أنواع اللذات، فقال " يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب " وتقديره تنقل ألوان الطعام إليهم في صحاف الذهب. ثم يؤتون بأكواب الشراب على جهة الاستمتاع في جميع تلك الأحوال. والصحاف الجامات التي يؤكل فيها ألوان

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٤١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأطعمة واحدها صحفة. والذي يطوف بذلك الوصف أو الوصايف من الحور العين الذين يخلقهم الله في الجنة واكتفى بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب. وواحد الأكواب كوب وهو إناء على صورة الإبريق لا أذن له ولا خرطوم قال الأعشى:

صليفية طيبا طعمها * لها زبد بين كوب ودن

وهو كالكأس للشراب. وقال السدي: الصحاف القصاع.

وقوله تعالى " وفيها " يعني في الجنة " ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين " وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين وهو للسان لان المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذة، فاضافتها إلى هذه الجهة أحسن وأبلغ لما فيه من البيان مع الايجاز، لأنه الموضع الذي يلتذ الانسان به عند رؤيته بعينه.

ثم قال " وأنتم فيها " يعني في الجنة وفي هذه الأنواع من اللذات " خالدون " أي مؤبدون. وقوله " وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون " قال الحسن: ورث الله تعالى الذين أطاعوه وقبلوا امره ونهيه منازل الذين عصوه ولم يقبلوه أمره ونهيه. ويجوز أن يكون المراد لما كانت الجنة جزاء على أعمالهم التي عملوها وعقيب ذلك عبر عن ذلك بأنهم أورثوها. ثم بين مالهم في الجنة أيضا فقال " لكم " معاشر المتقين " فيها " يعني في الجنة " فاكهة كثيرة " أي ثمار عظيمة " منها تأكلون ".

ثم اخبر تعالى عن حال أهل النار والعصاة فقال " إن المجرمين " يعني الذين عصوا الله " في عذاب جهنم " وعقابها " خالدون " أي دائمون " لا يفتر عنهم العذاب " واصل الفتور ضعف الحرارة " وهم فيه " يعني في العذاب (مبلسون) أي يائسون من رحمة الله وفرجه - وهو قول قتادة - والابلاس اليأس من الرحمة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من شدة الحيرة، يقال أبلس فلان إذا تحير عند انقطاع الحجة.
قوله تعالى:
(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين (٧٦) ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون (٧٧) لقد جئناكم
بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (٧٨) أم أبرموا أمرا فانا
مبرمون (٧٩) أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون) (٨٠) خمس آيات بلا خلاف.
لما بين الله تعالى ما يفعله بالفساق والمجرمين من أنواع العذاب بين انه لم يظلمهم بذلك لأنه تعالى غني عن ظلمهم عالم بقبح الظلم، ومن كان كذلك لا يفعل القبيح، والظلم قبيح. وبين انهم هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي وفعل القبائح. ثم حكى تعالى ما ينادي به هؤلاء العصاة في حال العذاب، فإنهم ينادون مالكا خازن النار فيقولون (يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليميتنا حتى نتخلص من العذاب، فيقول مالك مجيبا لهم (إنكم ماكثون) أي لابثون فيها. وقال ابن عباس والسدي: إنما يجيبهم مالك خازن جهنم بذلك بعد الف سنة، وقال عبد الله بن عمر: بعد أربعين سنة. وقال نوف: بعد مئة عام.
ثم اخبر تعالى إنه جاء الخلق بالحق في ما أخبر به من حال أهل الجنة وأهل النار. ولكن أكثركم معاشر الخلق كارهون للحق. وإنما لا يكره ذلك المؤمنون منكم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (أم ابرموا أمرا فانا مبرمون) أي اجمعوا على التكذيب أي عزموا عليه فانا مجمعون على الجزاء لهم بالتعذيب - وهو قول قتادة - ويكون ذلك على وجه الازدواج، لان العزم لا يجوز عليه تعالى، ومثله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (١) وقيل: معناه أم احكموا أمرا في المخالفة، فانا محكمون أمرا في المجازاة.

ثم قال (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي يظن هؤلاء الكفار انا لا نسمع سرهم ونجواهم أي ما يخفونه بينهم وما يعلنونه. ثم قال تعالى (بلى) نسمع ذلك وندركه ومع ذلك (رسلنا لديهم يكتبون) قال السدي وقتادة: معناه إن رسلنا الذين هم الحفظة لديهم يكتبون ما يفعلونه ويقولونه.

وقد روي إن سبب نزول هذه الآية ما هو معروف في الكتب لا نطول بذكره

قوله تعالى:

(قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (٨١)
سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون (٨٢)
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (٨٣) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (٨٤)
وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) (٨٥) خمس آيات بلا خلاف.

قيل في معنى قوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أقوال:

أحدها - فانا أول الآنفين من عبادته، لان من كان له ولد لا يكون إلا

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

جسما محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة تقول: العرب عبد ت فصمت قال الفرزدق:

واعبد ان يهجى كليب بدارم (١)

وقال آخر:

ألا هذيت أم الوليد وأصبحت * لما أبصرت في الرأس مني تعبد (٢)

الثاني – ما قاله ابن زيد وابن أسلم وقتادة: إن (ان) بمعنى (ما) وتقديره ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله.

الثالث – هو انه لو كان له ولد لعبدته على ذلك كما تقول لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله لعبدته لكنها لا تدعوا إلى عبادة غيره، وكما تقول: لو دل الدليل على أن له ولدا لقلت به، لكنه لا يدل، فهذا تحقيق نفي الولد لأنه تعليق محال بحال.

الرابع – قال السدي: لو كان له ولد لكنت أول من عبده بأن له ولدا، لكن لا ولد. وهذا قريب من الوجه (الثالث).

الخامس – إن كان لله ولد على قولكم، فأنا أول من وحده وعبده على أن لا ولد له – ذهب إليه مجاهد – وإنما لم يجز على الله تعالى الولد لأنه لا يخلو من أن يضاف إليه الولد حقيقة أو مجازا، وحقيقته أن يكون مخلوقا من مائه أو مولودا على فراشه، وذلك مستحيل عليه تعالى. ومجازه أن يضاف إليه على وجه التبني وإنما يجوز فيمن يجوز عليه حقيقته، ألا ترى انه لا يقال تبنى شاب شيخا لما لم يمكن أن يكون له ولد حقيقة، وإنما جاز ان يضاف إلى شيخ شاب على أنه تبناه لما

---

(١) القرطبي ١٦ / ١٢٠ والشوكاني ٤ / ٥٥٠

(٢) تفسير الطبري ٢٥ / ٥٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كان حقيقته مقدورة فيه، وكذلك لا يقال تبنى انسان بهيمة لما كان يستحيل أن يكون مخلوقا من مائه أو على فراشه، فلما استحال حقيقته على الله تعالى استحال عليه مجازه أيضا. وإنما جاز أن يقال روح الله، ولم يجز ان يقال ولد الله لان روح الله بمعنى ملك الله للروح، وإنما أضيف إليه تشريفا. وإن كانت الأرواح كلها لله بمعنى انه مالك لها. ولا يعرف مثل ذلك في الولد. ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السماوات والأرض) يعني الذي خلقهن (رب العرش) أي خالقه ومدبره (عما يصفون) من اتخاذ الولد، لان من قدر على خلق ذلك وإنشائه مستغن عن اتخاذ الولد.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله على وجه التهديد للكفار (فذرهم) أي اتركهم (يخوضوا) في الباطل (ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذين يوعدون) بمعنى يوعدون فيه بالعذاب الأبدي. وقال تعالى (وهو الذي في السماء إله) أي يحق له العبادة في السماء ويحق له العبادة في الأرض، وإنما كرر لفظة إله في قوله (وفي الأرض إله) لاحد أمرين:

أحدهما - للتأكيد ليتمكن المعنى في النفس لعظمه في باب الحق.

الثاني - إن المعنى هو في السماء إله، يجب على الملائكة عبادته، وفي الأرض اله يجب على الآدميين عبادته (وهو الحكيم) في جميع افعاله (العليم) بجميع المعلومات (وتبارك) وهو مأخوذ من البرك وهو الثبوت، ومعناه جل الثابت الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: معناه جل الذي عمت بركة ذكره (الذي له ملك السماوات والأرض) أي الذي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع (وما بينهما وعنده علم الساعة) يعني علم يوم القيامة، لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازي كلا على قدر عمله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فمن قرأ بالتاء خاطب الخلق. ومن قرأ بالياء رد الكناية إلى الكفار الذين تقدم ذكرهم.

قوله تعالى:

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٦) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٧) وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٨) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) (٨٩) أربع آيات بلا خلاف

قرأ عاصم وحمزة (وقيله) بكسر اللام على تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله. والباقون بالنصب. وقال الأخفش: ردا على قوله (أم يحسبوا أنا لا نسمع سرهم... وقيله) وهو نصب على المصدر. وقال قوم: معناه أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ولعلمهم وقيله، لأنه لما قال (وعنده علم الساعة) كان تقديره ويعلم قيله، وقرأ قتادة (وقيله) بالرفع جعله ابتداء.

يقول الله تعالى مخبرا إن الذي يدعونه الكفار إلها ويوجهون عبادتهم إليه من الأصنام والأوثان وغيرها لا يملكون من دون الله الشفاعة. وهي مسألة الطالب العفو عن غيره وإسقاط الضرر عنه، لان حقيقة الشفاعة ذلك. وعند قوم يدخل فيها المسألة في زيادة المنافع. ثم استثنى من جملتهم من شهد بالحق وهم عالمون بذلك وهم الملائكة وعيسى وعزير. وقيل: المعنى ولا يشفع الملائكة وعيسى وعزير لامن شهد بالحق، وهو يعلم الحق - ذكره مجاهد - وقال قوم (الا من شهد بالحق) الملائكة وعيسى وعزير لهم عند الله شهادة بالحق. وقيل: المعنى إلا من يشهد بأنه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أهل العفو عنه (وهم يعلمون) ذلك. وهؤلاء أصحاب الصغائر والذين تابوا من الكبائر.
ثم قال تعالى و (لئن سألتهم) يا محمد يعني هؤلاء الكفار (من خلقهم) وأخرجهم من العدم إلى الوجود (ليقولن الله) لأنهم يعلمون ضرورة أن الأصنام لم تخلقهم. فقال الله تعالى معنفا لهم (فأني يؤفكون) مع علمهم بأن الله هو خالقهم، فكيف ينقلبون عن عبادته إلى عبادة غيره.
وقوله (وقيله يا رب) من نصبه احتمل أن يكون بقوله (إلا من شهد بالحق) وقال (قيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) على وجه الانكار عليهم.
وقيل: المعنى أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم... وقيله. وقال الزجاج: الاختيار (وعنده علم الساعة) ويعلم (قيله) ومن جر فعلى تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب. وقيل: معنى (وقيله) أنه شكا محمد صلى الله عليه وآله شكوة إلى
ربه. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (فاصفح عنهم) أي اعف عنهم. قال قتادة: وكان ذلك قبل أمره إياه بقتالهم (وقل سلام) رفع على تقديره وهو عليكم سلام أي ما سلم به من شرهم وأذاهم. وقال الحسن: يعني (وقل سلام) احلم عنهم ثم هددهم فقال (فسوف تعلمون) بالتاء على وجه الخطاب. الباقون بالياء على الخبر عن الكفار الذين مضى ذكرهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٤ - سورة الدخان

وهي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي تسع وخمسون آية في الكوفي وسبع في البصري وست في المدنيين والشامي وسنذكر اختلافهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم (١) والكتاب المبين (٢) إنا أنزلناه في ليلة مباركة
إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) أمرا من
عندنا إنا كنا مرسلين (٥) رحمة من ربك إنه هو السميع
العليم) (٦).

ست آيات في الكوفي وخمس في الباقين.

قد بينا معنى (حم) في ما مضى واختلاف الناس فيه وان أقوى الوجوه انه اسم للسورة. وإنما كرر ذكر (حم) لأنه ينبئ عن استفتاح السورة بذكر الكتاب على وجه التعظيم إذ على ذلك جميع الحواميم، فهو اسم علم للسورة مضمن بمعنى الصفة من وجهين:

أحدهما - انها من الحروف العربية. والآخر أنه استفتحت بذكر الكتاب على طريق المدحة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (والكتاب المبين) فالمراد بالكتاب القرآن، وجره بأنه قسم.
وقال قوم: تقديره ورب الكتاب المبين، وإنما أقسم به لينبئ عن تعظيمه. لان القسم يؤكد الخبر بذكر المعظم منعقدا بما يوجب أنه حق كما أن تعظيمه حق. وإنما وصف بأنه مبين وهو بيان مبالغة في وصفه بأنه بمنزلة الناطق بالحكم الذي فيه من غير أن يحتاج إلى استخراج الحكم من مبين غيره، لأنه يكون من البيان مالا يقوم بنفسه دون مبين حتى يظهر المعنى فيه.
وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) إخبار منه تعالى أنه انزل القرآن في الليلة المباركة، وهي ليلة القدر - في قول قتادة وابن زيد - وقال قوم: هي ليلة النصف من شعبان. والأول أصح لقوله تعالى (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) (١) وقيل هي في كل شهر رمضان فيها تقسم الآجال والأرزاق وغيرهما من الألطاف - في قول الحسن - وقيل: انزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر.
ثم انزل نجوما على النبي صلى الله عليه وآله وقيل ينزل في ليلة القدر قدر ما يحتاج إليه في تلك
السنة. وقيل المعنى إن ابتداء انزاله في ليلة مباركة، ووصفها. بأنها مباركة لان فيها يقسم الله تعالى نعمه على عباده من السنة إلى السنة. والبركة نماء الخير، وضده الشؤم وهو نماء الشر، فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة، فان الخير ينمى فيها على ما دبره الله لها من علو الخير الذي قسمه فيها.
وقوله (إنا كنا منذرين) فالانذار الاعلام بموضع الخوف ليتقى وموضع الامن ليرتجى، فالله تعالى قد انذر العباد بأتم الانذار من طريق العقل والسمع
وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فحكيم - ههنا - بمعنى محكم، وهو ما بيناه من أنه تعالى يقسم في هذه الليلة الآجال والأرزاق وغيرها.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٨٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (امرا من عندنا) يحتمل أن يكون نصبا على الحال، وتقديره أنزلناه آمرين. ويحتمل أن يكون على المصدر وتقديره يفرق كل أمر فرقا، ووضع امرا موضعه.

وقوله (إنا كنا مرسلين) اخبار منه تعالى انه يرسل الرسل (رحمة) أي نعمة. ونصبه على المصدر واختار الأخفش النصب على الحال أي أنزلناه آمرين راحمين. ويجوز أن يكون نصبا على أنه مفعول له أي أنزلناه للرحمة. وسميت النعمة رحمة، لأنها بمنزلة ما يبعث على فعله رقة القلب على صاحبه ومع داعي الحكمة إلى الاحسان إليه يؤكد أمره.

وقوله (إنه هو السمع العليم) معناه إنه يسمع ما يقوله خلقه من المبطلين والمحقين فيجيب كلا منهم على ما يعلمه من مصلحته من إرساله الرسل إليه وإنعامه عليه قوله تعالى:

(رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٧)
لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين (٨)
بل هم في شك يلعبون (٩) فارتق يوم تأتي السماء بدخان
مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم) (١١) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (رب السماوات) خفضا بدلا من قوله (رحمة من ربك.. رب السماوات) الباقون بالرفع على الاستئناف. ويجوز أن يكون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

خبر (إن) في قوله (إنه هو السميع العليم).
لما ذكر الله تعالى أنه - عز وجل - السميع العليم، وصف نفسه أيضا
بأنه الذي خلق السماوات والأرض ودبرهما، ودبر ما فيهما (إن كنتم موقنين)
بهذا الخبر محققين له، وقيل: إن وجه الاحتجاج بذكر رب السماوات والأرض
- ههنا - أن الذي دبرهما على ما فيه مصالح العباد هو الذي دبر الخلق بارسال الرسول
رحمة منه بعباده على ما فيه مصالحهم. ومعنى (إن كنتم موقنين) أي إن كنتم
ممن يطلب اليقين، فهذا طريق اليقين يلج الصدور بالعلم، وهو حال يجده الانسان
من نفسه عند التعقل. ولهذا يقال: من وجد برد اليقين كان من المتقين. ولذلك
لا يوصف الله تعالى باليقين وإن وصف بأنه عالم وعليم.
ثم بين تعالى انه لا أحد يستحق العبادة سواه بقوله (لا إله إلا هو)
وانه (يحيي) الخلق بعد موتهم (ويميت) أي ويميتهم بعد احيائهم (ربكم)
الذي خلقكم ودبركم (ورب آبائكم) الذي خلقهم، دبرهم (الأولين) الذين
سبقوكم وتقدموكم.
ثم اخبر تعالى عن الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بل هم في
شك) يعني بما أخبرناك به ووصفنا الله تعالى به (يلعبون) مع ذلك ويسخرون.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (فارتقب) قال قتادة: فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان
مبين) والدخان الظلمة التي كانت تغشى أبصار المشركين من قريش لشدة الجوع
وحين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله، فقال (اللهم سنين كسنين يوسف) - في قول
ابن
مسعود والضحاك - وقال ابن عباس والحسن وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله إن
الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس
الحنيذ ونصيب المؤمن منه مثل الزكمة. و (يغشى الناس) يعني الدخان يغشى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الناس. ثم حكى تعالى بأن هؤلاء الكفار يقولون عند ذلك (هذا عذاب أليم) أي مؤلم موجع. والغشى اللباس الذي يغمر الشئ، لان الانسان قد يلبس الإزار ولا يغشيه. فإذا غمه كان قد غشاه. والغاشية من الناس الجماعة يغشون، وغاشية السرج من ذلك، ومنه قوله (يغشي الليل النهار) (١) والعذاب استمرار الألم ووصفه ب (أليم) مبالغة في سببه، لأجل استمراره وصار بالعرف عبارة عن العقاب، لان الألم الذي يفعل للعوض والاعتبار، كأنه لا يعتد به لما يؤول إليه من النفع.

قوله تعالى:

(ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (١٢) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (١٣) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (١٤) إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون (١٥) يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) (١٦) خمس آيات بلا خلاف.

لما اخبر الله تعالى أن الدخان يغشى الناس عذابا لهم وعقابا للكفار، وحكى أنهم يقولون هذا عذاب أليم، حكى أيضا انهم يقولون ويدعون (ربنا اصرف عنا العذاب) الذي أنزلته من الدخان إنا موقنون) بأنه لا إله غيرك، وأن لا يستحق العبادة سواك. فقال تعالى (أني لهم الذكرى) قال ابن عباس معناه (كيف)؟ وقال غيره معناه من أين لهم الذكرى (وقد جاءهم رسول مبين) وحثهم على ذلك فلم يقبلوا منه، وهذا زمان سقوط التكليف لكونهم ملجئين

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٥٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فلا تقبل لهم توبة.
وقوله (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال مجاهد: المعنى ثم تولوا عن محمد صلى الله عليه وآله وقالوا هو معلم يعلمه غيره، ونسبوه إلى الجنون، وأنه مجنون. ثم قال
تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا) على وجه التبكيت لهم على شدة عنادهم إنا لو كشفنا عنكم العذاب ورفعناه عنكم (إنكم عائدون) فمن قال إن العذاب بالدخان عند رفع التكليف قال (إنكم عائدون) في العذاب، وهو قول قتادة ومن ذهب إلى أنه في الدنيا مع بقاء التكليف، قال معناه (انكم عائدون) في الضلال. وهو قول جماعة.
وقوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) فالبطش الاخذ بشدة وقع الألم، بطش به يبطش بطشا، ومثله عرش يعرش ويعرش، وهو باطش، وأكثر ما يكون بوقوع الضرب المتتابع، فأجري افراغ الألم المتتابع مجراه و (البطشة الكبرى) قال ابن مسعود ومجاهد وأبو العالية، وروى عن ابن عباس وأبي بن كعب والضحاك وابن زيد: هو ما جرى عليهم يوم بدر - وفي رواية أخرى عن ابن عباس والحسن انه يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي.
وقوله (إنا منتقمون) اخبار منه تعالى أنه ينتقم من هؤلاء الكفار بانزال العقوبة بهم، وقد فرق قوم بين النقمة والعقوبة: بأن النقمة ضد النعمة، والعقوبة ضد المثوبة، فهي مضمنة بأنها بعد المعصية في الصفة، وليس كذلك النقمة وإنما تدل الحكمة على أنها لا تقع من الحكيم إلا لأجل المعصية.
قوله تعالى:
(ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين (١٨) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين (١٩) وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) (٢١) خمس آيات بلا خلاف.

أقسم تعالى انه فتن قبلهم يعني قبل كفار قوم النبي صلى الله عليه وآله (قوم فرعون) أي اختبرناهم، وشددنا عليهم بأن كلفناهم، لان الفتنة شدة التعبد في الاخذ بالسراء والضراء، وأصلها الاحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش، فهذه الشدة كشدة الاحراق للخلاص. وقيل: الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لم يعلم (وجاءهم رسول كريم) أي حقيق بالتكرم في الدعاء إلى الله والبرهان الواضح والدليل القاهر حتى يسلكوا طريق الهدى المؤدي إلى ثواب الجنة ويعدلوا عن طريق الردى المؤدي إلى العقاب. وقيل: معناه كريم عند الله بما استحق بطاعته من الاكرام والاجلال.

وقوله (أن أدوا إلي عباد الله) قال الحسن: هو مثل قوله (إن ارسل معنا بني إسرائيل) (١) ف (عباد الله) منصوب ب (أدوا) وقيل: هو منصوب على النداء. أي يا عباد الله أدوا ما أمركم به، في قول الفراء (إني لكم رسول أمين) على ما اؤديه إليكم وادعوكم إليه، (وأن لا تعلوا على الله) قال ابن عباس: معناه أن لا تطغوا عليه بافتراء الكذب عليه. وقال قتادة: معناه ان لا تبغوا عليه بكفر نعمه، وقيل معناه أن لا تتكبروا على الله بترك طاعته

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

واتباع أمره. وقيل: معناه أن لا تبغوا على أولياء الله بالبغي عليهم. وقال الحسن: معناه لا تستكبروا عليه بترك طاعته (إني آتيكم بسلطان مبين) أي بحجة واضحة لان السلطان الحجة والمبين الظاهر الذي مع ظهوره يظهر الحق، فكأنه أظهره.
ثم قال لهم (وإني عذت بربي) الذي خلقني (وربكم) الذي خلقكم (أن ترجمون) قال ابن عباس وأبو صالح: الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم، كقولهم: هو ساحر كذاب ونحوه، وقال قتادة: هو الرجم بالحجارة. ثم قال لهم (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي لم تؤمنوا بي، فاللام بمعنى الباء ومعناه وإن لم تصدقوني في أني رسول الله إليكم وأن ما أدعوكم إليه حق يجب عليكم العمل به فلا أقل من أن تعتزلون بصرف أذاكم عني، لأنكم إن لا تجاوزا الاحسان بالاحسان، فلا إساءة. وإنما دعاهم إلى ترك ملابسته بسوء إن أصروا على الكفر ولم يقبلوا إلى الايمان لان هذا أمر يدعو إليه العقل ببديهته ولا يحتاج إلى برهان.
قوله تعالى:
(فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون (٢٢) فأسر بعبادي
ليلا إنكم متبعون (٢٣) واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون (٢٤)
كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦)
ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٨)
فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) (٢٩) ثمان آيات بلا خلاف.
قرأ أبو جعفر (فاكهين) بغير الف - ههنا - وفى المطففين. وفي الطور

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وافقه الداجوني وحفص في المطففين.
حكى الله تعالى أن موسى حين يئس من قومه ان يؤمنوا به (دعا) الله (ربه) فقال (إن هؤلاء قوم مجرمون) وقيل إنه دعا بما يقتضيه سوء افعالهم وقبح إجرامهم وسوء معاملتهم له، فكأنه قال: اللهم عجل لهم بما يستحقونه باجرامهم ومعاصيهم بما به يكونون نكالا لمن بعدهم، وما دعا بهذا الدعاء إلا بعد إذن الله له في الدعاء عليهم.
وقوله (فاسر بعبادي) الفاء وقعت موقع الجواب، وتقديره فدعا فأجيب بأن قيل له (فاسر بعبادي) فهي عطف وقع موقع جواب الدعاء. وأمره الله تعالى بأن يسير بأهله والمؤمنين به لئلا يروهم إذا خرجوا نهارا، واعلمه (إنكم متبعون) أنه سيتبعهم فرعون وقومه ويخرجون خلفهم، وأمره بأن (يترك البحر رهوا) أي ساكنا على ما هو به من كثرته إذا قطعه، ولا يرده إلى ما كان ويقال: عيش رآه إذا كان خفضا وادعا. وقال قوم: معناه اترك البحر يبسا. وقيل: طريقا يابسا. وقال ابن الاعرابي: معناه واسعا ما بين الطاقات. وقال خالد ابن خيبري: معناه رمثا أي سهلا ليس برمل ولا حزن. ذكره الأزهري يقال: جاء الخيل رهوا أي متتابعة. وقال ابن الاعرابي الرهو من الخيل والطير السراع. وقال العكلي: المرهي من الخيل الذي تراه كأنه لا يسرع، وإذا طلب لا يدرك، ويقال: أعطاه سهوا رهوا أي كثيرا لا يحصى. وإنما قيل ذلك، لأنه كان أمره أولا ان يضرب البحر بعصاه ليفلق فيه طرقا لقومه ثم أمره بأن يتركه على الحالة الأولى ليغرق فيه فرعون وجنده، قال الشاعر:
طيرا رأت بازيا نضح الدماء به * وأمة أخرجت رهوا إلى عيد (١)
أي سكونا على كثرتهم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٦٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم اخبره عن فرعون وقومه ب (إنهم جند مغرقون) أي سيغرقهم الله.
وفي الكلام حذف، لان تقديره ان موسى سار بقومه وتبعه فرعون وجنده وأن الله أهلكهم وغرقهم.
ثم اخبر عن حالهم بأن قال (كم تركوا من جنات) يعني من بساتين لهم تركوها لم تنفعهم حين نزل بهم عذاب الله (وعيون) جارية لم تدفع عنهم عقاب الله (وزروع جمع زرع ومقام كريم) قيل: هو المجلس الشريف. وقيل: مقام الملوك والامراء والحكماء. وقيل: المنازل الحسنة. وقال قتادة: يعني مقام حسن بهج. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المناظر. وقيل: المنابر. وقيل: المقام الكريم هو الذي يعطي اللذة، كما يعطي الرجل الكريم الصلة (ونعمة كانوا فيها فاكهين)، فالنعمة - بفتح النون - التنعيم - وبكسرها - منفعة يستحق بها الشكر، وإن كانت مشقة، لان التكليف نعمة وإن كانت فيه مشقة. ومعنى الآية انهم كانوا متمتعين. فالفاكه المتمتع بها بضروب اللذة، كما يتمتع الآكل بضروب الفاكة، يقال: فكه يفكه فكها، فهو فاكه، وفكه وتفكه يتفكه تفكها، فهو متفكه.
وقوله (كذلك وأورثناها قوما آخرين) فتوريثه النعمة إلى الثاني بعد الأول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى أهله على تلك الصفة، وتوريث العلم شبه بذلك، لان الأول تعب في استخراجه وتوطئة الدلالة المؤدية إليه، ووصل إلى الثاني وهو رافه وادع، لم يكل لطول الفكر وشدة طالب العلم، فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم، كان ذلك توريثا من الله لهم. قال قتادة: يعني بقوم آخرين بني إسرائيل، لان بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون على ما قيل، وكذلك قال في موضع آخر (وأورثناها بني إسرائيل) (١).

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٦٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (فما بكت عليهم السماء والأرض) قيل في معناه ثلاثة أقوال:
أحدها - قال الحسن فما بكى عليهم - حين أهلكهم الله - أهل السماء وأهل الأرض، لأنهم مسخوط عليهم مغضوب عليهم بانزال الخزي بهم.
الثاني - إن التقدير ان السماء والأرض لو كانتا ممن يبكى على أحد إذا هلك لما بكتا على هؤلاء، لأنهم ممن أهلكهم الله بالاستحقاق وانزل عليهم رجزا بما كانوا يكفرون. والعرب تقول: إذا أرادت أن تعظم موت إنسان: اظلمت الشمس وكسف القمر لفقده وبكت السماء والأرض، وإنما يريدوا المبالغة قال الشاعر:
الريح تبكي شجوها * والبرق يلمع في الغمامة (١)
وقال آخر:
والشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر (٢)
الثالث - انهم لم يبك عليهم ما يبكى على المؤمن إذا مات، مصلاه ومصعد علمه - ذكره ابن عباس وابن جبير - ومعناه لم يكن لهم عمل صالح. وقال السدي: لما قتل الحسين عليه السلام بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة أطرافها. وقال الحسن: ما بكى
عليهم المؤمنون والملائكة، بل كانوا بهلاكهم مسرورين.
وقوله " وما كانوا منظرين " أي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا.
قوله تعالى:
(ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين (٣٠)
من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين (٣١) ولقد اخترناهم

---

(١) تفسير القرطبي ٦١ / ١٤٠ نسبه إلى يزيد بن يربوع الحميري، وقد مر في ٢ / ٤٠٠
(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ١٤٠ نسبه إلى جرير.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

على علم على العالمين (٣٢) وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء
مبين (٣٣) إن هؤلاء ليقولون (٣٤) إن هي إلا موتتنا الأولى
وما نحن بمنشرين (٣٥) فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) (٣٦)
سبع آيات كوفي وست في ما عداه، عد الكوفيون " ليقولون " ولم
يعده الباقون.
اقسم الله تعالى أنه نجى أي خلص بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى من
العذاب المهين الذي كان يفعله بهم فرعون وقومه لأنهم كانوا استعبدوهم، وكانوا
يكلفونهم المشاق ويحملوهم القذارات ويكلفونهم كنسها وتنظيفها وغير ذلك،
فخلصهم الله تعالى حين أهلك فرعون وقومه ووفقهم للايمان بموسى.
ثم اخبر تعالى ان فرعون كان عاليا من المسرفين أي متجبرا متكبرا من
المسرفين في الأرض الذين يتجاوزون حد ما يجوز فعله إلى مالا يجوز فعله استكبارا
وعلوا وعتوا، يقال: أسرف يسرف إسرافا فهو مسرف، ومثله الافراط، وضده
الاقتار، وإنما وصف المسرف بأنه عال، وإن كان وصف عال قد يكون صفة مدح، لأنه
قيده بأنه عال في الاسراف، لان العالي في الاحسان ممدوح والعالي في الاسراف
مذموم، واطلاق صفة عال تعظيم، وإذا أطلق فالمدح به أولى.
ثم اخبر تعالى مقسما بأنه اختارهم يعني موسى وقومه على علم على العالمين،
فالاختيار هو اختيار الشئ على غيره بالإرادة له لتفضيله عليه. ومثله الايثار،
وليس في مجرد الإرادة تفضيل شئ على غيره، لأنه قد يمكن أن يريد شيئا من غير
أن يخطر بباله ما هو فيه أولى منه في العقل، فلا يكون اختياره تفضيلا. وإما ان يريد
الأولى ولا يدري انه أولى، فيختاره عليه لجهله بأنه أولى أو يختاره وهو يعلم أنه غير

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أولى، ويختاره لحاجته إليه من جهة تعجل النفع به، ومن اختار الأدون في الصلاح على الأصلح كان منقوصا مذموما، لأنه بمنزلة من اختار القبيح على الحسن.
وقيل: المعنى اخترناهم على عالمي زمانهم بدلالة قوله لامة نبينا " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (١) وذلك يوجب انه ما اختارهم على من هو خير منهم، وإنما اختارهم على من هو في وقتهم من العالمين. وقال قتادة، ومجاهد: على عالمي زمانهم. وإنما قال " اخترناهم على علم على العالمين " بما جعل فيهم من الأنبياء الكثيرين، فهذه خاصة لهم ليست لغيرهم، لما في العلوم من مصالح المكلفين بأنبيائهم.
ثم بين ما بن اختارهم بأن قال " وآتيناهم " يعني أعطيناهم " من الآيات " يعني الدلالات والمعجزات " ما فيه بلاء مبين " قال الحسن: يعني ما فيه النعمة الظاهرة. قال الفراء: البلاء قد يكون بالعذاب، وقد يكون بالنعمة، وهو ما فعل الله بهم من إهلاك فرعون وقومه، وتخليصهم منه وإظهار نعمه عليهم شيئا بعد شئ.
ثم اخبر تعالى عن كفار قوم نبينا صلى الله عليه وآله فقال " ان هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى " أي ليس هذا الا الموتة الأولى " وما نحن " أي لسنا بعدها بمبعوثين ولا معاد بن " بمنشرين " ويقولون " فأتوا بآبائنا " الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم " ان كنتم صادقين " في أن الله تعالى يقدر على إعادة الأموات واحيائهم لان من قدر على النشأة الثانية قدر على إعادة الآباء، وهذا باطل لان النشأة الثانية إنما وجبت للجزاء لا للتكليف، فلا تلزم إعادة الآباء ولا تجب.

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١١٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم
كانوا مجرمين (٣٧) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما
لاعبين (٣٨) ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٩)
إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) (٤٠) أربع آيات بلا خلاف.
ان قيل: لم لم يجابوا عن شبهتهم في الآية، ولم يبين لهم أن ذلك لا يلزم، وما الوجه في جوابهم؟ " أهم خير أم قوم تبع " قلنا: من تجاهل في الحجاج الذي يجري مجرى الشغب الذي لا يعتقد بمثله مذهب لنفي الشبهة فيه، فإنه ينبغي أن يعدل عن مقابلته إلى الوعظ له بما هو أعود عليه، فلذلك عدل تعالى معهم إلى هذا الوعيد الشديد، وقال " أهم " هؤلاء الكفار " خير أم قوم تبع والذين من قبلهم " فانا " أهلكناهم " لما جحدوا الآيات وكفروا بنعم الله وارتكبوا معاصيه فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك. وقيل: تبع الحميري كان رجل من حمير سار بالجيوش إلى الحيرة حتى حيرها، ثم أتى سمرقند فهدمها، وكان يكتب باسم الذي ملك بحرا وبرا وضحا وريحا، ذكره قتادة. وقال سعيد بن جبير وكعب الاخبار ذم الله قومه، ولم يذمه ونهى أن يسب. وحكى الزجاج: ان تبعا كان مؤمنا، وان قومه كانوا كافرين. وقيل: انه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير (هذا قبر رضوي وقبر جي ابني تبع لا يشركان بالله شيئا) وقيل: سمي تبعا، لأنه تبع من كان قبله من ملوك اليمن. والتبايعة اسم ملوك اليمن.
ثم قال تعالى " وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين " أي لم نخلق ذلك لا لغرض حكمي بل خلقناهم لغرض حكمي، وهو ان ننفع به المكلفين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ونعرضهم الثواب وننفع الحيوان بالمنافع لهم فيها واللذات. وفي الآية دلالة على من انكر البعث، لأنه لو كان على ما توهموه انه لا يجر به إلى الجزاء في دار أخرى مع ما فيه من الألم لكان لعبا، لأنه ابتدأ باختيار ألم لا يجر به إلى عوض.

ثم قال تعالى " وما خلقناهما " يعني السماوات والأرض " الا بالحق " قال الحسن معناه الا للحق الذي يصل إليه في دار الجزاء. وقيل فيه قولان آخران:

أحدهما - ما خلقناهما الابداعي العلم إلى خلقهما، والعلم لا يدعو الا إلى الصواب.

الثاني - وما خلقناهما الا على الحق الذي يستحق به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم.

ثم قال " ولكن أكثرهم لا يعلمون " بصحة ما قلناه لعدو لهم عن النظر فيه، والاستدلال على صحته. وفي ذلك دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية، لأنها لو كانت لما نفى تعالى علمهم بذلك.

ثم قال تعالى " ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين " يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل بما يضطر كل واحد منهما إلى حاله من حقه أو باطله فيشفي صدور المؤمنين ويقطع قلوب الكافرين بما يرون من ظهور الامر وانكشافه، وهو يوم القيامة، وبين انه ميقات الخلق أجمعين وهو من له ثواب وعوض أو عليه عقاب يوصله إليه.

قوله تعالى:

(يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (٤١) إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (٤٢) إن شجرت الزقوم (٤٣)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيز الحكيم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون) (٥٠).

عشر آيات كوفي وبصري وتسع في ما عداه، عد الكوفيون والبصريون " الزقوم " ووافقهم عليه الشاميون والمدني الأول. وعد أيضا العراقيون " يغلي في البطون " ووافقهم عليه المكبون والمدني الأخير.

قرأ " يغلي " بالياء كثير وابن عامر وحفص عن عاصم. الباقون بالتاء.

من قرأ بالياء رده إلى المهل. ومن قرأ بالتاء رده إلى الشجرة. قال أبو علي: من قرأ بالياء حمله على الطعام، لان الطعام هو الشجرة في المعنى ألا ترى انه خبر الشجرة والخبر هو المبتدأ بعينه إذا كان مفردا في المعنى، ولا يحمل على (المهل) لان المهل إنما ذكر ليشبه به في الذوق، لان التقدير إن شجرة الزقوم طعام الأثيم تغلي في البطون كالمهل على الحميم.

لما ذكر الله تعالى أن يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم الله فيه ويفصل بينهم بالحق أي يوم هو؟ فوصفه انه " يوم لا يغني فيه مولى عن مولى شيئا "، لان الله تعالى أيأس من ذلك، لما علم فيه من صلاح العباد، ولولا ذلك لجاز أن يغرى. والمعنى إنه ليس لهم من ينتصر لهم من عقاب الله تعالى، فلا ينافي ذلك ما نقوله: من أنه يشفع النبي والأئمة والمؤمنون في إسقاط كثير من عقاب المؤمنين، لان الشفاعة لا تحصل إلا بأمر الله واذنه. والمراد في الآية أنه ليس لهم من يغني عنهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من غير أن يأذن الله له فيه على وجه الدفع عنه والنصر له، وبين ذلك بقوله " ولاهم ينصرون " والمولى - ههنا - الصاحب الذي شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره، فيدخل في ذلك ابن العم والحليف وغيره ممن هذه صفته وقد استثنى ما أشرنا إليه بقوله " إلا من رحم الله " فان من يرحمه الله اما أن يسقط عقابه ابتداء أو يأذن في إسقاط عقابه بالشفاعة فيه.

ثم وصف نفسه بأنه القادر الذي لا يغلب ولا يقهر بدفع العقاب عمن يريد فعله به " الرحيم " أي المنعم لمن يريد العفو عنه باسقاط عقابه.

ثم اخبر تعالى " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم " الذي يستحق العقاب بمعاصيه وعنى به - ههنا - أبو جهل، فالزقوم ما أكل بتكره شديد له، لأنه يخشو به فمه ويأكله بشره شديد، ولهذا حكي عن أبي جهل انه أتى بتمر وزبد، فقال: نحن نتزقم هذا أي نملا به أفواهنا فما يضرنا.

ثم شبه ذلك بأنه مثل المهل، وهو الشئ الذي يذاب في النار حتى يشتد حره كالفضة والرصاص وغيرهما مما يماع بالنار، وهو مهل، لأنه يمهل في النار حتى يذوب. وقال ابن عباس: المهل ما أذيب بالنار كالفضة، وهو قول ابن مسعود وروي عن ابن عباس أيضا أن المهل دردي الزيت في النار. ثم وصف (المهل) بأنه " يغلي في البطون " من حرارته، كما يغلي الحميم وهو الماء المغلي على النار، فالمهل يغلي في بطون أهل النار، كما يغلي الماء بحر الايقاد والغلي ارتفاع المائع من الماء ونحوه بشدة الحرارة. والحميم الحار ومنه أحم الله ذلك من لقاء أي أدناه وقربه لان ما حم فللاسراع وما برد فللابطاء، ومنه حمم ريش الطائر إذا قرب خروجه.

ثم بين أنه تعالى يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكافر وأن يعتلوه " إلى سواء الجحيم " يعني إلى وسطه. والعتل زعزعة البدن بالجفاء والغلظة للإهانة، فمعنى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" اعتلوه " اعملوا به هذا العمل، ومنه العتل، وهو الجافي الغليظ يقال: عتله يعتله ويعتله عتلا إذا ساقه دفعا وسحبا. قال الفرزدق:

ليس الكرام بنا حليك إباءهم * حتى ترد إلى عطية تعتل (١)

و " سواء الجحيم " وسطه - في قول قتادة - وسمي وسط الشئ سواء، لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به، والسواء العدل كقولهم: هذا سواء بيننا وبينكم أي عدل.

ثم بين تعالى أنه يأمرهم بأن يصبوا فوق رأس الكافر من عذاب الحميم. وهو ما فسرناه. ثم يخاطبه فيقول له " ذق إنك أنت العزيز الكريم " على وجه التهجين له بما كان يدعي له مما ليس به أي أنت كذلك عند نفسك وقومك. ويجوز أن يكون على معنى النقيض، كأنه قيل: إنك أنت الذليل المهين إلا أنه قيل: على تلك الجهة للتبعيد منها على وجه الاستخفاف به. وقيل إن الآية نزلت في أبي جهل، وقد كان قال: (أنا أعز من بها وأكرم) - ذكره قتادة - وقيل: المعنى أنت الذي كنت تطلب العز في قومك والكرم بمعصية الله. وقيل: المعنى إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم، فما أغنى عنك.

ثم قال " إن هذا " يعني العذاب " ما كنتم به تمترون " أي تشكون فيه في دار الدنيا. وفى الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورة.

وقرأ الكسائي " ذق أنك " بفتح الهمزة بمعنى لأنك أنت العزيز أو بأنك الباقون - بكسر الهمزة - على وجه الابتداء بالخبر عنه، ويكون التقدير ذق العذاب. ثم ابتدأ إنك. وقرأ " فاعتلوه " - بضم التاء - ابن كثير ونافع وابن عامر. الباقون بكسر التاء وهما لغتان على ما حكيناه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٧٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(إن المتقين في مقام أمين (٥١) في جنات وعيون (٥٢)
يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين (٥٣) كذلك وزوجناهم
بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم (٥٦)
فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (٥٧) فإنما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون (٥٨) فارتقب إنهم مرتقبون) (٥٩) تسع
آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر ونافع " في مقام " بضم الميم، وهو موضع الإقامة. الباقون
بفتح الميم، وهو موضع القيام.
لما اخبر الله تعالى عن الكفار وما يفعله بهم من أنواع العقاب، أخبر عن
حال المطيعين وما أعده لهم من الثواب، فقال " إن المتقين " يعني الذين يجتنبون
معاصيه لكونها قبائح، ويفعلون طاعاته لكونها صاعة " في مقام أمين " أي موضع
إقامة - فيمن ضم الميم - ومن فتحها يريد أنهم في موضع قيامهم، ووصفه بأنهم
في " مقام أمين " من كل ما يخاف، وليس هذا في الدنيا، لأنه لا يخلو منها أحد
من موقف خوف من مرض أو أذى أو غير ذلك.
ثم بين ذلك المقام فقال " في جنات " يعني بساتين تجنها الأشجار " وعيون "

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ماء نابعة فيها " يلبسون من سند وإستبرق " فالسندس الحرير - في قول الحسن. والإستبرق الديباج الغليظ - في قول قتادة - وإنما رغبهم في ذلك بحسب ما كانوا يعرفونه، وإن كان - ههنا - ما هو ارفع منها وأحسن " متقابلين " أي يقابل بعضهم بعضا بالمحبة، لا متدابرين بالبغضة. ثم قال ومثل ما فعلنا بهم " كذلك زوجناهم بحور عين " فالحور جمع حوراء من الحور، وهو شدة البياض. وقال قتادة " بحور " أي ببيض، ومنه الحور لبياضه، وحورته أي بيضته من حار يحور أي رجع إلى الحالة الأولى كما يرجع إلى حال الأبيض، ومنه المحور " والعين " جمع عيناء وهي الواسعة العين الحسنة، وكذلك لهم في حكم الله. وقال الحسن: العيناء الشديدة السواد سواد العين، الشديدة البياض بياضها " يدعون فيها بكل فاكهة آمنين " أي يستدعون أي ثمرة شاؤوا غير خائفين فوتها. ثم قال " لا يذوقون فيها " يعني في الجنة " الموت إلا الموتة الأولى " شبه الموت بالطعام الذي يذاق وينكر عند المذاق. ثم نفى ذلك، وانه لا يكون ذلك في الجنة، وإنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع أن جميع الحيوان يوم القيامة لا يذوقون الموت، لما في ذلك من البشارة لهم بانتهاء ذلك إلى الحياة الهنيئة في الجنة، فأما من يكون فيها هو كحال الموت في الشدة، فلا يطلق له هذه الصفة، لأنه يموت موتات كثيرة بما يلاقي ويقاسي من الشدة، واما غير المكلفين، فليس مما يعقل، فتلحقه هذه البشارة وإن عم ذلك أهل الجنة.

وقوله " إلا الموتة الأولى " قيل إن (إلا) بمعنى (بعد) كأنه قال بعد الموتة الولي. وقيل: معنى (إلا) سوى كأنه قال: سوى الموتة الأولى. وقيل: إنها بمعنى (لكن) وتقديره لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. وقال الجبائي: هذا حكاية حال المؤمنين في الآخرة، فلما اخبرهم بذلك في الدنيا، وهم لم يذوقوا بعد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الموت جاز أن يقال لا يذوقون الموت في المستقبل إلا الموتة الأولى يخرجون بها من دار التكليف، وهذا ضعيف، لان في ذلك خبر عن حكمهم في الجنة وأنهم لا يذوقون فيها الموت ثم استثنى من ذلك الموتة الأولى، وكيف يرد إلى دار الدنيا؟! وحقيقة (إلا) إخراج بعض عن كل وحقيقة (بعد) إخراج الثاني عن الوقت الأول.

وقوله " ووقاهم عذاب الجحيم " أي يصرف عنهم عذاب النار، وليس في ذلك ما يدل على أن الفاسق الملي لا يعذب ويخرج من النار، من حيث أنه لا يكون قد وقي النار، لأنه يحتمل أمرين:

أحدهما - أن يكون ذلك مخصوصا بمن لا يدخل النار ممن لا يستحقه أو بمن عفي عنه.

والثاني - أن يكون المراد " ووقاهم عذاب الجحيم " على وجه التأييد أو على الوجه الذي يعذب عليه الكفار.

ثم بين أن ذلك فضل من الله، ونصبه على المصدر، وتقديره فضل فضلا منه تعالى. واخبر بأن " ذلك هو الفوز العظيم " يعني الفلاح العظيم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " إنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون " يعنى باللغة العربية ليفقهوه ويتفكروه فيه، فيعلموا ان الامر على ما قلناه. ثم أمره صلى الله عليه وآله فقال " فارتقب " أي انتظر يا محمد مجئ ما وعدتك به " إنهم منتظرون " أيضا وهو قول قتادة، وإنما قال فيهم " إنهم منتظرون " لأنهم في مثل حال المنتظر في أنه سيأتيه عاقبة حاله كما يأتي المنتظر.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٥ - سورة الجاثية
مكية في قول قتادة ومجاهد وهي سبع وثلاثون آية في الكوفي وست في البصري والمدنيين.
بسم الله الرحمن الرحيم.
(حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن
في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما
يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلاف الليل والنهار
وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها
وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) (٥).
خمس آيات في الكوفي وأربع في الباقي، عد الكوفيون " حم " ولم يعده الباقون. قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " لآيات " بالكسر في الثلاث مواضع. الباقون بالرفع في الثاني. والثالث. من خفض التاء فعلى أنه في موضع نصب ردا على (إن) وإنما كسرت التاء، لأنها تاء جمع التأنيث. وقال المبرد: هذا بعد الواو لأنه عطف على عاملين على " إن " و " في " بحرف الواو، لأنه يكون عطف " واختلاف " على (في) وعطف على (إن) بهذه الواو وحدها، فأما " آيات " الثانية

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فأجاز عطفها على الأولى، لان معها (في) وتقديره إن في خلقكم. قال ابن خالويه ليس ذلك لحنا، لان من رفع أيضا فقد عطف على عاملين، فيكون عطف جملة على جملة ويحتمل أن يكون عطف على موضع (إن) لان موضعها الرفع، والأخفش كان يجيز العطف على عاملين، فيقول مررت بزيد في الدار والحجرة عمرو، ويحتج بقول الشاعر:

اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار تأجج للحرب نارا (١)

عطف على ما عملت فيه (كل) وما عملت فيه (تحسبين) وأجود من العطف على عاملين أن يجعل (آيات) الثانية بدلا من الأول، فيكون غير عاطف على عاملين، وتقديره إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين لآيات، كما تقول: ضربت زيدا زيدا، فلا يحتاج إلى حرف العطف، ومن رفع آيات الثانية حملها على الابتداء والخبر، وجعل الثالثة تكرير الثانية بالرفع، قال الزجاج: لأنه يرفع (آيات) عطفا على ما قبلها، كما خفض (واختلاف) عطفا على ما قبلها. وقال أبو علي: وجه قراءة الكسائي أنه لم يحمل على موضع (إن) كما حمله من رفع (آيات) في الموضعين أو قطعه واستأنف، لكنه حمله على لفظ (إن) دون موضعها، فحمل (آيات) في الموضعين على نصب (إن) في قوله " إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين) ويكون على تقدير إن، وإن كانت محذوفة من اللفظ ويجعلها في حكم المثبت فيه، لان ذكره قد تقدم في قوله " إن في السماوات " وقوله " وفي خلقكم " فلما تقدم الجار في هذين الموضعين قدر في الاثبات في اللفظ، وإن كان محذوفا منه كما قدر سيبويه في قوله:

اكل امرئ تحسبن امرءا * [ونار تأجج للجر نارا]

---

(١) قائله أبو ذؤاد الايادي، تفسير القرطبي ١٦ / ١٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل (كل) في حكم الملفوظ به واستغني عن إظهاره بتقدم ذكره، وكذلك فعلت العرب في الجار ألا ترى أنهم لم يجيزوا (من تمرر أمرر) وأجازوا (بمن تمرر أمرر) و (على أيهم تنزل انزل) فحذف الجار حسن لتقدم ذكر الجار، وعلى هذا قول الشاعر:

ان الكريم وأبيك يعتمل * إن لم يجد يوما على من يتكل

لما ذكر (على) و (إن) كانت زائدة - في قول سيبويه - حسن حذف الجار من الصلة، ولو لم تذكر لم يجزه. وحكي في بعض القراءات عن أبي إنه قرأ في المواضع الثلاث " لآيات في خلقكم وما يبث من دابة لآيات " وكذلك الآخر فدخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (إن) وإذا كان محمولا عليها حسن النصب على قراءة حمزة والكسائي وصار كل موضع من ذلك كأن (إن) مذكورة فيه بدلالة دخول اللام، لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (إن) أو اسمها، وحكي أن أبيا قرأ " لآيات " بالرفع مع إدخال اللام عليها، وهذا لا يجيزه أكثر النحويين كالكسائي وغيره، كما لا يجوز في الدار لزيد، واجازه الفراء وانشد لحميد بن ثور:

إن الخلافة بعدهم لذميمة * وخلائف طرف لميما أحقر (١)

وحكى الفراء أنه يقول العرب (إن) لي عليك مالا وعلى أبيك مال بالرفع والنصب، وحكى أبو علي: إنه يجوز أن يعمل الثاني على التأكيد للأول وكذلك في الثالث، ولا يكون عطفا على عاملين، كما قال بعض شيوخنا في قوله " ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له " (٢) حمل الثاني على أنه تأكيد للأول.

قد ذكرنا في ما تقدم ان (حم) اسم للسورة، وانه أجود الأقوال. قال الرماني: وفي تسمية السورة ب (حم) دلالة على أن هذا القرآن المعجز كله من

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٧٧

(٢) سورة) التوبة آية ٦٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حروف المعجم، لأنه سمي به ليدل عليه بأوصافه، ومن أوصافه انه مفصل قد فصلت كل سورة من أختها. ومن أوصافه أنه هدى ونور، فكأنه قيل: هذا اسمها الدال عليه بأوصافه. ثم وصف تعالى الكتاب بأنه تنزيل من الله في مواضع من السور لاستفتاحه بتعظيم شأنه على تصريف القول بما يقتضي ذلك فيه من أضافته إلى الله تعالى من أكرم الوجوه وأجلها وما يتفق الوصف فيه يقتضى انه كالأول في علو المنزلة وجلالته عند الله وإذا أفاد هذا المعنى باقتضائه له لم يكن تكريرا، ويقول القائل: اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم أوسع علي في رزقي فيأتي بما يؤذن أن تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به.

وقوله " من الله " يدل على أن ابتداءه منه تعالى " العزيز " ومعناه القادر الذي لا يغالب " الحكيم " معناه العالم. وقد يكون بمعنى أن أفعاله حكمة وصواب ثم أخبر تعالى ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين الذين يصدقون بالله ويقرون بتوحيده وصدق أنبيائه وإنما أضاف الآيات إلى المؤمنين وإن كانت أدلة للكافرين أيضا، لان المؤمنين انتفعوا بها دون غيرهم من الكفار. والآيات هي الدلالات والحجج. وفي السماوات والأرض دلالات على الحق من وجوه كثيرة، منها أنه يدل بخلقها على أن لها خالقا، وانه قادر لا يعجزه شئ وانه مخالف لها، فلا يشبهها وعلى انه عالم بما فيها من الاتقان والانتظام. وفي استحالة تعلق القدرة بها دلالة على أن صانعها قديم غير محدث وبوقوفها مع عظمها وثقل اجرامها بغير عمد ولا سند يدل على أن القادر عليها قادر على الاتيان بمالا يتناهى ولا يشبه أحد من القادرين وانه خارج عن حد الطبيعة.

ثم بين تعالى ان في خلقنا آيات، والوجه في الدلالة في خلقنا ضروب كثيرة: منها خلق النفس على ما هو به من وضع كل شئ موضعه لما يصلح له.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وفي ذلك دلالة على أن صانعه عالم لأنه فعل الحواس الخمس على البنية التي تصلح له مما يختص كل واحد منها بادراك شئ بعينه، لا يشركه فيه الآخر، لأن العين لا تصلح إلا لادراك المبصرات وكذلك الفم يصلح للذوق، والانف للشم، والبشرة للمس، وكل شئ من ذلك يختص بمالا يشركه فيه الآخر وفى ذلك أوضح دلالة على أن صانعها عالم بها، وأنه لا يشبهه شئ، ولو لم يكن إلا خلق العقل الذي يهدي إلى كل أمر، ويتميز به العاقل من كل حيوان، ولا يشبهه شئ في جلالته وعظم منزلته لكان فيه كفاية على جلالة صانعه وعظم خالقه. وقيل: معنى اختلاف الليل والنهار تعاقبهما. وقيل: زيادتهما ونقصانهما، وإنزال الماء من السماء من الغيث والمطر واحياء الأرض بالنبات بعد الجدب والقحط فيثبت الله بذلك رزق الحيوان.

وقوله " وبث فيها من كل دابة " أي فرق فيها من جميع الحيوان بأن خلقها وأوجدها، وتصريف الرياح بأن يجعلها تارة جنوبا وتارة شمالا ومرة دبورا ومرة صبا - في قول الحسن - وقال قتادة: يجعلها رحمة مرة وعذابا أخرى. وقال الحسن: كثافة السماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء فتق مسيرة خمسمائة عام وبين كل أرضين فتق مسيرة خمسمائة عام، وكثافة الأرض مسيرة خمسمائة عام.

قوله تعالى:

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد
الله وآياته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب
أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عذاب مهين (٩) من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي " تؤمنون " بالتاء على وجه الخطاب للكفار على تقدير قل لهم يا محمد. الباقون بالياء على وجه الاخبار عنهم والتعجب منهم.

لما اخبر الله تعالى عن القرآن بأنه تنزيل من الله وأن في السماوات والأرض آيات ودلالات لمن نظر فيها تدل على الحق وأن في أنفس الخلق وإنزال الماء من السماء وإخراج النبات وبث أنواع الحيوان أدلة لخلقه تدلهم على توحيد الله وحكمته لمن أنعم النظر فيها، بين ههنا أن ما ذكره أدلة الله التي نصبها لخلقه المكلفين لإزاحة علتهم وانه يتلوها بمعنى يقرؤها على نبيه محمد ليقرءها عليهم بالحق دون الباطل.

والتلاوة الاتيان بالثاني في أثر الأول في القراءة، فتلاوة الحروف بعضها بعضا يكون في الكتابة والقراءة، وفلان يتلو فلانا أي يأتي بعده، وفلان يتلو القرآن أي يقرؤه، والحق الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع أنواعه. والفرق بين حديث القرآن وآياته ان حديثه فصص تستخرج منه عبر تدل على الحق من الباطل، والآيات هي الأدلة التي تفصل بين الصحيح والفاسد فهو مصروف في الامرين ليسلك الناظر فيه الطريقين، لما له في كل واحد منهما من الفائدة في القطع بأحد الحالين في أمور الدين.

ثم قال على وجه التهجين لهم إن هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه فبأي شئ بعده يؤمنون.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال مهددا لهم " ويل لكل أفاك أثيم " فالويل قيل: إنه واد سائل من جهنم صديد أهلها. وقيل: إن الويل كلمة يتلقى بها الكفار والفساق تتضمن استحقاقهم العقاب، والأفاك الكذاب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه أو يعظم كذبه وإن كان في خبر واحد، ككذب مسيلمة في ادعاه النبوة. والأثيم ذو الاثم، وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب.

ثم وصف هذا الأفاك الأثيم، فقال " يسمع آيات الله " أي حججه " تتلى عليه " أي تقرأ " ثم يصر " أي يقيم مصرا على كفره " مستكبرا " متجبرا عن النظر في آيات الله لا ينظر فيها ولا يعتبر بها " كأن لم يسمعها " أصلا.

ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يبشر من هذه صفته فقال " فبشره بعذاب اليم " أي مؤلم موجع. ثم عاد تعالى إلى وصفه فقال (وإذا علم من آياتنا شيئا) اتخذها هزوا أي إذا علم هذا الأفاك الأثيم من حجج الله تعالى وأدلته شيئا وسمعها (اتخذها هزوا) أي سخر منها وتلهى بها، كما فعل أبو جهل حين سمع قوله (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) (١) ثم قال أولئك يعني من هذه صفته (لهم عذاب مهين) أي مذل لهم. ثم قال (من ورائهم جهنم) أي من بين أيديهم يعني يوم القيامة (جهنم) معدة لهم وإنما قيل: لما بين أيديهم من ورائهم، والوراء هو الخلف، لأنه يكون مستقبل أوقاتهم بعد تقضيهم ومعناه ما توارى عنهم قد يكون قداما وخلفا فهو لهذه العلة يصلح فيه الوجهان ثم قال تعالى " ولا يغني عنهم " إذا جعلوا في جهنم ما كسبوه في دار الدنيا من جمع الأموال (ولا شيئا يغني عنهم أيضا (ما اتخذوا من دون الله أولياء) يتولونهم ويحبونهم لينصروهم ويدفعوا عنهم (ولهم عذاب عظيم) ووصفه بأنه عظيم، لأنه مؤبد نعوذ بالله منه.

---

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من
رجز أليم (١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم
ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) (١٥) خمس
آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وحفص (من رجز اليم) بالرفع جعلاه صفة للعذاب. الباقون بالخفض جعلوه صفة للرجز، فكأن قال: من رجز اليم، والرجز هو العذاب فلذلك صح وصفه بأنه أليم. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي) قوما بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه بأنه يجازيهم، الباقون بالياء ردا إلى (الله) على الاخبار عنه.
معنى قوله (هذا هدى) أي هذا القرآن الذي تلوناه والكلام الذي ذكرناه (هدى) أي دلالة موصلة إلى الفرق بين ما يستحق به الثواب والعقاب، ويفرق به بين الحق والباطل من امر الدين والدنيا. ثم قال تعالى (والذين كفروا بآيات الله) وجحدوها " لهم عذاب " من عند الله جزاء على كفرهم (من رجز اليم).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم نبه تعالى خلقه على وجه الدلالة على توحيده، فقال (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) ووجه الدلالة من تسخير البحر لتجري الفلك فيه بأمره، لنبتغي بتسخيره من فضل الله، فهو محسن في فعله يستحق الشكر به على وجه لا يجوز لغيره، وإن أحسن، لأنه أعظم من كل نعمة. وبين انه إنما فعل ذلك لكي يشكروه على نعمه. ثم قال (وسخر لكم) معاشر الخلق (ما في السماوات وما في الأرض جميعا) من شمس وقمر ونجم وهواء وغيث وغير ذلك وجعل السماء سقفا مزينا وجوهرا كريما وسخر الأرض للاستقرار عليها وما يخرج من الأقوات منها من ضروب النبات والثمار والبر فيها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من ضروب نعمه مما لا يحاط به علما، وسهل الوصول إلى الانتفاع به تفضلا (منه) على خلقه. ثم بين (إن في ذلك) يعني في ما بينه (لآيات) ودلالات (لقوم يتفكرون) فيه ويعتبرون به.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (قل الذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون عذاب الله إذا أنالوكم الأذى والمكروه، ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم. وقيل: معناه لا يرجون ثواب الله للمؤمنين، إن الله يعرفهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك وغيره. ومعنى (يغفروا) ههنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم ولا يكافوهم ليتولى الله مجازاتهم. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك: هو من المنسوخ. وقال أبو صالح: نسخها قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) (١) و (يغفروا) جواب أمر محذوف دل عليه الكلام، وتقديره: قل لهم اغفروا يغفروا وصار (قل لهم) على هذا الوجه يغني عنه. وقال الفراء: معناه في الأصل حكاية بمنزلة الامر كقولك: قل للذين آمنوا اغفروا، وإذا ظهر الامر مصرحا فهو مجزوم

---

(١) سورة ٢٢ الحجج آية ٣٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لأنه أمر وإن كان على الخبر مثل قوله (قل للذين آمنوا يغفروا) (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) (١) فهذا مجزوم تشبيها بالجزاء.
وقوله (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) يحتمل معنيين:
أحدهما - قل لهم يغفروا لهم، فان الله يجازيهم يعني الكفار، فإنهم إليه يرجعون.
الثاني - أن يكون المعنى ليجزيهم الله يعني المؤمنين، ويعظم أجرهم على احتمالهم وصبرهم ولن يفوتوه يعني الكافرين بل إليه مرجعهم.
ثم قال تعالى (من عمل صالحا) يعني طاعة وخيرا (فلنفسه) لان ثواب ذلك عائد عليه (ومن أساء) بأن فعل المعصية (فعليها) أي على نفسه لان عقاب معصيته يناله دون غيره. ثم قال (ثم إلى ربكم ترجعون) الذي خلقكم ودبركم تردون يوم القيامة إليه أي إلى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي والضر والنفع غيره، فيجازي كل إنسان على قدر علمه.
قوله تعالى:
(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم
بينات من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع
أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا

---

(١) سورة ١٤ إبراهيم آية ٣١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (٢٠) خمس
آيات بلا خلاف.
هذا قسم به من الله تعالى بأنه أعطى بني إسرائيل الكتاب يعني التوراة وآتاهم
الحكم، وهو العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل، يقال: حكم في الامر
يحكم حكما، وحكمته في أمري تحكيما، واحكم العمل إحكاما، واستحكم الشئ
استحكاما، وحاكمته إلى الحاكم محاكمة (ورزقناهم من الطيبات) فالرزق العطاء
الجاري على توقيت وتوظيف في الحكم، وإنما قلنا في الحكم، لأنه لو حكم بالعطاء
الموقت في الأوقات الدائرة على الاستمرار لكان رازقا وإن اقتطعه ظالم عن ذلك
العطاء. ثم قال (وفضلناهم على العالمين) والتفضيل جعل الشئ أفضل من غيره
باعطائه من الخير ما لم يعط غيره أو بالحكم لأنه أفضل منه، فالله تعالى فضل بني
إسرائيل بما أعطاهم على عالمي زمانهم. قال الحسن: فضلهم الله على أهل زمانهم وقال
قوم: فضلهم بكثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم، وإن كانت أمة محمد صلى الله عليه وآله
أفضل
في كثرة المطيعين لله، وكثرة العلماء منهم، كما تقول هذا أفضل في علم النحو، وذاك في
علم الفقه، فأمة محمد صلى الله عليه وآله أفضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر
الأنبياء، وكثرة
العلماء منهم والعاملين بالحق لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (١)
فأولئك خالف أكثرهم أنبياءهم ووافق كثير من هؤلاء علماءهم واخذوا عنهم
واقتبسوا من نورهم، والفضل الخير الزائد على غيره وأمة محمد صلى الله عليه وآله أفضل

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١١٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بفضل نبيها.
ثم قال (وآتيناهم) يعني أعطيناهم (بينات من الامر) أي دلالات وبراهين واضحات من الامر ثم قال (فما اختلفوا) أي لم يختلفوا (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالاختلاف اعتقاد كل واحد من النفيسين ضد ما يعتقده الآخر إذا كان اختلافا في المذهب، وقد يكون الاختلاف في الطريق بأن يذهب أحدهما يمنة، والآخر يسرة، وقد يكون الاختلاف في المعاني بأن لا يسد أحدهما مسد الآخر في ما يرجع إلى ذاته. واختلاف بني إسرائيل كان في ما يرجع إلى المذاهب. وقوله (بغيا بينهم) نصب على المصدر، ويجوز أن يكون على أنه مفعول له أي اختلفوا للبغي وطلب الرياسة. ومعنى البغي الاستعلاء بالظلم، وهو خلاف الاستعلاء بالحجة. والبغي يدعو إلى الاختلاف لما فيه من طلب الرفعة بما لا يرجع إلى حقيقة ولا يسوغ في الحكمة، وإنما كان ذلك طلبا الرياسة والامتناع من الانقياد للحق بالأنفة، ثم قال (إن ربك) يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة) أي يحكم ويفصل بين المحق منهم والمبطل في ما كانوا يختلفون في دار التكليف، وقيل: الحكم العلم بالفصل بين الناس في الأمور.
ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة من الامر) فالشريعة السنة التي من سلك طريقها أدته إلى البغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء، وهي علامة منصوبة على الطريق إلى الجنة كأداء هذا إلى الوصول إلى الماء، فالشريعة العلامات المنصوبة من الأمر والنهي المؤدية إلى الجنة، ثم قال (فاتبعها) يعني اعمل بهذه الشريعة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل.
ثم اخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) يعني هؤلاء

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الكفار لا يغنون عنك شيئا (وإن الظالمين) نفوسهم (بعضهم أولياء بعض) بفعل المعاصي (والله ولي المتقين) الذين يجتنبون معاصيه ويفعلون طاعاته.
ثم قال (هذا) يعني هذا الذي ذكرناه (بصائر للناس) أي ما يتبصرون به واحدها بصيرة (وهدى) أي ودلالة واضحة (ورحمة) أي ونعمة من الله عليهم (لقوم يوقنون) بحقيقة ذلك. وإنما اضافه إلى المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لا يفكروا فيه.
قوله تعالى:
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) أفرأيت من اتخذ إلهه هويه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (سواء) نصبا. الباقون بالرفع. وقرأ أهل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الكوفة إلا عاصما (غشوة) على التوحيد الباقون (غشاوة) على الجمع. من رفع (سواء) جعله مبتدأ وما بعده خبرا عنه، ويكون الوقف على قوله (وعملوا الصالحات) تاما. ويجعل الجملة في موضع النصب، لأنها خبر ل (جعل) ورفع (سواء) لأنه اسم جنس لا يجري على ما قبله كما لا تجري الصفة المشبهة بالمشبهة إذا كانت لسبب الأول كذلك نحو قولك: مررت بزيد خير مه أبوه. فمثل هذا في الحال والخبر والصفة سبيلة واحد إذا كانت لسبب الأول. ومن نصب (محياهم ومماتهم) جعل (سواء) في موضع (مستو) وعامله تلك المعاملة، فجعل في موضع المفعول الثاني (أن نجعلهم) والهاء والميم المفعول الأول، وإن جعلت (كالذين آمنوا) المفعول الثاني نصب (سواء) على الحال وهو وقف حسن.

ويرفع (محياهم) بمعنى استوى محياهم ومماتهم. ومن قرأ (غشوة) جعله كالرجفة والخطفة. ومن قرأ (غشاوة) جعله مصدرا مجهولا، والفعلة المرة الواحدة، وقال قوم هما لغتان بمعنى واحد. وحكي الضم أيضا. وقيل: في الضمير في قوله (سواء محياهم ومماتهم) قولان:

أحدهما - إنه ضمير للكفار دون الذين آمنوا.

والثاني - انه ضمير للقبيلين. فمن جعل الضمير للكفار قال (سواء) على هذا القول مرتفع بأنه خبر ابتداء متقدم وتقديره محياهم ومماتهم سواء أي محياهم محيا سواء ومماتهم

كذلك، فعلى هذا لا يجوز النصب في (سواء) لأنه إثبات الخبر بأن محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله. ومن قال الضمير يرجع إلى القبيلين قال يجوز ان ينتصب (سواء) على أنه مفعول ثان لأنه ملتبس بالقبيلين جميعا، وليس كذلك الوجه الأول، لأنه للكفار دون المؤمنين، فلا يلتبس بالمؤمن حيث كان للكفار دونهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يقول الله تعالى على وجه التوبيخ للكفار على معاصيهم بكفرهم بلفظ الاستفهام (أم حسب) ومعنى (أم) يحتمل أن تكون الهمزة وتقديره أحسب الذين اجترحوا السيئات، والحسبان هو الظن. وقد بيناه في ما مضى. والاجتراح الاكتساب اجترح السيئة اجتراحا أي اكتسبها من الجراح، لان له تأثيرا كتأثير الجراح. ومثله الاقتراف، وهو مشتق من قرف القرحة. والسيئة التي يسواء صاحبها، وهي الفعلة القبيحة التي يستحق بها الذم، والحسنة هي التي يسر صاحبها باستحقاق المدح بها عليها، ووصفها بهذا يفيد هذا المعنى. وقال الرماني: القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله. والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله قال: وكل فعل وقع لا لامر من الأمور، فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا السفه. والجعل تصيير الشئ على صفة لم يكن عليها، وهو انقلاب الشئ عما كان قادرا عليه. والمعنى أيظن هؤلاء الكفار المرتكبون للمعاصي الذين اكتسبوا القبائح أن يحكم لهم بحكم المؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسله العاملين بطاعته؟!.

ثم اخبر عن الكفار فقال (سواء محياهم ومماتهم) أي هم متساون حال كونهم أحياء وحال كونهم أمواتا، لان الحي متى لم يفعل الطاعات فهو بمنزلة الميت وقال مجاهد: المؤمن يموت على ايمانه ويبعث عليه. والكافر يموت على كفره ويبعث عليه. ثم قال (ساء ما يحكمون) أي بئس الشئ الذي يحكمون به في هذه القصة. وإنما قال (يحكمون) مع أن الحكم مأخوذ من الحكمة، وهي حسنة لان المراد على ما يدعون من الحكمة، كما قال (حجتهم داحضة عند ربهم) (١) وقوله (وما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين).

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال تعالى (وخلق الله السماوات والأرض بالحق) أي للحق لم يخلقهما عبثا، وإنما خلقهما لمنافع خلقه بأن يكلفهم فيها ويعرضهم للثواب الجزيل (ولتجزى كل نفس بما كسبت) من ثواب طاعة أو عقاب على معصية (وهم لا يظلمون) أي لا يبخسون حقوقهم.

ثم قال (أفرأيت من اتخذ) يا محمد (الهه هواه) وإنما سمي الهوى إلها من حيث أن العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يريد انه يعبد هواه أو يعتقد أنه يحق له العبادة، لان ذلك لا يعتقده أحد. قال الحسن: معناه اتخذ إلهه بهواه، لان الله يحب أن يعرف بحجة العقل لا بالهوى. وقال سعيد بن جبير كانوا يعبدون العزى وهو حجر أبيض حبنا من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبد وا الآخر. وقال ابن عباس: معناه أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه لأنه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان. وقوله (وأضله الله على علم) معناه حكم الله بضلاله عالما بعدوله عن الحق. ويحتمل أن يكون المعنى يعدل الله به عن طريق الجنة إلى طريق النار جزاء على فعله، عالما بأنه يستحق ذلك (وختم على سمعه وقلبه) وقد فسرناه في ما مضى. ومعناه أنه يجعل عليهما علامة تدل على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب، لا أنه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الايمان والطاعات (وجعل على بصره غشاوة) شبهه بمن كان على عينه غشاوة تمنعه من الابصار، لان الكافر إذا كان لا ينتفع بما يراه ولا يعتبر به، فكأنه لم يره، ثم قال (فمن يهديه) إلى طريق الجنة أو من يحكم بهدايته (من بعد الله) إن حكم الله بخلافه (أفلا تذكروه) أي أفلا تتفكرون فتعلمون ان الامر على ما قلناه.

ثم حكى تعالى عن الكفار أنهم (قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) أي ليس الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها في دار الدنيا (نموت ونحيا) وقيل في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معناه ثلاثة أقوال:
أحدها - انه على التقديم والتأخير وتقديره ونحيا ونموت من غير رجوع ولا بعث على ما تدعون.
والثاني - أن يكون المراد نموت ويحيا أولادنا كما يقال ما مات من خلف ابنا مثل فلان
والثالث - أن يكون المعنى يموت بعضنا ويحيا بعضنا، كما قال تعالى (فاقتلوا أنفسكم) (١) أي ليقتل بعضكم بعضا. ثم حكى انهم يقولون (وما يهلكنا إلا الدهر) يعنون مرور الليل والنهار والشهور والأعوام
ثم اخبر تعالى فقال (وما لهم بذلك من علم) أي ليس لهم بما يقولونه علم (إن هو إلا يظنون) أي وليس هم في ما يذكرونه إلا ظانين وإنما الامر فيه بخلافه. ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا قرئت عليهم حججنا الظاهرة (ما كان حجتهم إلا أن قالوا) يعني لم يكن لهم في مقابلتها حجة إلا قولهم (ائتوا بآبائنا) الذين ماتوا وبادوا (إن كنتم صادقين) في أن الله يعيد الأموات ويبعثهم يوم القيامة. وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك، لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الحجة.
قوله تعالى:
(قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٦) ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٥٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون (٢٩) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) (٣٠) خمس
آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (قل) لهم يا محمد (الله يحييكم) في دار الدنيا، لأنه لا يقدر على الاحياء أحد سواه تعالى لأنه قادر لنفسه (ثم يميتكم) بعد هذا (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) بأن يبعثكم ويعيدكم أحياء، وإنما احتج بالاحياء في دار الدنيا، لان من قدر على فعل الحياة في وقت قدر عليها في كل وقت. ومن عجز عنها في وقت وتعذرت عليه مع كونه حيا ومع ارتفاع الموانع عجز عنها في كل وقت. ثم بين أن يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لاشك في كونه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما قلناه لعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحة ذلك. ثم قال تعالى (ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم) أي وله الملك يوم تقوم (الساعة يخسر فيه المبطلون) ثواب الله. والمبطل هو من فعل الباطل وعدل عن الحق.

ثم اخبر تعالى عن حال يوم القيامة فقال (وترى كل أمة جاثية) فالأمة الجماعة التي على مقصد، واشتقاقه من أمه يؤمه أما إذا قصده، والأمم أمم الأنبياء (جاثية) وقال مجاهد والضحاك وابن زيد: معناه باركة مستوفرة على ركبها والجثو البروك. والجثو البروك على طرف الأصابع، فهو أبلغ من الجثو.

وقوله (كل أمة تدعى إلى كتابها) قيل معناه إلى كتابها الذي كان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يستنسخ لها ويثبت فيه أعمالها. وقال بعضهم: كتابها الذي انزل على رسولها - حكي ذلك عن الجاحظ - والأول الوجه.
ثم حكى إنه يقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من طاعة أو معصية على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. ثم قال تعالى (هذا كتابنا) يعني الذي أستنسخ (ينطق عليكم بالحق) جعل ثبوت ما فيه وظهوره بمنزلة النطق، وإنه ينطق بالحق دون الباطل. ثم قال تعالى " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " قال الحسن: نستنسخ ما حفظت عليكم الملائكة الحفظة. وقيل: الحفظة تستنسخ ما هو مدون عندها من أحوال بني آدم الجزائية في قول ابن عباس - وروي عن علي عليه السلام أن الله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون فيه أعمال بني آدم، ومعنى نستنسخ نستكتب الحفظة ما يستحقونه من ثواب وعقاب ونلقي ما عداه مما أثبته الحفظة، لأنهم يثبتون جميعه.
ثم قسم تعالى الخلق فقال " فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات " أي صدقوا بوحدانيته وصدقوا رسله وعملوا الاعمال الصالحات " فيدخلهم ربهم في رحمته " من الثواب والجنة. ثم بين ان " ذلك هو الفوز المبين " أي الفلاح الظاهر.
قوله تعالى:
(وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم
فاستكبر ثم وكنتم قوما مجرمين (٣١) وإذا قيل إن وعد الله
حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا
ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٣) وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم
لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤)
ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فلله الحمد
رب السماوات ورب الأرض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في
السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٣٧) سبع آيات بلا خلاف
قرأ حمزة وحده " والساعة لا ريب فيها " نصبا عطفا على " ان وعده "
وتقديره ان وعد الله حق وإن الساعة آتية. الباقون بالرفع على الاسيئناف أو عطفا
على موضع (إن).
لما اخبر الله تعالى عن حال المؤمنين العاملين بطاعة الله وانه يدخلهم الجنة
أخبر عن حال الكفار، فقال " واما الذين كفروا " أي جحدوا وحدانيتي
وكذبوا رسلي، يقال لهم " أفلم تكن آياتي " وحججي " تتلى عليكم " قال الزجاج:
جواب (إما) محذوف والفاء في " أفلم " دلالة عليه بتقدير فيقال لهم " أفلم "
ومثله قوله " فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم " (١) وتقديره فيقال
لهم أكفرتم بعد إيمانكم. وقال قوم: جواب " اما " الفاء في " أفلم تكن آياتي "
إلا أن الألف تقدمته، لان لها صدر الكلام.
وقوله (فاستكبرتم) فالاستكبار هو طلب التعظيم في أعلى المراتب فهو صفة

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٠٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ذم في العباد وكذلك متكبر، لأنها تقتضي التعظيم في أعلى المراتب، ولا يستحق التعظيم في أعلى المراتب إلا من لا يجوز عليه صفة النقص بوجه من الوجوه " وكنتم قوما مجرمين " أي عاصين، فالاجرام الانقطاع إلى الفساد، واصله قطع الفعل عما تدعو إليه الحكمة. ثم حكى تعالى انه " إذا قيل إن وعد الله حق " أي ما وعدوا به من الثواب والعقاب كائن لامحة " وان الساعة لا ريب فيها " أي لاشك في حصولها " قلتم " معاشر الكفار " ما ندري ما الساعة " أي لا نعرفها " إن نظن إلا ظنا " ليس نعلم ذلك " وما نحن بمستيقنين " أي لسنا بمستيقنين ذلك.

ثم اخبر تعالى فقال " وبدا لهم سيئات ما عملوا " ومعناه ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها في دار التكليف من العقاب " وحاق بهم، أي حل بهم جزاء " ما كانوا به يستهزؤن " باخبار الله واخبار نبيه " وقيل " لهم " اليوم ننساكم " أي نترككم في العقاب - في قول ابن عباس - ونحرمكم ثواب الجنة " كما نسيتم " أي كما تركتم التأهب ل " لقاء يومكم هذا " فلم تعملوا الطاعات وارتكبتم المعاصي وقال مجاهد: كنسيانكم يومكم " ومأواكم النار " أي مستقركم جهنم " ومالكم من ناصرين " يدفعون عنكم عذاب الله ولا لكم من مستنقذ من عذاب الله. ثم بين تعالى لم فعل بهم ذلك بان قال " ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا " يعني حججه وآياته (هزوا) أي سخرية تسخرون منها " وغرتكم الحياة الدنيا " أي خدعتكم زينتها ومعناه اغتررتم بها، " فاليوم لا تخرجون منها " يعني من النار.

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " يخرجون " بفتح الياء وبضم الراء. الباقون بضم الياء وفتح الراء. ومن فتح الياء، فلقوله " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " (١) ومن ضم فلقوله " ولا هم يستعتبون " وطابق بينهما

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومعنى " ولا هم يستعتبون " أي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار، لان التكليف قد زال. وقيل: معناه لا يقبل منهم العتبى. وقيل: الوجه في ظهور أحوالهم وسيئاتهم في الآخرة التبكيت بها والتقريع بالتكذيب لما كان يمكنهم معرفته لظهور حججه على خلقه.

ثم قال تعالى " فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين " أي الشكر التام والمدحة التي لا يوازيها مدحة لله الذي خلق السماوات والأرض ودبرهما وخلق العالمين " وله الكبرياء في السماوات والأرض " أي له السلطان القاهر وله العظمة العالية التي هي في أعلى المراتب لا يستحقها سواه " وهو العزيز " أي القادر الذي لا يغالب " الحكيم " في جميع أفعاله. وقيل: (عزيز) في انتقامه من الكفار (حكيم) في ما يفعل بهم وبالمؤمنين من الثواب.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٦ - سورة الأحقاف
مكية بلا خلاف، وهي خمس وثلاثون آية في الكوفي وأربع وثلاثون في البصري والمدنيين عد أهل الكوفة (حم) آية ولم يعده الباقون. والباقي لا خلاف فيه
بسم الله الرحمن الرحيم
(حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (٤) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون) (٥).
خمس آيات في الكوفي وأربع في ما عداه عد الكوفي (حم) ولم يعده الباقون.
وقد بينا معنى قوله (حم) واختلاف العلماء في ذلك، وبينا أيضا تأويل قوله " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " فلا وجه لا عادته. وقيل: الوجه في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تكرير ذلك الا بانة عن أن هذه السورة حالها حال السورة التي قبلها في أنه تعالى نزلها وشرفها وكرمها في الإضافة إلى العزيز الحكيم. والعزيز القادر الذي لا يغالب ولا يقهر. وقيل هو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في افعاله. وقد يكون الحكيم بمعنى العالم بتصريف الأمور الذي لا يوقعها الا على مقتضى العلم في التدبير وهو صفة مدح، وضده السفيه، وضد العزيز الذليل.

ثم قال تعالى مخبرا إنا " ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق " ومعناه إنا لم نخلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ومعناه إنه لم توجد السماوات والأرض وما بينهما من الأجناس إلا للحق وتعريض الخلق لضروب النعم وتعريض المكلفين للثواب الجزيل ولم ونخلقها عبثا ولا سدى بل عرضناهم للثواب بفعل الطاعات وزجرناهم بالعقاب عن فعل المعاصي، وقدرنا لهم أوقات نبعثهم إليها وأوقات نجازيهم فيها " واجل مسمى " أي مذكور للملائكة في اللوح المحفوظ.

ثم قال " والذين كفروا " بوحدانية الله تعالى وجحدوا ربوبيته " عما انذروا " به معرضون وعما خوفوا العمل من خلافه بالعقاب " معرضون " أي عادلون عن الفكر فيه والاعتبار به.

ثم قال " قل " يا محمد صلى الله عليه وآله لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام ويدعون مع الله إلها آخر " أرأيتم ما تدعون من دون الله " آلهة وتوجهون عبادتكم إليها بأي شئ استحقوا ذلك " أروني ماذا خلقوا من الأرض " فاستحقوا بخلق ذلك العبادة والشكر " أم لهم شرك في السماوات " أي في خلقها، فإنهم لا يقدرون على ادعاء ذلك.

ثم قال لهم " ائتوني بكتاب من قبل هذا " يعني هاتوا بكتاب أنزله الله يدل على صحة قولكم قبل هذا القرآن " أو أثارة من علم " يعني شئ يستخرج منه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيثار فيعلم به ما هو منفعة لكم - وهو قول الحسن - وقال مجاهد: معناه أو علما تأثرونه عن غيركم - ويؤدى أثره، وهما لغتان: اثره واثاره، ومنه الحديث المأثور أي المرفوع - يدل على صحة ما تذهبون إليه. وقال أبو بكر وابن عباس: معناه أو بقية من علم يشهد بصحة قولكم وصدق دعواكم " إن كنتم صادقين " في ما تذكرونه وتذهبون إليه. ويقال: اثر الشئ إثارة مثل قبح قباحة وسمح سماحة،
قال الراعي:
وذات أثارة اكلت عليه
يعني ذات بقية من شحم. ثم قال تعالى " ومن أضل " أي من أضل عن طريق الصواب " ممن يدعو من دون الله " أي يضرع إليه ويوجه عبادته إلى " من لا يستجيب له إلى يوم القيامة " مع ظهور الدلالة على توحيد الله ووضوح آثار نعمه على خلقه " وهم " مع ذلك " عن دعائهم " إياهم " غافلون " أي ذاهبون عن الفكر فيه، لأنهم لا يعقلون ولا يفقهون. والغفلة ذهاب المعنى عن نفس العاقل بمعنى يمتنع به إدراكه. وضده اليقظة، وهو حضور المعنى لنفس العاقل بما يجد إدراكه، وإنما كنى عن الأصنام بالواو والنون مع أنها لا تعقل لما أضاف إليها ما يكون من العقلاء، كنى عنها بكناياتهم، كما قال " والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (١) وقوله " كل في فلك يسبحون " (٢).
قوله تعالى:
(وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين (٦) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٤
(٢) سورة ٣٦ يس آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧) أم يقولون افتراه قل إن افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به
شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من
الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما
أنا إلا نذير مبين (٩) قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم
به وشد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن
الله لا يهدي القوم الظالمين) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
لما قال تعالى إنه لا أحد أضل عن طريق الحق ممن يدعو من لا يستجيب
له، يعني الأصنام التي عبد وها وإنهم عن دعائهم غافلون أيضا، ذكر انه " إذا
حشر الناس " يوم القيامة وبعثهم الله للثواب والعقاب " كانوا لهم أعداء " يعني
هذه الأوثان التي عبد وها ينطقهم الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعو إلى عبادتها أو
شعرت بذكر من أمرها " وكانوا بعبادتهم كافرين " يعني يكفرون بعبادة الكفار
لهم ويجحدون ذلك. ثم وصفهم أيضا فقال " وإذا تتلى عليهم " يعني هؤلاء
الكفار الذين وصفهم " آياتنا " أي أدلتنا التي أنزلناها من القرآن ونصبناها لهم.
والآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه، قال الشاعر:
بآية يقدمون الخيل زورا * كأن على سنابكها مداما (١)
ويروى مناكبها و " بينات " أي واضحات " قال الذين كفروا " بوحدانية

---

(١) مر في ٦ / ٦٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله وجحدوا نعمه " للحق لما جاءهم " يعني القرآن، والمعجزات التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وآله " هذا سحر مبين " أي حيلة لطيفة ظاهرة، ومن اعتقد ان السحر
حيلة لطيفة لم يكفر بلا خلاف. ومن قال إنه معجزة كان كافرا، لأنه لا يمكنه مع هذا القول إن يفرق بين النبي والمتنبي.
ثم قال " أم يقولون افتراه " أي بل يقولون اختلقه واخترعه فقال الله تعالى له " قل " لهم " إن " كنت (افتريته) واخترعته (فلا تملكون لي من الله شيئا) أي إن كان الامر على ما تقولون إني ساحر ومفتر لا يمكنكم أن تمنعوا الله مني إذا أراد اهلاكي على افترائي عليه (هو أعلم بما تفيضون فيه) يقال: أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه، وحديث مستفيض أي شائع، من قولكم هذا سحر وافتراء، ثم قل لهم (كفى به) يعني بالله (شهيدا بيني وبينكم) يشهد للمحق منا والمبطل (وهو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بكثرة نعمه عليهم. وفي ذلك حث لهم على المبادرة بالتوبة والرجوع إلى طريق الحق، ثم قال (قل) يا محمد صلى الله عليه وآله (ما كنت بدعا من الرسل) فالبدع الأول في الامر يقال: هو بدع من قوم أبداع قال عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري * رجالا عرت من بعد يؤمن واسعد (١)

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معناه ما كنت بأول رسول بعث وقوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال الحسن: معناه لا أدري ما يأمرني الله تعالى فيكم من حرب أو سلم أو تعجيل عقابكم أو تأخيره. وقال قل لهم (إن اتبع إلا ما يوحي إلي) أي لست اتبع في أمركم من حرب أو سلم أو امر أو نهي إلا ما يوحي الله إلي ويأمرني به (وما أنا إلا نذير مبين) أي لست إلا مخوفا من

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عقاب الله ومحذرا من معاصيه ومرغبا في طاعاته. وقيل: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله
شكوا إليه ما يلقون من أهل مكة من الأذى، فقال لهم (إني رأيت في المنام
أني أهاجر إلى ارض ذات نخل وشجر) ففرحوا بذلك، فلما تأخر ذلك، قالوا:
يا رسول الله ما نرى ما بشرتنا به فأنزل الله الآية. وقوله (مبين) معناه مظهر
لكم الحق فيه.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (أرأيتم إن كان من عند الله) يعني هذا القرآن
(وكفرتم به) يعني بالقرآن (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وعون بن مالك الأشجعي صحابي، وابن
زيد: نزلت الآية في عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل، فروي
أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله سل اليهود عني فهم
يقولون هو أعلمنا، فإذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراة دالة على نبوتك وأن
صفاتك فيها واضحة، فلما سألهم عن ذلك، قالوا ذلك، فحينئذ اظهر ابن سلام إيمانه
وأوقفهم على ذلك، فقالوا هو شرنا وابن شرنا. وقال الفراء: هو رجل من اليهود.
وقال مسروق: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى عليه السلام شهد على التوراة كما شهد
النبي صلى الله عليه وآله على القرآن، قال: لان السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة.
وقوله (فآمن واستكبرتم) عن الايمان وجواب (إن كان من عند الله
محذوف. قال الزجاج: تقديره (فآمن واستكبرتم) فلا تؤمنون. وقال غيره تقديره
فآمن واستكبرتم إنما تهلكون. وقال الحسن: جوابه فمن أضل منكم.
ثم اخبر تعالى فقال (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ويحتمل أمرين:
أحدهما - إنه لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب.
والثاني - إنه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين. ولا يجوز أن يكون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المراد لا يهديهم إلى طريق الحق، لأنه تعالى هدى جميع المكلفين بأن نصب لهم الأدلة على الحق ودعاهم إلى اتباعه، ورغبهم في فعله. وقد قال (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (١) فبين أنه هداهم إلى الحق وإن اختاروا هم الضلال.

قوله تعالى:

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (١١) ومن قبله
كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر
الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (١٢) إن الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣) أولئك أصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (١٤) ووصينا الانسان
بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب
أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن
أعمل صالحا ترضيه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني
من المسلمين) (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير - في إحدى الروايتين عنه - ونافع وأبو جعفر وابن عامر

---

(١) سورة ٤١ حم السجدة آية ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويعقوب (لتنذر) بالتاء على وجه الخطاب. ويجوز أن يكون مردودا إلى اللسان وهو مؤنث. الباقون بالياء على وجه الاخبار عن الكتاب أو القرآن. وقرأ أهل الكوفة (إحسانا) بألف. الباقون (حسنا) بضم الحاء بلا ألف. وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو عمرو (كرها) بفتح الكاف. الباقون بضمها، وهما لغتان. وقرأ يعقوب (وفصله) بفتح الفاء وسكون الصاد من غير الف. الباقون (وفصاله) بكسر الفاء وإثبات ألف، وهما لغتان وباثبات الألف كلام العرب. وفي الحديث (لا رضاع بعد فصال) وروى بعد (فطام).

اخبر الله تعالى عن الكفار الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا نبيه محمد صلى الله عليه وآله

أنهم قالوا (للذين آمنوا) وصدقوا رسوله (لو كان) هذا الذي يدعوننا هؤلاء المسلمون إليه: محمد ومن اتبعه (خيرا) أي نفعا عاجلا أو آجلا يظهر لنا ذلك (ما سبقونا) يعني الكفار الذين آمنوا به (إليه) أي إلى اتباعه لأنا كنا بذلك أولى وبه اجرى، وحكي ان اسلم وغفار وجهينة ومزينة لما اسلموا قال بنو عامر ابن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع هذا القول، فحكاه الله. والسبق المصير إلى الشئ قبل غيره، وكذلك السابق إلى الخير والتابع فيه، فقال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) يعني هؤلاء الكفار بهذا القرآن ولا استبصروا به ولا حصل لهم العلم بأنه مرسل داع إلى الله (فسيقولون هذا أفك قديم) أي كذب متقدم حيث لم يهتدوا به، وصفه بالقديم للمبالغة في التقدم أي ليس أول من ادعى الكذب في ذلك بل قد تقدم أشباهه. والقديم في عرف اللغة هو المتقدم الوجود، وفى عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا أول لوجوده.

ثم قال تعالى (ومن قبله) يعني من قبل القرآن (كتاب موسى) يعني

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التوراة (إماما ورحمة) أي جعلناه إماما ورحمة وأنزلناه إماما يهتدى به ورحمة أي نعمة على الخلق. ثم قال (وهذا) يعني القرآن (كتاب مصدق) لذلك الكتاب (لسانا عربيا) نصبه على الحال، ويجوز أن يكون حالا من هذا الكتاب ويجوز أن يكون حالا لما في (مصدق) من الضمير. وقوله (لينذر الذين ظلموا) أي ليخوفهم، ويعلمهم استحقاق العقاب على المعاصي واستحقاق الثواب على الطاعات. فمن قرأ بالتاء جاز أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله ويجوز أن يكون ردا على اللسان

على ما قدمناه، وهو مؤنث. ومن قرأ بالياء رده إلى الكتاب الذي هو القرآن. وقوله (وبشرى للمحسنين) معناه أن يكون هذا القرآن بشارة لمن فعل الصالحات واختار الحسنات، ويجوز في (بشرى) أن يكون رفعا عطفا على (مصدق) ويجوز أن يكون نصبا لوقوعه موقع (وبشيرا) فيكون حالا، كما تقول: اتيتك لأزورك وكرامة لك وقضاء لحقك.

ثم اخبر تعالى (إن الذين قالوا) بلسانهم (ربنا الله) واعتقدوا ذلك بقلوبهم (ثم استقاموا) على ذلك لم يعدلوا عنه (فلا خوف عليهم) من العقاب في الآخرة (ولا هم يحزنون) من أهوال القيامة.

ثم اخبر عنهم فقال (أولئك) يعني من تقدم ذكرهم (أصحاب الجنة) أي الملازمون لها (خالدين فيها جزاء) لهم (بما كانوا يعلمون) في الدنيا من الطاعات.

ثم قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) أي امرناه بأن يحسن إلى والديه إحسانا. فمن قرأ بلا الف فالمعنى أن يحسن فعله معهما حسنا، فالحسن والحسن. لغتان، يقال: حسن يحسن حسنا ومن قرأ " إحسانا " جعله مصدر أحسن ". وكرها " بفتح الكاف المصدر وبضمها الاسم. وقيل هما لغتان. وقوله " حملته أمه كرها ووضعته كرها " قال الحسن وقتادة ومجاهد: أي بمشقة. ثم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال " وحمله وفصاله ثلاثون شهرا " نبه بذلك على ما يستحقه الوالدان من الاحسان اليهما ومعاملتهما من حيث أنهما تكفلا به وربياه، وانه " حملته أمه كرها ووضعته كرها " أي بمشقة في حال الولادة وأرضعته مدة الرضاع. ثم بين ان أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا، وأنهما تكفلا به حتى بلغ حد الكمال " حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة " قيل أكثر الفصال وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا وأقل مدة الحمل ستة اشهر، والمعنى وصية بذلك ليكون إذا بلغ أشده أي حال التكليف وحال الأربعين، قال هذا القول علمه الله إياه. وقال قتادة وابن عباس: أشده ثلاث وثلاثون سنة. وقال الشعبي: هو وقت بلوغ الحلم. وقال الحسن: أشده وقت قيام الحجة عليه. ثم " قال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي " فالايزاع المنع من الانصراف عن الشئ فالايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف، ومنه قولهم يزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن. ومنه قول الحسن: لابد للسلطان من وزعة. قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبا * فقلت ألما تصح والشيب وازع

اي مانع. وقيل: إيزاع الشكر هو الهام الشكر وقيل الأعزاء بالشكر " وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " تمام ما علمه الله للانسان ووصاه ان يدعو به إذا بلغ أشده: أن يقول: إني تائب إلى الله من المعاصي وإني من جملة المسلمين لامر الله.

قوله تعالى:

(أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون (١٦)

والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله
حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (١٧) أولئك الذين حق
عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس
إنهم كانوا خاسرين (١٨) ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم
أعمالهم وهم لا يظلمون (١٩) ويوم يعرض الذين كفروا على
النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ " نتقبل، ونتجاوز " بالنون فيهما حمزة والكسائي وخلف، على وجه
الاخبار من الله عن نفسه ولقوله " ووصينا " الباقون بالياء فيهما، على ما لم يسم
فاعله. وروى هشام " أتعداني " بنون مشددة. الباقون بنونين. وقرأ ابن كثير
وأهل البصرة وعاصم إلا الكسائي عن أبي بكر والحلواني عن هشام (وليوفينهم)
بالياء. الباقون بالنون. وقرأ ابن ذكوان وروح (أأذهبتم) بهمزتين مخففتين
على الاستفهام. وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وهشام بتخفيف الأولى وتلين الثانية
وفصل بينهما بألف أبو جعفر والحلواني عن هشام. الباقون بهمزة واحده على الخبر.
لما اخبر تعالى بما أوصى به الانسان ان يعمله ويقوله عند بلوغ أشده
اخبره بعده بما يستحقه من الثواب إذا فعل ما أمره به تعالى فقال (أولئك)
يعني الذين فعلوا ما وصيناهم به من التائبين المسلمين هم (الذين نتقبل عنهم أحسن ما
عملوا)
من قرأ بالنون أضاف الفعل إلى الله وانه أخبر عن نفسه بأنه يفعل بهم. ومن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ بالياء والضم فيهما لم يذكر الفاعل لأنه معلوم أن المراد به أن الله الذي يتقبل الطاعات ويجازي عليها. وقوله (أحسن ما عملوا) يعني ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، لان المباحات وإن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا توصف بأنها متقبلة، لأنه لا يتقبل إلا ما ذكرناه من واجب أو ندب.

ثم قال (ونتجاوز عن سيئاتهم) التي اقترفوها فلا نؤاخذهم بها إذا تابوا منها أو أردنا أن نتفضل عليهم باسقاطها، وقوله (في أصحاب الجنة) أي هم في أصحاب الجنة (وعد الصدق) أي وعدهم وعد الصدق لا الكذب، فهو نصب على المصدر (الذي كانوا يوعدون) به في دار الدنيا إذا أطاعوا الله.

ثم اخبر تعالى عن حال (الذي قال) أي الذي يقول (لوالديه أف لكما) ومعناه أنه في موضع ضجر منهما، وقيل: معناه نتنا وقذرا لكما، كما يقال عند شم الرائحة الكريهة. وقال الحسن: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وانه يتأفف بهما إذا دعواه إلى الاقرار بالبعث والشنور. وقال قوم: نزلت الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل ان يسلم.

ثم بين أنه يقول لهما (أتعدانني أن اخرج) من القبر وأحيا وابعث (وقد خلت القرون من قبلي) أي مضت أمم قبلي وماتوا فما أخرجوا ولا أعيدوا وهما) يعني والديه (يستغيثان الله) ويقولان له (ويلك آمن إن وعد الله حق) والبعث والنشور والثواب والعقاب (فيقول) في جوابهما (ما هذا إلا أساطير الأولين) أي ليس هذا إلا أخبار الأولين وسطروها، وليس لها حقيقة، فقال تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) باستحقاق العقاب وإدخالهم النار (في أمم) أي مع أمم وجماعات (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) على مثل حالهم ومثل اعتقادهم. وقال قتادة: قال الحسن: الجن لا يموتون، قال قتادة:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فقلت (أولئك الذين حق عليهم القول..) الآية تدل على خلافه، ويجوز أن يكون الحسن أراد انهم لا يموتون في دار الدنيا ويبقون إلى وقت قيام الساعة.
ثم يميتهم الله كما أن ذلك سبيل كل خلق من الملائكة.
ثم قال تعالى مخبرا عن حالهم (إنهم) يعني الذين وصفهم (كانوا قوما خاسرين) في أمورهم، لأنهم خسروا الثواب الدائم وحصل لهم العقاب المؤبد.
ثم قال (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل مطيع درجات ثواب، وإن تفاضلوا في مقاديرها.
وقوله (وليوفيهم) من قرأ بالياء معناه ليوفيهم الله. ومن قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله عن نفسه انه يوفيهم ثواب اعمالهم من الطاعات " وهم لا يظلمون " أي من غير أن ينقص منه شيئا.
ثم قال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعني يوم القيامة (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي يقال لهم على وجه التهجين والتوبيخ (أذهبتم طيباتكم) أي أنفقتم ذلك في ملاذ الدنيا، وفي معاصي الله، ولم تستعملوها في طاعاته. فمن خفف الهمزتين أراد بألف الاستفهام التوبيخ. ومن لين الثانية كره الجمع بين الهمزتين. ومن قرأ على الخبر، فعلى تقدير يقال لهم (أذهبتم) أو يكون حذف أحدهما تخفيفا ويكون المحذوفة الأصلية، لان همزة الاستفهام أدخلت لمعنى.
وقوله (واستمتعتم بها) يعني بالطيبات. ثم حكى ما يقال لهم بعد ذلك فإنه يقال لهم (فاليوم تجزون عذاب الهون) يعني عذاب الهوان - في قول مجاهد (بما كنتم تستكبرون في الأرض) أي جزاء بما كنتم تطلبون التكبر والتجبر على الناس (بغير الحق) أي بغير استحقاق (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من طاعة الله إلى معاصيه.
قوله تعالى:
(واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف
عليكم عذاب يوم عظيم (٢١) قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا
بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٢٢) قال إنما العلم عند الله
وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أريكم قوما تجهلون (٢٣) فلما
رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم (٢٤) تدمر كل شئ
بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ عاصم وحمزة وخلف (لا يرى) بالياء مضمومة، على ما لم يسم فاعله
(إلا مساكنهم) برفع النون. الباقون - بالتاء - ونصب النون. من ضم الياء
فعلى ما لم يسم فاعله. ومن فتح التاء، فعلى الخطاب، والمعنيان متقاربان.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (واذكر) يا محمد (أخا عاد) يعني هودا عليه السلام
(إذ أنذر قومه) أي خوفهم من الكفر بالله وحذرهم معاصيه ودعاهم إلى طاعته
(بالأحقاف) قال ابن عباس: هو واد بين عمان ومهوة، وقال ابن إسحاق:
الأحقاف الرمل في ما بين عمان إلى حضرموت. وقال قتادة: الاحقاق رمال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مشرفة على البحر بالشجر من اليمن، وقال الحسن: الأحقاف أرض خلالها رمال.
وقال الضحاك: جبل بالشام يسمى بذلك، قال العجاج:
بات إلى ارطات حقف أحقفا (١)
أي رمل مشرف، وقال ابن زيد: الحقف الرمل يكون كهيئة الجبل.
وقال المبرد: الحقف هو كثيب المكثر غير العظيم وفيه اعوجاج، قال العجاج:
سماوة الهلال حتى احقوقفا (٢)
وهو انحناؤه. وقوله (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه ومن خلفه) أي قدامه ووراءه (ألا تعبدوا إلا الله) أي أنذرهم وخوفهم بان لا تعبدوا إلا الله. وقال لهم (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني عذاب يوم القيامة.
ثم حكى ما أجاب به قومه وانهم (قالوا أجئتنا) يا هود (لتأفكنا) أي لتلفتنا وتصرفنا (عن) عبادة (آلهتنا) بالكذب والافك (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت) صادقا (من الصادقين) فانا لا نصدقك في ما تقوله، فقال هود لهم (إنما العلم عند الله) يريد العلم بوقت إنزال العذاب بكم عند الله، وهو العالم به ولا أعلمه مفصلا (وأبلغكم ما أرسلت به) أي أؤدي إليكم ما بعثت به إليكم من الدعاء إلى عبادة الله وإخلاص القربة إليه، فلست أراكم تقبلون ذلك (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي تفعلون ما يفعله الجهال.
وقوله " فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم " معناه فلما رأو العذاب وشاهدوه أطل عليهم " قالوا هذا عارض " أي سحاب " ممطرنا " والعارض المار بمعنى انه

---

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٠٣ ومجاز القرآن ٢ / ٢١٣ والطبري ٢٦ / ١٥
(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٠٣ وقد مر في ٦ / ٧٩ و ٨ / ٢٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لا يلبث من خير أو شر، فلما رأو العارض ظنوا انه عارض خير بالمطر، فقيل لهم ليس الامر كما ظننتم " بل هو ما استعجلتم " أي هو عارض من العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه مكذبين به، وقال (عارض) نكرة و (ممطرنا) معرفة، وإنما وصفه به لان التقدير ممطر إيانا، كقولك: مررت برجل مثلك أي مثل لك ثم فسره فقال " هو ريح فيه عذاب عظيم " أي مؤلم، وسمي السحاب عارضا، لاخذه في عرض السماء، وقال الأعشى:

يامن رأى عارضا قدبت أرمقه * كأنما البرق في حافاته الشعل (١)

وقيل: كانت الريح ترفع الظعينة بحملها حتى ترى كأنها جرادة - في قول عمرو بن ميمون - وقوله تعالى " تدمر كل شئ " أي تخرب وتلقي بعض الأشياء على بعض حتى تهلك، قال جرير:

وكان لهم كبكر ثمود لما رغا * ظهرا فدمر هم دمارا (٢).

وقوله " فأصبحوا " يعني أهل الأحقاف " لا يرى إلا مساكنهم " وما عداها قد هلك. فمن فتح التاء نصب النون من (مساكنهم) على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله. ومن ضم الياء ضم النون وتقديره فأصبحوا لا يرى شئ في مساكنهم

وقرأ الحسن بالتاء والضم. وقال النحويون: القراءة بالياء ضعيفة في العربية، لان العرب تذكر ما قبل (الا) في الجحد، فتقول: ما قام إلا أختك، لان المحذوف (أحد) وتقديره ما قام أحد إلا أختك قامت.

ثم قال تعالى مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف وجازيناهم بالعذاب " كذلك نجزي القوم المجرمين " الذين سلكوا مسلكهم.

---

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٤٦

(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ١٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم
من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات
لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨)
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه
قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (٢٩) قالوا يا قومنا
إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي
إلى الحق وإلى طريق مستقيم) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى على وجه القسم في خبره أنه مكن هؤلاء الكفار الذين اخبر عنهم بأنه أهلكهم انه مكنهم من الطاعات ومن جميع ما أمرهم به من أنه جعلهم قادرين متمكنين بنصب الدلالة على توحيده، ومكنهم من النظر فيها، ورغبهم في ذلك بما ضمن لهم من الثواب وزجرهم عما يستحق به العقاب، ولطف لهم وأزاح عللهم في جميع ذلك، لان التمكين عبارة عن فعل جميع مالا يتم الفعل إلا معه، ثم قال " وجعلنا لهم سمعا " يسمعون به الأدلة " وأبصارا " يشاهدون بها الآيات " وأفئدة " يفكرون بها ويعتبرون بالنظر فيها " فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولا أفئدتهم من شئ " أي لم ينفعهم جميع ذلك، لأنهم لم يعتبروا بها ولا فكروا فيها " إذ كانوا يجحدون بآيات الله " وأدلته " وحاق بهم " أي حل بهم عذاب " ما كانوا به يستهزؤن " ويسخرون منه.

وقوله " ما ان مكناكم فيه " قال ابن عباس وقتادة: معناه في ما لم نمكنكم فيه. وقال المبرد: (ما) الأولى بمعنى (الذي) و (إن) بمعنى (ما) وتقديره في الذي ما مكناكم، والمراد بالآية وعيد كفار قريش وتهديدهم وأن الله قد مكن قوم عاد بما لم يمكن هؤلاء منه، من عظيم القوة وشدة البطش والقدرة على جميع ما يطلبونه، وأنهم مع تمكينهم لم ينفعهم ذلك لما نزل بهم عذاب الله حين كفروا به وجحدوا ربوبيته ولم يغنهم جميع ذلك.

ثم قال " ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى " يعني قوم هود وصالح، لأنهم كانوا مجاورين لبلاد العرب وبلادهم حول بلادهم، فإذا أهلكهم الله بكفرهم كان ينبغي أن يعتبروا بهم " وصرفنا الآيات " وتصريف الآيات تصييرها في الجهات وتصريف الشئ تصييره في الجهات، وتصريف المعنى تصييره تارة مع هذا الشئ وتارة مع ذلك، وتصريف الآيات تصييرها تارة في الاعجاز وتارة في الاهلاك، وتارة في التذكير بالنعم وتارة في وصف الأبرار، وتارة في وصف الفجار، ليجتنب مثل فعلهم " لعلهم يرجعون " أي لكي يرجعوا إلى طاعته.

ثم قال " فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة " ومعناه فهلا نصرهم الذين اتخذوا آلهة من دون الله من الأصنام، توبيخا لهم على فعلهم واعلاما بأن من لا يقدر على نصرة أوليائه كيف تصح عبادته " قربانا آلهة " أي يقربون إليهم قربانا وسموها آلهة.

ثم قال لم ينصرونهم " بل ضلوا عنهم " واخبر أن " ذلك إفكهم وما كانوا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يفترون " أي كذبهم الذي كذبوه، والذي كانوا يفترونه، ويخترعونه.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد " إذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه " يعني القرآن أو النبي " قالوا " بعضهم لبعض " انصتوا فلما قضي " أي حين فرغ من تلاوته " ولوا إلى قومهم منذرين " لهم مخوفين من معاصي الله. وقال قوم: إن الله تعالى أمر نبيه ان يقرأ القرآن على الجن، وأمره بأن يدعوهم إلى عبادته. وقال قوم: هم يسمعون من قبل نفوسهم لقراءة القرآن فلما رجعوا " قالوا " لقومهم " يا قومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه " يعني التوراة " يهدي إلى الحق " أي يرشد إليه " ويهدي إلى طريق مستقيم " من توحيد الله ومعرفة نبيه المؤدي إلى الجنة. وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير: صرفوا إليه بالرجم بالشهب، فقالوا عند ذلك إن هذا الامر كبير.
وقال قتادة: صرفوا إليه من جهة. وفي رواية عن ابن عباس من نصيبين. وقيل: ان نصيبين من أرض اليمن. وقال رزين بن حبيش: كانوا تسعة نفر، وقال ابن عباس: كانوا سبعة نفر. وقال قوم: صرفوا إليه بالتوفيق.
قوله تعالى:
(يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في
ضلال مبين (٣٢) أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض
ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شئ قدير (٣٣) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤)
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم
كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل
يهلك إلا القوم الفاسقون) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ يعقوب " يقدر " بالياء جعله فعلا مستقبلا. الباقون - بالياء - اسم فاعل.
لما حكى الله تعالى أن نفرا من الجن استمعوا القرآن وتدبروه ورجعوا به إلى قومهم مخوفين لهم من معاصي الله وأنهم قالوا إنا سمعنا كتابا يعني القرآن انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني التوراة يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، حكى انهم قالوا أيضا " يا قومنا أجيبوا داعي الله " يعنون محمدا صلى الله عليه وآله
إذ دعاهم إلى توحيده وخلع الأنداد دونه، وقال قوم: يجوز أن يكون المراد كل من دعا إلى الله تعالى. والإجابة موافقة الفعل الدعاء إليه بأنه عمل من أجله، ولهذا لا تكون موافقة الكافر - وإن كان إذا دعا به - إجابة له إذ لم يعمل من أجل دعائه إليه، وإنما عمل لامر آخر. وعلى هذا قال بعضهم: إنه لا يجيب الله دعاء الكافر لان فيه إجلالا له كمالا يعمل شيئا لان فيه مفسدة.
فان قيل: لو أن الكافر دعا إلى حق هل تلزم اجابته؟
قلنا: يجب العمل بما يدعو إليه، ولا تلزم إجابته، وإنما يجب العمل به، لأنه حق. وقيل: يجوز إجابته إذا لم يكن فيه مفسدة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقالوا لهم " آمنوا به " أي آمنوا بالله " يغفر لكم من ذنوبكم " (من) زائدة، والمعنى يغفر لكم ذنوبكم " ويجركم من عذاب اليم " فالإجارة من النار جعلهم في جوار الأولياء المباعدين من النار. وفي الدعاء: اللهم أجرني من النار واللهم أعذني منها.

ثم قالوا أيضا " ومن لا يجب داعي الله " تاركا له إلى خلافه " فليس بمعجز " أي بفائت " في الأرض وليس له من دونه أولياء " ينصرونهم ويدفعون عنهم العذاب إذا نزل بهم، ويجوز أن يكون ذلك من كلام الله ابتداء. ثم قال " أولئك " يعني الذين لا يجيبون داعي الله " في ضلال " أي في عدول عن الحق " مبين ".

ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته على الإعادة والبعث " أو لم يروا " أي أو لم يعلموا " ان الله الذي خلق السماوات والأرض " وأنشأهما " ولم يعي بخلقهن " أي لم يصبه في خلق ذلك إعياء ولا تعب " بقادر " فالباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر (أن) ودخول الباء في خبر (ان) جائز إذا كان أول الكلام نفيا نحو ما ظننت أن زيدا بقائم ولو قلت: إن زيدا بقائم لا يجوز، لأنه إثبات " على أن يحيي الموتى " ثم قال " بلى " هو قادر عليه " إنه على كل شئ قدير " ثم قال " ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق " أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جزيتم به حق لا ظلم فيه لأنكم شاهدتموه الآن " قالوا بلى وربنا " فيحلفون على ذلك، فيقال لهم عند ذلك " ذوقوا العذاب " جزاء " بما كنتم تكفرون " أي بما كنتم تجحدون من نعمه وتنكرون من وحدانيته

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فاصبر " يا محمد على أذى هؤلاء الكفار على ترك إجابتهم لك " كما صبر أولوا العزم من الرسل " قبلك على أممهم. وقال قوم: أولوا العزم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب واجتناب المحارم، فعلى هذا الأنبياء كلهم أولوا العزم، ومن قال ذلك جعل (من) ههنا للتبيين لا للتبعيض. ومن قال: إن أولى العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال (من) ههنا للتبعيض وهو الظاهر في روايات أصحابنا، وأقوال المفسرين، ويريدون بأولي العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الأنبياء، قالوا وهم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وآله.

ثم قال " ولا تستعجل لهم " العقاب " كأنهم يوم يرون ما يوعدون " من يوم القيامة لقرب مجيئه " لم يلبثوا إلا ساعة من نهار " من قلة لبثهم في الدنيا.

وقوله " بلاغ " قيل في معناه قولان:

أحدهما - ذلك اللبث بلاغ. والآخر - هذا القرآن بلاغ.

ثم قال " فهل يهلك " بهذا النوع من الاهلاك على وجه الاستحقاق " إلا القوم الفاسقون " الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته ومن ولايته إلى عداوته.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٧ - سورة محمد صلى الله عليه وآله
هي مدينة كلها إلا آية واحدة قال ابن عباس وقتادة: فالآية الواحدة
نزلت حين خرج النبي صلى الله عليه وآله من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهو يبكي حزنا عليه
فنزل قوله " فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك.. " الآية
وهي ثمان وثلاثون آية في الكوفي وتسع وثلاثون في المدنيين وأربعون في البصري.
بسم الله الرحمن الرحيم
(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (١)
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو
الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) ذلك بأن
الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من
ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (٣) فإذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما
منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سبيل الله فلن يضل أعمالهم (٤) سيهديهم ويصلح بالهم) (٥).
خمس آيات كوفي وست في ما عداه.
قرأ أهل البصرة وحفص عن عاصم " والذين قتلوا " على ما لم يسم فاعله بضم القاف وكسر التاء. الباقون " قاتلوا " بألف من المفاعلة. وقرئ شاذا " قتلوا " بفتح القاف وتشديد التاء. من قرأ بألف كان أعم فائدة، لأنه يدخل فيه من قتل. ومن قرأ بغير الف لم يدخل في قراءته القاتل الذي لم يقتل وكلاهما لم يضل الله أعمالهم، فهو أكثر فائدة. ومن قرأ بغير الف خص هذه الآية بمن قتل. وقال: علم أن الله لم يضل اعمال من قاتل بدليل آخر ولان من قاتل لم يضل عمله بشرط ألا يحبط عند من قال بالاحباط، وليس من قتل كذلك، لأنه لا يضل الله أعمالهم على وجه بلا شرط، ولأنه لا يقتل إلا وقد قاتل فصار معناهما واحد.
قال مجاهد عن ابن عباس إن قوله " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله " نزلت في أهله مكة. وقوله " والذين آمنوا وعملوا الصالحات " في الأنصار.
يقول الله تعالى مخبرا بأن الذين جحدوا توحيد الله وعبد وا معه غيره وكذبوا محمدا نبيه صلى الله عليه وآله في الذي جاء به وصدوا من أراد عبادة الله والاقرار بتوحيده وتصديق نبيه عن الدين، ومنعوه من الاسلام " أظل اعمالهم " ومعناه حكم الله على أعمالهم بالضلال عن الحق والعدول من الاستقامة وسماها بذلك لأنها عملت على غير هدى وغير رشاد. والصد عن سبيل الله هو الصرف عن سبيل الله بالنهي عنه والمنع منه. والترغيب في خلافه، وكل ذلك صد، فهؤلاء كفروا في أنفسهم ودعوا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

غيرهم إلى مثل كفرهم، والضلال الاهلاك حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، وليس في الآية ما يدل على القول بصحة الاحباط إذا حملناها على ما قلناه. ومن قال بالتحابط بين المستحقين لابد ان يترك ظاهر الآية.

ثم قال " والذين آمنوا وعملوا الصالحات " يعني صدقوا بتوحيد الله والاقرار بنبوة نبيه وأضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات " وآمنوا بما انزل على محمد " من القرآن والعبادات وغيرها " وهو الحق من ربهم " الذي لا مرية فيه " كفر الله عنهم سيئاتهم " وقوله " وهو الحق " يعني القرآن - على ما قاله قوم - وقال آخرون إيمانهم بالله وبالنبي صلى الله عليه وآله " هو الحق من ربهم " أي بلطفه لهم فيه

وجثه عليه وأمره به. ومعنى تكفير السيئات هو الحكم باسقاط المستحق عليها من العقاب، فأخبر تعالى انه متى فعل المكلف الايمان بالله والتصديق لنبيه أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل. وقوله " وأصلح بالهم " قال قتادة: معناه وأصلح حالهم في معائشهم وأمر دنياهم. وقال مجاهد: وأصلح شأنهم، والبال لا يجمع، لأنه ابهم أخواته من الحال والشأن.

ثم بين تعالى لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال " ذلك بأن الذين كفروا " فعلنا ذلك بهم وحكمنا بابطال أعمالهم جزاء على أنهم " اتبعوا الباطل " والمعاصي، وفعلنا بالمؤمنين من تكفير سيئاتهم لأنهم " اتبعوا الحق " الذي أمر الله باتباعه. وقيل الباطل هو الشيطان - ههنا - والحق هو القرآن، ويجوز أن يكون التقدير الامر ذلك، وحذف الابتداء.

ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي هؤلاء الذين حكمنا بهلاكهم وضلالهم بمنزلة من دعاه الباطل فاتبعه، والمؤمن بمنزلة من دعاه الحق من الله فاتبعه ويكون التقدير يضرب الله للناس صفات أعمالهم بأن بينها وبين ما يستحق

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليها من ثواب وعقاب.
ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال (فإذا لقيتم) معاشر المؤمنين " الذين كفروا " بالله وجحدوا ربوبيته من أهل دار الحرب (فضرب الرقاب) ومعناه اضربوهم على الرقاب، وهي الأعناق (حتى إذا أثخنتموهم) أي أثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم (فشدوا الوثاق) ومعناه احكموا وثاقهم في الامر. ثم قال (فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ومعناه اثقالها.
وقوله (فاما منا بعد) نصب على المصدر والتقدير إما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء، وقال قتادة وابن جريج: الآية منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (١) وقوله (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم) (٢) وقال ابن عباس والضحاك: الفداء منسوخ. وقال ابن عمر والحسن وعطا وعمر ابن عبد العزيز: ليست منسوخة. وقال الحسن يكره أن يفادى بالمال، ويقال يفادي الرجل بالرجل، وقال قوم: ليست منسوخة، والامام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الآيات الأخر (حتى تضع الحرب أوزارها) أي أثقالها، وقال قتادة: حتى لا يكون مشرك. وقال الحسن: إن شاء الامام أن يستفد الأسير من المشركين، فله ذلك بالسنة، والذي رواه أصحابنا ان الأسير إن اخذ قبل انقضاء الحرب والقتال بأن تكون الحرب قائمة والقتال باق، فالامام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا، وليس له المن ولا الفداء. وإن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب والقتال كان مخيرا بين المن والمفادات. إما بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق، وضرب الرقاب، فان أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم.

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦
(٢) سورة ٨ الأنفال آية ٥٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (ذلك) أي الذي حكمنا به هو الحق الذي يجب عليكم اتباعه
(ولو يشاء الله لانتصر منهم) وأهلكهم بانزال العذاب عليهم (ولكن ليبلو بعضكم
ببعض) ويختبرهم ويتعبدهم بقتالهم إن لم يؤمنوا.
ثم اخبر تعالى أن (الذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قال قتادة
هم الذين قتلوا يوم أحد. ومن قرأ (قاتلوا) أراد قاتلوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا
لن يهلك الله أعمالهم ولا يحكم بضلالهم وعدولهم عن الحق. ثم قال (سيهديهم)
يعني إلى طريق الجنة (ويصلح بالهم) أي شأنهم أو حالهم، وليس في ذلك
تكرار البال، لان المعنى يختلف، لان المراد بالأول انه يصلح حالهم في الدين والدنيا
وبالثاني يصلح حالهم في النعيم، فالأول سبب النعيم، والثاني نفس النعيم.
قوله تعالى:
(ويدخلهم الجنة عرفها لهم (٦) يا أيها الذين آمنوا إن
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) والذين كفروا فتعسا
لهم وأضل أعمالهم (٨) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط
أعمالهم (٩) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) (١٠) خمس
آيات بلا خلاف.
لما خبر الله تعالى انه سيهدي المؤمنين إلى طريق الجنة، ويصلح حالهم
فيها، بين أنه أيضا (يدخلهم الجنة عرفها لهم) وقيل في معنى (عرفها لهم) قولان:
أحدهما - بأنه عرفها لهم بان وصفها على ما يسوق إليها، ليعملوا بما يستوجبونها

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

به من طاعة الله واجتناب معاصيه.
والثاني - عرفها لهم بمعنى طيبها بضروب الملاذ، مشتقا من العرف، وهي الرائحة الطيبة التي تتقبلها النفس تقبل ما تعرفه ولا تنكره. وقال أبو سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد: معناه انهم يعرفون منازلهم فيها كما كانوا يعرفون منازلهم في الدنيا. وقال الحسن: وصف الجنة في الدنيا لهم، فلما دخلوها عرفوها بصفتها.
ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا) بتوحيد الله وصدقوا رسوله (إن تنصروا الله ينصركم) ومعناه إن تنصروا دينه بالدعاء إليه، واضافه إلى نفسه تعظيما كما قال (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (١) وقيل معناه (تنصروا الله) تدفعوا عن نبيه (ينصركم) الله، أي يدفع عنكم أعداءكم في الدنيا عاجلا، وعذاب النار آجلا (ويثبت أقدامكم) في حال الحرب. قيل: ويثبت أقدامكم يوم الحساب.
ثم قال (والذين كفروا) بنعم الله وجحدوا نبوة نبيه (فتعسا لهم) أي خزيا لهم وويلا لهم، فالتعس الانحطاط والعثار عن منازل المؤمنين (وأضل اعمالهم) أي أهلكها وحكم عليها بالضلال. وإنما كرر قوله (وأضل أعمالهم) و (احبط أعمالهم) تأكيدا، ومبالغة في الزجر عن الكفر والمعاصي وكرر ذكر النعيم إذا ذكر المؤمنين مبالغة في الترغيب في الطاعات. وإنما عطف قوله (وأضل) وهو (فعل) على قوله (فتعسا) وهو اسم، لان المعنى أتعسهم الله وأضل اعمالهم فلذلك حسن العطف.
ثم بين تعالى لم فعل ذلك، فقال فعلنا (ذلك) جزاء لهم على معاصيهم (بأنهم كرهوا ما انزل الله) من القرآن والاحكام وأمرهم بالانقياد لها، فخالفوا

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٤٥ وسورة ٥٧ الحديد آية ١١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ذلك (فأحبط أعمالهم) من أجل ذلك أي حكم ببطلانها، لأنها وقعت على خلاف الوجه الأمور به.
ثم نبههم على الاستدلال على صحة ما دعاهم إليه من توحيده وإخلاص العبادة له، فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) حين أرسل الله إليهم الرسل فدعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له، فلم يقبلوا منهم وعصوهم وعملوا بخلافه، فأهلكهم الله جزاء على ذلك (ودمر عليهم) مثل ما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وأشباههم. ثم قال (وللكافرين) بك يا محمد إن لم يقبلوا ما تدعوهم إليه (أمثالها) أي أمثال تلك العقوبات أي هم يستحقون مثلها، وإنما يؤخر عذابهم تفضلا منه.
قوله تعالى:
(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (١١) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (١٢) وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣) أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (١٤) مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) (١٥).
ست آيات بصري، وخمس في ما عداه، عد البصريون (للشاربين) ولم
يعده الباقون.
قرأ ابن كثير (أسن) على وزن (فعل). الباقون على وزن (فاعل)
ومعناهما واحد، لان المعنى من ماء غير متغير.
لما اخبر الله تعالى انه أهلك الأمم الماضية بكفرهم وأن للكافرين أمثالها
بين أنه لم كان كذلك؟ فقال (ذلك) أي الذي فعلناه في الفريقين (بأن الله
مولى الذين آمنوا) ينصرهم ويدفع عنهم لان الله مولى كل مؤمن (وأن الكافرين
لا مولى لهم) ينصرهم من عذابه إذا نزل بهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا.
ثم اخبر تعالى انه (يدخل الذين آمنوا) بتوحيده وصدقوا نبيه (وعملوا
الصالحات) مضافة إليها (جنات) أي بساتين تجنها الأشجار (تجري من تحتها
الأنهار) وقيل: ان أنهار الجنة في أخاديد من الأرض، فلذلك قال من تحتها.
ثم قال (والذين كفروا) بتوحيده وكذبوا رسله (يتمتعون) في دار
الدنيا ويلتذون فيها (ويأكلون) المآكل فيها (كما تأكل الانعام) أي مثل
ما تأكل الانعام والبهائم، لأنهم لا يعتبرون ولا ينظرون ولا يفكرون ولا يفعلون
ما أوجبه الله عليهم، فهم بمنزلة البهائم. وقيل: إن المعنى بذلك الاخبار عن
خستهم في أكلهم بأنهم يأكلون للشره والنهم، لأنهم جهال. ثم قال (والنار مثوى
لهم) أي موضع مقامهم الذي يقيمون فيه.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله مهددا لكفار قومه (وكأين من قرية في أشد قوة من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قريتك) يعني مكة (التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) الآن فما الذي يؤمن هؤلاء أن يفعل بهم مثل ذلك. ومعنى (وكأين) (وكم) والأصل فيها (أي) قرية إلا أنها إذا لم تضف تؤنث. ثم قال على وجه التهجين للكفار والتوبيخ لهم (أفمن كان على بينة من ربه) أي حجة واضحة. قال قتادة: يعني محمدا صلى الله عليه وآله.

وقال قوم: يعني به المؤمنين الذين عرفوا الله تعالى وأخلصوا العبادة (كمن زين له سوا عمله) من المعاصي زينها لهم الشيطان وأغواهم بها (واتبعوا أهواءهم) أي شهواتهم في ذلك، وما تدعوهم إليه طباعهم.

ثم اخبر تعالى عن وصف الجنة التي وعد المتقين بها، فقال (مثل الجنة أي وصف الجنة (التي وعد المتقون) بها (فيها أنهار من ماء غير آسن) أي غير متغير لطول المقام (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لمثل ذلك (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يلتذون بشر بها ولا يتأذون بها ولا بعاقبتها (وأنهار من عسل مصفى) من كل أذى (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) تلحقهم أي لا يلحقهم في الجنة توبيخ بشئ من معاصيهم، لان الله قد تفضل بسترها عليهم فصارت بمنزلة ما لم يعمل بابطال حكمها.

وقوله (مثل الجنة) مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، وتقديره ما يتلى عليكم مثل الجنة التي وعد المتقون، ولو جعل المثل مقحما جاء الخبر المذكور عن الجنة كأنه قيل الجنة التي وعد المتقون فيها كذا وفيها كذا.

وقوله (كمن هو خالد في النار) أي يتساون من له نعيم الجنة على ما وصفناه ومن هو في النار مؤبد!؟ ومع ذلك (سقوا ماء حميما) أي حارا (فقطع أمعاءهم) من حرارتها، ولم يقل أمن هو في الجنة لدلالة قوله (كمن هو خالد) عليه. وقيل: معنى قوله (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أمعاءهم) أي هل يكون صفتهما وحالهما سواء؟!. ويتماثلان فيه؟! فإنه لا يكون ذلك أبدا.

قوله تعالى:

(ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك
قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتبعوا أهواءهم (١٦) والذين اهتدوا زادهم هدى وآيتهم
تقويهم (١٧) فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء
أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكريهم (١٨) فاعلم أنه لا إله إلا
الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم
ومثواكم (١٩) ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض
ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم) (٢٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير في احدى الروايتين (انفا) على وزن (فعل) الباقون (آنفا) بالمد على وزن (فاعل) قال أبو علي الفارسي: جعل ابن كثير ذلك مثل (حاذر، وحذر. وفاكه، وفكه) والوجه الرواية الأخرى.

حكى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أن من الكفار من إذا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله واستمع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لقراءة القرآن منه وسمع ما يؤديه إلى الحق من الوحي وما يدعوه إليه، فلا يصغي إليه ولا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ويسألون أهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين (ماذا قال آنفا) اي أي شئ قال الساعة؟ وقيل: معناه قرينا مبتديا. وقيل: إنهم كانوا يتسمعون للخطبة يوم الجمعة وهم المنافقون، والآنف الجائي بأول المعنى ومنه الاستئناف، وهو استقبال الامر بأول المعنى، ومنه الانف لأنه أول ما يبدو من صاحبه، ومنه الانفة رفع النفس عن أول الدخول في الرتبة. وإنما قال (ومنهم من يستمع إليك) فرده إلى لفظة (من) وهي موحدة. ثم قال (حتى إذا خرجوا) بلفظ الجمع برده إلى المعنى، لان (من) يقع على الواحد والجماعة.

ثم قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) أي وسم قلوبهم وجعل عليها علامة تدل على أنهم كفار لا يؤمنون، وهو كالختم وإن صاحبه لا يؤمن فطبع الله على قلوب هؤلاء الكفار ذما لهم على كفرهم أي لكونهم عادلين عن الحق واخبر أنهم (اتبعوا) في ذلك (أهواءهم) وهو شهوة نفوسهم وما مال إليه طبعهم دون ما قامت عليه الحجة يقال: هوى يهوي هوى فهو هاو، واستهواه هذا الامر أي دعاه إلى الهوى.

ثم وصف تعالى المؤمنين فقال (والذين اهتدوا) إل الحق، ووصلوا إلى الهدى والايمان (زادهم هدى) فالضمير في زادهم يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها - زادهم الله هدى بما ينزل عليهم من الآيات والاحكام، فإذا أقروا بها وعرفوها زادت معارفهم.

الثاني - زادهم ما قال النبي صلى الله عليه وآله هدى.

الثالث - زادهم استهزاء المنافقين إيمانا.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والوجه في إضافة الزيادة في الهدى إلى الله هو ما يفعله تعالى بهم من الألطاف التي تقوي دواعيهم إلى التمسك بما عرفوه من الحق وتصرفهم عن العدول إلى خلافه. ويكون ذلك تأكيدا لما عملوه من الحق وصارفا لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة ولا دلالة. ثم قال (وآتاهم) على زيادة الهدى (تقواهم) أي خوفا من الله من معاصيه ومن ترك مفترضاته بما فعل بهم من الألطاف في ذلك. وقيل معناه (آتاهم) ثواب (تقواهم) ولا يجوز أن يكون المراد خلق لهم تقواهم لأنه يبطل أن يكون فعلهم.

ثم قال (فهل ينظرون إلا الساعة) أي ليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة، فقوله (أن تأتيهم) بدل من الساعة، وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة، فان حذف الساعة كان التقدير هل ينظرون إلا إتيانهم الساعة بغتة.

ثم قال تعالى (فقد جاء أشراطها) أي علاماتها. وقيل: منها انشقاق القمر في وقت النبي صلى الله عليه وآله ومنها مجئ محمد صلى الله عليه وآله بالآيات لأنه آخر الأنبياء، فالاشراط

العلامات واحدها شرط قال جرير:

ترى شرط المعزى مهور نسائهم * وفي شرط المعزى لهن مهور (١)

وأشرط فلان لنفسه إذا علمها بعلامة، وقال أوس بن حجر:

فاشرط فيها نفسه وهو مقصم * والقى بأسباب له وتوكلا (٢)

والفاء في قوله (فقد جاء أشراطها) عطف جملة على جملة فيها معنى الجزاء، والتقدير إن تأتهم بغتة، فقد جاء أشراطها. وقد قرئ شاذا عن أبي عمرو (الا إن) والقراءة بفتح (أن) وقال المبرد: هذا لا يجوز لأنه تعالى أخبر انه لا تأتي الساعة إلا بغتة، فكيف تعلق بشرط. وقال تعالى (فأنى لهم) أي من أين لهم (إذا

---

(١) الطبري ٢٦ / ٣٠

(٢) الطبري ٢٦ / ٣١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

جاءتهم) يعني الساعة (ذكراهم) أي ما يذكرهم أعمالهم من خير أو شر، فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الايمان والطاعات لزوال التكليف عنهم.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين (فاعلم) يا محمد (أنه لا إله إلا الله) أي لا معبود يحق له العبادة إلا الله. وفي ذلك دلالة على أن المعرفة بالله اكتساب، لأنها لو كانت ضرورية، لما أمر بها (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فالخطاب له والمراد به الأمة لأنه صلى الله عليه وآله لا ذنب له يستغفر منه، ويجوز
أن يكون ذلك على وجه الانقطاع إليه تعالى.
ثم قال (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي الموضع الذي تتقلبون فيه وكيف تتقلبون وموضع استقراركم، لا يخفى عليه شئ من أعمالكم طاعة كانت أو معصية.
وقيل: يعلم متقلبكم في أسفاركم ومثواكم في أوطانكم، وقيل: متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في نومكم.
ثم قال تعالى حكاية عن المؤمنين أنهم كانوا يقولون (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة لأنهم كانوا يأنسون بنزول الوحي ويستوحشون من ابطائه فقال الله تعالى حاكيا عن حالهم عند نزول السورة فقال (وإذا أنزلت سورة محكمة) أي ليس فيها متشابه ولا تأويل (وذكر فيها القتال) أي أوجب عليهم القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق وشك (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم (فأولى لهم) قال قتادة: هو وعيد، وكأنه قال العقاب أولى بهم، وهو ما يقتضيه قبح أحوالهم.
وروي عن ابن عباس، أنه قال: قال الله تعالى (فأولى) ثم استأنف فقال (لهم طاعة وقول معروف) يعني للمؤمنين فصارت أولى للذين في قلوبهم مرض.
وقيل: المعنى (أولى لهم طاعة وقول معروف) من أن يجزعوا عن فرض الجهاد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليهم. وقال الجبائي: معنى الكلام ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم أن يعاقبوا (فلو صدقوا الله) في ما أمرهم به (لكان خيرا لهم) ودخل بين الكلامين (طاعة وقول معروف) وليس من قصته وإنما هي من صفة المؤمن يأمره الله أن يطيعه، ويقول له قولا معروفا. وقرأ ابن مسعود " سورة محدثة " وهو شاذ.

قوله تعالى:

(طاعة وقول معروف فإذا عزم الامر فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم (٢١) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئكم الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم (٢٣) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤)
إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان
سول لهم وأملى لهم) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو " وأملي لهم " على ما لم يسم فاعله. الباقون " وأملى لهم " بمعنى الشيطان أملى لهم ويجوز أن يريد ان الله أملى لهم كما قال " إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم " (١) وقرأ يعقوب مثل أبي عمرو إلا أنه أسكن الياء بمعنى الاخبار عن الله عن نفسه وأبو عمرو جعله لما لم يسم فاعله. وقرأ رويس " توليتم " بضم التاء والواو وكسر اللام. الباقون بفتحهما. وقوله " طاعة وقول معروف " قيل في معناه قولان:

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٧٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أحدهما - قولوا أمرنا طاعة وقول معروف. قال مجاهد أمر الله بذلك المنافقين. وقيل هو حكاية عنهم أنهم يقولون " طاعة وقول معروف " مثل فرض الجهاد. لأنه يقتضيه قوله " فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ".

الثاني - طاعة وقول معروف أمثل أي أولى بالحق من أقوال هؤلاء المنافقين وقيل: طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد - ذكره الحسن - والطاعة موافقه الإرادة الداعية إلى الفعل بطريق الترغيب فيه. والقول المعروف هو القول الحسن، وسمي بذلك لأنه معروف صحته، وكذلك الامر بالمعروف أي المعروف أنه حق. والباطل منكر، لأنه تنكر صحته، فعلى هذا المعنى وقع الاعتراف والانكار.

وقوله " فإذا عزم الامر " معناه إذا انعقد الامر بالإرادة انه يفعله فإذا عقد على أنه يفعل قيل عزم الامر على طريق البلاغة. وقيل معنى عزم أي جد الامر (فلو صدقوا الله) يعني في ما أمرهم به من القتال وامتثلوا أمره (لكان خيرا لهم) لأنهم كانوا يصلون إلى نعيم الأبد.

ثم خاطبهم فقال " فهل عسيتم " يا معشر المنافقين أن توليتم. وقيل في معناه قولان:

أحدهما - " إن توليتم " الاحكام وجعلتم ولاة " أن تفسدوا " في الأرض بأخذ الرشا. وقيل أن أعرضتم عن كتاب الله ان تعودوا إلى ما كنتم من أمر الجاهلية أن يقتل بعضكم بعضا كما كنتم تفعلونه.

والثاني - ان توليتم الامر أن يقطع بعضكم رحم بعض، ويقتل بعضكم بعضا كما قتلت قريش بني هاشم، وقتل بعضهم بعضا. وقيل المعنى ان أعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه من وجوب القتال " أن تفسدوا في الأرض " بان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعملوا فيها بالمعاصي " وتقطعوا أرحامكم " فلا تصلونها، فان الله تعالى يعاقبكم عليه بعذاب الأبد ويلعنكم.
ثم قال " أولئك الذين لعنهم الله " أي أبعدهم الله عن رحمته " فأصمهم وأعمى أبصارهم " أي سماهم عميا وصما، وحكم عليهم بذلك، لأنهم بمنزلة الصم والعمي من حيث لم يهتدوا إلى الحق ولا أبصروا الرشد، ولم يرد الاصمام في الجارحة والاعماء في العين، لأنهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع.
ثم قال موبخا لهم " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيها لهم على أن الامر بخلافه. وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكر والتدبر في النظر في موجب الامر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن.
وفى ذلك حجة على بطلان قول من يقول لا يجوز تفسير شئ. من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع.
وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من أصحاب الحديث انه ينبغي ان يروى الحديث على ما جاء وإن كل مختلا في المعنى، لان الله تعالى دعا إلى التدبر والفقه وذلك مناف للتاجل والتعامي.
ثم قال " إن الذين ارتدوا على ادبارهم " أي رجعوا عن الحق والايمان " من بعد ما تبين لهم الهدى " أي ظهر لهم الطريق الواضح المفضي إلى الجنة.
وليس في ذلك ما يدل على أن المؤمن على الحقيقة يجوز ان يرتد، لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع عن إظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة بصحته.
ثم قال " الشيطان سول لهم " أي زين لهم ذلك. وقيل: معناه أعطاهم سؤلهم من خطاياهم " وأملى لهم " أي أمهلهم الشيطان، وأملى لهم بالأطماع والاغترار.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل: المعنى وأملى الله لهم أي اخرهم فاغتروا بذلك. ومن قرأ - على ما لم يسم فاعله - احتمل الامرين أيضا.
وقيل الآية نزلت في اليهود، لأنهم عرفوا صفات النبي صلى الله عليه وآله في التوراة فلما جاءهم كفروا به. وقيل نزلت في المنافقين حين صدوا عن القتال معه من بعد ما علموا وجوبه في القرآن،
قوله تعالى:
(ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
في بعض الامر والله يعلم إسرارهم (٢٦) فكيف إذا توفتهم
الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (٢٧) ذلك بأنهم اتبعوا ما
أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (٢٨) أم حسب الذين
في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم (٢٩) ولو نشاء
لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله
يعلم أعمالكم) (٣٠) خمس آيا بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر " إسرارهم " بكسر الهمزة على أنه مصدر.
الباقون بفتحها على أنه جمع سر.
لما اخبر الله تعالى عن حال المرتدين على أعقابهم والراجعين عن إظهار الحق خلافه، بين لم فعلوا ذلك، فقال " ذلك بأنهم " يعني الشياطين " قالوا للذين كرهوا ما انزل الله " من القرآن وما أمرهم به من الأمر والنهي والحلال والحرام

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وشبهوا عليهم ذلك ومالوا إلى خلافه. وقيل: هذا قول اليهود للمنافقين " سنطيعكم في بعض الامر " أي نفعل بعض ما تريدونه من الميل إليكم وإعطاء شهواتكم.
ثم قال " والله يعلم اسرارهم " أي بواطنهم - فمن فتح الهمزة، ومن كسرها - أراد يعلم ما يسرونه. ثم قال " فكيف إذا توفتهم الملائكة " والمعنى كيف حالهم إذا توفتهم الملائكة وحذف تفخيما لشأن ما ينزل بهم " يضربون وجوههم وأدبارهم، على وجه العقوبة لهم في القبر ويوم القيامة.
ثم بين تعالى لم يفعل الملائكة بهم ذلك، فقال " ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله " يعني المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها " وكرهوا رضوانه " أي كرهوا سبب رضوانه من الايمان والطاعات والامتناع من القبائح " فأحبط أعمالهم " أي حكم بأنها باطلة محبطة لا يستحق عليها الثواب.
ثم قال " أم حسب الذين في قلوبهم مرض " أي نفاق وشك يظنون " أن لن يخرج الله أضغانهم " أي أحقادهم مع المؤمنين ولا يظهرها ولا يبدي عوراتهم للنبي صلى الله عليه وآله " ولو نشاء لأريناكهم " يعني المنافقين بأعيانهم، ولو شئت لعرفتكهم
حتى تعرفهم. ثم قال " فلعرفتهم بسيماهم " أي بعلاماتهم التي نصبها الله لكم، يعرفهم بها يعني الامارات الدالة على سوء نياتهم. ثم قال " ولتعرفنهم في لحن القول " أي في فحوى أقوالهم ومتضمنها. ومنه قوله صلى الله عليه وآله (ولعل بعضكم ألحن بحجته)
أي أذهب بها في الجهات لقوته على تصريف الكلام، واللحن الذهاب عن الصواب في الاعراب، واللحن ذهاب الكلام إلى خلاف جهته. ثم قال " والله يعلم أعمالكم " الطاعات منها والمعاصي، فيجازيكم بحسبها.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا أخباركم (٣١) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا
وسيحبط أعمالهم (٣٢) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣٣) إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (٣٤) فلا تهنوا
وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم
أعمالكم) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أبو بكر عن عاصم " وليبلونكم حتى يعلم... ويبلو أخباركم " بالياء
فيهن ردا على اسم الله في قوله " والله يعلم أعمالكم " الباقون بالنون على وجه
الاخبار من الله عن نفسه. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم " إلى السلم " بكسر
السين. الباقون بفتحها، وهما لغتان على ما بيناه في ما تقدم في الاسلام والمصالحة (١)
يقول الله تعالى مقسما إنا نبلو هؤلاء الكفار، ومعناه نختبرهم بما نكلفهم
من الأمور الشاقة، فالابتلاء والاختبار واحد. وقوله " حتى نعلم المجاهدين منكم "
قيل في معناه قولان:
أحدهما - حتى نعلم جهادكم موجودا لان الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم

---

(١) انظر ٥ / ١٧٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

على ذلك، لأنكم لا تستحقون الثواب على ما يعلم الله أنه يكون.
الثاني – حتى نعاملكم معاملة من كأنه يطلب ان يعلم.
وقيل: معناه حتى يعلم أوليائي المجاهدين منكم، وأضافه إلى نفسه تعظيما لهم وتشريفا، كما قال " إن الذين يؤذون الله ورسوله " (١) يعني يؤذن أولياء الله. وقيل: معناه حتى يتميز المعلوم في نفسه، لأنهم إنما يتميزون بفعل الايمان. وقيل: المعنى حتى تعلموا أنتم، واضافه إلى نفسه تحسنا كما أن الانسان العالم إذا خولف في أن النار تحرق الحطب يحسن ان يقول: نجمع بين النار والحطب لنعلم هل تحرق أم لا، ولا يجوز أن يكون المراد حتى نعلم بعد ان لم نكن عالمين، لأنه تعالى عالم في ما لم يزل بالأشياء كلها، ولو تجدد كونه عالما لاحتاج إلى علم محدث كالواحد منا وذلك لا يجوز أن يكون غرضا بالتكليف، لكن يجوز أن يكون الغرض ظهور حق الذم على الإساءة، وإنما جاز في وصف الله الابتلاء، لان المعنى انه يعامل معاملة المبتلي المختبر مظاهرة في العدل بالجزاء لها. والجهاد احتمال المشقة في قتال المشركين وأعداء دين الله. وأفضل الاعمال علم الدين، والجهاد في سبيل الله، لان علم الدين به يصح العمل بالحق والدعاء إليه. والجهاد داع إلى الحق مع المشقة فيه. والصابر هو الحابس نفسه عما لا يحل له. وهي صفة مدح. ومع ذلك ففيها دليل على حاجة الموصوف بها، لأنه إنما يحبس نفسه ويمنعها مما تشتهيه أو تنازع إليه من القبيح " ونبلوا أخباركم " أي نختبر اخباركم ونعلم المطيع من العاصي.
ثم اخبر تعالى " إن الذين كفروا " بوحدانيته وجحدوا نبوة نبيه " وصدوا " أي منعوا غيرهم " عن " اتباع " سبيل الله " بالقهر تارة وبالاغراء أخرى " وشاقوا الرسول " أي عاندوه وباعدوه بمعاداته " من بعدما تبين لهم الهدى " ووضح لهم

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سبيله " لن يضروا الله " بذلك " شيئا " وإنما ضروا نفوسهم " وسيحبط اعمالهم " ويستحقون عليها العقاب. والهدى الدلالة المؤدية إلى الحق. والهادي الدال على الحق وفي الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كان قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه أو يكون ظهر لهم أمر النبي، فلم يقبلوه. وقيل: تبين لهم الهدى، لأنهم كانوا قد عرفوا الايمان ورجعوا عنه.

ثم خاطب المؤمنين فقال " يا أيها الذين آمنوا " بالله وصدقوا رسوله " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " أي افعلوا الطاعات التي أمركم الله بها وأمركم بها رسوله " ولا تبطلوا اعمالكم " بأن توقعوها على خلاف الوجه المأمور به فيبطل ثوابكم عليها وتستحقون العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال " إن الذين كفروا " أي جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله " وصدوا عن سبيل الله " بالمنع والاغراء والدعاء إلى غيره " ثم ماتوا وهم كفار " أي في حال كفرهم " فلن يغفر الله لهم " معاصيهم بل يعاقبهم عليها. ثم قال " فلا تهنوا " أي لا تتوانوا. وقال مجاهد وابن زيد: لا تضعفوا " وتدعوا إلى السلم " يعني المصالحة " وأنتم الأعلون " أي وأنتم القاهرون الغالبون - في قول مجاهد - " والله معكم " اي ناصركم والدافع عنكم فلا تميلوا مع ذلك إلى الصلح والمسالمة بل جاهدوا واصبروا عليه. وقوله " ولن يتركم اعمالكم " أي لن ينقصكم أجور اعمالكم يقال: وتره يتره وترا إذا أنقصه. وهو قول مجاهد. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك: لن يظلمكم واصله القطع، فمنه البتر القطع بالقتل. ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره. وقوله " وتدعوا " يجوز أن يكون جرا عطفا على " تهنوا " أي لا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الظرف (١)

---

(١) المقصود من (الظرف) واو المعصية الذي تضمر (ان) بعدها

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
أجوركم ولا يسئلكم أموالكم (٣٦) إن يسئلكموها فيحفكم
تبخلوا ويخرج أضغانكم (٣٧) ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا
في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه
والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم
لا يكونوا أمثالكم) (٣٨) ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مزهدا لخلقه في الانعكاف على الدنيا، ومرغبا لهم في التوفر على عمل الآخرة (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) وإنما زهدهم في الدنيا لكونها فانية ورغبهم في الآخرة لكونها باقية، فمن اختار الفاني على الباقي كان جاهلا ومنقوصا ومعنى (الحياة الدنيا لعب ولهو) أي ذات لعب ولهو، لان غالب أمر الناس في الدنيا اللعب واللهو، وذلك عبث وغرور وانصراف عن الحد الذي يدوم به السرور والحبور، وقيل: شبهت باللعب واللهو لانقطاعها عن صاحبها بسرعة، فالتقدير على هذا إنما الحياة الدنيا كاللعب واللهو في سرعة الانقضاء، والآخرة كالحقيقة في اللزوم والامتداد، فإحداهما كالحقيقة، والأخرى كالمخرقة. ثم قال (وإن تؤمنوا) بوحدانيته وتصديق رسوله (وتتقوا) معاصيه (يؤتكم أجوركم) على ذلك وثوابكم على طاعتكم (ولا يسألكم أموالكم) أن تدفعوها إليه. وقيل (لا يسألكم أموالكم) كلها وإن أوجب عليكم الزكاة في بعض أموالكم. وقيل المعنى (لا يسألكم أموالكم) بل أمواله، لأنه تعالى مالكها والمنعم بها.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم بين تعالى لم لا يسألهم أموالهم، فقال (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) فالاحفاء الالحاح في المسألة حتى ينتهى إلى مثل الحفاء، والمشي بغير حذاء، أحفاه بالمسألة يحفيه إحفاء. وقيل الاحفاء طلب الجميع (تبخلوا) أي تمنعونه. والبخل قال قوم: هو منع الواجب. وقال الرماني: البخل منع النفع الذي هو أولى في العقل، قال: ومن زعم أن البخل منع الواجب عورض بأن البخل منع ما يستحق بمنعه الذم، لان البخيل مذموم بلا خلاف، وقد يمنع الواجب الصغير فلا يجوز وصفه بأنه بخيل (ويخرج أضغانكم) لان في سؤال الأموال بالاحفاء خروج الأضغان وهي الأحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة. وقيل (الأضغان) هي المشاق التي في القلوب، ولذلك ذكر الاخراج. وقيل: ويخرج الله المشقة التي في قلوبكم بسؤال أموالكم. وإنما قدم المخاطب على الغائب في قوله (أن يسألكموها) لأنه ابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول، ويجوز مع الظاهر أن يسألها جماعتكم، لأنه غائب مع غائب، فالمتصل أولى بأن يليه من المنفصل.

ثم قال (ها أنتم هؤلاء) وإنما كرر التنبيه في موضعين للتوكيد، فقال (ها أنتم هؤلاء) وقيل (ها) للتقريب، ودخل على المضمر لمشاكلة (إليهم) في أنه معرفة تصلح صيغته لكل مكنى عنه على جهة جماعة المخاطب، كما يصلح (هؤلاء) لكل خاص مشار إليه، ولم يجز مع الظاهر لبعده من المبهم. وقال بعضهم: العرب إذا زادت التقريب جعلت المكنى بين (ها) وبين (ذا)، فيقولون ما أنت ذا قائما، لان التقريب جواب الكلام فربما أعادت (ها) مع (ذا) وربما اجتزأت بالأولى وحذفت الثانية، ولا يقدمون (أنتم) على (ها) لان (ها) جواب، فلا يقرب بها بعد الكلمة. وقوله (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) لينيلكم الجزيل من ثوابه وهو غني عنكم وعن جميع خلقه (فمنكم من يبخل) فلا ينفق ماله في سبيل الله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أي عن داعي نفسه، لا عن داعي ربه لان الله قد صرفه عن البخل بالنهي عنه والذم له. ثم قال (والله الغني) الذي ليس بمحتاج لا إليكم ولا إلى أحد (وأنتم الفقراء إليه وإن تتولوا) أي ان تعرضوا عن أمره ونهيه ولا تقبلونهما، ولا تعملون بما فيهما (يستبدل قوما غيركم) قال قوم يستبدل الله بهم من في المعلوم أنهم يخلقون بعد، ويجوز أن يكونوا من الملائكة وقيل: هم قوم من اليمن، وهم الأنصار. وقيل: مثل سلمان وأشباهه من أبناء فارس، ولم يجز الزجاج أن يستبدل الملائكة، لأنه لا يعبر بالقوم عن الملائكة، لا يكونوا أمثالكم، لأنهم يكونون مؤمنين مطيعين، وأنتم كفار بماصون. وقال الطبري لا يكونوا أمثالكم في البخل والانفاق في سبيل الله، ولما نزلت هذه الآية فرح النبي صلى الله عليه وآله وقال: هي أحب إلي من الدنيا.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٨ - سورة الفتح
مدينة بلا خلاف وهي تسع وعشرون آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما (٢) وينصرك الله نصرا عزيزا (٣) هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله
جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (٤) ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) (٥)
خمس آيات.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) قال البلخي: الفتح يكون في القتال وبالصلح، وبإقامة الحجج، ويكون المعنى (إنا فتحنا لك) بحجج الله وآياته (فتحا مبينا) لينصرك الله بذلك على من ناواك. وقال قتادة: نزلت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هذه الآية عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية، بشر في ذلك الوقت بفتح مكة،
وتقديره (إنا فتحنا لك) مكة. وقال البلخي عن الشعبي في وقت الحديبية بويع
النبي صلى الله عليه وآله بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ
الهدي محله. والحديبية بئر، فروي انها غارت فمج النبي صلى الله عليه وآله فيها فظهر ماؤها حتى
امتلاءت به. وقال قتادة: معنى (فتحنا) قضينا لك بالنصر. وقيل: معناه أعلمناك
علما ظاهرا في ما أنزلناه عليك من القرآن وأخبرناك به من الدين، وسمي العلم
فتحا، كما قال (وعنده مفاتح الغيب) (١) أي علم الغيب. وقال (إن تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح) (٢) وقال الزجاج: معناه أرشدناك إلى الاسلام، وفتحنا لك
الدين بدلالة قوله (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات) (٣) وقال مجاهد (فتحنا لك فتحا مبينا) يعني نحره
بالحديبية وحلقه. وقال قتادة: معناه قضينا لك قضاء بينا. وفي الحديبية مضمض
رسول الله صلى الله عليه وآله في البئر وقد غارت فجاشت بالرواء. والفتح هو القضاء من قولهم:
اللهم أفتح لي. وقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين) (٤) والفتح الفرج المزيل اللهم. ومنه فتح المسألة إذا انفرجت عن بيان
ما يؤدي إلى المطلوب، ومنه فتح عليه القراءة، لأنه متعلق بالسهو، وينفتح بالذكر
والفتح المبين هو الظاهر، وكذلك جرى فتح مكة.
وقوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل جعل غفرانه جزاء
عن ثوابه على جهاده في فتح مكة. وقيل في معناه أقوال:

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٥٩
(٢) سورة ٨ الأنفال آية ١٩
(٣) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٧٣
(٤) سورة ٧ الأعراف آية ٨٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أحدها – ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها.
الثاني – ما تقدم قبل الفتح وما تأخر عنه.
الثالث – ما قد وقع منك وما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفره له إذا كان.
الرابع – ما تقدم من ذنب أبيك آدم، وما تأخر عنه.
وهذه الوجوه كلها لا تجوز عندنا، لان الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم فعل شئ من القبيح لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرها ولا كبيرها فلا يمكن حمل الآية على شئ مما قالوه، ولا صرفها إلى آدم لان الكلام فيه كالكلام في نبينا محمد صلى الله عليه وآله ومن حمل الآية على الصغائر التي تقع محبطة فقوله فاسد، لأنا قد بينا
أن شيئا من القبائح لا يجوز عليهم بحال. على أن الصغائر تقع مكفرة محبطة لا يثبت عقابها، فكيف يمتن الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله أنه يغفرها له وهو تعالى لو آخذه
بها لكان ظالما وإنما يصح التمدح بما له المؤاخذة أو العفو عنه، فإذا غفر استحق بذلك الشكر. وللآية وجهان من التأويل:
أحدهما – ليغفر لك ما تقدم من ذنب أمتك. ما تأخر بشفاعتك ولمكانك.
وأضاف الذنب إلى النبي وأراد به أمته، كما قال (واسأل القرية) (١) يريد أهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وذلك جائز لقيام الدلالة عليه، كما قال (وجاء ربك) (٢) والمراد وجاء أمر ربك.
الثاني – أراد يغفر ما أذنبه قومك إليك من صدهم لك عن الدخول إلى مكة في سنة الحديبية، فأزال الله ذلك وستر عليك تلك الوصمة بما فتح عليك من مكة ودخلتها في ما بعد، ولذلك جعله جزاء على جهاده في الدخول إلى مكة.
والذنب مصدر تارة يضاف إلى الفاعل وتارة إلى المفعول، فيكون – ههنا – مضافا

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٨٢
(٢) سورة ٨٩ الفجر آية ٢٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إلى المفعول، والذنب وإن كان غير متعد إلى مفعول جاز ان يحمل على المصدر الذي هو في معناه، والصد متعد كما قال الشاعر:

جئني بمثل بني بدر لقومهم * أو مثل أسرة منظور بن سيار (١)

لما كان معنى جئني هات أعطني عطف أو (مثل) على المعنى فنصبه، ومثله كثير في اللغة.

وقوله (ويتم نعمته عليك) فاتمام النعمة فعل ما يقتضيها من تبقيتها على صاحبها والزيادة منها، فالله تعالى قد أنعم على النبي صلى الله عليه وآله وتممها بنصره على أعدائه

الرادين لها المكذبين بها حتى علا بالحجة والقهر لكل من ناواه. وقيل يتم نعمته عليك بفتح مكة وخيبر والطائف. وقيل بخضوع من تكبر وطاعة من تجبر.

وقوله (ويهديك صراطا مستقيما) أي يرشدك إلى الطريق الذي إذا سلكته اذاك إلى الجنة، لا يعدل بك إلى غيرها (وينصرك الله نصرا عزيزا) فالنصر العزيز هو الذي يمنع من كل جبار عنيد وعات أثيم. وقد فعل الله تعالى ذلك بنبيه محمد صلى الله عليه وآله فصار دينه أعز الأديان وسلطانه أعظم السلطان.

وقوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) وهو ما يفعل الله تعالى بهم من اللطف الذي يحصل لهم عنده بصيرة بالحق تسكن إليها نفوسهم ويجدون الثقة بها بكثرة ما ينصب الله لهم من الأدلة الدالة على الحق فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة. فأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم، لأنهم لا يجدون برد اليقين في قلوبهم. وقيل: السكينة ما تسكن إليه قلوبهم من التعظيم لله ورسوله والوفاء له.

وقوله (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) أي ليزدادوا معارف أخر بما أوجب

---

(١) قد مر في ٣ / ٤٥٥ و ٦ / ٣٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله عليهم زيادة على المعرفة الحاصلة، فبين الله تعالى ما لنبيه عنده وللمؤمنين ليزدادوا ثقة بوعده. وقوله (ولله جنود السماوات والأرض) قيل: معناه أنصار دينه ينتقم بهم من أعدائه. وقيل: معناه إن جميع الجنود عبيده (وكان الله عليما) بالأشياء قبل كونها وعالما بعد كونها (حكيما) في افعاله لأنها كلها محكمة وصواب.
وقوله (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) إنما لم يدخل واو العطف في (ليدخل) اعلاما بالتفصيل، كأنه قال إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله، إنا فتحنا لك فتحا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات أي بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار " خالدين فيها " أي مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) أي الظفر، والصلاح بما طلبوه من الثواب العظيم.
قوله تعالى:
(ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم
وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (٦) ولله جنود السماوات والأرض
وكان الله عزيزا حكيما (٧) إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٨)
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (٩)
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن
نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
أجرا عظيما) (١٠) خمس آيات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دائرة السوء) بضم السين. الباقون بفتحها، وقد فسرناه في ما تقدم. فالسوء المصدر والسوء الاسم. وقال قوم - بالفتح - الفساد مثل قوله (وظننتم ظن السوء) لأنهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وآله لا يعود إلى موضع ولادته أبدا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه وسبحوه) بالياء أربعهن، على وجه الاخبار من الله عز وجل عن نفسه.

لما اخبر الله تعالى عن نفسه أنه يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات، ووصفها اخبر في هذه الآية انه يعذب المنافقين والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك. والنفاق إسرار الكفر وإظهار الايمان، فكل نفاق هو إظهار خلاف الابطان. وأصله من نافقا اليربوع، وهو أن يجعل لسربه بابين يظهر أحدهما ويخفي الآخر، فإذا أتي من الظاهر خرج من الآخر، فالمنافق يقوي الباطل على الحق بالظن له، وإلقاء خلافه لتضييعه الدليل المؤدي إليه، (والمشركين والمشركات) وهم الذين يعبدون مع الله غيره، ويدخل في ذلك جميع الكفار. ثم وصفهم فقال (الظانين بالله) يعني الذين يظنون بالله (ظن السوء) أي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله، وذلك قبيح لا يجوز وصف الله بذلك. ثم قال تعالى (عليهم دائرة السوء) فالدائرة هي الراجعة بخير أو شر قال حميد بن ثور:

ودائرات الدهر ان تدورا (١)

ومن قرأ (دائرة السوء) بضم السين - أراد دائرة العذاب، ومن قرأ - بالفتح - أراد ما عاد عليهم من قتل المؤمنين وغنمهم أموالهم، فهدا حسن. وقيل (عليهم دائرة السوء) أي جزاء ظنهم السوء من العذاب. ومن ضم أراد الشر، ويقال: رجل سوء - بالفتح - أي رجل فساد. ثم قال (وغضب الله

---

(١) قد مر في ٣ / ٥٤٣ أو ٥٥١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليهم) أي لعنه لهم وعذابه (ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته. وقوله (وأعد لهم جهنم) يجعلهم فيها.
ثم قال (وساءت مصيرا) أي ساءت جهنم مآلا ومرجعا، لما فيها من أنواع العقاب.
وقوله (ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيز حكيما) قد فسرناه، وإنما أعيد ذكر (ولله جنود...) لأنه متصل بذكر المنافقين أي وله الجنود التي يقدر على الانتقام منكم بها، وذكر أولا، لأنه متصل بذكر المؤمنين أي له الجنود التي يقدر ان يغنيكم بها. والعزيز القادر الذي لا يقهر. وقيل (هو العزيز) في انتقامه من أعدائه " الحكيم " في جميع أفعاله. ثم خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله
فقال " إنا أرسلناك " يا محمد " شاهدا " يعني على أمتك بالبلاغ والدعاء إلى إخلاص عبادته. أو شاهدا بما عملوه من طاعة ومعصية (وشاهدا) نصب على حال مقدر على القول الأول، وعلى حال غير مقدرة على القول الثاني. (ومبشرا) نصب على الحال الحاصلة. والمعنى ومبشرا بالجنة لمن أطاع " ونذيرا " أي مخوفا من النار لمن عصى - ذكره قتادة - ثم بين الغرض بالارسال، فقال: أرسلناك بهذه الصفة " لتؤمنوا " ومن قرأ - بالياء - أي ليؤمنوا هؤلاء الكفار " بالله ". ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب إلى الخلق أي أرسلته إليكم " لتؤمنوا بالله " فتوحدوه " ورسوله " فتصدقوه و " تغرروه " أي تنصروه، فالهاء راجعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال المبرد: معنى (تعزروه) تعظموه يقال: غررت الرجل إذا كبرته بلسانك " وتوقروه " أي تعظموه يعني النبي صلى الله عليه وآله - في قول قتادة - وقال ابن عباس (تعزروه) من الاجلال (وتوقروه) من الاعظام.
وقوله " وتسبحوه " يعني الله تعالى أي تنزهوه عما لا يليق به " بكرة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأصيلا " أي بالغداة والعشي. وقيل معناه تصلوا له بالغدوات والعشيات.
وقوله " لتؤمنوا بالله ورسوله " فيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد من الكفار الكفر، لأنه تعالى بين انه أراد من جميع المكلفين الطاعة، ولم يرد أن يعصوا.
ثم قال " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " فالمراد بالبيعة المذكورة - ههنا - بيعة الحديبية، وهي بيعة الرضوان - في قول قتادة ومجاهد - والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة، كالمعاقدة في البيع والشراء بما قد مضي فلا يجوز الرجوع فيه. وقيل: إنها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة.
وقوله " يد الله فوق أيديهم " قيل في معناه قولان:
أحدهما - عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه صلى الله عليه وآله
والآخر - قوة الله في نصرة نبيه صلى الله عليه وآله فوق نصرتهم.
وقيل يد الله في هدايتهم، فوق أيديهم بالطاعة.
وقوله " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " والنكث النقض للعقد الذي يلزم الوفاء به، فبين تعالى أن من نقض هذه المبايعة، فإنما ينكث على نفسه، لان ما في ذلك من استحقاق العقاب عائد عليه " ومن أوفى " يقال: أوفى بالعقد، ووفى. وأو في لغة الحجاز. وهي لغة القرآن " بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما " أي إذا أوفى بالبيعة ونصر دينه ونبيه آتاه الله في ما بعد أجرا عظيما وثوابا جزيلا.
ومن ضم الهاء في " عليه " وهو حفص، فلأنها الأصل. ومن كسرها فللمجاورة للياء
قوله تعالى:
(سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك
لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول
والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السماوات والأرض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤) سيقول
المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذها ذرونا نتبعكم يريدون
أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل
فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) (١٥)
خمس آيات.
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " كلم الله " على الجمع. الباقون " كلام الله " على التوحيد، لأنه يدل على الكثير من حيث هو اسم جنس، قال أبو علي " كلام الله " يقع على ما يفيد، والكلم يقع أيضا على الكلام، وعلى ما لا يفيد والكلم جمع كلمة.
وقرأ حمزة والكسائي " ضرا " بالفتح. الباقون بالضم. فمن قرأ - بالفتح - أراد المصدر. ومن قرأ بالضم أراد الاسم. وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سوء

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحال، كقوله " مسني الضر " (١) ويقال: ضرني الشئ وأضرني، ولا يقال: أضربي، وضره يضره وضاره يضيره بمعنى واحد.
هذا اخبار عن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله انه " سيقول لك " يا محمد " المخلفون من الاعراب " قال ابن إسحاق ومجاهد: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى
مكة عام الحديبية أحرم بعمرة ودعا الاعراب الذين حول المدينة إلى الخروج، فتثاقلوا: أسلم وغفار وجهينة ومزينة، فأخبر الله تعالى بذلك. والمخلف هو المتروك في المكان خلف الخارجين عن البلد، وهو مشتق من المتخلف وضده المتقدم. تقول خلفته كما تقول قدمته تقديما، وإنما تخلفوا لتثاقلهم عن الجهاد وإن اعتذروا بشغل الأموال والأولاد. والاعراب الجماعة من عرب البادية، وعرب الحاضرة ليسوا بأعراب، ففرقوا بينهما، وإن كان اللسان واحد.
وقوله " شغلتنا أموالنا وأهلونا " أخبار بما اعتلوا به، فالشغل قطع العمل عن عمل، لا يمكن الجمع بينهما لتنافي أسبابهما كالكتابة والرمي عن القوس والله لا يشغله شأن عن شأن لأنه لا يعمل بآلة. وقوله " فاستغفر لنا " حكاية ما قالوه للنبي وسألوه أن يستغفر لهم والاستغفار طلب المغفرة بالدعاء مع التوبة عن المعاصي فهؤلاء سألوا الدعاء بالمغفرة، وفي قلوبهم خلاف ما أظهروه بأفواههم ففضحهم الله وهتك أستارهم، وأبدى ما نافقوا به في جهادهم، فقال " يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ".
ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله " قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا " لا يقدر أحد على دفعه " أو أراد بكم نفعا " لا يقدر أحد على إزالته " بل كان

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٨٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله بما تعملون خبيرا " أي عالما نافعا لكم لا يخفى عليه شئ منها، ثم قال له قل لهم " بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم ابدا " أي ظننتم انهم لا يرجعون ويقتلون ويصطلمون. وهو قول قتادة " وزين ذلك في قلوبكم " زينه الشيطان ذلك وسوله لكم " وظننتم ظن السوء " في هلاك النبي والمؤمنين، وإن الله ينصر عليهم المشركين " وكنتم قوما بورا " والبور الفاسد وهو معنى الجمع وترك جمعه في اللفظ لأنه مصدر وصف به قال حسان:

لا ينفع الطول من نوك القلوب * وقد يهدي الا له سبيل المعشر (١)

البور والبوار الهلاك وبارت السلعة إذا كسدت والبائر من الفاكهة مثل الفاسدة. وقال قتادة " بورا " أي فاسدين. وقال مجاهد: هالكين. ثم قال تعالى مهددا لهم " ومن لم يؤمن بالله ورسوله " أي لم يصدق بهما " فانا اعتدنا للكافرين سعيرا " أي نارا تسعرهم وتحرقهم. ثم قال " ولله ملك السماوات والأرض " بأن يتصرف فيهما كما يشاء لا يعترض أحد عليه فيها " يغفر لمن يشاء " معاصيه (ويعذب من يشاء) إذا استحق العقاب بارتكاب القبائح (وكان الله غفورا رحيما) أي ساترا على عباده معاصيهم إذا تابوا لا يفصحهم بها رحيما باسقاط عقابهم الذي استحقوها بالتوبة على وجه الابتداء.

ثم قال تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) أي اتركونا نجئ معكم، فقال الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله قل) لهم يا محمد (لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) قال مجاهد وقتادة: يعني ما وعد به أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة، فأرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها فمنعهم الله من ذلك. وقال ابن زيد: أراد بقوله

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٤٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) وهذا غلط لأن هذه الآية
نزلت في الذين تأخروا عن تبوك بعد خيبر وبعد فتح مكة، فقال الله تعالى لهم
(لن تخرجوا معي ابدا) لان النبي صلى الله عليه وآله لم يخرج بعد ذلك في قتال ولا غزو إلى
أن قبضه الله تعالى. ثم قال (كذلك قال الله من قبل) أي مثل ذلك
حكم الله وقال ابن زيد: غنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة لا يشركهم
فيها أحد. ثم حكى ما قالوه بأنهم (فسيقولون) عند ذلك ليس الامر
كذلك (بل تحسدوننا) فقال ليس الامر على ما قالوه (بل كانوا لا يفقهون)
الحق وما يدعون إليه (إلا قليلا) وقيل معناه لا يفقهون الحق إلا القليل منهم،
وهم المعاندون. وقال بعضهم لا يفقهون إلا فقها قليلا أو الأشياء قليلا. وإنما
قالوا: تحسدوننا، لان المسلمين لما توجهوا إلى خيبر وأخذوا غنائمها، قال المخلفون
(ذرونا نتبعكم) قالوا نعم على أن لا شئ لكم من الغنيمة، فقالوا عند ذلك
تحسدوننا، فقال تعالى (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا).
قوله تعالى:
(قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس
شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسبا
وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦)
ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض
حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧) لقد رضي الله عن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها
وكان الله عزيزا حكيما (١٩) وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين
ويهديكم صراطا مستقيما) (٢٠) خمس آيات.
قرأ أهل المدينة، وابن عامر (ندخله ونعذبه) بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه. الباقون - بالياء - ردا على اسم الله. يقول الله تعالى لنبيه (قل للمخلفين من الاعراب) أي لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية (ستدعون) في ما بعد (إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) قال ابن عباس: أولوا البأس الشديد أهل فارس. وقال ابن أبي ليلى والحسن: هم الروم. وقال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة: هم هوازن بحنين. وقال الزهري: هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، وكانوا بهذه الصفة.
واستدل جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبي بكر، من حيث إن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وكانوا قد حرموا القتال مع النبي صلى الله عليه وآله بدليل قوله (لن تخرجوا معي ابدا، ولن تقاتلوا معي عدوا) وهذا الذي ذكروه غير صحيح من وجهين:
أحدهما - أنه غلط في التاريخ ووقت نزول الآية.
والثاني - أنه غلط في التأويل، ونحن نبين فساد ذلك أجمع، ولنا في الكلام في تأويل الآية وجهان:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أحدهما – إنه تنازع في اقتضائها داعيا يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي صلى الله عليه وآله ويبين أن الداعي لهم في ما بعد كان النبي صلى الله عليه وآله على ما حكيناه عن قتادة وسعيد
ابن جبير في أن الآية نزلت في أهل خبير، وكان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي إلى ذلك.
والآخر – ان يسلم ان الداعي غيره، ونبين انه لم يكن أبا بكر ولا عمر بل
كان أمير المؤمنين عليه السلام.
فاما الوجه الأول فظاهر، لان قوله (سيقول لك المخلفون) إلى قوله
(وكنتم قوما بورا) قد بينا انه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية باجماع المفسرين
ثم قال (سيقول المخلفون إذا انطلقتم...) إلى آخر الآية، فبين أن هؤلاء
المخلفين سألوا ان يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم الله من ذلك، وأمر نبيه صلى الله عليه وآله
ان يقول لهم (قل لن تتبعونا...) إلى هذه القرية، لان الله تعالى حكم من
قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية وانه لاحظ فيها لمن لم يشهدها، وهذا هو
معنى قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقوله (كذلك قال الله من قبل)
ثم قال (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم
أو يسلمون) وإنما أراد الرسول سيدعوهم في ما بعد إلى قتال قوم بهذه الصفة،
وقد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة. وقال قوم: أولي بأس شديد، كموقعه
حنين وتبوك وغيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهم غير النبي صلى الله عليه وآله فأما
قولهم إن معنى قوله (كذلكم قال الله من قبل) هو انه أراد قوله (فان رجعك
الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي
عدوا) مملوء بالغلط الفاحش في التاريخ، لأنا قد بينا أن هذه الآية التي في التوبة
نزلت ب (تبوك) سنة تسع. وآية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون
قبلها، وينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ ويراعي أسباب نزول

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الآية على ما روي، ولا يقول على الآراء والشهوات. وتبين أيضا أن هؤلاء المخلفين غير أولئك، وإن لم يرجع إلى تاريخ. ونقول قوله (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) فلم يقطع على طاعة، ولا على معصية بل ذكر الوعد والوعيد على ما يتعلق به من طاعة أو معصية وحكم المذكورين فيهم في سورة التوبة، بخلافه لأنه تعالى قال بعد قوله (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) إلى قوله (وهم كافرون) (١) فاختلاف احكامهم يدل على اختلافهم، وقد حكينا عن سعيد بن جبير أنه قال هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين. وقال الضحاك: هم ثقيف، وقال قتادة: هم هوازن وثقيف، وأما الوجه الذي يسلم معه أن الداعي غير النبي صلى الله عليه وآله فهو ان

نقول الداعي أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان، وبشره النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم، وكانوا أولي بأس شديد، فان قالوا من قاتلهم علي عليه السلام كانوا مسلمين، وفى الآية قال تقاتلونهم أو يسلمون! كيف تتناولهم الآية؟!

قلنا! أول ما نقوله: إنهم غير مسلمين عندنا، ولا عند جميع من خالفنا من المعتزلة، لان عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن، ولا مسلم. وأما مذهبنا في تكفير من قاتل عليا عليه السلام معروف، وقد ذكرناه في كتب الإمامة لقوله صلى الله عليه وآله

(حربك يا علي حربي) وغير ذلك من الاخبار والأدلة التي ذكرناها في غير موضع واستوفينا ما يتعلق بذلك في كتاب الإمامة، ويمكن على تسليم أن الداعي أبو بكر وعمر، أن يقال: ليس في الآية ما يدل على مدح الداعي ولا على إمامته، لأنه قد يدعو إلى الحق من ليس عليه، ويجب ذلك من حيث كان واجبا من

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٤ - ٨٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أجل دعاه الداعي، وأبو بكر دعاهم إلى الدفاع عن الاسلام، وهذا واجب على كل واحد بلا دعاء داع، ويمكن أن يكون المراد بقوله (ستدعون) دعاء الله لهم بايجاب القتال عليهم، لأنه إذا دلهم على وجوب قتال المرتدين ودفعهم عن بيضة الاسلام، وقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم طاعته، والكلام في هذه الآية كالتي قبلها في أنا إذا قلنا لا تدل على إمامة الرجلين، لا نكون طاعنين عليهما، بل لا يمتنع أن يثبت فضلهما وإمامتهما بدليل غير الآية، لان المحصلين من العلماء يذهبون إلى امامتهما من جهة الاخبار لا من جهة الآية.

وقوله (تقاتلونهم أو يسلمون) بالرفع معناه إن أحد الامرين لابد أن يقع لا محالة، وتقديره أوهم يسلمون. وقرئ شاذا بالنصب، والوجه فيه حتى يسلموا ولو نصبه، فقال أو يسلموا لكان دالا على أن ترك القتال من أجل الاسلام.

وقوله (ليس على الأعمى حرج..) الآية، فالأعمى هو من لا يبصر بجارحة العين. والأعرج الذي برجله آفة تمنعه من المشي مأخوذ من رفعها عند محاولة المشي بغيرها، ومنه العروج الصعود إلى السماء، والمريض من به علة تمنعه من الحركة من اضطراب في البدن حتى يضعف وتحصل فيه آلام، بين الله تعالى انه ليس على وجه هؤلاء الذين بهم هذه الآفات من ضيق ولا حرج في ترك الحصول مع المؤمنين والحضور معهم في الجهاد. قال قتادة: كل ذلك في الجهاد. ثم قال (ومن يطع الله ورسوله) في ما أمره به ونهاه عنه (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول) عن اتباعهما وامتثال أمرهما ونهيهما (يعذبه) الله (عذابا أليما) فمن قرأ بالياء رده إلى الله. ومن قرأ بالنون أراد الاخبار من الله عن نفسه.

وقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة) إخبار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من الله تعالى انه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبي صلى الله عليه وآله وكانوا مؤمنين
في الوقت الذي بايعوه (فعلم ما في قلوبهم) من إيمان ونفاق فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين. وقيل معناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية في القتال وكراهتهم له، لأنه بايعهم على القتال - ذكره مقاتل - (فأنزل السكينة عليهم) يعني على المؤمنين، والسكينة الصبر لقوة البصيرة (وأثابهم فتحا قريبا) قال قتادة وابن أبي ليلى: يعني فتح خيبر وقال قوم: فتح مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) فالغيمة ملك أموال أهل الحرب من المشركين بالقهر والغلبة في حكمه تعالى، وكان القتال من أجلها. و (المغانم) ههنا يراد به غنائم خيبر.
وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني سائر الغنائم وقال قوم: أراد بها أيضا غنائم خيبر. وقوله (فعجل لكم هذه) يعني الصلح وسميت بيعة الرضوان لقول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين) وقال ابن عباس كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخر عثمان حين بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى قريش أنهم قتلوه، فبايعهم
على قتال قريش، وقال ابن عباس: كانوا ألفا وخمسمائة نفس. وقال جابر: كانوا ألفا وأربعمائة نفس، وقال ابن أوفى ألفا وثلاثمائة. والشجرة التي بايعوا تحتها هي السمرة.
واستدل بهذه الآية جماعة على فضل أبي بكر، فإنه لا خلاف أنه كان من المبايعين تحت الشجرة. وقد ذكر الله أنه رضي عنهم، وانه أنزل السكينة عليهم وانه علم ما في قلوبهم من الايمان، وأثابهم فتحا قريبا.
والكلام على ذلك مبنى على القول بالعموم، وفي أصحابنا من قال لا صيغة للعموم ينفرد بها. وبه قال كثير من المخالفين، فمن قال بذلك كانت الآية عنده مجملة لا يعلم المعنى بها، وقد بايع صلى الله عليه وآله جماعة من المنافقين بلا خلاف، فلابد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من تخصيص الآية على كل حال. على أنه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل في جميع المبايعين، فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات لأنه قال (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا) ولا خلاف بين أهل النقل ان الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر. وإن رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك قال: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يده) فدعا عليا فأعطاه الراية، وكان الفتح على يده، فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية، ومن كان معه في ذلك الفتح لتكامل الصفات فيهم. على أن ممن بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير، وقد وقع منهما من قتال علي عليه السلام ما خرجا به عن الايمان وفسقا عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم، ولم يمنع وقوع الرضاء في تلك الحال من مواقعة المعصية في ما بعد، فما الذي يمنع من مثل ذلك في غيره. وليس إذا قلنا: أن الآية لا تختص بالرجلين، كان طعنا عليهما بل إذا حملناها على العموم دخلا، وكل متابع مؤمن معهما، فكان ذلك أولى.
وقوله (ومغانم كثيرة تأخذونها) يعني ما غنمتوه من خيبر من أنواع الغنائم (وكان الله عليما) بمصالح عباده (حكيما) في جميع أفعاله. ثم قال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذ - ه) يعني غنائم خيبر. والباقي كل ما يغنمه المسلمون من دار الحرب (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أسدا وغطفان، فإنهم كانوا مع خيبر فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله فكفوا عنه. وقيل: يعني اليهود كف
أيديهم عنكم بالمدينة من قبل الحديبية ومجئ قريش، فلم يغلبوكم (ولتكون آية للمؤمنين) يستدلون بها على صحة قولكم (ويهديكم) أي ويرشدكم (صراطا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مستقيما) يفضي بكم إلى الحق وما يؤدي إلى الثواب. والواو في قوله (ولتكون) معناه إنا وعدناكم الغنائم لكف أيدي الناس عنكم وليكون ذلك آية للمؤمنين إذ وقع الخبر على ما أخبر به، لأنه علم غيب لا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى:

(وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا (٢١) ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا (٢٢) سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٢٣) وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا (٢٤) هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) (٢٥) خمس آيات.

قرأ أبو عمرو " بما يعملون بصيرا " بالياء على الخبر. الباقون بالتاء على الخطاب لما ذكر الله تعالى انه وعد المؤمنين مغانم كثيرة يأخذونها وانه عجل لهم هذه منها، يعني غنائم خيبر وعدهم بالغنائم الاخر، فقال (وأخرى لم تقدروا عليها) أي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وغنيمة أخرى - عن ابن عباس والحسن - إنها فارس والروم. وقال قتادة:
هي مكة (قد أحاط الله بها) أي قدر الله عليها وأحاط بها علما فجعلهم بمنزلة ما قد أدير حولهم بما يمنع ان يفلت أحد منهم (وكان الله على كل شئ قديرا) أي ما يصح أن يكون مقدورا له، فهو قادر عليه. ثم قال (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعني من قريش يا معشر المؤمنين (لولوا الادبار) منهزمين بخذلانه إياهم ونصرة الله إياكم، ومعونته لكم - في قول قتادة - (ثم لا يجدون) يعني الكفار (وليا) يواليهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم.
وقوله (سنة الله التي قد خلت من قبل) معناه سنة الله جارية في خذلانه أهل الكفر ونصرة أهل الايمان في ما مضى من الأمم السالفة، ونصره هو أمره بالقتال (ولن تجد) يا محمد " لسنة الله تبديلا " أي لن تجد لسنة الله ما يدفعها فالسنة الطريقة المستمرة في معنى ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله (من سن سنة حسنة فله
أجرها وأجر من عمل بها. ومن سن سنة سيئة فعليه اثمها واثم من عمل بها) والتبديل رفع أحد الشيئين وجعل الآخر مكانه، في ما حكم أن يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكما يأتي بخلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا يرفع شيئا إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه، وقال ابن عباس: كان المشركون بعثوا أربعين رجلا ليصيبوا من المسلمين، فأتى بهم رسول الله، فخلى سبيلهم، وهو المراد بقوله " وهو الذي كف أيديهم عنك " بالرعب " وأيديكم عنهم " بالنهي نزلت في أهل الحديبية وأهل مكة، لا في أهل خيبر. وقيل لهم ينهوا عن قتالهم، لأنهم لا يستحقون القتل بكفرهم وصدهم لكن للابقاء على المؤمنين الذين في أيديهم " ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم " يعني فتح مكة " وكان الله بما تعملون بصيرا " يدبركم بحسب ما تقتضيه مصالحكم
وقوله " هم الذين كفروا " أي بوحدانية الله، وهم كفار قريش " وصدوكم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن المسجد الحرام " في الحديبية، وصدوكم أن تعتمروا وتطوفوا بالبيت " والهدي معكوفا أن يبلغ محله " أي المحل الذي يحل نحره فيه. والمعكوف المحبوس أي منعوا الهدي أيضا ليذبح بمكة، لان هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما لا يذبح هدي الحج إلا بمنى، ثم قال " ولولا رجال مؤمنون " بالله ومصدقون بالنبي " ونساء مؤمنات " مثل ذلك بمكة - في قول قتادة - " لم تعلموهم " أي لم تعلموا بايمانهم " أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم " أي ينالكم أثم لأجلهم من غير علم منكم بذلك - في قول ابن زيد - وقال قوم: معناه عنت. وقال ابن إسحاق: هو غرم الدية في كفارة قتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة ومن لم يطق فصيام شهرين، وهو كفارة قتل الخطأ في الحرب. وجواب لولا محذوف، وتقديره ولولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطئتم رقاب المشركين بنصرنا إياكم. والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه، ومنه الاعتكاف، وهو الإقامة في المسجد للعبادة، وعكف على هذا الامر يعكف عكوفا إذا أقام عليه. وقوله " ليدخل الله في رحمته من يشاء لو نزيلوا " أي لو تميز المؤمنون منهم، وقيل لو تفرقوا والمعنى واحد " لعذبنا الذين كفروا منهم " يعني من أهل مكة " عذابا أليما " بالسيف والقتل والأليم المؤلم، وكان النبي صلى الله عليه وآله: ساق سبعين بدنة في عام الحديبية، ودخل في العام المقبل لعمرة القضاء

في الشهر الذي صد فيه ونزل قوله " الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص " (١) ذكره قتادة.

قوله تعالى:

(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٩٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى
وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما (٢٦) لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن
شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم
تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (٢٧) هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
بالله شهيدا (٢٨) محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في
التورية ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره
فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا
عظيما) (٢٩) أربع آيات.
قرأ ابن كثير إلا ابن فليح " شطأه " بفتح الطاء ومثله ابن ذكوان.
الباقون باسكانها. وقرأ أهل الشام " فازره " مقصور، الباقون بالمد، وهما لغتان
من فعل الشئ وفعله غيره نحو كسبت مالا وكسبني غيري، ونزحت البئر ونزحتها
ويقال: أزر النبت وآزره غيره. وقوله " إذ جعل " متعلق بقوله " لعذبنا الذين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية " يعني الانفة. ثم فسر تلك الانفة، فقال " حمية الجاهلية " الأولى يعني عصبتهم لآلهتم من أن يعبدوا غيرها. وقال الزهري: هي أنفتهم من الاقرار لمحمد بالرسالة. والاستفتاح ب (بسم الله الرحمن الرحيم) على عادته في الفاتحة، حيث أراد ان يكتب كتاب العهد بينهم. ودخولهم مكة لأداء العمرة.

ثم قال تعالى " فأنزل الله سكينته على رسوله " أي فعل به صلى الله عليه وآله من اللطف والنعمة ما سكنت إليه نفسه وصبر على الدخول تحت ما أرادوه منه " وعلى المؤمنين " أي ومثل ذلك فعل بالمؤمنين " وألزمهم كلمه التقوى " قال ابن عباس وقتادة: كلمة التقوى قول: لا إلا إلا الله محمد رسول الله. وقال مجاهد: هي كلمة الاخلاص " وكانوا أحق بها وأهلها " يعني المؤمنين كانوا أهلها أحق بها. قال الفراء: ورأيتها في مصحف الحارث بن سويد التميمي من أصحاب عبد الله (وكانوا أهلها أحق بها) وهو تقديم وتأخير، وكان مصحفه دفن أيام الحجاج. وقيل: ان التقدير كانوا أحق بنزول السكينة عليهم وأهلا لها. وقيل: المعنى فكانوا أحق بمكة أن يدخلوها وأهلها. وإنما قال " أحق " لأنه قد يكون حق أحق من حق غيره، لان الحق الذي هو طاعة يستحق به المدح أحق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك " وكان الله بكل شئ عليما " لما ذم الكفار تعالى بحمية الجاهلية ومدح المؤمنين بالسكينة والزوم الكلمة الصادقة بين علمه ببواطن أمورهم وما تنطوي عليه ضمائرهم إذ هو العالم بكل شئ من المعلومات.

وقوله " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام " قسم من الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وآله صادق في قوله إنه رأى في المنام انه يدخل هو والمؤمنون المسجد الحرام، وانه لابد من كون ذلك. وقوله " إن شاء الله آمنين " قال قوم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تقييد لدخول الجميع أو البعض. وقال قوم: ليس ذلك شرطا لأنه بشارة بالرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وطالبه الصحابة بتأويلها وحققها. قوله " لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق " ثم استؤنف على طريق الشرح والتأكيد " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله " على ألفاظ الدين، كأنه قيل بمشيئة الله، وليس ينكر أن يخرج مخرج الشرط ما ليس فيه معنى الشرط، كما يخرج مخرج الامر ما ليس في معنى الامر لقرينة تصحب الكلام. وقال البلخي: معنى " إن شاء الله " أي أمركم الله بها، لان مشيئة الله تعالى بفعل عباده هو أمره به. وقال قوم: هو تأديب لنا، كما قال " ولا تقولن لشئ.. " (١) الآية.
وقوله " آمنين " أي بلا خلاف عليكم " محلقين رؤوسكم ومقصرين " أي منكم من يحلق رأسه ومنكم من يقصر " لا تخافون " أحدا في ذلك، وكذلك جرى الامر في عمرة القضاء وفي السنة الثانية للحديبية، وروي أن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث قاضا أهل مكة يوم الحديبية، وهم بالرجوع إلى المدينة: أليس وعدتنا يا رسول الله أن تدخل المسجد الحرام محلقين ومقصرين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله (قلت لكم إنا ندخلها العلم)؟! فقال: لا، فقال صلى الله عليه وآله (فإنكم تدخلونها
إن شاء الله) فلما كان في القابل في ذي القعدة خرج النبي صلى الله عليه وآله لعمرة القضاء،
ودخل مكة مع أصحابه في ذي القعدة واعتمروا، وقام بمكة ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة.
ثم قال " فعلم " يعني علم الله " وما لم تعلموا " أنتم من المصلحة في المقاضاة وإجابتهم إلى ذلك. وقيل المعنى فعلم النبي صلى الله عليه وآله من دخولهم إلى سنة ما لم تعلموا
معاشر المؤمنين. وقيل: فعلم أن بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٢٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " قال ابن زيد: يعني بذلك فتح خيبر. وقال الزهري: هو فتح الحديبية.
ثم قال تعالى " هو الذي ارسل رسوله " يعني محمدا صلى الله عليه وآله " بالهدى يعني الدليل الواضح، والحجة البينة " ودين الحق " يعني الاسلام وإخلاص العبادة " ليظهره على الدين كله " قيل بالحجج والبراهين. وقيل: لان الاسلام ظاهر على الأديان كلها. وقيل: إنه إذا خرج المهدي صار الاسلام في جميع البشر، وتبطل الأديان كلها.
ثم قال (وكفى بالله شهيدا) بذلك من إظهار دين الحق على جميع الأديان.
ثم اخبر تعالى فقال (محمد رسول الله) صلى الله عليه وآله ارسله إلى خلقه (والذين معه) من المؤمنين يعني المصدقين بوحدانية الله المعترفين بنبوته الناصرين له (أشداء على الكفار) لأنهم يقاتلونهم ويجاهدونهم بنية صادقة (رحماء بينهم) أي يرحم بعضهم بعضا ويتحنن بعضهم على بعض (تراهم ركعا سجدا) لقيامهم بالصلاة والاتيان بها، فهم بنى راكع وساجد (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اي يلتمسون بذلك زيادة نعيمهم من الله ويطلبون مرضاته من طاعة وترك معصية (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) قال ابن عباس: اثر صلاتهم يظهر في وجوههم.
وقال الحسن. هو السمت الحسن. وقال قوم: هو ما يظهر في وجوههم من السهر بالليل. وقال مجاهد: معناه علامتهم في الدنيا من اثر الخشوع. وقيل: علامة نور يجعلها الله في وجوههم يوم القيامة - في قول الحسن وابن عباس وقتادة وعطية - و (ذلك مثلهم في التوراة) اي وصفهم، كأنه مثلهم في التوراة (ومثلهم في الإنجيل) اي وصفهم الله في الإنجيل (كمثل زرع اخرج شطأه) يشبههم بالزرع الذي ينبت في حواليه بنات ويلحق به، فالشطأ فراخ الزرع الذي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ينبت في جوانبه ومنه شاطئ النهر جانبه، يقال أشطأ الزرع، فهو مشطئ إذا أفرخ في جوانبه " فازره " أي عاونه فشد فراخ الزرع لأصول النبت وقواها يقال أزرت النبت وآزره غيره بالمد، ويقال أزر النبت وازرته مثل رجع ورجعته وقال أبو الحسن: هما لغتان. وقال أبو عبيدة: أزره ساواه فصار مثل الام، وفاعل (آزر) الشطأ أي أزر الشطأ الزرع، فصار في طوله " فاستغلظ " أي صار غليظا باجتماع الفراخ مع الأصول " فاستوى " معه أي صار مثل الام " على سوقه " وهو جمع ساق وساق الشجرة حاملة الشجر، وهو عوده الذي يقوم عليه، وهو قصبته. ومثله قوى المحبة بما يخرج منها، كما قوي النبي صلى الله عليه وآله بأصحابه. وقوله " يعجب الزراع " يعني الذين زرعوا ذلك " ليغيظ بهم الكفار " قيل: معناه ليغيظ بالنبي وأصحابه الكفار المشركين. ووجه ضرب هذا المثل بالزرع الذي أخرج شطأه هو ان النبي صلى الله عليه وآله حين ناداهم إلى دينه كان ضعيفا فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وفراخه، وكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان وقال البلخي: هو كقوله " كمثل غيث أعجب الكفار نباته " (١) يريد بالكفار - ههنا - الزراع واحدهم كافر، لأنه يغطي البذر، وكل شئ غطيته فقد كفرته. ومنه قولهم: تكفر بالسلاح. وقيل: ليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شئ قال الشاعر:

في ليلة كفر النجوم غمامها (٢)

أي غطاها. ثم قال " وعد الله الذين آمنوا " يعني من عرف الله ووحده

---

(١) سورة ٥٧ الحديد آية ٢٠

(٢) مر في ١ / ٦٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأخلص العبادة له وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله وصدقه " وعملوا " مع ذلك الاعمال " الصالحات
منهم " قيل: انه بيان يخصهم بالوعد دون غيرهم. وقيل يجوز أن يكون ذلك شرطا فيمن أقام على ذلك منهم، لان من خرج عن هذه الأوصاف بالمعاصي فلا يتناوله هذا الوعد " مغفرة " أي سترا على ذنوبهم الماضية " وأجرا " أي ثوابا " عظيما " يوم القيامة.
وقرأ ابن كثير وحده " على سؤقه " بالهمزة. الباقون بلا همزة، وهو الأصح. قال أبو علي: من همز فعلى قولهم (أحب المؤفدين إلى موسى) واستعمال السوق في الزرع مجاز.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٤٩ - سورة الحجرات
مدينة إلا آية واحدة وهي قوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم.. " إلى آخرها. وقال قوم: كلها مدينه، وهي ثمان عشر آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين
يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣) إن الذين ينادونك من وراء
الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤) ولو أنهم صبروا حتى تخرج
إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) (٥) خمس آيات.
قرأ يعقوب " لا تقدموا " بفتح التاء والدال. الباقون بضم التاء وكسر الدال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من التقديم. وقيل: انهما لغتان. قدم وتقدم مثل عجل وتعجل وقال ابن عباس والحسن: الآية " لا تقدموا " في الحكم أو في الامر قبل كلامه صلى الله عليه وآله - بفتح الدال والتاء - وقال الحسن: ذبح قوم قبل صلاة العيد يوم النحر، فأمروا بإعادة ذبيحة أخرى. وقال الزجاج: المعنى لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله والنبي صلى الله عليه وآله به حتى قيل لا يجوز تقدم الزكاة قبل وقتها. وقال قوم: كانوا إذا سألوا عن شئ قالوا فيه قبل النبي صلى الله عليه وآله نهوا عن ذلك، والأولى حمل الآية على عمومها فيقال: كل شئ إذا فعل كان خلافا لله ورسوله فهو تقدم بين أيديهما فيجب المنع من جميع ذلك.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين اعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته وأقروا بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله ينهاهم أن يتقدموا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله بأن يفعلوا

خلاف ما أمر به أو يقولوا في الاحكام قبل ان يقول أو يخالفوا أوقات العبادة، فان جميع ذلك تقدم بين يديه، وأمرهم ان يتقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته " إن الله سميع " لما يقولونه " عليم " بما ينطوون عليه ويضمرونه. ثم أمرهم ثانيا بأن قال " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " على وجه الاستخفاف به صلى الله عليه وآله، فان مجاهد وقتادة قالا: جاء أعراب أجلاف من بني تميم، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد اخرج إلينا، ولو أن إنسانا رفع صوته على صوت النبي صلى الله عليه وآله على وجه التعظيم له والإجابة لقوله لم يكن مأثورما. وقد فسر

ذلك بقوله " ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض " فان العادة جارية أن من كلم غيره ورفع صوته فوق صوته أن ذلك على وجه الاستخفاف به، فلذلك نهاهم عنه. وجهر الصوت أشد من الهمس، ويكون شديدا وضعيفا ووسطا. والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد، ومنه الجهارة في المنطق. ويقال: نهارا جهارا، وجاهر

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالامر مجاهرة. ونقيض الجهر الهمس.
ثم بين تعالى انهم متى فعلوا ذلك بان يرفعوا الصوت على صوت النبي صلى الله عليه وآله على الوجه الذي قلناه أن يحبط اعمالهم، والتقدير لا ترفعوا أصواتكم لان لا تحبط قال الزجاج: ويكون اللام لام العاقبة، والمعنى يحبط ثواب ذلك العمل، لأنهم لو أوقعوه على وجه الاستحقاق لاستحقوا به الثواب، فلما فعلوه على خلاف ذلك استحقوا عليه العقاب، وفاتهم ذلك الثواب فذاك إحباط أعمالهم، فلا يمكن أن يستدل بذلك على صحة الاحباط في الآية على ما يقوله أصحاب الوعيد، ولأنه تعالى علق الاحباط في الآية بنفس العمل، وأكثر من خالفنا يعلقه بالمستحق على الاعمال، وذلك خلاف الظاهر.
ثم مدح تعالى من كان بخلاف من يرفع الصوت بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقال " إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله " اعظاما للنبي وإجلالا له، والغض الحط من منزلة على وجه التصغير له بحالة، يقال: غض فلان عن فلان إذا ضعف حاله عن حال من هو أرفع منه، وغض بصره إذا ضعف عن حدة النظر، وغض صوته إذا ضعف عن الجهر، وقال جرير:
فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا (١)
ثم قال " أولئك " يعني الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله هم " الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " أي لا خلاص التقوى فعاملهم معاملة المختبر كما يمتحن الذهب لا خلاص جيده. وقيل " امتحن الله قلوبهم للتقوى " أخلصها - في قول مجاهد وقتادة - وقال قوم: معناه أولئك الذين علم الله التقوى في قلوبهم، لان الامتحان يراد به العلم، فعبر عن العلم بالامتحان.

---

(١) ديوانه والطبري ٢٦ / ٦٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال تعالى " لهم مغفرة " من الله لذنوبهم " وأجر عظيم " على افعالهم وطاعاتهم
ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله على وجه الذم لمن يرفع صوته من اجلاف الاعراب على
النبي صلى الله عليه وآله " إن الذين ينادونك " يا محمد " من وراء الحجرات " وهي جمع حجرة
وكل (فعلة) بضم الفاء يجمع بالألف والتاء، لأنه ليس بجمع سلامة محضة إذ ما يعقل
من الذكر ألحق به، لأنه اشرف المعنيين، فهو أحق بالتفصيل، قال الشاعر:
اما كان عباد كفيا لدارم * بلى ولابيات بها الحجرات (١)
أي بلى ولبني هاشم. وقرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم. قال المبرد:
أبدل من الضمة الفتحة استثقالا لتوالي الضمتين، ومنهم من أسكن مثل (عضد
وعضد) وقال أبو عبيدة: جمع حجرة وغرفة يقال: حجرات وغرفات.
ثم قال " أكثرهم لا يعقلون " لأنهم بمنزلة البهائم لا يعرفون مقدار النبي صلى الله عليه وآله
وما يستحقه من التوقير والتعظيم. وقيل: إن الذين رفعوا أصواتهم على النبي صلى الله عليه وآله
قوم من بني تميم. وفي قراءة ابن مسعود (أكثرهم بنو تميم لا يعقلون).
ثم قال " ولو أنهم صبروا " فلم ينادوك " حتى تخرج إليهم " من منزلك
" لكان خيرا لهم " من أن ينادونك من وراء الحجرات (والله غفور رحيم) أي ساتر
لذنوبهم إن تابوا منها لان ذلك كفر لا يغفره الله إلى بالتوبة.
قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن
تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن

---

(١) الطبري ٢٦ / ٦٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة
والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما فان بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفئ إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (١٠) خمس آيات.
قوله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) خطاب من الله - عز وجل -
للمؤمنين بأنه (إذا جاءكم فاسق) وهو الخارج من طاعة الله إلى معصيته (بنبأ)
أي بخبر عظيم الشأن (فتبينوا) صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بمتضمنه (أن
تصيبوا قوما بجهالة) لأنه ربما كان كاذبا وخبره كذبا، فيعمل به فلا يؤمن بذلك
وقال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان وقتادة وابن أبي ليلا: نزلت الآية في
الوليد ابن عقبة بن أبي معيط، لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في صدقات بني
المصطلق
خرجوا يتلقونه فرحا به وإكراما له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى النبي صلى الله عليه
وآله
فقال: انهم منعوا صدقاتهم، وكان الامر بخلافه.
وفي الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل، لان المعنى
إن جاءكم فاسق بالخبر الذي لا تأمنون أن يكون كذبا فتوقفوا فيه، وهذا التعليل
موجود في خبر العدل، لان العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذبا في خبره،

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فالأمان غير حاصل في العمل بخبره. وفى الناس من استدل به على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان راويه عدلا، من حيث إنه أوجب تعالى التوقف في خبر الفاسق، فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه. وهذا الذي ذكروه غير صحيح، لأنه استدلال بدليل الخطاب ودليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء. ولو كان صحيحا فليست الآية بأن يستدل بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا بأولى من أن يستدل بتعليلها في دفع الأمان من أن يصاب بجهالة إذا عمل بها على أن خبر العدل مثله، على أنه لا يجب العمل بخبر الواحد، وإن كان راويه عدلا.

فان قيل: هذا يؤدي إلى أن لا فائدة في إيجاب التوقف في خبر الفاسق إذا كان خبر العدل مثله في الفائدة.

قلنا: والقول بوجوب العمل بخبر الواحد يوجب أنه لا فائدة في تعليل الآية في خبر الفاسق الذي يشاركه العدل فيه، فإذا تقابلا سقط الاستدلال بها على كل حال وبقي الأصل في أنه لا يجوز المل بخبر الواحد إلا بدليل.

ومن قرأ (تبينوا) أراد تعرفوا صحة متضمن الخبر الذي يحتاج إلى العمل عليه، ولا تقدموا عليه من غير دليل، يقال: تبين الامر إذا ظهر، وتبين هو نفسه بمعنى واحد، ويقال أيضا: تبينته إذا عرفته. ومن قرأ (فتثبتوا) - بالتاء والثاء - أراد توقفوا فيه حتى يتبين لكم صحته.

وقوله (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) معناه حتى عملتم بخبر الواحد وبان لكم كذب راويه أصبحتم نادمين على ما فعلتموه.

ثم خاطبهم يعني المؤمنين فقال (واعلموا) معاشر المؤمنين (أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ومعناه لو فعل ما تريدونه في كثير من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأمور (لعنتم) أي أصابكم عنت ومكروه، يقال: أعنت الرجل إذا حملت عليه عامدا لما يكره، يقال: أعنته فعنت، وسمي موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا لان الطاعة يراعى فيها الرتبة، فلا يكون المطيع مطيعا لمن دونه، وإنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما أمره به، ألا ترى انه لا يقال في الله تعالى: إنه مطيع لنا إذا فعل ما أردناه. ويقال فينا إذا فعلنا ما أراده الله: انه مطيع. والنبي صلى الله عليه وآله فوقنا فلا
يكون مطيعا لنا، فاطلاق ذلك مجاز.

وقوله (ولكن الله حبب إليكم الايمان) بما وعد من استحقاق الثواب عليه (وزينه في قلوبكم) بنصب الأدلة على صحته (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) بما وصفه من العقاب عليه - وهو قول الحسن - وفي الآية دلالة على أن اضداد الايمان ثلاثة كفر وفسوق وعصيان.

ثم قال (أولئك) يعني الذين وصفهم الله بالايمان، وزين الايمان في قلوبهم وانه كره إليهم الفسوق وغيره (هم الراشدون) أي المهتدون إلى طريق الحق الذين أصابوا الرشد.

ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أي فعل الله ذلك بهم فضلا منه على خلقه ونعمة مجددة، وهو نصب على المفعول له - في قول الزجاج - (والله عليهم) بالأشياء كلها (حكيم) في جميع أفعاله.

ثم قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) يقتل بعضهم بعضا (فأصلحوا بينهما) حتى يصطلحا، وقرأ يعقوب (بين أخوتكم) حمله على أنه جمع (أخ) أخوة لان الطائفة جمع. ومن قرأ على التثنية رده إلى لفظ الطائفتين، وقرأ زيد ابن ثابت وابن سيرين وعاصم الجحدري (بين أخويكم) والمعاني متقاربة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (وإن طائفتان من المؤمنين) لا يدل على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الايمان، ويطلق عليهما هذا الاسم، بل لا يمتنع ان يفسق أحد الطائفتين أو يفسقا جميعا، وجرى ذلك مجرى ان تقول: وإن طائفة من المؤمنين ارتدت عن الاسلام فاقتلوها. ثم قال (فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ) أي فان بغت إحدى الطائفتين على الأخرى بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقابل الأخرى ظالمة لها متعدية عليها (فقاتلوا التي تبغي) لأنها هي الظالمة المتعدية دون الأخرى (حتى تفئ إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى أمر الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة. ثم قال (فان فاءت) أي رجعت وتابت وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله (فأصلحوا بينهما) يعني بينها وبين الطائفة التي كانت على الايمان ولم تخرج عنه بالقول، فلا تميلوا على واحدة منهما (وأقسطوا) أي اعدلوا (إن الله يحب المقسطين) يعني العادلين، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار. قال الله تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (١).

وقيل: إن الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار وقع بينهما حرب وقتال - ذكره الطبري -.

ثم اخبر تعالى (إنما المؤمنون) الذين يوحدون الله تعالى ويعملون بطاعاته ويقرون بنبوة نبيه ويعملون بما جاء به (أخوة) يلزمهم نصرة بعضهم بعضا (فأصلحوا بين أخويكم) يعني إذا رجعا جميعا إلى الحق وما أمر الله به (واتقوا الله) أي اجتنبوا معاصيه وافعلوا طاعته واتقوه في مخالفتكم (لعلكم ترحمون) معناه لكي ترحمون لان (لعل) بمعنى الشك والشك لا يجوز على الله تعالى، قال الزجاج: سموا المؤمنين إذا كانوا متفقين في دينهم بأنهم أخوة، لاتفاقهم في الدين ورجوعهم إلى أصل النسب

---

(١) سورة ٧٢ الجن آية ١٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لأنهم لآدم وحواء.
قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقيكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (١٤)
خمس آيات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرا أهل البصرة (لا يألتكم) بالهمزة. الباقون (لا يلتكم) بلا همزة، وهما لغتان، يقال: ألت يألت إذا أنقص، ولات يليت مثل ذلك. وفى المصحف بلا الف وقال الشاعر:

وليلة ذات ندى سريت * ولم يلتني عن سراها ليت (١)

ومعنى الآية لا ينقصكم من أعمالكم شيئا، ومنه قوله (وما ألتناهم من عملهم من شئ) (٢) أي ما نقصناهم. وقرأ يعقوب (ميتا) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. والتشديد الأصل، وهو مثل سيد وسيد.

يقول الله مخاطبا للمؤمنين الذين وحدوه وأخلصوا العبادة له وصدقوا نبيه وقبلوا ما دعاهم الله إليه (لا يسخر قوم من قوم) ومعناه لا يهزأ به ويتلهى منه، وقال مجاهد: لا يسخر غني من فقير لفقره بمعنى لا يهزأ به، والسخرية بالاستهزاء ولو سخر المؤمن من الكافر احتقارا له لم يكن بذلك مأثوما، فأما في صفات الله، فلا يقال إلا مجازا كقوله (فانا نسخر منكم كما تسخرون) (٣) معناه إنا نجازيكم جزاء السخرية.

ثم قال (عسى أن يكونوا خيرا منهم) لأنه ربما كان الفقير المهين في ظاهر الحال خيرا عند الله وأجل منزلة وأكثر ثوابا من الغني الحسن الحال. وقال الجبائي: يجوز ان يكونوا خيرا منهم في منافع الدنيا، وكثرة الانتفاع بهم. وقوله (ولا نساء من نساء) أي ولا يسخر نساء من نساء على هذا المعنى (عسى أن يكن خيرا منهن) ويقال: هذا خير من هذا بمعنى أنفع منه في ما يقتضيه العقل، وكذلك كان نسب رسول الله صلى الله عليه وآله خير من نسب غيره، ثم قال (ولا تلمزوا أنفسكم)

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٨٢ وقد مر في ٦ / ٤٤٥

(٢) سورة ٥٢ الطور آية ٢١

(٣) سورة ١١ هود آية ٣٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فالمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره، وهو المنهي عنه، فأما ذكر عيبه، فليس بلمز، وروي انه صلى الله عليه وآله قال (قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس) وقال الحسن: في صفة الحجاج أخرج الينا نباتا قصيرا قل ما عرفت فيها إلا عنه في سبيل الله ثم جعل يطبطب بشعيرات له، ويقول: يا با سعيد. ولو كان مؤمنا لما قال فيه ذلك. وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يطعن بعضكم على بعض كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) (١) لان المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه بقتله أخاه قاتل نفسه.

وقوله (ولا تنابزوا بالألقاب) قال أبو عبيدة: الانباز والألقاب واحد فالنبز القذف باللقب، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضا. وقال الضحاك: معناه كل اسم أو صفة يكره الانسان أن يدعى به، فلا يدع به. وإنما يدعى بأحب أسمائه إليه. وقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) لا يدل على أن المؤمن لا يكون فاسقا لان الايمان والفسق لا يجتمعان، لان ذلك يجري مجرى ان يقال: بئس الحال الفسوق مع الشيب على أن الظاهر يقتضي ان الفسوق الذي يتعقب الايمان بئس الاسم، وذلك لا يكون إلا كفرا، وهو بئس الاسم.

ثم قال (ومن لم يتب) يعني من معاصيه ويرجع إلى طاعة الله ومات مصرا (فأولئك هم الظالمون) الذين ظلموا نفوسهم بأن فعلوا ما يستحقون به العقاب.

ثم خاطبهم أيضا فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا بوحدانيته (اجتنبوا كثيرا من الظن) وإنما قال (كثيرا) لان في جملته ما يجب العمل عليه، ولا يجوز مخالفته. وقوله (ان بعض الظن أثم) فالظن الذي يكون إثما

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٢٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إنما هو ما يفعله صاحبه وله طريق إلى العلم بدلا منه مما يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأما مالا سبيل له إلى دفعه بالعلم بدلا منه، فليس باثم، فلذلك كان بعض الظن أثم، دون جميعه، والظن المحمود قد بينه الله ودل عليه في قوله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) (١): يلزم المؤمن أن يحسن الظن به ولا يسئ الظن في شئ يجد له تأويله جميلا، وإن كان ظاهره القبيح. ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحا.

وقوله (ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عثرات المؤمن - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - وقال أبو عبيدة التجسس والتجسس واحد وهو التبحث يقال: رجل جاسوس، والجاسوس والناموس واحد. وقيل للمؤمن حق على المؤمن ينافي التجسس عن مساوئه. وقيل: يجب على المؤمن أن يتجنب ذكره المستور عند الناس بقبيح، لان عليهم أن يكذبوه ويردوا عليه، وإن كان صادقا عند الله، لان الله ستره عن الناس، وإنما دعى الله تعالى المؤمن إلى حسن الظن في بعضهم ببعض للألفة والتناصر على الحق، ونهوا عن سوء الظن لما في ذلك من التقاطع والتدابر.

وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) فالغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه. ويروى في الخبر إذا ذكرت المؤمن بما فيه مما يكرهه الله، فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه، فقد بهته.

وقوله (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) معناه ان من دعي إلى اكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهته من جهة طبعه، فإنه ينبغي إذا دعي إلى عيب أخيه فعافته نفسه من جهة عقله، فينبغي أن يكرهه، لان داعي العقل أحق بأن يتبع من داعي الطبع لان داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير، وكلاهما

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ١٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

في صفة الناصح، وهذا من أحسن ما يدل على ما ينبغي ان يجتنب من الكلام.
وفي الكلام حذف، وتقديره أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فيقولون: لا، بل عافته نفوسنا، فقيل لكم فكرهتموه، فحذف لدلالة الكلام عليه. وقال الحسن: معناه فكما كرهتم لحمه ميتا فأكرهوا غيبته حيا، فهذا هو تقدير الكلام.
وقوله (واتقوا الله) معطوف على هذا الفعل المقدر، ومثله (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك) (١) والمعنى ألم نشرح، قد شرحنا فحمل الثاني على معنى الأول، لأنه لا يجوز ان يقول ألم وضعنا عنك.
ثم قال (واتقوا الله) باجتناب معاصيه وفعل طاعاته (ان الله تواب) أي قابل لتوبة من يتوب إليه (رحيم) بهم.
ثم قال (قالت الاعراب آمنا) قال قتادة: نزلت الآية في اعراب مخصوصين انهم قالوا (آمنا) أي صدقنا بالله وأقررنا بنبوتك يا محمد، وكانوا بخلاف ذلك في بواطنهم، فقال الله تعالى لنبيه (قل) لهم (لن تؤمنوا) على الحقيقة في الباطن (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوفا من السبي والقتل - وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد - ثم بين فقال (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) بل أنتم كفار في الباطن. ثم قال لهم (وإن تطيعوا الله ورسوله) وترجعوا إلى ما يأمرانكم به من طاعة الله والانتهاء عن معاصيه (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أي لا ينقصكم من جزاء أعمالكم شيئا (ان الله غفور رحيم) أي ساتر لذنوبهم إذا تابوا رحيم بهم في قبول توبتهم.
ثم وصف المؤمن على الحقيقة فقال (إنما المؤمنون) على الحقيقة (الذين آمنوا بالله) وصدقوا وأخلصوا بتوحيده (ورسوله) أي وأقروا بنبوة نبيه

---

(١) سورة ٩٤ الانشراح آية ١ - ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في شئ من أقوالهما (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) ثم قال (أولئك هم الصادقون) في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

وقوله " يا أيها الناس " خطاب للخلق كافة من ولد آدم يقول لهم " إنا خلقناكم " بأجمعكم " من ذكر وأنثى " يعني آدم وحوا عليهما السلام وقال مجاهد: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة بدلالة الآية " وجعلناكم شعوبا وقبائل " فالشعوب النسب الابعد، والقبائل الأقرب - في قول مجاهد وقتادة - وقيل الشعوب أعم، والقبائل أخص. وقال قوم: الشعوب الافخاذ والقبائل أكثر منهم. والشعوب جمع شعب، وهو الحي العظيم، والقبائل مأخوذ من قبائل الرأس، وقبائل الحقبة التي يضم بعضها إلى بعض، فاما الحي العظيم المستقر بنفسه فهو شعب، قال ابن احمر:

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو * خولان أو مذحج جواله طربا (٢)

والقبائل جمع قبيلة، وقوله " لتعارفوا " معناه جعلكم كذلك لتعارفوا، فيعرف بعضكم بعضا. ومن قرأ بالياء مشددة، أدغم أحداهما في الأخرى، ومن خفف حذف أحداهما. ثم قال " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " لمعاصيه، وأعملكم بطاعته

قال البلخي: اختلف الناس في فضيلة النسب، فأنكرها قوم، وأثبتها آخرون والقول عندنا في ذلك أنه ليس أحد أفضل من مؤمن تقي، فان الحسب والنسب والشرف لا يغنيان في الدين شيئا، لان لهما فضلا كفضل الخز على الكرباس والكتان على البهاري وكفضل الشيخ على الشاب. فان الطبائع مبنية والاجماع واقع على بأن شيخا وشابا لو استويا في الفضل في الدين لقدم الشيخ على الشاب

---

(١) الطبري ٢٦ / ٨٠ نسبة إلى ابن عمر الباهلي وروايته (هاجرا له) بدل (جواله)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وزيد في تعظيمه وتبجيله، وكذلك الأب والابن لو استويا في الفضل في الدين لقدم الأب، وكذلك السيد وعبده. وهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء، وكذلك لو أن رجلين استويا في الدين ثم كان أحدهما له قرابة برسول الله أو بالخيار الصالحين لوجب أن يقدم المتصل برسول الله وبالصالح، ويزاد إكرامه في تعظيمه وتبجيله، وكذلك إذا استويا وكان في آباء أحدهما أنبياء ثلاثة وأربعة، وكان في آباء الآخر نبي واحد كان الأول مستحقا للتقديم، وكذلك لو كان لأحدهم أب نبي إلا أنه من الأنبياء المتقدمين، وكان أبو الآخر هو النبي الذي بعث الينا كان الثاني أعظم حقا وأحق بالتقديم، وكذلك لو كان أحدهما له آباء معروفون بالفضل والأخلاق الجميلة والافعال الشريفة وبالوقار وبالنجدة والأدب والعلم كانت الطبايع مبنية على تقديمه على الآخر. فان قيل: الطبائع مبنية على تقديم ذوي المال فيجب أن يكون الغنى وكثرة المال شرفا. قلنا: كذلك هو لا ننكر هذا ولا ندفعه. فان قيل: إذا كان لأحدهما مال لا يبذل، والآخر قليل المال يبذل قدر ما يملكه من الحقوق ويضعه في مواضعه؟ قلنا الباذل أفضل من الذي لا يبذل. وإنما تكلمنا في الرجلين إذا استويا في خصالهما وفضل أحدهما كثرة المال وكان واضعا له في موضعه باذلاله في حقوقه وكذلك لو أن رجلا كان ذا حسب وشرف في آبائه إلا أنه كان فاسقا أو سخيفا أو وضيعا في نفسه كان الذي لا حسب له وهو عفيف نبيل أفضل منه بالأوصاف التي لا تخفى. وكان حسب ذلك السخيف مما يزيده وبالا، ومعنى الحسب أنه يحسب لنفسه آباء أشرافا فضلا، وعمومة وأخوة - انتهى كلام البلخي -.

وقوله " إن الله عليم خبير " يعني بمن يعمل طاعاته ويتقي معاصيه " خبير "

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بذلك لا يخفى عليه شئ من ذلك. ثم وصف المؤمنين الذين تقدم ذكرهم فقال " أولئك هم الصادقون " على الحقيقة الذين يستحقون ثواب الله تعالى.

قوله تعالى:

(قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما
في الأرض والله بكل شئ عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا
قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هديكم
للايمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات
والأرض والله بصير بما تعملون) (١٨) ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير وحده " بما يعملون " بالياء على الغيبة. الباقون بالتاء على الخطاب.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " لهؤلاء الكفار " أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شئ عليم " فالتعليم تعريض من لا يعلم حتى يعلم بافهام المعنى أو خلق العلم له في قلبه، فعلى هذا لا يجوز ان يعلم العالم لنفسه الذي يعلم المعلومات كلها بنفسه، ولا يحتاج إلى من يعلمه ولا إلى علم يعلم به، كما أنه من يكون قديما بنفسه استغنى عن موجد يوجده، وإنما يحتاج إلى التعليم من يجوز أن يعلم وألا يعلم، ومن يخفى عليه شئ دون شئ، ففي الآية دلالة على أن العالم بكل وجه لا يجوز ان يعلم. والمعني بالآية هم الذين ذكرهم في الآية الأولى وبين أنهم منافقون لقول الله لهم " أتعلمون الله بدينكم " إنا آمنا بالله وبرسوله، وهو تعالى يعلم منكم خلاف ذلك من الكفر والنفاق، فلفظه لفظ الاستفهام والمراد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

به الانكار.
ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " يمنون عليك أن أسلموا " فالمن القطع بايصال النفع الموجب للحق، ومنه قوله " فلهم اجر غير ممنون " (١) أي غير مقطوع، ومنه قولهم: المنة تكدر الصنيعة وقيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة. ومن لا أحد إلا وهو محتاج إليه، فليس في منه تكدير النعمة، لان الحاجة لازمة لامتناع أن يستغنى عنه بغيره. وأكثر المفسرين على أن الآية نزلت في المنافقين. وقال الحسن: نزلت في قوم من المسلمين قالوا: أسلمنا يا رسول الله قبل ان يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك بني فلان. وقال الفراء: نزلت في اعراب من بني أسد قدموا على النبي صلى الله عليه وآله بعيالاتهم طمعا في الصدقة، وكانوا يقولون أعطنا، فانا أتيناك بالعيال
والأثقال وجاءتك العرب على ظهور رواحلها، فأنزل الله فيهم الآية. ثم قال " بل الله يمن عليكم " بأنواع نعمه و " بأن هداكم للايمان " وأرشدكم إليه بما نصب لكم من الأدلة عليه ورغبكم فيه " إن كنتم صادقين " في إيمانكم الذي تدعونه. ومتى كنتم صادقين يجب أن تعلموا ان المنة الله عليكم في إيمانكم، لا لكم على الله ورسوله.
وموضع " أن اسلموا " نصب ب " يمنوا " وهو مفعول به. وقيل: موضعه الجر، لان تقديره بأن اسلموا. ثم قال إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما يعملون من طاعة ومعصية وإيمان وكفر في باطن أو ظاهر لا يخفى عليه شئ من ذلك.

---

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٠ - سورة ق
مكية بلا خلاف: وهي خمس وأربعون آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم
فقال الكافرون هذا شئ عجيب (٢) أإذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب
حفيظ (٤) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) (٥)
لم يعد أحد (ق) آية، وكذلك نظائره مثل (ن) وصلى الله عليه وآله لأنه من المفرد، وكل مفرد فإنه لا يعد لعبده عن شبه الجملة. وأما المركب فما أشبه الجملة ووافق رؤس الآي، فإنه يعد مثل (طه) و (حم) و (ألم) وما أشبه ذلك.
و (قاف) قيل هو اسم للجبل المحيط بالأرض. وقيل: هو اسم من أسماء السورة ومفتاحها على ما بيناه في حروف المعجم. وهو الأقوى. وقيل: (ق) من قضى الامر و (حم) من حم أي دنا.
وقوله " والقرآن " قسم من الله تعالى بالقرآن. وجواب القسم محذوف، وتقديره لحق الامر الذي وعدتم به انكم لمبعوثون، تعجبوا فقالوا " أئذا متنا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وكنا ترابا "! وقيل: تقديره، ورب القرآن. واستدل بذلك على حدوثه، وهو خلاف الظاهر. والمجيد العظيم الكرم. ووصف القرآن وبعثه بأنه مجيد معناه انه عظيم القدر عالي الذكر. ويقال مجد الرجل ومجد مجدا وهما لغتان إذا عظم كرمه وأمجد كرمت فعاله، والمجيد في اسم الله تعالى العظيم الكرم، ومجده خلقه: عظموه بكرمه، ورجل ماجد عظيم الكرم. وتماجد القوم تماجدا، وذلك إذا تفاخروا باظهار مجدهم. والمجد مأخوذ من قولهم: مجدت الإبل مجودا، وذلك إذا عظمت بطونها لكثرة أكلها من كلا الربيع. وأمجد القوم إبلهم وذلك في الربيع، كأنهم أصابوا أكلا عظيما كريما قال الشاعر:

رفعت مجد تميم باهلال لها * رفع الطراف على العلياء بالعمد (١)

وقوله " بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب "

اخبار منه تعالى عن حال الكافرين الذين بعث الله إليهم النبي صلى الله عليه وآله من كفار قريش وغيرهم مخوفا لهم من معاصيه وترك طاعاته باستحقاق العقاب على ذلك وانه تعالى سيبعثهم ويجازيهم على ذلك بعد الموت، فقال الكافرون جوابا لهذا القول: هذا شئ عجيب، والتعجب بثير النفس تعظيم الامر الخارج عن العادة الذي لا يقع بسببه معرفة، يقال عجب عجبا وتعجب تعجبا، فالذي يتعجب منه عجب. وقيل: العجب هو كل مالا يعرف علته ولا سببه، وأفحش العجب التعجب مما ليس بعجب على طريق الانكار للحق، لأنه يجتمع فيه سببا القبيح، فهؤلاء تعجبوا من مجئ النذير من الله تعالى إليهم فقد فحشوا غاية التفحش، مع أنه مما يعظم ضرر الجهل به. ثم قالوا أيضا في الجواب عن ذلك أإذا متنا وخرجنا من كوننا أحياء وكنا ترابا يبعثنا الله!؟ وحذف لدلالة الكلام عليه. ثم قالوا " ذلك رجع بعيد "

---

(١) مر في ٦ / ٣٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي يبعد عندنا أن نبعث بعد الموت، لان ذلك غير ممكن، فقال الله تعالى " قد علمنا ما تنقص الأرض منهم " أي علمنا الذي تأكل الأرض من لحومهم، لا يخفى علينا شئ منه " وعندنا كتاب حفيظ " أي ممتنع الذهاب بالبلى والدروس، كل ذلك ثابت فيه ولا يخفى منه شئ وهو اللوح المحفوظ ثم قال " بل كذبوا بالحق لما جاءهم " يعني بالنبي والقرآن الذي جاء به دالا على صدقه، وبالبعث والنشور، الذي أنذرهم به فهم في أمر مريج أي مختلط ملتبس واصله ارسال الشئ مع غيره في المرج من قولهم: مرج الخيل الذكور مع الإناث وهو مرج بالخيل أي المسرح الذي يمرج فيه، و " مرج البحرين " أرسلهما في مرج " يلتقيان " ولا يختلطان.

قوله " من مارج من نار " أي مرسل الشعاع بانتشاره. قال أبو ذؤيب

فحالت فالتمست به حشاها * فخر كأنه غصن مريج (١)

أي قد التبس بكثرة تشعبه ومرجت عهودهم وأمرجوها أي خلطوها، ولم يفوا بها. وقال أبو عبيدة: مرج أمر الناس إذا اختلط، قال أبو ذؤيب (فخر كأنه خوط مريج) أي سهم مختلط الامر باضطرابه، فهؤلاء الكفار حصلوا في أمر مختلط ملتبس من أمر النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا تارة هو مجنون وأخرى هو كاهن

وأخرى هو شاعر، فلم يثبتوا على شئ واحد، فلذلك كانوا في أمر مريج.

قوله تعالى:

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
ومالها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي
وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد

---

(١) الطبري ٢٦ / ٨٦ وروايته (فحط كأنه حوط مريج)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (١١) ست آيات.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم كذبوا بالحق الذي هو القرآن وجحدوا البعث والنشور والثواب والعقاب، وتعجبوا من ذلك نبههم الله تعالى على ذلك وبين لهم الطريق الذي إذا نظروا فيه علموا صحته، فقال " أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها " ومعناه أفلم يفكروا في بناء هذه السماء وعظمها، وحسن تزيينها فيعلموا أن لها بانيا بناها وصانعا صنعها وانه لابد أن يكون قادرا عليها، وانه لا يعجزه شئ، لأنه لا يقدر على مثل ذلك إلا القادر لنفسه الذي لا يجوز عليه العجز ويعلمه، لأنه عالم بما يرون من إحكام الصنعة فيها وانه الذي لا يخفى عليه خافيه وقوله " وزيناها " يعني حسنا صورتها بما خلقنا فيها من النجوم الثاقبة والشمس والقمر، وانه " مالها من فروج " أي ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها وإنما يسلكها الملائكة بأن يفتح لها أبواب السماء إذا عرجت إليها.

ثم قال " والأرض مددناها " أي بسطناها، وتقديره ومددنا الأرض مددناها، كما قال " والقمر قدرناه " (١) فيمن نصب ولو رفع كان جائزا، والنصب أحسن - ههنا - لكونه معطوفا على بنيناها، فعطف الفعل على الفعل أحسن.

ثم قال " وألقينا فيها رواسي " أي طرحنا جبالا تمنعها من الحركة ليتمكن استقرار الحيوان عليها " وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج " قال ابن زيد: البهيج الحسن المنظر والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية، كالزهرة والأشجار الملتفة

---

(١) سورة ٣٦ يس آية ٣٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والرياض الخضرة في الأنواع المتشاكلة والمباري المصطفة خلالها الأنهار الجارية.
وقوله " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " أي فعلنا ذلك وخلقناه على
ما وصفناه ليتبصر به ويتفكر به كل مكلف كامل العقل يريد الرجوع إلى الله
والإنابة إليه.
ثم قال " ونزلنا من السماء ماء مباركا " يعني مطرا وغيثا " فأنبتنا به "
بذلك الماء " جنات " أي بساتين فيها أشجار تجنها " وحب الحصيد " يعني البر
والشعير، وكل ما يحصد - في قول قتادة - لان من شأنه ان يحصد، والحب هو
الحصيد، وإنما أضافه إلى نفسه، كما قال " لحق اليقين " (١) وكما قالوا: مسجد الجامع
وغير
ذلك. وقوله " والنخل " عطف على (جنات) فلذلك نصبه و " باسقات " أي عاليات
يقال: بسقت النخلة بسوقا قال ابن نوفل لابن هبيرة:
يا بن الذين بفضلهم * بسقت على قيس فزاره (٢)
وقال ابن عباس " باسقات " طوال النخل، وبه قال مجاهد وقتادة " لها
طلع نضيد " أي لهذه النخل التي وصفها بالعلو " طلع نضيد " نضد بعضه على بعض
- في قول مجاهد وقتادة - وقوله " رزقا للعباد " أي خلقنا ما ذكرنا من حب الحصيد
والطلع النضيد رزقا للعباد وغذاء لهم، وهو نصب على المصدر أي رزقناهم رزقا،
ويجوز أن يكون مفعولا له أي لرزق العباد والرزق هو ما للحي الانتفاع به على وجه
ليس لغيره منعه منه، والحرام ليس برزق، لان الله تعالى منع منه بالنهي والحظر
وكل رزق فهو من الله تعالى إما بأن يفعله أو يفعل سببه، لأنه مما يريده. وقد
يرزق الواحد منا غيره، كما يقال: رزق السلطان الجند.
وقوله " وأحيينا به بلدة ميتا " أي أحيينا بذلك الماء الذي أنزلنا من السماء

---

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥١
(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ٨٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بلدة ميتا أي جدبا قحطا، لا تنبت شيئا، فأنبتت وعاشت ثم قال " كذلك الخروج " أي مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء، مثل ذلك نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم لان من قدر على أحدهما قدر على الآخر، وإنما دخلت على القوم شبهة من حيث إنهم رأوا العادة جارية باحياء الأرض الموات بنزول المطر عليها، ولم يروا إحياء الأموات، فظنوا أنه يخالف ذلك، ولو انعموا النظر لعلموا ان القادر على أحدهما قادر على الآخر.

قوله تعالى:

(كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢)
وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم اتبع
كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الأول بل
هم في لبس من خلق جديد) (١٥) أربع آيات.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله تسلية له عن كفر قومه وتركهم الايمان به مهددا لكفار قومه أنه كما كذبوك يا محمد هؤلاء وجحدوا نبوتك مثل ذلك كذب قبلهم من الأمم الماضية قوم نوح فأهلكهم الله وأغرقهم وأصحاب الرس وهم أصحاب البئر الذين قتلوا نبيهم ورسوه فيها - في قول عكرمة - وقال الضحاك: الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين. وقيل: الرس بئر لم يطو بحجر ولا غيره. قال الجعدي:

تنابلة يحفرون الرساسا (١)

---

(١) مر في ٧ / ٤٩٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

و " ثمود " هم قوم صالح حيث كذبوه ونحروا ناقة الله التي أخرجها آية له من الجبل " وعاد " وهم قوم هود، فكذبوه فأهلكهم الله " وفرعون واخوان لوط " أي كذب فرعون موسى، وقوم لوط لوطا، وسماهم اخوته لكونهم من نسبه " وأصحاب الأيكة " وهم قوم شعيب، والأيكة الغيظة " وقوم تبع " روي في الحديث لا تلعنوا تبعا، فإنه كان اسلم، وإنما ذم الله قومه.

ثم اخبر تعالى عنهم كلهم فقال " كل كذب الرسل " المبعوثة إليهم، وجحدوا نبوتهم " فحق وعيد " فاستحقوا بما وعدهم به من العقاب، فإذا كانت منازل الأمم الخيالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار، وأنتم معاشر الكفار قد سلكتم مسلكهم في التكذيب فحالكم كحالهم في استحقاق مثل ذلك.

ثم قال الله تعالى على وجه الانكار عليهم، بلفظ الاستفهام " أفعيينا بالخلق الأول " قال الحسن الخلق الأول آدم وقد يكون ذلك المراد لاقرارهم به وأنهم ولده يقال: عييت بالامر إذا لم يعرف وجهه وأعييت إذا تعبت، وكل ذلك من التعب في الطلب. والمعنى إنا كما لم نعي بالخلق الأول لا نعيا بخلقهم على وجه الإعادة، والعي عجز بانقلاب المعنى على النفس، ثم قال " بل هم في لبس من خلق " فاللبس منع من إدراك المعنى بما هو كالستر له " من خلق جديد " وهو القريب الانشاء، يقال: بناء جديد وثوب جديد، وخلق جديد وأصله القريب العهد، بالقطع للبس لأنه من جددته أجده جدا إذا قطعته فهو كفرت العهد بالقطع للبس.

قوله تعالى:

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) (٢٠) خمس آيات.
يقول الله تعالى مقسما إنه خلق الانسان أي اخترعه وأنشأه مقدرا. والخلق الفعل الواقع على تقدير وترتيب. والمعنى إنه يوجده على ما تقتضيه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان. وأخبر انه يعلم ما يوسوس به صدر الانسان. فالوسوسة حديث النفس بالشئ في خفى، ومنه قوله " فوسوس إليه الشيطان " (١) ومنه الواسوس كثرة حديث النفس بالشئ من غير تحصيل قال رؤبة:
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق (٢)
ثم اخبر تعالى انه أقرب إلى الانسان من حبل الوريد. قال ابن عباس ومجاهد: الوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق: من عن يمين وشمال، وكأنه العرق الذي يرد إليه ما ينصب من الرأس، فسبحان الله الخلاق العليم الذي أحسن الخلق والتدبير، وجعل حبل الوريد العاتق، وهو يتصل من الحلق إلى العاتق هذا العرق الممتد للانسان من ناحيتي حلقه إلى عاتقه، وهو الموضع الذي يقع الرداء عليه لأنه يطلق الرداء من موضعه. قال رؤبة:
كان وريديه رشاخلب
أي ليف. وقال الحسن: الوريد الوتين: وهو عرق معلق به القلب، فالله تعالى أقرب إلى المرء من قلبه. وقيل: المعنى ونحن أقرب إليه ممن كان بمنزلة حبل

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ١٢٠
(٢) مر في ٤ / ٣٩٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الوريد في القرب في أني أعلم به. وقيل: معناه أقرب إليه بما يدركه من حبل الوريد لو كان مدركا. وقيل: ونحن أملك به من حبل الوريد في الاستيلاء عليه، وذلك أن حبل الوريد في حيز غير حيزه. والله تعالى مدرك له بنفسه ومالك له بنفسه.

وقوله " إذ يتلقى المتلقيان " (إذ) متعلقة بقوله " ونحن أقرب إليه " حين يتلقى المتلقيان، يعني الملكين الموكلين بالانسان " عن اليمين وعن الشمال قعيد " أي عن يمينه وعن شماله. وإنما وحد " قعيد " لاحد وجهين:

أحدهما - إنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف (١)

أي نحن بما عندنا راضون، فتقدير الآية عن اليمين قعيد، وعن الشماء قعيد

الثاني - إنه يكون القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للاثنين والجمع كالرسول لأنه من صفات المبالغة، وفيه معنى المصدر، كأنه قيل: ذو المراقبة. وقال مجاهد: القعيد الرصيد. وقيل: عن اليمين ملك يكتب الحسنات، وعن الشمال ملك يكتب السيئات - في قول الحسن ومجاهد - وقال الحسن: حتى إذا مات طويت صحيفة عمله وقيل له يوم القيامة " إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٢) فقد عدل - والله - عليه من جعله حسيب نفسه. وقال الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملكان بالليل.

وقوله " ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد " أي لا يتكلم بشئ من القول إلا وعنده حافظ يحفظ عليه، فالرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الامر.

وقوله " وجاءت سكرة الموت بالحق " قيل في معناه قولان:

أحدهما - جاءت السكرة بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر إليه

---

(١) مر في ١ / ١٧٢، ٢٠٣، ٢٦٣ و ٥ / ٢٤٦، ٢٨٩ و ٨ / ٤٥٧

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ١٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والآخر - وجاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت. وروي ان أبا بكر وابن مسعود كانا يقرءان " وجاءت سكرة الحق بالموت " وهي قراءة أهل البيت عليهم السلام و (سكرة الموت) غمرة الموت التي تأخذه عند نزع روحه فيصير بمنزلة السكران.

وقوله " ذلك ما كنت منه تحيد " أي يقال له عند ذلك هذا الذي كنت منه تعرب وتروغ. وقوله " ونفخ في الصور " قيل فيه وجهان:

أحدهما - إنه جمع صورة ينفخ الله في الصور بأن يحييها يوم القيامة.

الثاني - ان الصور قرن ينفخ إسرافيل فيه النفخة الأولى فيموت الخلق، والنفخة الثانية فيحيون يوم القيامة، وهو يوم الوعيد الذي وعد الله أن يعاقب فيه من يكفر به ويعصى أمره، ويثيب من يؤمن به ويمتثل.

قوله تعالى:

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)
وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كل كفار
عنيد (٢٤) مناع للخير معتد مريب) (٢٥) خمس آيات.

يقول الله تعالى إن يوم الوعيد الذي بينه تجئ كل نفس من المكلفين " معها سائق " يسوقها " وشهيد " يشهد عليها، وهما ملكان أحدهما يسوقه ويحثه على السير، والآخر يشهد عليه بما يعلمه من حاله ويشاهده منه وكتبه عليه، فهو يشهد بذلك على ما بينه الله ودبره.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " لقد كنت في غفلة " أي يقال له " لقد كنت في غفلة " أي في سهو ونسيان " من هذا " اليوم، فالغفلة ذهاب المعنى عن النفس، وضده اليقظة.
وقوله " فكشفنا عنك غطاءك " أي أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الامر، وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى، والمراد به جميع المكلفين: برهم وفاجرهم، لان معارب الجميع ضرورية، وقوله " فبصرك اليوم جديد " معناه إن عينك حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة. وقيل: المعنى فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ليس يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو أو بالفقه. وقال الرماني: حديد مشتق من الحد، ومعناه منيع من الادخال في الشئ ما ليس منه والاخراج عنه ما هو منه، وذلك في صفة رؤيته للأشياء في الآخرة،
وقوله " وقال قرينه " قال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني الملك الشهيد عليه. وقال بعضهم: قرينه من الشياطين. والأول الوجه " هذا ما لدي عتيد " أي معد محفوظ " ألقيا في جهنم كل كفار عنيد " إنما قيل: ألقيا، لان المأمور به إلقاء كل كافر في النار اثنان من الملائكة. وقيل: يجوز أن يكون على لفظ الاثنين والمأمور واحد، لأنه بمنزلة إلقاء اثنين في شدته، كما قال الشاعر:
فان تزجراني يا بن عفان انزجر * وإن تدعاني احم عرضا ممنعا (١)
والأول أظهر، وحكى الزجاج عن بعض النحويين: ان العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين تقول: قوما، واقعدا، قال الحجاج: (يا حرسي إضربا عنقه) وإنما قالوا ذلك، لان أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمر به بلفظ الاثنين نحو، خليلي مرابي على أم جندب (٢)

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٦
(٢) قائله امرؤ القيس ديوانه ٢٧ القصيدة ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (١)
وقال المبرد هذا فعل مبني للتأكيد، كأنه قال: ألق ألق، والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد " مناع للخير " الذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه من الزكاة وغيرها، لأنه صفة ذم تعم منع الخير الذي يجب بذله. ويدخل فيه الأول على وجهه التبع " معتد " أي متجاوز للحق في قوله وفعله (مريب) أي آت من المنكر بما يشكك في أمره.
قوله تعالى:
(الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب
الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال
بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨)
ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٢٩) يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد) (٣٠) خمس آيات.
قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم (يوم يقول) بالياء بمعنى يقول الله تعالى (لجهنم) الباقون بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه و (يوم) متعلق بقوله (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وقيل: إنه متعلق بمحذوف بتقدير (إذكر) يا محمد يوم، وقوله (الذي جعل) موضعه الجر، لأنه من صفة (كفار عنيد مناع للخير معتد مريب.. الذي جعل مع الله إلها آخر) أي اتخذ مع الله معبودا آخر من الأصنام والأوثان، ووجه قرباته إليه. والجعل تكوين الشئ على

---

(١) قائله امرؤ القيس ديوانه ٤٣، قصيدة ٥٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

غير ما كان بقادر عليه فمن جعل مع الله إله آخر فقد صير ذلك الشئ على غير ما كان عليه باعتقاده انه إله آخر مع الله وذلك جعل منه عظيم وذهاب عن الصواب بعيد، فيقول الله للملكين الموكلين به يوم القيامة (ألقياه) أي الرحاه (في العذاب الشديد) والالقاء الرمي بالشئ إلى جهة السفل، وقولهم: ألقي عليه مسألة بمعنى طرحها عليه مشبه بذلك. واصل اللقاء المماسة، والالتقاء من هذا ففي الالقاء طلب مماسة الشئ الأرض بالرمي (قال قرينه ربنا ما أطغيته) قال ابن عباس: قرينه - ههنا - شيطانه. وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك. وسمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب، وهو غير قرينه الذي معه يشهد عليه، والقرين نظير الشئ من جهة مصيره بإزائه.

حكى الله عن شيطانه الذي أغواه انه يقول " ما أطغيته " فالاطغاء الاخراج إلى الطغيان، وهو تجاوز الحد في الفساد إطغاء وطغى يطغى طغيانا، فهو طاغ. والأول مطغى. وقال الحسن: ما أطغيته باستكراه، وهو من دعاه إلى الطغيان. والمعنى لم أجعله طاغيا " ولكن كان " هو بسوء اختياره " في ضلال " عن الايمان " بعيد " عن اتباعه. ومثله قوله " وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي " (١) فيقول الله تعالى لهم " لا تختصموا لدي " أي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت إليكم بالوعيد) في دار التكيف، فلم تنزجروا وخالفتم أمري (ما يبدل القول لدي) معناه إن الذي قدمته إليكم في الدنيا من أني أعاقب من جحدني وكذب برسلي وخالفني في أمري لا يبدل بغيره، ولا يكون خلافه (وما أنا بظلام للعبيد) أي لست بظالم لاحد في عقابي لمن استحقه بل هو الظلام لنفسه بارتكاب المعاصي التي استحق بها ذلك. وإنما قال: بظلام للعبيد على وجه المبالغة ردا لقول من أضاف جميع الظلم إليه - تعالى الله عن ذلك -.

---

(١) سورة ١٤ إبراهيم آية ٢٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (يوم نقول لجهنم) من قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله عن نفسه. ومن قرأ - بالياء - وهو نافع وأبو بكر، فعلى تقدير يقول الله لجهنم (هل امتلأت) من كثرة من ألقي فيك من العصاة (فتقول) جهنم (هل من مزيد) أي ما من مزيد؟ أي ليس يسعني أكثر من ذلك. وقال قوم: هذا خطاب من الله لخزنة جهنم على وجه التقريع والتقرير لهم هل امتلأت جهنم، فتقول الخزنة هل من مزيد؟ وقال قوم: وهو الأظهر إن الكلام خرج مخرج المثل أي ان جهنم من سعتها وعظمها في ما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد أي لم امتلئ اي في سعة كثرة، ومثله قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني * مهلا رويدا قد ملأت بطني (١)

والحوض لم يقل شيئا، وإنما أخبر عن امتلائها وانها لو كانت ممن تنطق لقالت قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني. وكذلك القول في الآية. وقال الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء: معنى هل من مزيد ما من مزيد، وانه بمعنى لا مزيد وأنكروا أن يكون طلبا للزيادة، لقوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (٢) وقال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين:

أحدهما - أن يكون ذلك حكاية عن الحال التي قبل دخول جميع أهل النار فيها ولم تمتلأ بعد وان امتلأت في ما بعد.

والآخر - أن يكون طلب الزيادة بشرط ان يزاد في سعتها. وقال قوم: هل من مزيد بمنزلة قول النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة وقد قيل له ألا تنزل دارك، فقال (وهل ترك لنا عقيل من ربع) لأنه كل قد باع دور بني هاشم لما خرجوا

---

(١) مر في ١ / ٤٣١ و ٨ / ٨٥، ٣٦٩، ٤٧١

(٢) سورة (١١) هود آية ١١٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إلى المدينة، وإنما أراد ان يقول: لم يترك لنا دارا. وقال انس بن مالك: هل من مزيد طلبا للزيادة. وقال مجاهد: هو بمعنى الكفاية.

قوله تعالى:

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون
لكل أواب حفيظ (٣٢) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد) (٣٥) خمس آيات.

لما حكى الله تعالى ما أعده للكافرين والعصاة من جهنم وعظم موضعها وسعتها أخبر عما أعده للمتقين المجتنبين لمعاصيه الفاعلين لطاعاته فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) والازلاف التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة، والزلفى. ويقولون: أزدلف إليه أي اقترب والمزدلفة قريب من الموقف. وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:

ناج طواه الأين مما وجفا * طي الليالي زلفا فزلفا
سماؤه الهلال حتى احقوقفا (١)

والجنة التي وعد الله المتقين بها هي البستان الذي يجمع من اللذة ارفع كل نوع في الزينة من الأبنية الفاخرة بالياقوت والزمرد وفاخر الجوهر، ومن الأنهار والأشجار وطيب الثمار ومن الأزواج الكرام والحور الحسان وكريم الخدم من الولدان الذين هم زينة لكل ناظر ومتعة لكل مبصر، قد أمن أهلها العلة وأنواع

---

(١) مر في ٦ / ٧٩ و ٨ / ٢٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأذى من فضول الأطعمة والأشربة، نسأل الله حسن الاستعداد لها بالعمل الصالح المقرب منها الموجب لرضوان مالكها.
وقوله (غير بعيد) أي ليس ببعيد مجئ ذلك، لان كل آت قريب،
ولذلك قال الحسن: كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل.
ثم قال (هذا ما توعدون) من قرأ بالتاء فعلى الخطاب أي هذا الذي
ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب (لكل أواب) أي رجاع إلى الله تائب إليه
(حفيظ) لما أمر الله به يتحفظ من الخروج إلى مالا يجوز من سيئة تدنسه أو
خطيئة تحط منه وتشينه. وقال ابن زيد: الأواب التواب، وهو من آب يؤب اوبا
إذا رجع.
وقوله (من خشي الرحمن بالغيب) فالخشية انزعاج القلب عند ذكر السيئة
وداعي الشهوة حتى يكون في أعظم حال من طلبه سبع يفترسه أو عدو يأتي على
نفسه أو طعام مسموم يدعى إلى اكله هذه خشية الرحمن التي تنفعه والتي دعا إليها
ربه ومعنى (بالغيب) أي في باطنه وسريرته (وجاء بقلب منيب) أي راجع
إلى الله من أناب ينيب إنابة، وموضع (من) يحتلم وجهين من الاعراب:
أحدهما - الجر على البدن من (كل) كأنه قيل لمن خشي.
والثاني - الرفع على الاستئناف كأنه قال (من خشي الرحمن بالغيب) يقال
لهم (ادخلوها بسلام) أي بأمان من كل مكروه ويحيون بذلك على وجه الاكرام.
وقوله (ذلك يوم الخلود) أي الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين
لا إلى غاية.
وقوله (لهم ما يشاؤن فيها) أي ما يريدونه ويشتهونه يجعل لهم فيها
(ولدينا مزيد) من نعم الله الذي يعطيهم زيادة على مقدار استحقاقهم بعملهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا
في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السماوات
والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) (٤٠) خمس آيات
قرأ (وإدبار) بكسر الألف ابن كثير ونافع وأهل الحجاز وحمزة على
المصدر من أدبر إدبارا، وتقديره وقت إدبار السجود. والمصادر تجعل ظرفا على
إرادة إضافة أسماء الزمان إليها وحذفها، كقولهم جئتك مقدم الحاج وخلوق
النجم ونحو ذلك يريدون في ذلك كله وقت كذا وكذا فحذفوه. الباقون بفتح الألف
على أنه جمع (دبر):
يقول الله تعالى مخبرا (وكم أهلكنا) ومعناه وكثيرا أهلكنا وذلك أن (كم) تكون
استفهاما تارة في معنى الخبر للتكثير وإنما خرجت عن الاستفهام إلى التكثير لتكون
نقيضة (رب) في التقليل وكانت أحق به، لأنها (اسم) مع احتمالها للتقليل، فأما رب في
الكلام، فهي حرف يجري مجرى حرف النفي، لان التقليل أقرب إلى النفي، وإنما وجب
ل (كم) صدر الكلام في الخبر إعلاما بأنها خرجت عن الاستفهام مع أنها نقيضة (رب)
التي
هي بمنزلة حروف النفي، ودخلت (من) على مفسر (كم) في الخبر بمنزلة عدد
يفسر بالمضاف كقولك عشر أثواب، وعشرة من الأثواب. فجاز حرف الإضافة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كما جازت الإضافة، وليس كذلك عشرون درهما، وجاز ان يفسر في الخبر بالواحد وبالجمع: والقرن المقدار من الزمان الذي يقترون بالبقاء فيه أهله على مجرى العادة. وقال قوم: هو مئة وعشرون سنة. وقيل: ثمانون سنة وقال آخرون: هو سبعون سنة. وقال قوم: أربعون سنة. وقيل ثلاثون سنة. وقيل: عشر سنين " هم أشد منهم بطشا " أي الذين أهلكناهم مثل هؤلاء الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر عدة كقوم عاد وغيرهم فلم يتعذر علينا ذلك، فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك.

وقوله (فنقبوا في البلاد) أي فتحوا مسالك في البلاد بشدة بطشهم فالتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك من نقض البنية، ومنه النقب الفتح الذي يصلح للمسلك وقد يفتح الله على العباد في الرزق بأن يوسع عليهم في رزقهم، ولا يصلح فيه النقب. وكل نقب فتح. وليس كل فتح نقبا، فالنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك. وقال مجاهد: نقبوا في البلاد أي ضربوا في الأرض ضرب جاعل المسالك بالنقب، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالآياب (١)

وقوله (هل من محيص) أي هل من محيد، وهو الذهاب في ناحية عن الامر للهرب منه، حاص يحيص حيصا فهو حايص مثل حاد يحيد حيدا فهو حايد والمعنى إن أولئك الكفار الذي وصفهم بشدة البطش لما نزل بهم عذاب الله لم يكن لهم مهرب ولا محيص عنه. وقيل هل من محيد من الموت، ومنجا من الهلاك. قال الزجاج: هؤلاء الكفار طوفوا في البلاد، فلم يجدوا مخلصا من الموت.

وقوله (إن في ذلك لذكرى) يعني في ما أخبرته وقصصته لك لذكرى أي

---

(١) ديوانه ٤٨ ومجاز القرآن ٢ / ٢٢٤ الشاهد ٨٣٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما يتفكر فيه ويعتبر به (لمن كان له قلب) قيل معنى القلب - ههنا - العقل من قولهم أين ذهب قلبك، وفلان ذاهب القلب، وفلان قلبه معه، وإنما قال (لمن كان له قلب) لان من لا يعيي الذكر لا يعتد بماله من القلب.

وقوله (أو القى السمع وهو شهيد) قال ابن عباس: معناه استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع، فهو شهيد لما يسمع ويفقهه غير غافل عنه، وهو قول مجاهد والضحاك وسفيان، يقال ألق إلي سمعك أي استمع. وقال قتادة: وهو شهيد على صفة النبي صلى الله عليه وآله في الكتب السالفة، وهذا في أهل الكتاب. والأول أظهر.

ثم أقسم الله تعالى فقال (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) وقد مضى تفسير مثله في غير موضع (١) (وما مسنا من لغوب) أي من نصب وتعب - في قول ابن عباس ومجاهد - واللغوب الاعياء. قال قتادة: أكذب الله تعالى بذلك اليهود، فإنهم قالوا: استراح الله يوم السبت، فهو عندهم يوم الراحة.

وقيل: إنما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام مع قدرته على أن يخلفهما في وقت، لان في ذلك لطفا للملائكة حين شاهدوه يظهر حالا بعد حال وقيل: لان في الخبر بذلك لطفا للمكلفين في ما بعد إذا تصوروا أن ذلك يوجد شيئا بعد شئ مع أدب النفس به في ترك الاستعجال إذا جرى في فعل الله لضروب من التدبير.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (فاصبر) يا محمد (على ما يقولون) من قولهم: هو ساحر، وكذاب، ومجنون، واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج (وسبح بحمد ربك) أي نزهه عما لا يليق به (قبل طلوع الشمس) صلاة الفجر (وقبل الغروب) صلاة العصر - في قول قتادة وابن زيد - (ومن الليل) يعني صلاة الليل يدخل

---

(١) انظر ٤ / ٤٥١ و ٥ / ٣٨٥، ٥١٧ و ٧ / ٥٠٠ و ٨ / ٢٩٣ و ٩ / ١٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيه صلاة المغرب والعتمة. وقال ابن زيد: هو صلاة العتمة (وأدبار السجود)
الركعتان بعد المغرب - في قول الحسن بن علي عليهما السلام ومجاهد والشعبي وإبراهيم.
وقال الحسن (وقبل الغروب) صلاة الظهر والعصر. وقال الركعتان بعد المغرب
تطوعا. وقيل: التسبيح بعد الصلاة - عن ابن عباس ومجاهد - وقيل: النوافل -
عن ابن زيد - وأصل التسبيح التنزيه لله عن كل ما لا يجوز في صفة، وسميت الصلاة
تسبيحا لما فيها من التسبيح، يقال: سبحان ربي العظيم، وروي أيضا أراد
ب (ادبار السجود) الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل طلوع
الفجر. وروي في الشواذ عن أبي عمر وأنه قرأ " فنقبوا " بتخفيف القاف، وهي لغة
في التشديد. ورجل نقاب أي حاذق فظن عالم كان ابن عباس نقابا، والنقبة الحرب
ونقب خف البعير إذا انتقب وقرئ على لفظ الامر وهو شاذ.
قوله تعالى:
(واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم
يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) إنا نحن نحيي
ونميت وإلينا المصير (٤٣) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا
ذلك حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت
عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (٤٥) خمس آيات.
قرأ ابن كثير (يوم تشقق) مشددة الشين على معنى تتشقق وحذف احدى
التائين: والتشقق التفطير. يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين
(واستمع) أي اصغ إلى النداء وتوقعه (يوم ينادي المنادي) فالنداء الدعاء بطريقة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يا فلان، وكأن الناس يدعون فيقال لهم: يا معشر الناس قوموا إلى الموقف للجزاء والحساب، وقيل: ينادي المنادي من الصخرة التي في بيت المقدس، فلذلك قال (من مكان قريب) فيقول: يا أيها العظام البالية قومي لفصل القضاء وما أعد من الجزاء - في قول قتادة - (من مكان قريب) أي يسمع الخلق كلهم على حد واحد، فلا يخفى على أحد لا قريب ولا بعيد

وقوله (يوم يسمعون الصيحة بالحق) فالصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد ونقيضها الخدة تقول صاح يصيح صياحا وصيحة، فهو صائح، وتصايح وتصايحوا في الامر تصايحا، وصيح تصييحا وصايحه مصايحة، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية للحشر إلى أرض الموقف (ذلك يوم الخروج).

وقوله (إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير) اخبار منه تعالى عن نفسه بأنه هو الذي يحيي الخلق بعد ان كانوا جمادا أمواتا. ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة وإلى الله يصيرون ويرجعون يوم القيامة (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) أي الينا المصير في اليوم الذي تشقق الأرض عن الأموات (سراعا) أي بسرعة لا تأخير فيها ثم قال (ذلك حشر علينا يسير) أي سهل علينا غير شاق. والحشر الجمع بالسوق من كل جهة.

ثم قال (نحن اعلم بما يقولون) يعني هؤلاء الكفار من جحدهم نبوتك وإنكارهم البعث والنشور، لا يخفى علينا من أمرهم شئ (وما أنت عليهم) يا محمد (بجبار) قال الحسن: ما أنت عليهم برب تجازيهم بأعمالهم. وإنما أنا المجازي لهم. وقيل: وما أنت عليهم بفظ في دعائهم إلى توحيد الله وإخلاص عبادته.

والجبار العالي السلطان بأنه قادر على اذلال جميع العصاة بحسب الاستحقاق وهذه الصفة لا تصح إلا لله تعالى وحده، فان وصف بها الانسان كان ذما، لأنه جعل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لنفسه من المقدرة ما ليس لها، وانشد الفضل:
عصينا حرمة الجبار حتى * صبحنا الخوف ألفا معلمينا (١)
وقيل (وما أنت بجبار) أي لا تتجبر عليهم، قال الفراء: يجوز أن يكون لا يجبرهم على الاسلام يقال: جبرته على الامر وأجبرته بمعنى واحد. وقال غيره: لم يسمع (فعال) من (أفعلت) إلا (دراك) من (أدركت) ويكون الجبار العالي السلطان على كل سلطان باستحقاق، ويكون العالي السلطان بادعاء.
ثم قال (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) إنما خص بالتذكير من يخاف وعيد الله، لأنه الذي ينتفع به وإن كان تذكيره متوجها إلى جميع المكلفين. قال الزجاج: إنما قال الله للنبي صلى الله عليه وآله ذلك قبل ان يأمره بالقتال.

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ١٠٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥١ - سورة الذاريات
مكية بلا خلاف. وهي ستون آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات
يسرا (٣) فالمقسمات أمرا (٤) إنما توعدون لصادق (٥) وإن
الدين لواقع (٦) والمساء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول
مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩) قتل الخراصون (١٠) الذين
هم في غمرة ساهون (١١) يسئلون أيان يوم الدين (١٢) يوم هم
على النار يفتنون (١٣) ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به
تستعجلون) (١٤) أربع عشر آية.
روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس (رحمة الله
عليه) ومجاهد ان (الذاريات) الرياح يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذروا،
وهي ذارية إذا طيرته وأذرت تذري إذراء بمعنى واحد وسأل ابن الكوا أمير
المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر (ما الذاريات ذروا) قال: الرياح، قال ما

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(الحاملات وقرا) فقال السحاب. فقال ما (الجاريات يسرا) قال السفن.
والمعنى إنها تجري سهلا، فقال ما (المقسمات أمرا) قال الملائكة. وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن، وهذا قسم من الله تعالى بهذه الأشياء. وقال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله. وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنه لا يجوز القسم إلا بالله. والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.
وقيل: الوجه في القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة في هبوبها تارة وسكونها أخرى، وذلك يقتضي مسكنا لها ومحركا لا يشبه الأجسام، وفي مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب وتذرية الطعام ما يقتضي مصرفا لها قادرا عليها، وما في عصوفها تارة ولينها أخرى ما يقتضي قاهرا لها ولكل شئ سواها.
والوجه في القسم بالحاملات وقرا، ما فيه من الآيات الدلالة على محمل حملها الماء وأمسكه من غير عماد واغاث بمطره العباد وأحيي البلاد وصرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاك، ولو انقطع أصلا، لا ضربهم جميعا. والوجه في القسم بالجاريات يسرا ما فيها من الدلائل وبتسخير البحر الملح والعذب بجريانها وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق ولو ركد لأهلك، وبما في هداية النفوس إلى تدبير مصالحها وما في عظم النفع بها في ما ينقل من بلد إلى بلد بها.
والوجه في القسم بالملائكة ما فيها من اللطف وعظم الفائدة وجلالة المنزلة بتقسيم الأمور بأمر الله تعالى من دفع الآفة عن ذا واسلام ذاك ومن كتب حسنات ذا وسيئات ذاك، ومن قبض روح ذا وتأخير ذاك. ومن الدعاء للمؤمنين ولعن الكافرين، ومن استدعائهم إلى طريق الهدى وطلب ما هو أولى بصد داعي الشيطان والهوى عدو الانسان.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (إن ما توعدون لصادق) جواب القسم. ومعناه إن الذي وعدتم
به من الثواب والعقاب والجنة والنار وعد صدق لابد من كونه (وإن الدين لواقع)
معناه إن الجزاء لكائن يوم القيامة، وهذا يفيد ان من استحق عقابا، فإنه يجازى
به ويدخل في ذلك كل مستحق للعقاب، كأنه قال: إن جميع الجزاء واقع بأهله
يوم القيامة في الآخرة. ثم استأنف قسما آخر فقال (والسماء ذات الحبك)
فالحبك الطرائق التي تجري على الشئ كالطرائق التي ترى في السماء. وترى في الماء
الصافي إذا مرت عليه الريح، وهو تكسر جار فيه. ويقال للشعر الجعد حبك
والوحد حبيك وحبيكة، والحبك أثر الصنعة في الشئ واستوائه، حبكه يحبكه ويحبكه
حبكا " والسماء ذات الحبك " أي ذات حسن الطرائق، وحبك الماء طرائقه
قال زهير:
مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لصافي مائه حبك (١)
وتحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته في وسطها، وذلك زينة لها، وحبك السيف
إذا قطع اللحم دون العظم وقال الحسن وسعيد بن جبير: ذات الحبك ذات
الزينة بالنجوم والصنعة وللطرائق الحسنة. وقيل: الحبك النسج الحسن، يقال:
ثوب محبوك. وقوله (إنكم لفي قول مختلف) معناه إنكم في الحق لفي قول
مختلف، لا يصح إلا واحد منه، وهو أمر النبي صلى الله عليه وآله وما دعا إليه، وهو تكذيب
فريق به وتصديق فريق. ودليل الحق ظاهر، وفائدته أن أحد الفريقين في هذا
الاختلاف مبطل، لأنه اختلاف تناقض فاطلبوا الحق منه بدليله وإلا هلكتم. وقوله
(يؤفك عنه من أفك) معناه يصرف عنه من صرف، ومنه قوله (أجئتنا
لتأفكنا عن آلهتنا) (٢) أي لتصرفنا، وتصدنا. وإنما قيل (يؤفك) عن الحق

---

(١) ديوانه ١٧٦ ومجاز القرآن ٢ / ٢٢٥ والقرطبي ١٧ / ٣٢
(٢) سورة ٤٦ الأحقاف آية ٢٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لأنه يمكن فيه ذلك من غيره، ولا يمكن من نفسه، لان الحق يدعو إلى نفسه ولا يصرف عنها إلى خلافه.

وقوله ((قتل الخراصون) معناه لعن الكذابون، ومثله (قتل الانسان ما أكفره) (١) والخراص الكذاب. وأصله الخرص وهو القطع من قولهم: خرص فلان كلامه واخترصه إذا افتراه، لأنه اقتطعه من غير أصل. والخرص جريد يشقق ويتخذ منه الحصر قال الشاعر:

ترى قصد المران فيهم كأنه * تذرع خرصان بأيدي شواطب (٢)

والخرص حلقة القرط المنقطعة عن ملاصقة الاذن، والخريص الخليج من من البحر، والخرص الخرز من العدد والكيل، ومنه خارص النخل، وهو خارزه وجمعه خراص. وقوله (الذين هم في غمرة ساهون) صفة للخراصين وموضعه رفع وتقديره في غمرة ساهون عن الحق كقوله (طبع الله على قلوبهم) (٣) والغمرة المرة من علو الشئ على ما هو فائض فيه، غمره الماء يغمره غمرا وغمرة، فهو غامر له، والانسان مغمور، ويقال: غمره الشغل وغمره الموت وغمره الحياء وغمره الجهل وأصل الغمرة من الغمر وهو السيد الكثير العطاء، لأنه يغمر بعطائه، والغمر الفرس الكثير الجري، لأنه يغمر بحرية، والغمر الذي لم يجرب الأمور والغمر الحقد والغمرة رائحة الزهومة في اليد، وغمار الناس مجتمعهم، وغمرة المرأة ما تطلى به من الطيب وغيره مما يحسن اللون. والغمر القدح الصغير، والغمر النبت الصغار، لأنه تغمره الكبار والمعنى ان هؤلاء الكفار لجهلهم بما يجب عليهم معرفته ساهون عما يلزمهم العلم به أي غافلون عن الحق متعامون عنه (يسألون أيان يوم الدين) يعني يسأل

---

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٧

(٢) مر في ٤ / ٢٦٩ مع اختلاف يسير

(٣) سورة ٩ التوبة آية ٩٤ وسورة ١٦ النحل آية ١٠٨ وسورة ٤٧ محمد آية ١٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هؤلاء الكفار الذين وصفهم بالجهل والغمرة: متى يوم الجزاء؟! على وجه الانكار لذلك لا على وجه الاستفادة لمعرفته، فأجيبوا بما يسوءهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل (يوم هم على النار يفتنون) أي يحرقون بالنار ويعذبون فيها وأصل الفتنة تخليص الذهب باحراق الغش الذي فيه، فهؤلاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب. ومنه قوله (وفتناك فتونا) (١) أي أخلصناك للحق، ورجل مفتون بالمرأة أي مخلص بحبها، وهي صفة ذم، (وفتناهم) أي اختبرناهم بما يطلب به خلاصهم للحق. وقيل: يفتنون أي يحرقون، كما يفتن الذهب في النار - في قول مجاهد والضحاك - وقوله (يوم هم) يصلح أن يكون في موضع رفع، لأنك أضفته إلى شيئين، ويصلح فيه النصب على الظرف والبناء، وكله على جواب (أيان) وقوله (ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون) معناه انه يقال للكفار الذين يعذبون بها هذا الذي كنتم به تستعجلون في دار التكليف استبعادا له، فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته.

قوله تعالى:

(إن المتقين في جنات وعيون (١٥) آخذين ما آتيهم ربهم
إنهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦) كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون (١٧) وبالأسحار هم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق
للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي
أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢)

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٤٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٢٣) تسع آيات.
قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (لحق مثل) بالرفع على أنه صفة للحق الباقون بالنصب، ويحتمل نصبه وجهين:
أحدهما - قول الجرمي أن يكون نصبا على الحال، كأنه قيل: حق مشبها لنطقكم في الثبوت.
الثاني - قال المازني إن (مثل) مبني، لأنه مبهم أضيف إلى مبني، كما قال الشاعر:
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * حمامة في غصون ذات أو قال (١)
وقال: فجعل (مثل) مع (ما) كالأمر الواحد، كما قال (لا ريب فيه) (٢)
وقولهم: خمسة عشر، فيكون على هذا (ما) زائدة وأضاف (مثل) إلى (إنكم تنطقون) فبناه على الفتح حين أضافه إلى المبني، ولو كان مضافا إلى معرب لم يجز البناء نحو: مثل زيد. وقيل: يجوز أن يكون نصبا على المصدر، وكأنه قال إنه لحق حقا كنطقكم.
لما حكى الله تعالى حكم الكفار وما أعده لهم أنواع العذاب، أخبر بما أعده للمؤمنين المطيعين الذين يتقون معاصي الله خوفا من عقابه، ويفعلون ما أوجبه عليهم فقال (إن المتقين في جنات وعيون) أي في بساتين تجنها الأشجار (وعيون) ماء تجري لهم في جنة الخلد، فهؤلاء ينعمون وأولئك يعذبون (آخذين ما آتاهم ربهم) من كرامته وثوابه بمعنى آخذين ما أعطاهم الله من ذلك ونصب (آخذين) على الحال (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) يفعلون الطاعات وينعمون على غيرهم

---

(١) مر في ٤ / ٤٧٩
(٢) سورة ٢ البقرة آية ١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بضروب الاحسان، ثم وصفهم فقال (كانوا) يعني المتقين الذين وعدهم بالجنات (قليلا من الليل ما يهجعون) في دار التكليف أي كان هجوعهم قليلا - في قول الزهري وإبراهيم - وقال الحسن: (ما) صلة وتقديره كانوا قليلا يهجعون، وقال قتادة: لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنه قيل هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة. وقال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا، ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون) وتكون (ما) بمعنى النفي والمعنى إنهم كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك. ولا يجوز أن تكون (ما) جحدا لأنه لا يقدم عليها معمولها. والهجوع النوم - في قول قتادة وابن عباس وإبراهيم والضحاك (وبالاسحار هم يستغفرون) أي يطلبون من الله المغفرة والستر لذنوبهم في قول الحسن وابن زيد - وقال مجاهد: معناه يصلون في السحر. وقوله (وفي أموالهم حق) وهو ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك أو ما التزموه من مكارم الأخلاق، فهو الذي رغب الله فيه بقوله (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) فالسائل هو الذي يسأل الناس، والمحروم هو المحارف - في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - وقال قتادة والزهري: المحروم هو المتعفف الذي لا يسأل. وقال إبراهيم: المحروم الذي لا سهم له في الغنيمة. وقيل: المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال أو إذهاب مال أو سقوط سهم أو خراب ضيعة إذا صار فقيرا من هذه الجهة. وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم. وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء، وقد يحرم نفسه بترك السؤال، فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال، وإنما حرمه الغير، وإذا لم يسأل فقد حرم نفسه وحرمه الناس.

وقوله (وفى الأرض آيات) أي دلالات واضحات وحجج نيرات (للموقنين)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الذين يتحققون بتوحيد الله، وإنما أضافها إلى الموقنين، لأنهم الذين نظروا فيها وحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض جبالها ونباتها ومعادنها وبحارها، ووقوفها بلا عمد لتصرف الخلق عليها.

وقوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) معناه وفى أنفسكم أفلا تتفكرون بأن تروها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفا فصرتم أحياء ثم كنتم أطفالا فصرتم شبابا، ثم صرتم كهولا وكنتم ضعفاء فصرتم أقوياء، فهلا دلكم ذلك على أن لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها يصرفها على ما تقتضيه الحكمة ويدبرها بحسب ما توجبه المصلحة. وقيل: المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه.

وقوله (وفي السماء رزقكم) ينزله الله إليكم بأن يرسل عليكم الغيث والمطر فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به (وما توعدون) به من العذاب ينزله الله عليكم إذا استحققتموه، وقال الضحاك: وفي السماء رزقكم يعني المطر الذي هو سبب كل خير وهو من الرزق الذي قسمه الله وكتبه للعبد في السماء. وقال مجاهد: وما توعدون يعني من خير أو شر، وقيل وما توعدون الجنة، لأنها في السماء الرابعة.

ثم قال تعالى (فو رب السماء والأرض) قسما منه تعالى (إنه لحق) ومعناه إن ما وعدتكم به من الثواب والعقاب والجنة والنار لابد من كونه " مثل ما تنطقون " أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون في ما تنطقون، فكذلك لا تشكوا في حصول ما وعدتكم به. وقيل الفرق بين قوله " حق مثل ما إنكم تنطقون " وبين ما تنطقون مثل الفرق بين أحق منطقك وبين أحق إنك تنطق أي أحق إنك ممن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ينطق، ولم يثبت له نطقا. والأول قد أثبته إلا أنه قال: أحق هو أم باطل، ذكره الفراء. ومعنى الآية أن هذا القرآن وأمر محمد صلى الله عليه وآله وما توعدون به من أرزاقكم
حق ككلامكم، كقول القائل: إنه لحق مثل ما أنت ههنا أي كما أنت ههنا. وقال الفراء: وإنما جمع بين (ما) و (إن) مع أنه يكتفى بأحدهما، كما يجمع بين اللائي والذين، وأحدهما يجزي عن الآخر قال الشاعر:
من النفر اللائي والذين إذا هم * يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا (١)
فجمع بين اللائي والذين، ولو أفرده ب (ما) لكان المنطق في نفسه حقا، ولم يرد ذلك، وإنما أراد أنه لحق كما حق أن الآدمي ناطق، ألا ترى ان قولك أحق منطقك معناه أحق هو أم كذب، وقولك أحق إنك تنطق معناه إن للانسان النطق لا لغيره، فأدخلت (أن) ليفرق بين المعنيين. قال وهذا أعجب الوجهين إلي
قوله تعالى:
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ
دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى
أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧)
فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨)
فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩)
قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) سبع آيات.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " هل أتاك " يا محمد " حديث ضيف إبراهيم

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المكرمين " قال الحسن: يعني المكرمين عند الله. وقيل: أكرمهم إبراهيم برفع مجالسهم في الاكرام والاعظام الذي يسر بالاحسان. والاجلال هو الاعظام بالاحسان، وكذلك يلزم اعظام الله وإجلاله في جميع صفاته، ولا يجوز مثل ذلك في الاكرام، ولكن الله يكرم أنبياءه والمؤمنين على طاعتهم.

وقوله " إذ دخلوا عليه " يعني حين دخلوا على إبراهيم " فقالوا " له " سلاما " على وجه التحية له أي اسلم سلاما " فقال " لهم جوابا عن ذلك " سلام " وقرئ سلم، فلما ارتاب عليه السلام بهم قال " قوم منكرون " أي أنتم قوم منكرون، والانكار بنفي صحة الامن ونقيضه الاقرار، ومثله الاعتراف. وإنما قال: منكرون، لأنه لم يكن يعرف مثلهم في أضيافه، وسماهم الله أضيافيا، لأنهم جاؤه في صفة الأضياف وعلى وجه مجيئهم. ومعنى (سلاما) أي اسلم سلاما، وقوله " قال سلام " أي سلام لنا. وقوله " فراغ إلى أهله " أي ذهب إليهم خفيا، فالروغ الذهاب في خفى، راغ يروغ روغا وروغانا، وراوغه مراوغة ورواغا، وأراغه على كذا إذا أراده عليه في خفى أنفا من رده. وقوله " فجاء بعجل سمين " فالعجل واحد البقر الصغير مأخوذ من تعجيل أمره بقرب ميلاده، وسمي عجولا وجمعه عجاجيل. وقال قتادة: كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه السلام البقر. والسمين الكثير الشحم على اللحم، سمن يسمن سمنا، وسمنه تسمينا وأسمنه إسمانا وتسمن تسمنا، ونقيض السمن الهزال. وقوله " فقربه إليهم " أي أدناه لهم وقدمه بين أيديهم وقال لهم: كلوه، فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم ف " قال ألا تأكلون " وفي الكلام حذف، لان تقديره فقدمه إليهم فأمسكوا عن الاكل فقال ألا تأكلون فلما امتنعوا من الاكل " أوجس منهم خيفة " أي خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوء، فالايجاس الاحساس بالشئ خفيا، أوجس يوجس إيجاسا وتوجس توجسا.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومنه قوله " فأوجس في نفسه خيفة موسى " (١) فقالت حينئذ له الملائكة " لا تخف " يا إبراهيم فانا رسل الله وملائكته أرسلنا الله إلى قوم لوط لنهلكهم. وقيل: إنهم دعوا الله فأحيا العجل له فعلم إبراهيم عند ذلك انهم من الملائكة عليهم السلام " وبشروه "

عند ذلك " بغلام عليم " أي يكون عالما إذا كبر وبلغ. قال مجاهد: المبشر به إسماعيل. وقال غيره: هو إسحاق، لأنه من سارة، وهذه القصة لها لا لهاجر، سمعت البشارة امرأته سارة " فأقبلت في صرة " يعني في صيحة - في قول ابن عباس ومجاهد وسفيان - وقال مجاهد وسفيان أيضا في رنة " فصكت وجهها " قال ابن عباس لطمت وجهها. وقال السدي: ضربت وجهها تعجبا، وهو قول مجاهد وسفيان، فالصك الضرب باعتماد شديد " وقالت عجوز عقيم " فالتقدير أنا عجوز عقيم كيف ألد؟! والعقيم الممتنعة من الولادة لكبر أو آفة. وقال الحسن: العقيم العاقر. وأصل العقم الشدة مما جاء في الحديث (يعقم أصلاب المشركين) أي يشد، فلا يستطيعون السجود، وداء مقام إذا أعيا، أي اشتد حتى أيأس ان يبرأ، ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها إلى بعض، والعقم والعقمة ثياب معلمة أي شدت بها الاعلام، وعقمت المرأة، فهي معقومة وعقيم، وقالوا عقمت أيضا ورجل عقيم مثل المرأة من قوم عقيمين والريح العقيم التي لا تنشئ السحاب للمطر، والملك عقيم يقطع الولاء لان الابن يقتل أباه على الملك، فقالت الملائكة عند ذلك لها " كذلك " أي مثل ما بشرناك به " قال ربك " ما بشرناك به فلا تشك فيه " إنه هو الحكيم " في أفعاله " العليم " بخفايا الأمور لا يخفى عليه خافية والمعنى كما أن إخبارنا وبشارتنا لاشك فيه، كذلك قال الله ما بشرناك به.

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٦٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا
إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند
ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥)
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية
للذين يخافون العذاب الأليم) (٣٧) سبع آيات.
لما سمع إبراهيم عليه السلام بشرى الملائكة له بالغلام العليم، وعلم أنهم ليسوا ببشر ولا أضياف " قال " لهم " فما خطبكم أيها المرسلون " أي ما شأنكم. والخطب هو الامر الجليل، فكأنه قال قد بعثتم لامر جليل، فما هو؟ ومنه الخطبة، لأنها كلام بليغ لعقد أمر جليل تستفتح بالتحميد والتمجيد. والخطاب أجل من الابلاغ.
وقوله " أيها " لا يثنى ولا يجمع لأنه مبهم يقتضي البيان عنه ما بعده من غير أن يلزم ما قبله، كما يلزم (الذي وهذا) كقولك مررت بالرجلين هذين، فتبعه في تثنيته، كما تبعه في اعرابه.
فأجابته الملائكة فقالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين " عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العقاب والهلاك " لنرسل عليهم حجارة من طين مسمومة عند ربك للمسرفين " فالمسرف المكثر من المعاصي، وهو صفة ذم، لأنه خروج عن الحق. ونقيض الاسراف الاقتار، وهو التقصير عن بلوغ الحق. وليس في الاكثار من طاعة الله سرف، ولا في نعمه اقتار، لأنه سائغ على مقتضى الحكمة، وإرسال الرسول إطلاقه بالامر إلى المصير إلى من أرسل إليه، فالملائكة أمروا بالمصير إلى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوم لوط لاهلاكهم وإرسال الحجارة إطلاقها. وليست برسل ولكن مرسلة.
والمسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة، لان التسويم كالسيماء في أنه يرجع إلى العلامة الظاهرة من قولهم: عليه سيماء الخير. ومنه قوله " يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين " والمجرم القاطع للواجب بالباطل، فهؤلاء أجرموا بقطع الايمان بالكفر. وأصل الصفة القطع. وقال ابن عباس: التسويم نقطة في الحجر الأسود بيضاء، أو نقطة سوداء في الحجر الأبيض. وقيل: كان عليها أمثال الخواتيم وقوله " حجارة من طين " أي أصلها الطين لا حجارة البرد التي أصلها الماء.
والمسومة هي المعلمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنها مما ينبغي أن يرمى بها الكفرة عند أمر الله بذلك. وقيل: حجارة من طين كأنها آجر - في قول ابن عباس - وقال الحسن: مسومة بأنها من حجارة العذاب. وقيل: مسومة بأن جعل على كل حجر اسم من يهلك به.
وقوله " فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين " أي أخرجنا من كان في قرية لوط من المؤمنين، نحو لوط وأهله وخلصناهم من العذاب والاهلاك. وقوله " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " يدل على أن الاسلام هو الايمان والايمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به. والاسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله وألزمه. والمسلم هو المخلص لعمل الفرض على ما أمر الله به، لان صفة (مسلم) كصفة مؤمن في أنها مدح. والبيت الذي وجده في تلك القرية من المؤمنين هم أتباع لوط ووجدان الضالة هو إدراكها بعد طلبها، ووجدت الموجدة إدراك ما يوجب العتاب والأئمة في القلب، ووجدت المال أجده أدركت ملكا لي كثيرا، ووجدت زيدا الصالح بمعنى علمته، ووجدت الضالة وجدانا. والبيت هو البناء المهيأ للايواء إليه والمبيت فيه.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " وتركنا فيها آية " فالترك في الأصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه، والقدرة عليه قدرة على الاخذ. والمعنى في الآية أبقينا فيها آية، ومثله قوله " وتركهم في ظلمات " (١) بمعنى لم ينفها مع أنه قادر على نفيها، وفلان ترك السوق أي قطعها بأن صار لا يمضي إليها. ومعنى " تركنا فيها آية " بمنزلة ما فعل ضد ما تنافيه الآية. وقيل: إن الآية اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى وقوله " للذين يخافون العذاب الأليم " إنما خص الخائفين من العذاب الأليم بالآية لأنهم الذين يعتبرون بها وينتفعون بها.

قوله تعالى:

(وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨)
فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح
العقيم (٤١) ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)
وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما
كانوا منتصرين) (٤٥) ثمان آيات.

قرأ الكسائي " الصعقة " الباقون " الصاعقة "، فالصعقة مصدر صعق يصعق صعقا وصعقة واحدة. والصاعقة الاسم تقول: صاقعة وصاعقة مقدما ومؤخرا،

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وصواعق وصواقع، وقيل: هما لغتان.
قوله " وفي موسى " عطف على قوله " وتركنا فيها آية " فكأنه قال:
وتركنا في موسى آية حين أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة
" فتولى بركنه " قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: معناه بقوته. وقيل: معناه تولى
بما كان يتقوى به من جنده وملكه. والركن الجانب الذي يعتمد عليه. والمعنى
ان فرعون أعرض عن حجة موسى ولم ينظر فيها بقوته في نفسه " وقال ساحر "
أي هو ساحر " أو مجنون " فالسحر حيلة توهم المعجزة بحال خفية. واصله خفاء
الامر فمنه السحر الوقت الذي يخفى فيه الشخص. والسحر الرئة لخفاء سببها في
الترويح عن القلب بها. والسحارة لخفاء السبب في تلون خيطها. والمجنون الذي
أصابته جنة فذهب عقله. وقال الزجاج (أو) ههنا بمعنى الواو، والتقدير ساحر
ومجنون. وقال غيره: في ذلك دلالة على عظم جهل فرعون، لان الساحر هو
اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل، فكيف يوسف شخص واحد
بهاتين الصفتين فقال الله تعالى مخبرا عن نفسه " فأخذناه وجنوده فنبذناه " يعني
إنا نبذنا فرعون وجنوده " في اليم " أي طرحناه في البحر كما يلقى الشئ في البر
" وهو مليم " أي آت بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتو والتجبر والتكبر
واحد. والملوم الذي وقع به اللوم، والمليم الذي أتى بما يلام عليه.
وقوله " وفي عاد " عطف أيضا على قوله " وتركنا فيها " أي وتركنا في
عاد أيضا آية أي دلالة فيها عظة " إذ أرسلنا " أي أطلقنا " عليهم الريح العقيم "
وهي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجرة أو تذرية طعام
أو نفع حيوان، فهي كالممنوعة من الولادة. وجمع الريح أرواح ورياح، ومنه راح
الرجل إلى منزله أي رجع كالريح، والراحة قطع العمل المتعب. وقال ابن عباس:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الريح العقيم التي لا تلقح الشجر ولا تنشئ السحاب. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه
قال (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور).
وقوله " ما تذر من شئ أتت عليه " أي لم تترك هذه الريح شيئا تمر عليه
" إلا جعلته كالرميم " وهو السحيق الذي انتفى رمه بانتفاء ملاءمة بعضه لبعض،
وأما رمه يرمه رما فهو رام له والشئ مرموم فهو المصلح بملاءمة بعضه لبعض،
وهو أصل الرميم الذي رمه بنقصه. وقيل: الرميم الذي ديس من يابس النبات.
وقيل: الرميم العظم البالي المنسحق.
وقوله " وفي ثمود إذ قيل لهم " أيضا عطف على قوله " وتركنا فيها آية..
وفي ثمود " وهم قوم صالح لما كفروا وجحدوا نبوة صالح وعقروا ناقة الله واستحقوا
الاهلاك " قيل لهم تمتعوا حتى حين " أي انتفعوا في أسباب اللذات من المناظر
الحسنة والروائح الطيبة والاصواب السجية وكل ما فيه منفعة على هذه الصفة " حتى
حين " أي إلى حين قدر الله ابقاءكم إليه. وقيل: إلى حين آجالكم إن أطعتم
الله - في قول الحسن - " فعتوا عن أمر ربهم " فالعتو الامتناع عن الحق، وهو
الجفاء عنه ترفعا عن اتباع الداعي إليه " فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون " أي ارسل
الله إليهم الصاعقة التي أهلكتهم وأحرقتهم وهم يبصرونها " فما استطاعوا من قيام "
أي لم يقدروا على النهوض به " وما كانوا منتصرين " أي طالبين ناصرا يمنعهم من
عذاب الله - عز وجل - وقرأ الكسائي " الصعقة " بغير الف. وقد بيناه.
قوله تعالى:
(وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها
فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠)
ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١) كذلك
ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)
أتوا صوابه بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) (٥٥) عشر آيات.
قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي " وقوم نوح " جرا عطفا على قوله " وفي عاد " وتقديره وفي قوم نوح آية. الباقون بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح، ويحتمل أن يكون على تقدير فأخذت صاعقة العذاب قوم نوح، إذ العرب تسمى كل عذاب مهلك صاقعة. الثالث على تقدير: واذكر قوم نوح، كقوله " وإبراهيم الذي وفي " (١) والقوم الجماعة الذين من شأنهم أن يقوموا بالامر، واضافتهم إليه تقتضي انه منهم في النسب. ولم يفرد ل (قوم) واحد. ثم بين لما أهلكهم فقال " إنهم كانوا قوما فاسقين " خارجين من طاعة الله - عز وجل - إلى الكفر بالله فاستحقوا لذلك الاهلاك.
وقوله " والسماء بنيناها بأيد " معناه بقوة - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد - والأيدي القوة، ووجه اتصال قوله " والسماء بنيناها بأيد " بما قبله

---

(١) سورة ٥٣ النجم آية ٣٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وهو ان في قوم نوح آية وفي السماء أيضا آية فهو متصل به في المعنى.
وقوله " وإنا لموسعون " قيل في معناه ثلاثة أقوال:
أحدها - قال الحسن: التوسعة في الرزق بالمطر. الثاني - قال ابن زيد: بقوة وإنا لموسعون السماء. الثالث - انا لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء. والاتساع الاكثار من إذهاب الشئ في الجهات بما يمكن أن يكون أكثر مما في غيره يقال أوسع يوسع ايساعا، فهو موسع. والله تعالى قد أوسع السماء بما لا بناء أوسع منه وايساع الرحمة هو الاكثار منها بما يعم.
وقوله " والأرض فرشناها " عطف على قوله " والسماء بنيناها " وتقديره وبنينا السماء بنيناها وفرشنا الأرض فرشناها أي بسطناها " فنعم الماهدون " والماهد الموطئ للشئ المهئ لما يصلح الاستقرار عليه، مهد يمهد مهدا، فهو ماهد، ومهد تمهيدا، مثل وطأ توطئة.
وقوله " ومن كل شئ خلقنا زوجين " معناه خلقنا من كل شئ اثنين مثل الليل والنهار، والشمس والقمر والأرض والسماء، والجن والانس - في قول الحسن ومجاهد - وقال ابن زيد " خلقنا زوجين " الذكر والأنثى. وفى ذلك تذكير بالعبرة في تصريف الخلق والنعمة في المنفعة والمصلحة " لعلكم تذكرون " معناه لتتذكروا وتفكروا فيه وتعتبروا به.
وقوله " ففروا إلى الله " أي فاهربوا إلى الله من عقابه إلى رحمته باخلاص العبادة له. وقيل: معناه ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به " اني لكم منه نذير " مخوف من عقابه " مبين " عما أوجب عليكم من طاعته.
ثم نهاهم فقال " ولا تجعلوا مع الله الها آخر " أي لا تعبدوا معه معبودا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آخر من الأصنام والأوثان " اني لكم منه نذير مبين " أي من الله مخوف من عقابه مظهر ما أوجب عليكم وأمركم به. وقيل: الوجه في تكرار (اني لكم منه نذير مبين) هو ان الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره اني لكم منه نذير مبين في الامتناع من جعل اله آخر معه، وتقدير الأول اني لكم منه نذير مبين في ترك الفرار إليه بطاعته فهو كقولك: أنذرك أن تكفر بالله أنذرك ان تتعرض لسخط الله، ويجوز أن يقول الله ولا تجعلوا مع الله قديما آخر، كما قال (ولا تجعلوا مع الله إلها) لان جعلهم ذلك باعتقادهم إلها معه أو اظهارهم انه مذهب لهم. ولا يجوز ان يقول: لا تكونوا قدماء مع الله لأنه نهي عما لا يمكن، وهو محال، وكذلك لا يجوز ان يقول لا تصيروا قدماء ولا آلهة، لأنه محال.
والنذير هو المخبر بما يحذر منه ويصرف عنه وهو يقتضي المبالغة. والمنذر صفة جارية على الفعل تقول: انذر ينذر انذارا، فهو منذر، ونذره أي علم به واستعد له والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل.
ثم قال مثل ما أتى هؤلاء الكفار نبي فكذبوه (كذلك ما أتى الذين من قبلهم) من الأمم (رسول إلا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) فالساحر هو الذي يحتال بالحيل اللطيفة. والمجنون الذي به جنون. وإنما قال الجهال ذلك في الرسل لان الاقدام عندهم على إنكار عبادة الأوثان لا يكفي فيه الشبهة دون الجنة، فالمجنون المغطى على عقله بمالا يتوجه للادراك به، فكذلك شبه حال قريش في التكذيب بحال. الأمم حتى قالوا: سحر أو مجنون. وإنما جاز منهم الاتفاق على تكذيب الرسل من غير تواص ولا تلاق، لان الشبهة الداعية إليه واحدة.
وقوله (اتواصوا) فالتواصي هو إيصاء بعض القوم إلى بعض بوصية، والوصية التقدمة في الامر بالأشياء المهمة مع النهي عن المخالفة، كالوصية بقضاء الدين ورد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الوديعة والحج والصدقة وغير ذلك، فكأن هؤلاء الجهال قد تواصوا بعبادة الأوثان بما هم عليه من الملازمة وشدة المحافظة وصورة الكلام صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ.

وقوله (بل هم قوم طاغون) معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون طغوا في معصية الله وخرجوا عن الحد.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله (فتول عنهم) أي اعرض عنهم يا محمد - في قول مجاهد - (فما أنت بملوم) في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه، وليس المراد أعرض عن تذكيرهم ووعظهم، وإنما أراد أعرض عن مكافأتهم ومقابلتهم ومباراتهم وما أنت في ذلك بملوم (وذكر) بالموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) الذين يتعظون بمواعظ الله ويستدلون بآياته. قال حسين بن صمصم.

أما بنو عبس فان هجينهم * ولى فوارسه وافلت اعورا (١)

قوله تعالى:

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) (٦٠) خمس آيات.

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٢٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هذا اخبار من الله تعالى أنه لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته، فإذا عبدوه استحقوا الثواب، واللام لام الغرض ولا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأن كثيرا من الخلق لا يعبدون الله. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين: بأن الله خلق كثيرا من خلقه للكفر به والضلال عن دينه وخلقهم ليعاقبهم بالنيران، لأنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى تناقض، ولا اختلاف وقوله (ولقد ذرأنا لجهنم) (١) قد بينا في ما مضى أن اللام لام العاقبة. والمعنى إنه خلق الخلق كلهم لعبادته وتصير عاقبة كثير منهم إلى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله وارتكاب معاصيه.

فان قيل: أليس قد خلق الله كثيرا من خلقه لطفا لغيرهم، فكيف يكون خلقهم لعبادته؟!.

قلنا: ما خلقه الله تعالى على ضربين: مكلف، وغير مكلف، فما ليس بمكلف خلقه للطف المكلفين، جمادا كان أو حيوانا. وما هو مكلف خلقه لعبادته وإن كان في خلقه أيضا لطف للغير، وكأنه يكون خلقه للامرين ويكون بمنزلة ما خلقته إلا ليعبد مع عبادة غيره لان عبادة غيره مما هو غرض في خلقه، ولولا ذلك لم يكن في خلق النبي عليه لطف لغيره، فالتقدير ما خلقته إلا لعبادته مع عبادة غيره به، وهو بمنزلة قول القائل ما أدبت ولدي إلا ليصلح جميعهم أي بتأديبي له مع تأديب غيره الذي يدعوه إلى خلافه، وليس المعنى ما خلقت كل مكلف إلا ليعبد هو فقط.

وفى الآية دلالة على أنه تعالى لا يريد المباح، لأنه ليس من العبادة.

وقوله (ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون) معناه نفي الايهام عن خلقهم لعبادته أن يكون ذلك لفائدة تقع وتعود عليه تعالى، فبين انه لفائدة

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٧٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

النفع العائد على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه ودفع المضار، لأنه غني بنفسه لا يحتاج إلى غيره، وكل الناس محتاجون إليه. ومن زعم أن التأويل ما أريد ان يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم، فقد ترك الظاهر من غير ضرورة. وقال ابن عباس: معنى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الا ليتقربوا لي بالعبودية طوعا وكرها.

ثم بين تعالى انه - عز وجل - هو الرزاق لعباده فقال (ان الله هو الرزاق) والخلق له يرزقونه (ذو القوة) صاحب القدرة (المتين) ومعناه انه القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف، لأنه ليس بقادر بقدرة، بل هو قادر لنفسه، ولأنه ليس بجسم، والجسم هو الذي يحلقه ضعف. ومن خفض (المتين) - وهو يحيى ابن وثاب - جعله صفة للقوة، وذكره لأنه ذهب إلى الحبل والشئ المفتون يريد القوة، قال الشاعر:

لكل دهر قد لبست أثوبا * من ريطة واليمنية المعصبا (١)

فذكر لان اليمنية ضرب من الثياب وصنف منها، ومن فسر (المتين) بالشديد فقد غلط، لان الشديد هو الملتف بما يصعب معه تفكيكه. ووصف القوة بأنها أشد يؤذن بالمجاز، وانه بمعنى أعظم.

ثم اخبر تعالى بأن (للذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ذنوبا) أي نصيبا وأصله الدلو الممتلئ ماء، كما قال الراجز:

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب (٢)

وقال علقمة:

---

(١) اللسان (ثوب) وتفسير القرطبي ١٧ / ٥٧

(٢) مر في ٢ / ٤٠٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاش من نداك ذنوب (١)
أي نصيب، وإنما قيل الدلو: ذنوب، لأنها في طرف الحبل، كأنها في الذنب. وقيل: معناه لهم بلاء وويل. والذنوب الدلو العظيمة يؤنث ويذكر، وقوله (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب أصحابهم من الكفار الذين تقدموهم (فلا تستعجلون) قل لهم لا تستعجلون بانزال العذاب عليهم، فإنهم لا يفوتون.
ثم قال (فويل للذين كفروا) وحدانيتي وجحدوا نبوة رسولي (من يومهم الذي يوعدون) فيه بانزال العذاب بالعصاة وهو يوم القيامة، والويل كلمه تقولها العرب لكل من وقع في مهلكة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٢ - سورة الطور
مكية بلا خلاف وهي تسع وأربعون آية في الكوفي، وثمان في البصري، وسبع في المدنيين.
بسم الله الرحمن الرحيم
(والطور (١) وكتاب مسطور (٢) في رق منشور (٣)
والبيت المعمور (٤) والسقف المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦)
إن عذاب ربك لواقع (٧) ما له من دافع) (٨).
سبع آيات حجازي وثمان في ما عداه، عد الكوفيون والشاميون (والطور) ولم يعده الحجازيون.
الوجه في القسم بالطور هو ما قدمناه في قوله (والذاريات) وغير ذلك، وهو أن الله تعالى له أن يقسم بما يشاء من خلقه، وليس للعباد ان يقسموا إلا به. وقيل: الطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى. وقال مجاهد: الطور جبل. وقال المبرد: يقال لكل جبل طور. فإذا أدخلت عليه الألف واللام كان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معرفة لشئ بعينه. ومنه قوله (ورفعنا فوقهم الطور) (١) وقيل: إنه سرياني (وكتاب مسطور) أي مكتوب - في قول قتادة والضحاك - قال رؤية:

إني واسطار سطرن سطرا (٢)

وقيل: الكتاب المسطور: هو الذي كتبه الله على خلقه من الملائكة في السماء يقرؤن فيه ما كان ويكون. وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، وهو الرق المنشور. وقال الفراء: الكتاب المسطور صحائف الاعمال فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله. والسطر ترتيب الحروف. والمسطور المرتب الحروف على وجه مخصوص، سطرته أسطره سطرا، فأنا ساطر وذلك مسطور (في رق منشور) فالرق جلد رقيق يصلح للكتابة. وقال أبو عبيدة: الرق هو الورق. وقيل: إنما ذكر الرق، لأنه من أحسن ما يكتب عليه، فذكر لهذه العلة، فإذا كتبت الحكمة في ما هو على هذه الصفة كان أبهى وأولى. والمنشور المبسوط. وإنما قيل: منشور، لأنه أبهى في العيون.

وقوله (والبيت المعمور) قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة. وروي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد. قال علي عليه السلام يدخل كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون فيه. وقال الحسن البيت المعمور: البيت الحرام. وقال أمير المؤمنين عليه السلام ومجاهد وقتادة وابن زيد (السقف المرفوع) هو السماء. وقوله (والبحر المسجور) فالبحر المجري الواسع العظيم من مجاري الماء، واصله الاتساع. والبحيرة الناقة التي يوسع شق أذنها وتخلى في المرع. وتبحر فلان في العلم إذا اتسع فيه، والمسجور المملوء. ومنه سجرت التنور إذا ملأته نارا. وعين سجرا ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦٣، ٩٣

(٢) مر في ٤ / ١١٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مما هو لها كسجار التنور. وقال مجاهد وابن زيد: البحر المسجور الموقد. وقال قتادة: هو المملوء قال لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا * مسجورة متجاوز أقدامها (١)

وروي في الحديث ان البحر يسجر، فيكون نارا في جهنم.

وقوله (إن عذاب ربك لواقع) جواب القسم، أقسم الله تعالى بالأشياء التي تقدم ذكرها ليتحقق عند العباد أن عذابه واقع لا محالة لمن وافى على الصفة التي يستحق بها العقوبة، وأن لا يطمع أن ينفعه سؤال حميم أو قريب منه قال النمر ابن تولب العكلي: شاهدا في المسجور:

إذا شاء طالع مسجورة * ترى حولها النبع والسما سما (٢)

وإنما هي بقعة مملوة شجرا.

قوله تعالى:

(يوم تمور السماء مورا (٩) وتسير الجبال سيرا (١٠) فويل يومئذ للمكذبين (١١) الذين هم في خوض يلعبون (١٢) يوم يدعون إلى نار جهنم دعا (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤) أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (١٥) اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون) (١٦).

ثمان آيات كوفي وشامي، وسبع في ما عداهما، عد الكوفيون والشاميون

---

(١) مر في ٧ / ١١٨

(٢) تفسير القرطبي ١٧ / ٦١ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(دعا) ولم يعده الباقون.
قوله (يوم تمور السماء مورا) يعني يوم القيامة، وهو متعلق بقوله (إن عذاب ربك لواقع.. يوم تمور السماء مورا) والمور تردد الشئ بالذهاب والمجيئ كما يتردد الدخان ثم يضمحل، مار يمور مورا فهو مائر. وقيل: يمور مورا بمعنى يدور دورا - في قول مجاهد - وقال الضحاك: معناه يموج موجا قال الأعشى انشده أبو عبيدة:

كان مشيتها من بيت جارتها * مور السحابة لا ريث ولا عجل (١)

ورواه غيره مر السحابة (وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين) الذين ينكرون اخبار الله تعالى فهؤلاء الجهال أنكروا ما اخبر به الأنبياء بأن نسبوه إلى الكذب (الذين هم في خوض يلعبون) فالخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في الامر بالقول، يقال خاض يخوض خوضا، فهو خائض. وخوضه في الشراب تخويضا، ومنه المخوض. واللعب طلب الفرح بمثل حال الصبي في انتفاء العمل على مقتضى العقل، لعب لعبا فهو لاعب، ودخلت الفاء في (فويل) لما فيه من معنى الجزاء، لان تقديره إذا كان كذا وكذا فويل، ومعنى الآية إني سأعلمهم بكفرهم وتصير عاقبتهم العذاب.
وقوله (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) معناه يوم يدعون إلى نار جهنم للعذاب فيها، دعه يدعه دعا إذا دفعه. ومثله صكه يصكه صكا، والداع الدافع وقيل: الدع الدفع بانزعاج وإرهاق - في قول قتادة والضحاك -.
وقوله (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم على وجه التوبيخ: هذه النار التي كنتم تكذبون بها في دار التكليف حين جحدتم الثواب والعقاب

---

(١) ديوان الأعشى ١٤٤ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والنشور. ويقال لهم على وجه الانكار عليهم (أفسحر هذا) قد غطى على ابصاركم (أم أنتم لا تبصرون) ثم يقال لهم (اصلوها) يعني النار (فاصبروا أو لا تصبروا) سواء عليكم) كونكم في العقاب صبرتم أو لم تصبروا، فإنه لا يحيف عليكم (إنما تجزون ما كنتم) أي جزاء ما كنتم (تعملون) في الدنيا من المعاصي والصلي لزوم النار المعذب بها صلى يصلي صليا، ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها، ومنه:

صلى على دنها وارتسم (١)

أي لزم، والمصلي الذي يجئ في اثر السابق على لزوم أثره والأصل لزوم الشئ، والصبر حبس النفس على الامر بالعمل فكأنه قال: احبسوا أنفسكم على النار لتعاملوا بالحق أو لا تحبسوا سواء عليكم في أن الجزاء لا محالة واقع بكم ولا حق لكم. والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه في العقل من خير أو شر. والسواء والاستواء والاعتدال بمعنى واحد. والاستواء امتناع كل واحد من المقدارين من أن يكون زائدا على الآخر أو ناقصا عنه، فالصبر وترك الصبر لا ينفع واحد منهما في رفع العذاب عن أهل النار.

قوله تعالى:

(إن المتقين في جنات ونعيم (١٧) فاكهين بما آتيهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم (١٨) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (١٩) متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) (٢٠) أربع آيات بلا خلاف.

---

(١) مر في ١ / ٥٦، ١٩٣ و ٢ / ٤١ و ٥ / ٣٢٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لما اخبر الله تعالى عن حال الكفار وما أعد لهم من أليم العقاب، اخبر أيضا بما أعده للمؤمنين المتقين من أنواع الثواب فقال (إن المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله خوفا من عقابه (في جنات) أي بساتين تجنها الأشجار (ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم) أي؟؟ بما أعطاهم ربهم من أنواع النعم وقال الزجاج: معنى (فاكهين) معجبين بما آتاهم. وقال الفراء: مثل ذلك (وقاهم ربهم) أي منع عنهم عذاب الجحيم. والفاكه الكثير الفاكهة، كقولهم لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر. والفكه المسرور بأحواله كسرور آكل الفاكهة بفاكهته.

وقوله (متكئين على سرر مصفوقة) قيل متكئين على النمارق وهي الوسائد إلا أنه حذف ذكرها. والمعنى (عليه)، لأنه أصل الاتكاء، وتقديره متكئين على النمارق الموضوعة على السرر، وهو جمع سرير. وقوله (مصفوقة) أي مصطفة.

وقوله (وزوجناهم بحور عين) فالحور البيض النقيات البياض في حسن وكمال، والعين الواسعة الأعين في صفاء وبهاء، والمعنى قرنا هؤلاء المتقين بالحور العين على وجه التنعيم لهم والتمتيع.

قوله تعالى:

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم
ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب
رهين (٢١) وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون
فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان
لهم كأنهم لؤلؤ مكنون (٢٤) وأقبل بعضهم على بعض

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يتساءلون) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وأهل الكوفة (واتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على واحدة
(بهم ذريتهم) على واحدة أيضا. وقرأ نافع (واتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على
واحدة (بهم ذرياتهم) على الجمع. وقرأ ابن عامر (واتبعتهم ذرياتهم) بالتاء على الجمع
(بهم ذرياتهم) جماعة أيضا. وقرأ أبو عمرو (أتبعناهم) بالنون (ذرياتهم)
جماعة (ألحقنا بهم ذرياتهم) جماعة أيضا. وقرأ ابن كثير وحده (وما ألتناهم)
بفتح الألف وكسر اللام. الباقون - بفتح الألف واللام - وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
(لا لغوا فيها ولا تأثيم) نصبا. الباقون بالرفع والتنوين. قال الزجاج: فمن رفع
فعلى ضربين: أحدهما - على الابتداء و (فيها) الخبر، والثاني - أن تكون (لا)
بمعنى ليس رافعة وانشد سيبويه:
من فرعن نيرانها * فأنا ابن قيس لابراح (١)
ومن نصب بنى كقوله (لا ريب فيه) (٢) والاختيار عند النحويين إذا
كررت (لا) الرفع. والنصب جائز حسن.
يقول الله تعالى (والذين آمنوا) بالله وأقروا بتوحيده وصدقوا رسله
(وأتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) من قرأ بالنون معناه، وألحقنا بهم
ذرياتهم أي ألحق الله بهم ذرياتهم يعني حكم لهم بذلك. ومن قرأ (واتبعتهم)
نسب الاتباع إلى الذرية. والمعنى إنهم آمنوا كما آمنوا، فمن جمعه فلاختلاف
أجناس الذرية، ومن وحد، فلانه يقع على القليل والكثير، وإنما قرأ أبو عمرو

---

(١) اللسان (برح) وسيبويه ١ / ٢٨، ٣٥٤
(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(أتبعناهم) بالنون لقوله بعد ذلك (ألحقنا) وقال البلخي: معنى الآية إن ثواب الذرية إذا عملوا مثل أعمال الاباء يثابون مثل ثواب الاباء، لان الثواب على قدر الاعمال. ولما قال (واتبعناهم ذرياتهم) بين أن ذلك يفعل بهم من غير أن ينقص من أجورهم، لئلا يتوهم انه يلحقهم نقص أجر. وقال الزجاج: معنى الآية إن الأبناء إذا كانوا مؤمنين فكانت مراتب آبائهم في الجنة أعلا من مراتبهم ألحق الأبناء بالآباء، ولم ينقص الآباء من أعمالهم، وكذلك إن كان اعمال الآباء انقص ألحق الآباء بالأبناء. والاتباع إلحاق الثاني بالأول في معنى عليه الأول، لأنه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن اتباعا، وكان إلحاقا. وإذا قيل: اتبعه بصره فهو الادراك، وإذا قيل: تبعه فهو يصرف البصر بتصرفه.

وقوله (ألحقنا بهم ذرياتهم) قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: الحقوا الأولاد بالاباء إذا آمنوا من أجل إيمان الاباء. وفى رواية أخرى عن ابن عباس: أن التابعين الحقوا بدرجة آبائهم، وإن قصرت اعمالهم تكرمة لآبائهم والأول هو الوجه. وإنما وجب بالايمان إلحاق الذرية بهم مع أنهم قد يكون ليس لهم ذرية لأنه إنما يستحق ذلك السرور على ما يصح ويجوز مع أنه إذا اتبع الذرية على ما أمر الله به استحق الجزاء فيه، فان أبطلته الذرية عند البلوغ بسوء عمل، وفي سروره في أمر آخر كما أن أهل الجنة من سرورهم ما ينزل بأعدائهم في النار، فلو عفى عنهم لوفوا سرورهم بأمر آخر.

وقوله (وما ألتناهم) معناه ما نقصناهم يقال: ألته يألته ألتا، وألاته يلته إلاتة، ولاته يليته ثلاث لغات - ذكرها أبو عبيدة: إذا نقصه، فبين - عز وجل - أنه لا يجوز عليه نقصان شئ من جزاء عمله، لأنه لا يجوز عليه الظلم لا قليله ولا كثيره ولا صغيره ولا كبيره، وقال ابن عباس ومجاهد والربيع (وما ألتناهم) ما نقصناهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال الشاعر:
أبلغ بني ثعل عني مغلغلة * جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا (١)
وقوله (كل امرئ بما كسب رهين) أي كل إنسان يعامل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثيب عليها وإن عمل معصية عوقب بها لا يؤاخذ أحد بذنب غيره. والرهين والمرهون والمرتهن هو المحتبس على أمر يؤدى عنه بحسب ما يجب فيه، فلما كان كل مكلف محتبسا على عمله، فان صح له أداؤه على الواجب فيه تخلص، وإلا هلك، فلهذا قال (كل امرئ بما كسب رهين).
قوله (وأمددناهم بفاكهة) فالامداد هو الاتيان بالشئ بعد الشئ يقال: مد الجرح وأمد النهر، والفاكهة هي الثمار (ولحم مما يشتهون) أي وأمددناهم أيضا بلحم من الجنس الذي يشتهونه.
وقوله (يتنازعون فيها كأسا) أي يتعاطون كأس الخمر، قال الأخطل:
نازعتهم طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة الساري (٢)
والكأس الاناء المملوء بالشراب، فإن كان فارغا فلا يسمى كأسا - ذكره الفراء - وقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) معناه لا يجري بينهم باطل ولا ما يلغى فيه ولا ما فيه أثم كما يجري في الدنيا عند شرب الخمر. وقوله (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) يعني في صفائه وبياضه وحسن منظره، والمكنون المصون. وقيل: ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة، بل لهم في ذلك لذة، لأنه ليس هناك دار محنة. وقوله (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا عن حاله، وما هو فيه من أنواع النعيم فيسرون بذلك ويزداد فرحهم

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٥
(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٦ والقرطبي ١٧ / ٦٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل: يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه في دار الدنيا مما استحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان بدلالة قوله (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين).

قوله تعالى:

(قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا
ووقينا عذاب السموم (٢٧) إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر
الرحيم (٢٨) فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون (٢٩)
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) (٣٠) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ نافع والكسائي (ندعوه أنه) بفتح الحمزة على تقدير أنه أو لأنه.

الباقون بكسر الهمزة على الاستئناف.

لما حكى الله تعالى ان أهل الجنة يقبل بعضهم على بعض ويسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم ذكر ما يقولونه فإنهم يقولون (إنا كنا) في دار الدنيا (في أهلنا مشفقين) أي خائفين رقيقي القلب، فالاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشئ، والشفقة نقيض الغلظة. واصله الضعف من قولهم: ثوب شفق أي ضعيف النسج رديئه، ومنه الشفق، وهو الحمرة التي تكون عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة، لأنها حمرة ضعيفة. والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به، وكلما كان أولى به فهو أحق بأنه أهله، فمن ذلك أهل الجنة وأهل النار. ومن ذلك أهل الجود والكرم، وفلان من أهل القرآن، ومن أهل العلم، ومن أهل الكوفة. ومن هذا قيل: لزوجة الرجل: أهله، لأنها مختصة به من جهة هي أولى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

به من غيره.
فقوله (في أهلنا مشفقين) اي من يختص به ممن هو أولى بنا.
وقوله (فمن الله علينا) فالمن القطع عن المكاره إلى المحاب، يقال: من على الأسير يمن منا إذا أطلقه وأحسن إليه، وامتن عليه بصنيعه أي اقتطعه عن شكره بتذكير نعمته والمنية قاطعة عن تصرف الحي (وأجر غير ممنون) (١) أي غير مقطوع.
وقوله (ووقانا عذاب السموم) الوقا: منع الشئ من المخوف بما يحول بينه وبينه، ومنه الوقاية، ووقاه يقيه وقاء فهو واق، ووقاه توقية قال الراجز:
إذا الموقي مثل ما وقيت عذاب السموم
فالسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن بما يوجد ألمه، ومنه ريح السموم، ومسام البدن الخروق الدقاق.
ثم قالوا (إنا كنا من قبل ندعوه) يعني في دار التكليف ندعوه (أنه هو البر الرحيم) أي ندعوه بهذا، فيمن فتح الهمزة، ومن كسرها أراد إنا كنا ندعوه ونتضرع إليه، ثم ابتدأ فقال (إنه هو البر الرحيم) قال ابن عباس:
البر هو اللطيف وأصل الباب اللطف مع عظم الشأن، ومنه البر للطفها مع عظم النفع بها، ومنه البر لأنه لطف النفع به مع عظم الشأن، ومنه البرية للطف مسالكها مع عظم شأنها، والبر بالكسر الفاره، والبر بر الوالدين، وقولهم: فلان لا يعرف هره من بره قيل في معناه ثلاثة أشياء:
أحدها - لا يعرف السنور من الفاره.
الثاني - لا يعرف من يبره ممن يكرهه.

---

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الثالث - لا يعرف دعاء الغنم وهو برها من سوقها.
ثم قال تعالى للنبي صلى الله عليه وآله (فذكر) يا محمد أي اعظ هؤلاء المكلفين (فما أنت بنعمة ربك) قسم من الله تعالى بنعمته (بكاهن ولا مجنون) على ما يرمونك به. وقال البلخي: معناه ما أنت بنعمة الله عليك بكاهن، ولا يلزم أن يكون الله تعالى لم ينعم على الكاهن، لان الله تعالى قد عم على جميع خلقه بالنعم وإن كان ما أنعم به على النبي أكثر، وقد مكن الله الكاهن وسائر الكفار من الايمان به، وذلك نعمة عليه. فالكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الجن على طريق العزائم، والكهانة صنعة الكاهن، والكاهن الموهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن والمجنون المؤف بما يغطي على عقله حتى لا يدرك به في حال يقظة، وقد علموا أنه ليس بشاعر، كما علموا أنه ليس بمجنون، لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذب على أعدائهم.
ثم قال (أم) ومعناه بل (يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) قال مجاهد: ريب المنون حوادث الدهر. وقال ابن عباس وقتادة: الموت، والمنون المنية، وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها وقال الشاعر:
تربص بها ريب المنون لعلها * سيهلك عنها بعلها وشحيح (١)
قوله تعالى:
(قل تربصوا فاني معكم من المتربصين (٣١) أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون (٣٢) أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (٣٤) أم

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات
والأرض بل لا يوقنون (٣٦) أم عندهم خزائن ربك أم هم
المسيطرون (٣٧) أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم
بسلطان مبين (٣٨) أم له البنات ولكم البنون (٣٩) لم تسئلهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون) (٤٠) عشرة آيات بلا خلاف.
لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا في النبي صلى الله عليه وآله أنه كاهن ومجنون،
وانه شاعر نتربص به ريب المنون أي نتوقع فيه حوادث الدهر والهلاك، قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وأهل (قل) لهم يا محمد (تربصوا فاني معكم من المتربصين)
فالتربص
هو الانتظار بالشئ انقلاب حال إلى خلافها. والمعنى إنكم إن تربصتم بي حوادث
الدهر والهلاك، فاني معكم من المنتظرين لمثل ذلك، فتربص الكفار بالنبي صلى الله عليه
وآله
والمؤمنين قبيح، وتربص النبي والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن، وقوله
(فتربصوا) وإن كان بصيغة الامر فالمراد به التهديد.
وقوله (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) على طريق الانكار عليهم ان هذا الذي
يقولونه ويتربصون بك من الهلاك. أحلامهم أي عقولهم تأمرهم به، وتدعوهم إليه
والأحلام جمع الحلم، وهو الامهال الذي يدعو إليه العقل والحكمة، فالله تعالى حليم
كريم، لأنه يمهل العصاة بما تدعو إليه الحكمة، ويقال: هذه أحلام قريش أي
عقولهم. ثم قال تعالى ليس الامر على ذلك (بل هم قوم طاغون) والطاغي هو
الطالب للارتفاع بالظلم لمن كان من العباد، ومنه قوله (انا لما طغى الماء) (١) لأنه

---

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

طلب الارتفاع كطلب الظالم للعباد في الشدة، فحسن على جهة الاستعارة.
وقوله (أم يقولون تقوله) معناه بل يقولون أفتراه واخترعه وافتعله،
لان التقول لا يكون إلا كذبا، لأنه دخله معنى تكلف القول من غير حقيقة معنى يرجع إليه، وكذلك كل من تكلف أمرا من غير اقتضاء العقل أن له فعله فهو باطل. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (لا يصدقون) بنبوتك ولا بأن القرآن انزل من عند الله. والآية ينبغي أن تكون خاصة فيمن علم الله انه لا يؤمن.
ثم قال على وجه التحدي لهم (فليأتوا بحديث مثله) يعني مثل القرآن
وما يقاربه (إن كانوا صادقين) في أنه شاعر وكاهن ومجنون وتقوله، لأنه لا يتعذر عليهم مثله. وقيل المثل الذي وقع التحدي به هو ما كان مثله في أعلا طبقة البلاغة من الكلام الذي ليس بشعر. وأعلا طبقات البلاغة كلام قد جمع خمسة أوجه:
تعديل الحروف في المخارج، وتعديل الحروف في التجانس وتشاكل المقاطع مما تقتضيه المعاني وتهذيب البيان بالايجاز في موضعه والاطناب في موضعه، والاستعارة في موضعها والحقيقة في موضعها. واجراء جميع ذلك في الحكم العقلية بالترغيب في ما ينبغي ان يرغب فيه. والترهيب مما ينبغي ان يرهب منه، والحجة التي يميز بها الحق من الباطل. والموعظة التي تليق للعمل بالحق.
وقوله (أم خلقوا من غير شئ) معناه أخلقوا من غير خالق (أم هم الخالقون) لنفوسهم فلا يأتمرون لامر الله ولا ينتهون عما نهاهم عنه. وقيل:
معنى (أخلقوا من غير شئ) أخلقوا لغير شئ أي أخلقوا باطلا لا لغرض.
وقيل: المعنى أخلقوا من غير أب ولا أم فلا يهلكون، كما أن السماوات والأرض خلقتا من غير شئ، فإذا هم أضعف من السماء الذي خلق لامن شئ، فإذا كان ما خلق لامن شئ يهلك فما كان دونه بذلك أولى. وقوله (أم خلقوا السماوات

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والأرض) واخترعوها فلذلك لا يقرون بالله أنه خالقهم. ثم قال تعالى (بل لا يوقنون) بان لهم إلها يستحق العبادة وحده ولا يقرون بأنك نبي من جهة الله.
وقوله (أم عندهم خزائن ربك) معناه أعندهم خزائن نعمة ربك وخزائن الله مقدوراته، لأنه يقدر من كل جنس على ما لا نهاية له فشبه ذلك بالخزائن التي تجمع أشياء مختلفة. والمعنى كأنه قال: أعندهم خزائن رحمة ربك فقد أمنوا أن تجئ الأمور على خلاف ما يحبون " أم هم المسيطرون " على الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم، فالمسيطر الملزم غيره امرا من الأمور قهرا، وهو مأخوذ من السطر يقال: سيطر يسيطر سيطرة، وهو (فيعل) من السيطرة، ونظيره بيطر بيطرة.
وقيل: المسيطر الملك القاهر. وقيل: هو الجبار المتسلط، ومنه قوله " لست عليهم بمسيطر " (١) يقولون: سيطر علي أي اتخذني خولا، وقال أبو عبيدة: المسيطرون الأرباب، والمسيطر والمبيقر والمبيطر والمهيمن والكميت أسماء جاءت مصغرة لا نظير لها. وقرأ قتادة " بمسيطر " بفتح الطاء، بمعنى لست عليهم بمسلط. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي " المسيطرون " بالسين. الباقون بالصاد إلا أن حمزة يشم الصاد زايا.
وقوله " أم لهم سلم يستمعون فيه " فالسلم مرتقى إلى العلو من مشيد الدرجة مرتقى إلى علو من بناء مصمت. ويقال: جعلت فلانا سلما لحاجتي أي سببا.
وقال ابن مقبل:
لا يحرز المروء احجاء البلاد ولا * تبنى له في السماوات السلاليم (٢)
فكأنه قيل أم يستمعون الوحي من السماء، فقد وثقوا بما هو عليه وردوا

---

(١) سورة ٨٨ الغاشية آية ٢٢
(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٩ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما سواه " فليأت مستمعهم بسلطان مبين " أي بحجه يظهر صحة قولهم. والاستماع الاصغاء إلى الصوت، وإنما قيل لهم ذلك، لان كل من ادعى ما لم يعلم ببداهة العقول فعليه إقامة الحجة.

وقوله " ألله البنات ولكم البنون " معناه ألكم البنون ولله البنات، فصاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات، وهذا غاية التجهيل لهم والفضيحة عليهم.

وقيل: لو جاز اتخاذ الأولاد عليه لم يكن يختار على البنين البنات فدل بذلك على افراط جهلهم في ما وصفوا الله تعالى به من اتخاذ الملائكة بنات.

وقوله " أم تسألهم اجرا " أي ثوابا على أداء الرسالة إليهم بدعائك إياهم إلى الله " فهم من مغرم مثقلون " فالمغرم إلزام الغرم - في المال - على طريق الابذال، والمغرم انفاق المال من غير إبذال. واصله المطالبة بالحاح فمنه الغريم، لأنه يطالب بالدين بالحاح، ومنه " ان عذابها كان غراما " (١) أي ملحا دائما. والمغرم لأنه يلزم من جهة المطالبة بالحاح لا يمكن دفعه. والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله لثقله.

قوله تعالى:

(أم عندهم الغيب فهم يكتبون (٤١) أم يريدون كيدا
فالذين كفروا هم المكيدون (٤٢) أم لم إله غير الله سبحان
الله عما يشركون (٤٣) وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم (٤٤) فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يصعقون (٤٥) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون (٤٦)
وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٧)
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين
تقوم (٤٨) ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) (٤٩) تسع
آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم وابن عامر (يصعقون) بضم الياء - على ما لم يسم فاعله - الباقون بفتح الياء على إضافة الفعل إليهم، وهما لغتان. يقال: صعق فلان فهو مصعوق وصعق فهو صاعق. وروي عن عاصم أيضا " يصعقون " بضم الياء وكسر العين بمعنى يحصلون في الصاعقة. وقيل: الصعق الهلاك بصيحة تصدع القلب. وقيل: الصعق عند النفخة الأولى. قال قوم: إن قوله " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " جواب لقولهم إن ان امر الآخرة على ما تدعون حقا فلنا الجنة كقولهم " ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى " (١) ذكره الحسن. والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لم يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة. والله تعالى عالم به، لأنه يعلمه لنفسه، والعالم لنفسه لا يخفى عليه شئ من وجه من الوجوه.

وقوله " أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون " فالكيد هو المكر. وقيل: هو فعل ما يوجب الغيظ في خفى يقال: كاده يكيده كيدا، فهو كائد، والمفعول مكيد وكايده مكايدة مثل غايظة مغايظة. والكيد من الله هو التدبير الذي

---

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٥٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يدبره لأوليائه على أعدائه ليقهروهم ويستعلوا عليهم بالقتل والأسر. وقال الزجاج: معناه أيريدون بكفرهم وطغيانهم كيدا، فالله تعالى يكيدهم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله " أم لهم إله غير الله " أي على حقيقية معنى الإلهية وهو القادر على ما تحق به العبادة فلذلك عبدوه؟! فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك. ثم نزه نفسه فقال " سبحان الله عما يشركون " من ادعاء آلهة معه من الأصنام والأوثان.

وقوله " وإن يروا كسفا من السماء ساقطا " فالكسف جمع كسفة كقولك: سدر وسدرة، وهو جواب قولهم " أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا " (١) فقال الله تعالى لو سقط عليهم ما آمنوا ولقالوا (سحاب مركوم) والكسف القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس. والكسف من السماء القطعة منها. والسحاب الغيم سمي بذلك لانسحابه في السماء، والمركوم الموضوع بعضه على بعض. وكل الأمور المذكورة بعد (أم) إلزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن، ثم قال تعالى للنبي صلى الله عليه وآله " فذرهم " أي اتركهم " حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون "

أي يهلكون فيه بوقوع الصاعقة عليهم. وقيل: الصعقة هي النفخة الأولى التي يهلك عندها جميع الخلائق، ثم وصف ذلك اليوم بأن قال " يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا " أي لا ينفعهم كيدهم وحيلتهم ولا تدفع عنهم شيئا، لان جميعه يبطل " وهم لا ينصرون " بالدفاع عنهم. والفرق بين الغنى بالشئ والغنى عنه أن الغنى عنه يوجب أن وجوده وعدمه سواء في أن الموصوف غني، وليس كذلك الغنى به، لأنه يبطل أن يكون الموصوف غنيا. والغنى هو الحي الذي ليس بمحتاج، وليس بهذه الصفة إلا الله تعالى. ومعنى " لا يغني عنهم " أي لا يصرف عنهم شيئا من

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٩٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الضرر الذي يقع إلى نفع يصير بمنزلة الغنى لهم.
وقوله " وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك " قال ابن عباس: هو عذاب القبر، وبه قال البراء وقال مجاهد: هو الجوع في الدنيا. وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا. وقال قوم: هو عموم جميع ذلك.
ثم قال " ولكن أكثرهم لا يعلمون " ومعناه إن أكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون صحة ما أمرناهم وأمرناك به لجحدهم نبوتك.
ثم قال تعالى للنبي صلى الله عليه وآله " واصبر " يا محمد " لحكم ربك " الذي حكم به وألزمك التسليم له " فإنك بأعيننا " أي بمرئى منا ندركك، ولا يخفى علينا شئ من أمرك، نحفظك لئلا يصلوا إلى شئ من مكروهك. وأمره بالتنزيه له عما لا يليق به فقال " وسبح محمد ربك حين تقوم " قال أبو الأحوص: معناه حين تقوم من نومك. وقال الضحاك: معناه إذا قمت إلى الصلاة المفروضة، فقل سبحانك اللهم وبحمدك. وقال ابن زيد: معناه صل بحمد ربك حين تقوم من نوم القائلة إلى صلاة الظهر. ثم قال " ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم " معناه من الليل يعني من المغرب والعشاء الآخرة " وإدبار النجوم " قال الضحاك وابن زيد: هو صلاة الفجر قال ابن عباس وقتادة. هما الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال الحسن: هما الركعتان قبل صلاة الفجر تطوعا، والنجوم هي الكواكب واحدها نجم، ويقال: نجم النبت ونجم القرن والسن إلا أنه إذا اطلق أفاد الكواكب. وقرأ " وادبار النجوم " بفتح الهمزة زيد عن يعقوب على أنه جمع. الباقون - بكسرها - على المصدر.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٣ - سورة النجم
هي مكية، وهي اثنتان وستون آية في الكوفي وستون في البصري والمدنيين.
بسم الله الرحمن الرحيم
(والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما
ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥)
ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الاعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨)
فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى) (١٠)
عشر آيات بلا خلاف.
قوله " والنجم " قسم من الله تعالى. وقد بينا أن الله تعالى له أن يقسم
بما يشاء من خلقه، وليس للعباد أن يحلفوا إلا به. وقال قوم: معناه ورب النجم
فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وفى معنى " النجم " ههنا ثلاثة أقوال:
أحدها - قال مجاهد: المراد به الثريا إذا سقطت مع الفجر.
الثاني - في رواية أخرى عن مجاهد أن المراد به القرآن إذا نزل.
الثالث - قال الحسن: معناه جماعة النجوم. " إذا هوى " أي إذا سقط يوم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

القيامة كقوله - عز وجل - " وإذا الكواكب انتثرت " (١) وقيل: النجم على طريق الجنس، كما قال الراعي:

وباتت تعد النجم في مستحيرة * سريع بأيدي الآكلين جمودها (٢)

(مستحيرة) شحمة مذابة صافية في إهالة، لأنها من شحم سمين.

وقوله " إذا هوى " قيل: معناه إذا هوى للمغيب ودل على ما فيه من العبرة بتصريف من يملك طلوعه وغروبه، ولا يملك ذلك إلا الله تعالى. وقيل: كان القرآن ينزل نجوما، وبين أول نزوله وأخره عشرون سنة - ذكره الفراء وغيره - والنجم هو الخارج عن الشئ بخروج المنتشئ عنه. والهوى ميل الطباع إلى ما فيه الاستمتاع، وهو مقصور وجمعه أهواء، والهواء الذي هو الجو ممدود وجمعه أهوية.

وقوله " ما ضل صاحبكم " يعني النبي صلى الله عليه وآله ما ضل عن الحق " وما غوى " أي وما خاب عن إصابة الرشد، يقال: غوى يغوي غيا إذا خاب، وقال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (٣)

أي من يخب " وما ينطق عن الهوى " أي ليس ينطق عن الهوى أي بالهوى، يقال: رميت بالقوس وعن القوس. والمعنى إنه لا يتكلم في القرآن وما يؤديه إليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع " إن هو إلا وحي يوحى " معناه ليس الذي يتلوه عليكم من القرآن إلا وحي أوحاه الله إليه، فالوحي القاء المعنى إلى النفس في خفى إلا أنه صار كالعلم في ما يلقيه الملك إلا النبي صلى الله عليه وآله من البشر

---

(١) سورة ٨٢ الانفطار آية ٢

(٢) مجاز القرآن ٢ / ٢٣٥ واللسان (نجم)

(٣) مر في ٨ / ٣٦، ٤٩٣ وهو في القرطبي ١٧ / ٨٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن الله تعالى، ومنه قوله " فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعيشا " (١) وقوله " وأوحى ربك إلى النحل " (٢) أي ألهمها مراشدها، وهو راجع إلى ما قلناه من إلقاء المعنى إلى النفس في خفى.

وقوله " علمه شديد القوى " في نفسه وعلمه. والقوة هي القدرة. وقد تستعمل القوة بمعنى الشدة التي هي صلابة العقد كقوى الحبل.

وقوله " ذو مرة " صفة لجبرائيل عليه السلام أي صاحب مرة، وهي القوة.

واصل المرة شدة الفتل، وهو ظاهر في الحبل الذي يستمر به الفتل حتى ينتهي إلى ما يصعب به الحل. ثم تجري المرة على القدرة، لأنه يتمكن بها من الفعل، كما يتمكن من الفعل بالآلة، فالمرة والقوة والشدة نظائر. وقوله " فاستوى " معناه استولى بعظم القوة، فكأنه استوت له الأمور بالقوة على التدبير. ومنه قوله " استوى على العرش " (٣) أي استولى عليه بالسلطان والقهر. وقال ابن عباس وقتادة: معنى " ذو مرة " ذو صحة بخلق حسن. وقال مجاهد وسفيان وابن زيد والربيع: ذو قوة، وهو جبرائيل. والمرة واحدة المرر، ومنه قوله عليه السلام (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي) وقيل " فاستوى " جبرائيل ومحمد عليهما السلام " بالأفق الاعلى " أي سماء الدنيا عند المعراج. وقيل في " هو " قولان:

أحدهما - انه مبتدأ وخبره في موضع الحال، وتقديره ذو مرة فاستوى في حال كونه بالأفق الاعلى.

الثاني - إنه معطوف على الضمير في (استوى) وحسن ذلك كي لا يتكرر

---

(١) سورة ١٩ مريم آية ١٠

(٢) سورة ١٦ النحل آية ٦٨

(٣) سورة ٧ الأعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٢ وسورة ٢٥ الفرقان ٥٩ وسورة ٣٢ ألم السجدة آية ٤ وسورة ٥٧ الحديد آية ٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(هو) وانشد الفراء:
ألم تر ان النبع تصلب عوده * ولا يستوي والخروع المتقصف (١)
وقال الزجاج: لا يجوز عطف (هو) على الضمير من غير تأكيد إلا في الشعر
وقال تعالى " أئذا كنا ترابا وآباؤنا " (٢) فرد الآباء على المضمر. وقال الربيع:
واستوى يعني جبرائيل عليه السلام (وهو) كناية عنه على هذا. وفي الوجه الأول
(هو) كناية عن النبي صلى الله عليه وآله. وقال قتادة: الأفق الاعلى الذي يأتي منه النهار.
وقيل: هو مطلع الشمس " شديد القوى " في أمر الله " ذو مرة " أي ذو قوة في
جسمه. وقيل: فاستوى جبرائيل على صورته التي خلقه الله، لان جبرائيل كان
يظهر قبل ذلك للنبي صلى الله عليه وآله في صورة رجل.
وقوله " ثم دنا فتدلى " قال الحسن وقتادة والربيع: يعني جبرائيل عليه السلام
وفيه تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى فدنا. وقال الزجاج: معنى دنا وتدلى واحد، لان
المعنى إنه قرب وتدلى زاد في القرب، كما يقال: دنا فلان وقرب. والمعنى ثم
دنا جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، فتدلى إليه من السماء " فكان قاب قوسين أو
أدنى "
معناه كان بينه وبين جبرائيل مقدار قاب قوسين من القسي العربية أو أقرب بل
أقرب منه. وقيل: معنى (أو) في الآية معنى (الواو) كقوله " وأرسلناه إلى
مئة ألف أو يزيدون " (٣) ومعناه ويزيدون. وقيل: إنه رأى جبرائيل عليه السلام
في صورته له ستمائة جناح - في قول ابن مسعود - ومعنى " قاب قوسين " قدر الوتر
من القوس مرتين " أو أدني " منه وأقرب.
وقوله " فأوحى إلى عبده ما أوحى " قيل أوحى جبرائيل إلى عبد الله محمد

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٢٣ والقرطبي ١٧ / ٨٥
(٢) سورة ٢٧ النحل آية ٦٧
(٣) سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما أوحى. وقيل أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى. ويحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر والتقدير فأوحى إلى عبده وحيا. ويحتمل أن يكون بمعنى الذي وتقديره فأوحى إلى عبده الذي أوحى إليه. والمعنى أوحى جبرائيل إلى محمد ما أوحى إليه ربه - وهو قول ابن زيد -

وقوله " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال ابن عباس رأى ربه بقلبه وهو معنى قوله " علمه " وإنما علم ذلك بالآيات التي رآها. وقال ابن مسعود وعائشة وقتادة: رآى محمد جبرائيل على صورته. وقال الحسن: يعني ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته. وقال الحسن: عرج بروح محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء وجسده في

الأرض. وقال أكثر المفسرين - وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور في اخبارهم - أن الله تعالى صعد بجسمه حيا سليما حتى رأى - ملكوت السماوات وما ذكره الله - بعيني رأسه، ولم يكن ذلك في المنام بل كان في اليقظة. وقد بيناه في سورة بني إسرائيل.

قوله تعالى:

(ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢)
ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة
المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما
طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) أفرأيتم اللات
والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى) (٢٠) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما ويعقوب " أفتمرونه " بمعنى أفتجحدونه، وهو

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قول إبراهيم. وقرأ الباقون " أفتمارونه " بمعنى أفتجادلونه في أنه رأى ربه بقلبه أو آيات الله ومعجزاته. وقرأ ابن عامر - في رواية هشام - وأبي جعفر " ما كذب " مشددة الدال الباقون بالتخفيف. وقرأ ابن كثير والأعشى إلا ابن غالب " ومناة " مهموزة ممدودة. الباقون " ومناة " مقصورة، وهما لغتان.

يقول الله تعالى إنه لم يكذب فواد محمد ما رآه بعينه يعني لم يكذب محمد بذلك بل صدق به والفؤاد القلب. وقال ابن عباس: يعني ما رأى بقلبه. وقال الحسن: إنه رأى ربه بقلبه. وهذا يرجع إلى معنى العلم. ومعنى " ما كذب الفؤاد " أي ما توهم أنه يرى شيئا وهو لا يراه من جهة تخيله لمعناه، كالرائي للسراب بتوهمه ماء ويرى الماء من بعيد فيتوهمه سرابا. ومن شدد أراد لم يكذب فؤاد محمد ما رأت عيناه من الآيات الباهرات فعداه. ومن خفف فلان في العرب من يعدي هذه اللفظة مخففة، فيقولون صدقني زيد وكذبني خفيفا، وصدقني وكذبني ثقيلا وانشد:

وكذبتني وصدقتني * والمرؤ ينفعه كذابه (١)

والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام أن رؤية الشئ في اليقظة إدراكه بالبصر على الحقيقة، ورؤيته في المنام لصورة في القلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير أن يكون كذلك.

وقوله " أفتمارونه " فمن قرأ " أفتمرونه " أراد أفتجحدونه. ومن قرأ " أفتمارونه " أراد أفتجادلونه وتخاصمونه مأخوذ من المراء وهو المجادلة (على ما يرى) يعني على الشئ الذي يراه.

---

(١) مر في ٨ / ٣٩٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال عبد الله بن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع: رآى محمد صلى الله عليه وآله جبرائيل عليه السلام دفعة أخرى. وروي أنه رآه في صورته
التي خلقه الله عليها مرتين. وقوله (عند سدرة المنتهى) قيل: هي شجرة النبق وقيل لها: سدرة المنتهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء - في قول ابن مسعود والضحاك - وقيل: لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء. وقوله (عندها جنة المأوى) معناه عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد، وهي في السماء السابعة. وقيل: إنه يجتمع إليها أرواح الشهداء. وقال الحسن: جنة المأوى هي التي يصير إليها أهل الجنة.
وقوله (إذ يغشى السدرة ما يغشى) معناه يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الابصار ما ليس لوصفه منتهى. وقال ابن مسعود ومجاهد - وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه غشى السدرة فراش الذهب. وقال الربيع: غشيها من النور نور الملائكة. وقوله (ما يغشى) أبلغ لفظ في هذا المعنى والغشيان لباس الشئ مما يعمه، يقال غشيه يغشاه غشيانا.
وقوله " ما زاغ البصر " اي ما ذهب عن الحق المطلوب، والزيغ الذهاب عن الحق المطلوب، يقال: زاغ بصره وقلبه يزيغ زيغا، ومنه قوله " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " (١) ومنه قوله " فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه " (٢) والزيغ الميل عن الحق " وما طغى " معناه ما طغى البصر أي ما ذهب يمينا وشمالا. وقيل: ما ارتفع كارتفاع الظالم عن الحق لمن يريده، والطاغي الذي لا يلوي على شئ. والطغيان طلب الارتفاع بظلم العباد: طغى يطغي طغيانا.
والطاغي والباغي نظائر. وهم الطغاة والبغاة، والمعنى ما زاغ بصر محمد وما طغى

---

(١) سورة ٦١ الصف آية ٥
(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي ما جاوز القصد ولا عدل في رؤية جبرائيل، وقد ملا الأفق.
وقوله " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " قسم من الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وآله رأى من آيات الله ودلائله أكبرها جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل: إنه يجتمع فيها أرواح الشهداء وهي الكبرى التي تصغر عندها الآيات في معنى صفتها. والأكبر هو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته. وقيل رأى رفرفا أخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق - في قول ابن مسعود -.
وقوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) أسماء أصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمرة عظيمة، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومنات كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها فقيل لهم: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها وتعبدون معها الملائكة وتزعمون أن الملائكة بنات الله، فوبخهم الله تعالى فقال (أفرأيتم) هذه (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله هل لها من هذه الآيات والصفات شئ.
قوله تعالى:
(ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢) إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أم للانسان ما تمنى (٢٤) فلله الآخرة والأولى) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ أهل مكة (ضئزى) مهموز إلا ابن فليح. الباقون بلا همز.
يقول الله تعالى على وجه الانكار على كفار قريش الذين أضافوا إلى الله تعالى الملائكة بأنهم بنات الله، فقال لهم: كيف يكون ذلك وأنتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى، فكيف تضيفون إليه تعالى مالا ترضون لأنفسكم، فقد أخطأتم في ذلك من وجهين: أحدهما - أنكم أضفتم إليه ما يستحيل عليه ولا يليق به، فهو قسم فاسد غير جائز. الثاني - أنكم أضفتم إليه مالا ترضون لأنفسكم، فكيف ترضونه لله تعالى. وقيل: إنما فضل الذكر على الأنثى لان الذكر يصلح لما لا تصلح له الأنثى. وينتفع به في مالا ينتفع فيه بالأنثى، ولهذا لم يبعث الله نبيا من الإناث.
وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى) أي تلك قسمة فاسدة غير جائزة بأن تجعلوا لأنفسكم الأفضل ولربكم الأدون، ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الأدون على الأفضل، كما قال (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) (١) فهذا على تقدير الجواز لا على صحة الجواز. والضيزة الجائرة الفاسدة ووزنه (فعلى) إلا أنه كسر أوله لتصح الياء من قبل انه ليس في كلام العرب (فعلى) صفة، وصفة (فعلى) نحو (حبلى) يحمل على ماله نظير. وأما الاسم فإنه يجيئ على (فعلى) كقوله (فان الذكرى) (٢) وتقول العرب ضزته حقه أضيزه وضأزته - لغتان - إذا أنقضته حقه ومنعته، ومنهم من يقول: ضزته - بضم الضاد - أضوزه، وانشد أبو عبيدة والأخفش:

فان تنأعنا ننتقصك وان تغب * فسهمك مضؤز وانفك راغم (٣)

ومنهم من يقول: ضيزى - بفتح الضاد - ومنه من يقول - ضأزى بالفتح

---

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ٤
(٢) سورة ٥١ الذاريات آية ٥٥
(٣) مجاز القرآن ٢ / ٢٣٧ الشاهد ٨٨٣ والقرطبي ١٧ / ١٠٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والهمز، ومنهم من يقول: ضؤزى - بضم الضاد والهمزة - وقال ابن عباس وقتادة (قسمه ضيزى) جائرة. وقال سفيان: منقوصة.
ثم قال إن تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وللملائكة بأنها بنات الله (ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) بذلك (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني من حجة ولا برهان إن يتبعون أي ليس يتبعون في ذلك (إلا الظن) الذي ليس بعلم (وما تهوى الأنفس) أي وما تميل إليه نفوسكم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) عدل عن خطابهم إلى الاخبار عنهم بأنهم قد جاءهم الهدى يعني الدلالة على الحق.
وقوله (أم للانسان ما تمنى) قيل معناه: بل لمحمد صلى الله عليه وآله ما تمنى من النبوة والكرامة. وقيل التقدير أللانسان ما تمنى؟! من غير جزاء. لا: ليس الامر كذلك، (فلله الآخرة والأولى) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء. وقال الجبائي معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، وإنما المالك لذلك الله تعالى المالك للسموات والأرض، لا يعطي الكفار ما يتمنونه، وإنما يعطي الثواب من يستحقه.
قوله تعالى:
(وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا
من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦) إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٧) وما لهم به من
علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا (٢٨)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا (٢٩)
ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بمن اهتدى) (٣٠)
خمس آيات كوفي وأربع في ما عداه، عد الشاميون (فأعرض عن من
تولى) ولم يعده الباقون. وعد الكوفيون (من الحق شيئا) ولم يعده الباقون
وعد الكل (الحياة الدنيا) إلا الشاميون، فإنهم عدوا آخر الآية (اهتدى).
يقول الله تعالى مخبرا بان كثيرا من ملائكة السماوات (لا تغني شفاعتهم) أي
لا تنفع شفاعتهم في غيرهم باسقاط العقاب عنهم (شيئا إلا من بعد أن بإذن الله لمن يشاء)
ان يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك (ويرضى) ذلك، وقيل: إن الغرض بذلك
الانكار على عبدة الأوثان وقولهم: إنها تشفع لان الملك إذا لم تغن شفاعته شيئا
فشفاعة من دونه أبعد من ذلك. وفي ذلك التحذير من الاتكال على الشفاعة، لأنه
إذا لم يغن شفاعة الملائكة كان شفاعة غيرهم أبعد من ذلك. ولا ينافي ما نذهب
إليه من أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب
المعاصي،
فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لان هؤلاء - عندنا - لا يشفعون إلا باذن من
الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فيه فالزجر واقع موقعه.
ثم أخبر الله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بالبعث
ولا بالثواب ولا بالعقاب (يسمون الملائكة تسمية الأنثى) قال الحسن كانوا
يسمون الملائكة بنات الله. ثم قال (ومالهم به من علم) أي بما يقولونه ويسمونه
(من علم) أي ليسوا عالمين بذلك (إن يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في
قولهم ذلك إلا الظن الذي يجوز أن يخطئ ويصيب، وليس معهم شئ من العلم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) معناه إن الظن لا يغني من العلم لأنه لابد من علم يحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل، وإن كان الظن في بعض الأشياء علامة للحسن، فما أغنى عن العلم.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله (فاعرض) يا محمد (عمن تولى عن ذكرنا) ولم يقر بتوحيدنا وجحد نبوتك ومال إلى الدنيا ومنافعها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) والتمتع فيها أي لا تقابلهم على أفعالهم واحتملهم، ولم ينهه عن تذكيرهم ووعظهم. ثم قال (ذلك مبلغهم من العلم) ومعناه إن علمهم انتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة، وهو صغير حقير في نفع الآخرة، فطلبوا هذا وتركوا ذلك جهلا به.

ثم قال (إن ربك) يا محمد (هو أعلم) منك ومن جميع الخلق (بمن ضل عن سبيله) أي بمن جار وعدل عن طريق الحق الذي هو سبيله (وهو أعلم بمن اهتدى) إليها فيجازي كل واحد على حسب ذلك إن عملوا طاعة أثابهم عليها وإن عملوا معصية عاقبهم عليها.

قوله تعالى:

(ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (٣١) الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢) أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فهو يرى) (٣٥) خمس آيات.
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (كبير الاثم) على لفظ الواحد. الباقون
بلفظ الجمع (كبائر) وقد بيناه في سورة (حم عسق).
هذا اخبار من الله بأن له ملك (ما في السماوات) وملك (ما في الأرض)
من جميع الأجناس بالحق (ليجزى الذين أساؤا) أي يعاقبهم (بما عملوا)
من المعاصي (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) أي يثيبهم على طاعاتهم بنعيم الجنة
والخلود فيها. ثم وصف الذين أحسنوا فقال هم (الذين يجتنبون كبائر الاثم) أي
عظائم الذنوب (والفواحش). والمعاصي - عندنا - كلها كبائر غير أن بعضها أكبر
من بعض، فقد تكون المعصية كبيرة بالإضافة إلى ما دونها، وقد تكون صغيرة بالإضافة
إلى ما هو أكبر منها. والفواحش جمع فاحشة وهي أقبح الذنوب وأفحشها، والإساءة
مضرة يستحق بها الذم، ولا يستحق الذم إلا مسيئ، وذم من ليس بمسئ قبيح،
كذم المحسن بالقبيح، والاحسان فعل ما هو نفع في نفسه أو هو سبب للنفع ليستحق
به الحمد، ولا يستحق الحمد إلا محسن. والكبير من الذنوب هو الذي يعظم به
الزجر إلى حد لا يكفره إلا التوبة منه - عند من لم يحسن إسقاط العقاب تفضلا -
والصغير
هو الذي يخف فيه الزجر إلى حد يصح تكفيره من غير توبة - عند من قال بالصغائر -
وقوله (إلا اللمم) قال قوم: هو الهم بالمعصية من جهة مقاربتها في
حديث النفس بها من غير مواقعتها ولا عزم عليها، لان العزم على الكبير كبيرة.
ولكن يقرب من مكانها لشهوته لها غير عازم عليها. وقال قوم (إلا اللمم) استثناء
منقطع، لأنه ليس من الكبائر ولا الفواحش، كما قال الشاعر:
وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيس (١)

---

(١) مر في ١ / ١٥١ و ٣ / ٣٢٧ و ٥ / ٤٩٨ و ٧ / ٥٠١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

واليعفور من الظباء الأحمر والاعيس الأبيض. وقيل (اللمم) مقاربة الشئ من غير دخول فيه، يقال: ألم بالشئ يلم إلماما إذا قاربه. وقيل (اللمم) الصغير من الذنوب، كما قال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيأتكم) (١) ذهب إليه ابن عباس وابن مسعود. وقيل (اللمم) اتيان الشئ من غير إقامة عليه قال الحسن: هو إصابة الفاحشة من غير إقامة للمبادرة بالتوبة.

ثم أخبر عن نفسه تعالى بأنه واسع المغفرة للمذنبين بقوله (إن ربك) يا محمد (واسع المغفرة هم اعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) يعني أنشأ أباكم آدم من أديم الأرض. وقال البلخي: يجوز أن يكون المراد به جميع الخلق، من حيث خلقهم الله تعالى من الطبائع الأربعة على حسب ما أجرى العادة من خلق الأشياء عند ضرب من تركيبها، وخلق الحيوان عند تناول أغذية مخصوصة خلقها الله من الأرض، فكأنه تعالى أنشأهم منها.

وقوله (وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) أي هو أعلم بكم في هذه الأحوال كلها لم يخف عليه من أحوالكم شئ منها.

ثم نهاهم تعالى فقال (فلا تزكوا أنفسكم) أي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها، فاني أعلم بها (هو اعلم بمن اتقى) معاصيه وفعل طاعاته والفرق بينه وبين من خالفه. وقال قوم: نهاهم أن يزكوا أنفسهم بفعل الواجبات، وفعل المندوبات، وترك القبائح لأنه أقرب إلى النسك والخشوع. والأجنة جمع جنين. وهو الدفين في الشئ قال الحارث:

ولا شمطاء لم تترك شفاها * لها من تسعة إلا جنينا (٢)

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٣٠

(٢) اللسان (جنن).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي إلا دفينا في قبره، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا واكدى) قال مجاهد: نزلت في الوليد ابن المغيرة وكان أعطى قليلا من ماله لمن يتحمل عنه العذاب في الآخرة. ثم منع ما ضمن له. وقيل: إن (الذي أعطى قليلا واكدى) هو المنافق الذي يعطي قليلا في المعونة على الجهاد ثم يمنع وقال ابن عباس ومجاهد: معنى (وأكدى) قطع العطاء، كما يقطع البئر الماء واشتقاق (اكدى) من كدية الركية، وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر إليها يئس من الماء، فيقول بلغنا كديتها أي صلابتها التي تويئس من الماء، يقال: اكدى يكدي إكداء إذا منع الخير، وكديت أظفاره إذا غلظت، وكديت أصابعه إذا كلت، فلم تعمل شيئا، وكدى النبت إذا قل ريعه، والأصل واحد. وقيل: الكدية صخرة يبلغ إليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر.

وقوله (أعنده علم الغيب فهوى يرى) إنكار على من ذكره، وهو الذي تولى وأعطى قليلا من ماله ليتحمل عنه خطأه، فقال (أعنده علم الغيب فهوى يرى) أي يعلم صدق الذي وعده ليتحمل خطاياه؟!

قوله تعالى:

(أم لم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي
وفى (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨) وأن ليس للانسان
إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزيه الجزاء
الأوفى (٤١) وأن إلى ربك المنتهى (٤٢) وأنه هو أضحك
وأبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا (٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى) (٤٦) احدى عشرة آية بلا خلاف.
لما وبخ الله تعالى الذي أعطى قليلا وأكدى، وبين أنه ليس عنده علم الغيب فيصدق من قال إنه يتحمل خطاياه، بين ان الذي وعده بذلك (أم لم ينبأ) أي لم يخبر بما في صحف الأنبياء ولم يعلم ذلك ف (أم) بمعنى (بل) وتقديره بل لم ينبأ بما في صحف موسى والصحف جمع صحيفة والمراد - ههنا - مكتوب الحكمة، لأنها كتب الله.
وقوله (وإبراهيم) أي ولا في صحف إبراهيم (الذي وفى) أي وفى بما يجب عليه الله - عز وجل - واستحق أن يمدح بهذا المدح. وقال مجاهد (وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى) وقيل في رسالة ربه في هذا أو في غيره - ذكره سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد - وهو أليق بالعموم. وقوله (الذي وفى) قيل: استحق المدح بذبح ولده وإلقائه في النار وتكذيبه في الدعاء إلى الله فوفى ما عليه في جميع ذلك. وقوله (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي بين الله تعالى في صحف إبراهيم وموسى أن لا تزر وازرة وزر أخرى، ومعناه أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، يقال: وزر يزر إذا كسب وزرا، وهو الاثم، فهو وازر.
وقوله (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) معناه ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمل دون ما عمله غيره، ومتى دعا إلى الايمان من أجاب إليه فهو محمود عليه على طريق التبع كأنه من أجل عمله صار له الحمد على هذا، ولو لم يعمل شيئا ما استحق شيئا لا ثوابا ولا عقابا.
وقوله (وأن سعيه سوف يرى) معناه إن ما يفعله الانسان ويسعى فيه لابد أن يرى في ما بعد بمعنى أنه يجازى عليه من ثواب أو عقاب، وبين ذلك بقوله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أي يجازى على اعماله الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم، والهاء في (يجزاه) عائدة على السعي.
وقوله (وان إلى ربك المنتهى) معناه وأن إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمور، والمنتهى هو المصير إلى وقت بعد الحال الأولى عن حال مثلها، فللتكليف منتهى، وليس للجزاء في دار الآخرة منتهى. والمنتهى قطع العمل إلى حال أخرى والمنتهى والآخر واحد. وقوله (وأنه هو اضحك وأبكى) قيل اضحك بأن فعل سبب ذلك من السرور والحزن، كما يقال أضحكني فلان وأبكاني إذا كان سبب ذلك بما يقع عنده ضحكي وبكائي، فعلى هذا الضحك والبكاء من فعل الانسان. وقد قال الله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) (١) ولو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلك. وقال تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) (٢) وقال (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) (٣) فنسب الضحك إليهم. وقال الحسن: الله تعالى هو الخالق للضحك والبكاء، والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب، فإذا هجم على الانسان منه مالا يمكنه دفعه فهو من فعل الله الذي أضحك وأبكى. والبكاء جريان الدموع على الخد عن غم في القلب، وإنما يبكى الانسان عن فرح يمازجه تذكر حزن، فكأنه عن رقة في القلب يغلب عليها الغم.
وقوله (إنه أمات وأحيى) معناه انه تعالى الذي يخلق الموت فيميت به الاحياء لا يقدر على الموت غيره، لأنه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة، لان القادر على الشئ قادر على ضده، ولا أحد يقدر على الحياة إلا الله.

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٣
(٢) سورة ٥٣ النجم آية ٦٠
(٣) سورة ٨٣ المطففين آية ٣٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (وأحيا) أي هو الذي يقدر على الحياة التي يحيي بها الحيوان لا يقدر عليها غيره من جميع المحدثات.
ثم بين أيضا (أنه) الذي (خلق الزوجين الذكر) منهما (والأنثى من نطفة) أي خلق الذكر والأنثى من النطفة، وهي ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد (إذا تمنى) يعني إذا خرج المني منهما وجعل في الرحم خلق الله تعالى منها الولد إما ذكرا واما أنثى، ومعنى تمنى أي تلقى على تقدير في رحم الأنثى، واصله التقدير يقولون: منى يمني فهو مان إذا قدر قال الشاعر:
حتى تقلاقي ما يمنى لك ألماني (١)
أي يقدر ومنه التمني تقدير المعنى للاستمتاع به.
قوله تعالى:
(وأن عليه النشأة الأخرى (٤٧) وانه هو اغنى وأقنى (٤٨)
وأنه هو رب الشعرى (٤٩) وأنه أهلك عادا الأولى (٥٠) وثمود
فما أبقى (٥١) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى (٥٢)
والمؤتفكة أهوى (٥٣) فغشيها ما غشى (٥٤) فبأي آلاء ربك
تتمارى) (٥٥) تسع آيات بلا خلاف.
قرأ أهل البصرة غير سهل (عاد الولي) مدغمة بلا همز، وعن نافع خلاف فإنه ادغم وترك الهزة إلا قالون، فإنه همز، الباقون بالهمز والاظهار. من أدغم القى حركة الهمزة على اللام، فانضمت ثم سكنها وحذف همزة الوصل، ولقيتها

(١) مر في ١ / ٣١٩ وهو في القرطبي ١٧ / ١١٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

النون فأدغمت في اللام، ونظير ذلك قول العرب: قم الان عنا، يريدون ثم الآن عنا. وقولهم: صم الاثنين أي صم الاثنين. الباقون تركوه على حاله. وقرأ حمزة وحفص عن عاصم (وثمود) بلا تنوين. الباقون بتنوين. قال الفراء: وقوله (وآتينا ثمود الناقة) (١) ترك صرفها لأنه ليس فيها الف.

لما بين الله تعالى انه هو الذي يخلق الذكر والأنثى من النطفة إذا تمنى ذكر (وان عليه النشأة الأخرى) وهي البعثة يوم القيامة، والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المسببة، وهما نشأتان: الأولى في الدنيا، والثانية في الآخرة.

ثم قال " وانه هو اغنى وأقنى " ومعناه أغنى بالمال وأقنى بأصول الأموال. وقال مجاهد: اقنى أي أخدم. وقال الزجاج: ومعناه اغنى بعد الفقر وأقنى بالمال الذي يقتنى. وقيل: معنى (اقنى) انه جعل له أصل مال، وهو القنية التي جعلها الله للعبد، فاما (اغنى) فقد يكون بالعافية والقوة والمعرفة قال الأعشى:

فأقنيت قوما واعمرتهم * واخربت من ارض قوم ديارا (٢)

أي جعل لهم قنية. واصل (اقنى) الاقتناء، وهو جعل الشئ للنفس على اللزوم، فمنه القناة، لأنها مما يقتنى ومن ذلك أقنى الانف، لأنه كالقناة في ارتفاع وسطه ودقة طريقه. والقنو العذق قبل ان يبلغ لأنه كالذي يقتنى في اللزوم حتى يبلغ، والمقاناة المشاكلة في اللون.

وقوله (وأنه هو رب الشعرى) معناه وان الله الذي خلق الشعرى واخترعها.

والشعرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو أحد كوكبي ذراع الأسد وقم المرزم، وكانوا يعبدونهما في الجاهلية - في قول مجاهد وقتادة - ثم قال " وانه أهلك عادا الأولى " قيل هو عاد بن ارم، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية. وعاد

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٥٩

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٨٢ وروايته (فأقللت)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الآخرة أهلكوا ببغي بعضهم على بعض، فتفاتوا بالقتل - ذكره ابن إسحاق -
وقال الحسن: الأولى أي قبلكم، وإنما فتحت (أن) في المواضع كلها، لأنها عطف على قوله " أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى " وبكذا وكذا، فلما حذف الباء نصبه. وقوله " وثمود فما أبقى " نصب ب (أهلك) الذي قبله، وتقديره وأهلك ثمودا فما أبقى، ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله " فما أبقى " لان (ما) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها، لا تقول: زيدا ما ضربت، لأنها من الحروف التي لها صدر الكلام، كألف الاستفهام.
وقوله " وقوم نوح من قبل " معناه وأهلكنا قوم نوح من قبل قوم صالح
" إنهم كانوا هم أظلم وأطغى " فالأظلم الأعظم ظلما، والأطغى الأعظم طغيانا، فالظلم يتعاظم كما يتعاظم الضرر، وعظم الظلم بحسب عظم الزاجر عنه. وقيل:
مكث نوح في قومه يدعوهم إلى الله وكلما دعاهم فما يزدادون إلا تتابعا في الضلال وتواصيا
بالتكذيب لامر الله - في قول قتادة -
وقوله " والمؤتفكة " يعني المنقلبة، وهي التي صار أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها ائتفكت بهم تؤتفك ائتفاكا، ومنه الافك الكذب، لأنه قلب المعنى عن وجهه. ومعنى " أهوى " نزل بها في الهوى، ومنه الهوى: أهوى بيده ليأخذ كذا، وهوى هواء إذا نزل في الهواء، فأما إذا نزل في سلم أو درجة، فلا يقال: أهوى، ولا هوى. وقيل: قرية سدوم، قوم لوط، رفعها جبرائيل إلى السماء ثم أهوى بها قالبا لها - في قول مجاهد وقتادة - وقوله " فغشاها ما غشى " يعني من الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء - في قول قتادة وابن زيد - والمعنى فجللها من العذاب ما يعمها حتى أتى عليها (ما غشى) وفيه تفخيم شأن العذاب الذي رماها به ونالها من جهة إبهامه في قوله " ما غشى " كأنه قد جل الامر عن أن يحتاج

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إلى تفصيل وصفه.
وقوله " فبأي آلاء ربك تتمارى " معناه بأي نعم ربك ترتاب يا بن آدم!
- ذكره قتادة - وإنما قيل بعد تعديد النعم " فبأي آلاء ربك تتمارى " لان النقم التي عددت على من ذكر نعم من الله علينا لما لنا في ذلك من اللطف في الانزجار عن القبيح مع أنه نالهم ما نالهم بكفرهم فبأي نعم ربك أيها المخاطب تتمارى حتى تكون مقارنا لهم في سلوك بعض مسالكهم، أي فما بقيت لك شبهة بعد تلك الأهوال في جحد نعمه.
قوله تعالى:
(هذا نذير من النذر الأولى (٥٦) أزفت الآزفة (٥٧)
ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨) أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩)
وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون (٦١) فاسجدوا لله
واعبدوا) (٦٢) سبع آيات بلا خلاف.
قوله " هذا نذير " إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - في قول قتادة - وقال أبو مالك: هو إشارة إلى القرآن " من النذر الأولي " في صحف إبراهيم وموسى.
يقول الله تعالى " هذا " يعني محمدا " نذير " أي مبين لما ينبغي أن
يحاذر منه وما ينبغي ان يرغب فيه بأحسن البيان، وهذه صفة رسل الله عليهم السلام.
والنبي أحسن الناس انذارا وأكرمهم إبلاغا لما امر الله بتبليغه إلى أمته. وقوله
" من النذر الأولى " من جملة الرسل الذين بعثهم الله، وإن كان هو آخرهم، كما تقول: هو من بني آدم، وإن كان أحدهم.
وقوله " أزفت الآزفة " معناه دنت القيامة، وهي الدانية. قال النابغة الذبياني

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد (١)
وقال كعب بن زهير:
بان الشباب وأمسى الشيب قد أزفا * ولا أرى لشباب ذاهب خلفا (٢)
وإنما سميت القيامة آزفة، وهي الدانية، لان كل آت قريب، فالقيامة قد قربت بالإضافة إلى ما مضى من المدة من لدن خلق الله الدنيا. وقوله " ليس لها من دون الله كاشفة " معناه لا يقدر أن يقيمها إلا الله وحده، وليس يجلي عنها ويكشف عنها سواه. وقيل كاشفة أي جامعة كاشفة أي نفس كاشفة، ويجوز أن يكون مصدرا مثل العافية والعاقبة والواقية، فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أي ذهاب أي لا يقدر أحد غير الله على ردها. وقال الحسن: هو مثل قوله " لا يجليها لوقتها إلا هو " (٣) وقيل: كاشفة بمعنى الانكشاف كقوله " ليس لوقعتها كاذبة " (٤) ومثله " ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم " (٥) أي خيانة. والسامد اللاهي، يقال دع عنك سمودك أي امرك، وكأنه المستمر في اللهو، يقال: سمد يسمد سمودا فهو سامد، وقال الشاعر:
قيل قم فانظر إليهم * ثم دع عنك السمودا (٦)
ويقال للجارية: اسمدي لنا أي غني. وقوله " فاسجدوا لله واعبدوا " أمر من الله تعالى بالسجود له والصلاة وان يعبدوه خالصا مخلصا لا يشركون به أحدا في العبادة، فتعالى الله عن ذلك، وفي الآية دلالة على أن السجود - ههنا - فرض على ما يذهب إليه أصحابنا لان الامر يقتضي الوجوب.

---

(١) القرطبي ١٧ / ١٢٢ والطبري ٢٧ / ٤٣
(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ٤٣
(٣) سورة ٧ الأعراف آية ١٨٦
(٤) سورة ٥٦ الواقعة آية ٢
(٥) سورة ٥ المائدة آية ١٤
(٦) اللسان (سمد)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مكية بلا خلاف. وهي خمس وخمسون آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وإن يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر (٢) وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر
مستقر (٣) ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر (٤) حكمة
بالغة فما تغن النذر) (٥) خمس آيات.
قرأ أبو جعفر " وكل امر مستقر " بالجر صفة ل (أمر). الباقون بالرفع
على أنه خبر (كل).
هذا اخبار من الله تعالى بدنو الساعة وقرب أوانها، فقوله " اقتربت " أي
دنت وقربت وفي (اقتربت) مبالغة، كما أن في (اقتدر) مبالغة على القدرة،
لان أصل (افتعل) طلب اعداد المعنى بالمبالغة نحو (اشتوى) إذا أتخذ شوى في
المبالغة في اتخاذه، وكذلك (اتخذ) من (اخذ). والساعة القيامة. وقال الطبري:
تقديره اقتربت الساعة التي يكون فيها القيامة. وجعل الله تعالى من علامات دنوها
انشقاق القمر المذكور معها، وفى الآية تقديم وتأخير، وتقديره انشق القمر واقتربت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الساعة. ومن أنكر انشقاق القمر وأنه كان، وحمل الآية على كونه في ما بعد - كالحسن البصري وغيره، واختاره البلخي - فقد ترك ظاهر القرآن، لان قوله " انشق " يفيد الماضي، وحمله على الاستقبال مجاز. وقد روى انشقاق القمر عبد الله بن مسعود وانس ابن مالك وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم ومجاهد وإبراهيم، وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعتد بخلاف من خالف فيه لشذوذه، لان القول به أشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدل على صحته، وأنهم اجمعوا عليه فخلاف من خالف في ما بعد لا يلتفت إليه. ومن طعن في انشقاق القمر بأنه لو كان لم يخف على أهل الافطار فقد أبعد لأنه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم، ولأنه كان ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا به، لأنه لم يستمر لزمان طويل بل رجع فالتأم في الحال، فالمعجزة تمت بذلك.

وقوله " وإن يروا آية " احتمل أن يكون اخبارا من الله تعالى عن عناد كفار قريش بأنهم متى رأوا معجزة باهرة وحجة واضحة أعرضوا عن تأملها والانقياد لصحتها عنادا وحسدا، وقالوا هو " سحر مستمر " أي يشبه بعضه بعضا. وقيل " سحر مستمر " من الأرض إلى السماء. وقال مجاهد وقتادة معناه ذاهب مضمحل وقال قوم: معناه شديد من أمرار الحبل، وهو شده فتله.

وقوله " وكذبوا " يعني بالآية التي شاهدوها ولم يعترفوا بصحتها ولا تصديق من ظهرت على يده " واتبعوا " في ذلك " أهواءهم " يعني ما تميل طبائعهم إليه، فالهوى رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو، تقول: هوى هوي هوا، فهو هلو إذا ما طبعه إلى الشئ، وهو هوى النفس مقصور، فأما هواء الجو فممدود ويجمع على أهوية. وهوى يهوي إذا انحدر في الهواء، والمصدر الهوى. والاسم الهاوي.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " وكل أمر مستقر " معناه كل أمر من خير أو شر مستقر ثابت حتى يجازى به إما الجنة أو النار - ذكره قتادة - ثم قال " ولقد جاءهم " يعني هؤلاء الكفار " من الانباء " يعني الاخبار العظيمة بكفر من تقدم من الأمم وإهلاكنا إياهم التي يتعظ بها " ما فيه مزدجر " يعني متعظ، وهو مفتعل من الزجر إلا أن التاء أبدلت دالا لتوافق الراء بالجهر مع الدال لتعديل الحروف فيتلاءم ولا يتنافر. وقوله " حكمة بالغة " معناه نهاية في الصواب، وغاية في الزجر بهؤلاء الكفار وقوله " فما تغنى النذر " يجوز في (ما) وجهان:

أحدهما - الجحد، ويكون التقدير: لا يغني التخويف.

والثاني - أن تكون بمعنى (أي) وتقديره أي شئ يغني الانذار. والنذر جمع نذير. وقال الجبائي: معناه إن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الآخرة الذي استحقوه بكفرهم، لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم.

قوله تعالى:

(فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نكر (٦) خشعا
أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٧) مهطعين
إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر (٨) كذبت قبلهم قوم
نوح فكذبوا عبد نا وقالوا مجنون وازدجر (٩) فدعا ربه أني
مغلوب فانتصر) (١٠) خمس آيات.

قرأ " خشعا " على الجمع أهل العراق إلا عاصما، الباقون " خاشعا " على وزن (فاعل) ونصبوه على الحال. ومن قرأ " خاشعا " بلفظ الواحد، فلتقدم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفعل على الفاعل. وقرأ ابن كثير وحده (نكر) بسكون الكاف. الباقون بالتثقيل وهما لغتان. وقال أبو علي النحوي: النكر أحد الحروف التي جاءت على (فعل، وفعل) وهو صفة. وعلى ذلك حمله سيبويه وأستشهد بالآية. ومثله ناقة أحد ومشية سجح. ومن خفف جعله مثل رسل رسل وكتب وكتب، والضمة في تقدير الثبات.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنه ليس ينفع في وعظهم وزجرهم الحكمة البالغة، ولا يغني النذر أمر النبي بالاعراض عنهم وترك مقابلتهم على سفههم. فقال " فتولى عنهم " أي اعرض عنهم " يوم يدع الداعي إلى شئ نكر " قيل في معناه أقوال:

أحدها - قال الحسن فتولى عنهم إلى يوم يدعو الداعي.

والثاني - فتول عنهم وأذكر يوم يدع الداعي إلى شئ نكر، يعني لم يروا مثله قط فينكرونه استعظاما له.

الثالث - ان المعنى فتول عنهم، فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدعو الداعي وهو يوم القيامة، فحذف الفاء من جواب الامر. والداعي هو الذي يطلب من غيره فعلا. ونقيضه الصارف، وهو الطالب من غيره أن لا يفعل بمنزلة الناطق بأن لا يفعل، تقول: دعا يدعو دعاء فهو داع وذاك مدعو. والنكر: هو الذي تأباه من جهة نفور الطبع، وهو صفة على وزن فعل، ونظيره رجل جنب وارض جرز، وهو من الانكار نقيض الاقرار، لان النفس لا تقر بقبوله، وإنما وصف بأنه نكر لغلظه على النفس، وإنهم لم يروا مثله شدة وهؤلاء كأنهم ينكرونه لما قبح في عقولهم.

وقوله " خاشعا أبصارهم " فمعنى الخاشع الخاضع، خشع يخشع خشوعا، فهو خاشع، والجمع خشع، ويخشع الرجل إذا نسك، وخاشعا حال مقدمة. والعامل فيها (يخرجون) وقيل " خاشعا أبصارهم " لتقدم الصفة على الاسم، كما قال الشاعر:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وشباب حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد (١)
وقال آخر:
ترى الفجاج بها الركبان معترضا * أعناق أبزلها مرخى لها الجدل (٢)
والجديل هو الزمام، ولم يقل مرخيات ولا معترضات " يخرجون من الأجداث " يعني من القبور واجدها جدث وحذف أيضا لغة، واللحد جانب القبر وأصله الميل عن الاستواء " كأنهم جراد منتشر " أي من جراد منتشر من كثرتهم وقوله " مهطعين إلى الداعي " قال الفراء وأبو عبيدة: مسرعين. وقال قتادة: معناه عامدين بالاهطاع والاهطاع الاسراع في المشي، يقال: أهطع يهطع إهطاعا، فهو مهطع، فهؤلاء الكفار يهطعون إلى الداعي بالالجاء والاكراه والاذلال ووصفت الابصار بالخشوع، لان ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في نظره " يقول الكافرون هذا يوم عسر " حكاية ما يقوله الكفار يوم القيامة بأنه يوم عسر شديد عليهم ثم قال مثل ما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبد نا " يعني نوحا عليه السلام " وقالوا مجنون " أي هو مجنون قد غطي على عقله فزال بآفة تعتريه " وازدجر " قال ابن زيد: معناه زجر بالشتم والرمي بالقبيح. وقال غيره: ازدجر بالوعيد، لأنهم توعدوه بالقتل في قوله " لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " (٣) " فدعا " عند ذلك " ربه " فقال يا رب " اني مغلوب " قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة " فانتصر " منهم بالاهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك. وقال مجاهد: معنى (ازدجر) استطار واستفز جنونا.

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٢٩ والطبري ٢٧ / ٤٨
(٢) الطبري ٢٧ / ٤٨
(٣) سورة ٢٦ الشعراء آية ١١٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض
عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٠) وحملناه على ذات ألواح
ودسر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد
تركناها آية فهل مدكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر) (١٦)
ست آيات.
قرأ ابن عامر " ففتحنا " بالتشديد أي مرة بعد مرة وشيئا بعد شئ، لأنه كثر ودام لما فار التنور وانهمرت الأرض والسماء بالماء. الباقون بالتخفيف لأنه يأتي على القليل والكثير، وفي الكلام حذف، وتقديره ان نوحا عليه السلام لما دعا ربه فقال إني مغلوب فانتصر يا رب وأهلكهم فأجاب الله دعاءه وفتح أبو أب السماء بالماء، ومعناه أجرى الماء من السماء، فجريانه إنما فتح عنه باب كان مانعا له، وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه. وجاء ذلك على طريق البلاغة. والماء المنهمر هو المنصب الكثير قال امرؤ القيس:
راح تمر به الصبا ثم انتحى * فيه شؤبوب جنوب منهمر (١)
أي منصب مندفق، انهمر ينهمر انهمارا، وفلان ينهمر في كلامه، كأنه يتدفع فيه مع كثرته.
وقوله " وفجرنا الأرض عيونا " فالتفجير تشقيق الأرض عن الماء، ومنه انفجر العرق وأنفجر السكر، ومنه قوله " وفجرنا خلالهما نهرا " (٢) وعيون الماء

---

(١) الطبري ٢٧ / ٤٩ والقرطبي ١٧ / ١٣٢
(٢) سورة ١٨ الكهف آية ٣٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

واحدها عين، وهو ماء يفور من الأرض مستدير كاستدارة عين الحيوان، والعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الميزان وعين الذهب وعين السحابة وعين الركبة " فالتقى الماء على أمر قد قدر " معناه إن المياه كانت تجري من السماء ومن الأرض
على ما أمر الله به وأراده وقدره. وإنما قال " فالتقى الماء " والمراد به ماء السماء وماء الأرض، ولم يثن، لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير " على أمر قد قدر " فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ. وقيل: معناه إنه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الأرض.
ثم قال تعالى " وحملناه " يعني نوحا " على ذات ألواح ودسر " يعني السفينة ذات ألواح مركبة بعضها إلى بعض، والدسر هي المسامير التي تشد بها السفينة - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد - واحدها دسار ودسير، ودسرت السفينة ادسرها دسيرا إذا شددتها بالمسامير أو نحوها. وقيل: الدسر صدر السفينة تدسر به الماء أي تدفع - عن الحسن - وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة. وقال الضحاك: الدسر طرفاها وأصلها. وقال الزجاج: الدسر المسامير والشرط التي تشد بها الألواح.
وقوله " تجري بأعيننا " معناه تجري السفينة بمر أي منا، ونحن نذكرها. وقيل: أعين الماء التي أنبعناها. وقيل: تجري بأعين أوليائنا والموكلين بها من الملائكة.
وقوله " جزاء لمن كان كفر " أي كفر به وهو نحوه أي لكفرهم به، كأنه قال غرقناهم لأجل كفرهم بنوح. وقيل: جزاء لنوح وأصحابه أي نجيناه ومن آمن معه لما صنع به، وكفر فيه بالله.
وقوله " ولقد تركناها آية " يعني السفينة تركناها دلالة باهرة " فهل من مدكر " بها ومتعظ بسببها فيعلم أن الذي قدر على ذلك لا يكون من قبيل الأجسام وانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ. وقال قتادة: أبقى الله تعالى سفينة نوح حتى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أدركها أوائل هذه الأمة، فكان ذلك آية (ومدكر) أصله متذكر، فقلبت التاء دالا لتواخي الدال بالجهر. ثم أدغمت الذال فيها. وقيل: وجه كونها آية انها كانت تجري بين ما الأرض وماء السماء، وكان قد غطاها على ماء أمره الله تعالى به.

وقوله

" فهل من مدكر " قد بينا معناه. وقال قتادة: معناه فهل من طالب علم فيعان عليه.

وقوله " فكيف كان عذابي ونذر " تهديد للكفار وتنبيه لهم على عظم ما فعله بأمثالهم من الكفار الجاحدين لتوحيده. وإنما كرر " فكيف كان عذابي ونذر " لأنه لما ذكر أنواع الانذار والعذاب انعقد التذكير لشئ شئ منه على التفصيل، والنذر جمع نذير - في قول الحسن - قال: وتكذيب بعضهم تكذيب لجميعهم. وقال الفراء: هو مصدر، ومنه " عذرا أو نذرا " (١) مخففة ومثقلة و " إلى شئ نكر " ويقال: أنذره نذرا بمعنى إنذارا مثل أنزله نزلا بمعنى إنزالا.

قوله تعالى:

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧) كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا
في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل
منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر) (٢١) خمس آيات.

أقسم الله تعالى بأنه يسر القرآن للذكر، والتيسير للشئ هو تسهيله، وأخذه بما ليس فيه كثير مشقة على النفس، فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بالحظ الجزيل

---

(١) سورة ٧٧ المراسلات آية ٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

منه، لان التيسير أكبر داع إليه، وتسهيل القرآن للذكر خفة ذلك على النفس لحسن البيان وظهر البرهان في الحكم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من الله تعالى، وإنما صار الذكر من اجل ما يدعى إليه ويحث عليه، لأنه طريق العلم، لان الساهي عن الشئ أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال شهوة، فإذا تذكر الدلائل عليه والطريق المؤدية إليه فقد تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له.

وقوله " فهل من مدكر " معناه فهل من متعظ معتبر بذلك ناظر فيه.

ثم قال (كذبت عاد) يعني بالرسول الذي بعثه إليهم، وهو هود عليه السلام فاستحقوا الهلاك فأهلكهم الله (فكيف كان عذابي) لهم و (نذر) أي وإنذاري إياهم. ثم بين كيفية إهلاكهم فقال (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) وهي الشديدة الهبوب حتى يسمع في صوتها صرير، وهو مضاعف صر مثل كب وكبكب ونهه ونهنهه، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: كانت ريحا باردة. وقال ابن زيد وسفيان: كانت شديدة.

وقوله (في يوم نحس) يعني يوم شؤم - في قول قتادة - (مستمر) أي استمر بهم العذاب إلى نار جهنم - في قول قتادة - وقوله (تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر) معناه تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيصيرون كأنهم أعجاز نخل، لان رؤسهم سقطت عن أبدانهم - في قول مجاهد - وقيل: استمرت بهم الريح سبع ليال وثمانية أيام حتى أتت عليهم شيئا بعد شئ. وقيل (تنزع الناس) من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح. وقال الحسن: فيه اضمار تقديره تنزع أرواح الناس، واعجاز النخل أسافله. والنخل يذكر ويؤنث، والمنقعر المنقلع من أصله، لان قعر الشئ قراره المستقل منه، فلهذا قيل للمنقطع من أصله: منقعر، يقال: انعقر انعقارا، وقعره تقعيرا، وتقعر - في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كلامه (تقعرا إذا تعمق. (فكيف كان عذابي ونذر) تعظيم للعذاب النازل بهم.
والانذار في الآية هو الذي تقدم إليهم به. وفائدة الآية التحذير من مثل سببه لئلا يقع بالمحذر مثل موجبه.
قوله تعالى:
(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٢٢) كذبت
ثمود بالنذر (٢٣) فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال
وسعر (٢٤) أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر (٢٥)
سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (٢٦) إنا مرسلوا الناقة فتنة
لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧) ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل
شرب محتضر (٢٨) فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر (٢٩) فكيف
كان عذابي ونذر) (٣٠) تسع آيات.
قرأ " ستعلمون " بالتاء أهل الشام وحمزة، على الخطاب، الباقون بالياء على الغيبة، اللام في قوله (ولقد) جواب القسم فالله تعالى أقسم بأنه يسر القرآن للذكر، وقد بينا معناه. وقيل: الوجوه التي يسر الله بها القرآن هو أنه ابان عن الحكم الذي يعمل عليه، والمواعظ التي يرتدع بها، والمعاني التي يحتاج إلى التنبيه عليها والحجج التي تميز بها الحق من الباطل. وإنما أعيد ذكر التيسير لينبئ عن انه يسر بهذا الوجه من الوجوه كما يسر بالوجه الأول. وقد يسر بحسن التأليف للحفظ كما يسر بحسن البيان عما يخاف للوعظ. وقال الزجاج: إن كتب الأنبياء كانوا يقرؤنها نظرا ولم يحفظونها، والقرآن سهل الله تعالى عليهم حفظه فيحفظه الخلق الكثير، والتيسير

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التمكين التام لأنه قد يمكن العمل بمشقة وبغير شقة، فالذي تنتفى عنه المشقة للتمكين التام هو المسهل. وفائدة الآية تبيين ما ينبغي أن يطلب العلم من جهته. وإنما كرر لأنه حث على ذلك بعد حث، وأنه ميسر بضروب التيسير.

وقوله (كذبت ثمود بالنذر) إخبار من الله تعالى أن ثمود، وهم قوم صالح كذبت بالانذار. ومن قال: النذر جمع نذير قال لان تكذيب واحد من الرسل في إخلاص توحيد الله كتكذيب جميعهم، لأنهم متفقون في ذلك وإن اختلفت شرائعهم. وفائدة الآية التحذير من مثل حالهم.

ثم حكى ما قالته ثمود فإنهم (قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) والمعنى أنتبع بشرا منا واحدا أنتبعه؟! ودخلت عليهم الشبهة، فظنوا أن الأنبياء ينبغي أن يكونوا جماعة، لان الأشياء ذووا نظائر تجري على حكم واحد، وتركوا النظر في أنه يجوز ان يصلح واحد من الخلق لتحمل النبوة وإن لم يصلح له غيره، فصار بمنزلة مدع لا دليل معه على صحة دعواه عندهم. وفائدة الآية تبيان شبهتهم الخسيسة الضعيفة وانهم حملوا أنفسهم على تكذيب الرسل لأجلها. وجوابهم أن يقال لهم: لأنه لا يصلح له سواه من جهة معرفته بربه وقيامه بأداء رسالته وسلامة ظاهره وباطنه.

وقوله (إنا إذا لفي ضلال) معناه إن اتبعناه مع أنه واحد منا إنا إذا لفي ضلال عن الصواب (وسعر) أي وعناء - في قول قتادة - والسعر جمع سعير كأنهم في ضلال وعذاب كعذاب السعير. وقال قوم: معناه وسعر جنون. واصله التهاب الشئ وهو شدة انتشاره، يقال: ناقة مسعورة إذا كان لها جنون. وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد وعذاب، ويجوز جنون.

وقوله (أألقي الذكر عليه من بيننا) استفهام من قوم صالح على وجه الانكار والجحود والتعجب، ومعنى (أألقي الذكر) يعني الوحي (من بيننا) لما رأوا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

استواء حال الناس في الظاهر لم يكن بعضهم أحق عندهم بانزال الوحي عليه من بعض. وقد وصفوا أنفسهم أن حاله مساوية لأحوالهم فجاء من هذا ألا يكون أحق بالوحي الذي ينزل عليه منهم، واغفلوا أن الله اعلم بمصالح عباده ومن يصلح للقيام برسالته ممن لا يصلح.

ثم حكى ما قالوه في صالح، فإنهم قالوا (بل هو كذاب) في دعواه أنه نبي أوحى الله إليه (أشر) أي بطر، فالأشر البطر الذي لا يبالي ما قال. وقيل: هو المرح الطالب للفخر وعظم الشأن، يقال: أشر يأشر أشرا كقولك: بطر يبطر بطرا وأشر واشر مثل حذر وحذر، وعجل وعجل وفطن وفطن ونحس ونحس. فقال: الله تعالى على وجه التهديد لهم (ستعلمون غدا من الكذاب الأشر) وقرأ أبو قلابة (الكذاب الأشر) وهذا ضعيف، لأنهم يقولون: هذا خير من ذا وشر من ذا، ولا يقال: أشر، ولا أخير إلا في لغة ردية. ومن قرأ (ستعلمون) بالتاء على وجه الخطاب إليهم أي قل لهم، وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم. ومن قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عن الغائب وهي قراءة الباقين، لان الكذاب الأشر يوم القيامة يعاقبه الله بعذاب النار، فيعلم حينئذ أي الفريقين هم. وقرب الله تعالى القيامة كقرب غد من اليوم. والفرق بين قوله (ستعلمون غدا من الكذاب) وبين قوله لو قال (ستعلمون غدا الكذاب الأشر) أن الأول يفيد فريقين التبس الكذب بكل واحد منهما فيأتي العلم مزيلا لذلك الالتباس وليس كذلك الثاني.

ثم بين تعالى أنه ارسل الناقة وبعثها بأن أنشأها معجز لصالح، لأنه أخرجها من الجبل الأصم يتبعها ولدها. وقوله (فتنة لهم) نصب (فتنة) على أنه مفعول له. ومعنى ذلك ابتلاء لهم ومحنة، لأنه تعالى نهاهم ان ينالوها بسوء مع تضيق الشرب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليهم بأن لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر. والشرب - بكسر الشين - الحظ من الماء - وبضم الشين - فعل الشارب.
ثم حكى تعالى ما قال لصالح فإنه تعالى قال له (واصطبر) أي أصبر على أذاهم (ونبئهم) أي اخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) يوم للناقة ويوم لهم (كل شرب محتضر) أي كل قسم يحضره من هو له. وقيل المعنى نبئهم أي يوم لهم وأي يوم لها إلا أنه غلب من يعقل، فقال نبئهم. وقيل: كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة ويشربونه وإذا حضرت أحضروا اللبن وتركوا الماء لها - ذكره مجاهد - وقيل: كانت الناقة تحضر شربها وتغيب وقت شربهم. وكل فريق يحضر وقت شربه.
وقوله (فنادوا صاحبهم) يعني الذي وافقوه على عقر الناقة، وهو أحمر ثمود، والعرب تغلط فتقول: أحمر عاد. ويريدون بذلك ضرب المثل في الشؤم، وإنما هو أحمر ثمود - ذكره الزجاج - وقال قوم: اسمه قدار بن سالف.
وقوله (فتعاطى فعقر) قال ابن عباس تعاطى تناول الناقة بيده فعقرها، وقال معناه تعاطى عقرها فعقرها فأهلكهم الله تعالى عقوبة على ذلك (فيكف كان عذابي ونذر).
قوله تعالى:
(إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة كانوا كهشيم المحتظر (٣١) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢) كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر (٣٤) نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر (٣٥) ولقد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بكرة
عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر) (٤٠) عشر آيات.
لما اخبر الله تعالى عن قوم صالح أنهم عقروا الناقة وأنه تعالى أهلكهم بين
كيف أهلكهم فقال (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) وهي المرة من الصوت بشدة
عظيمة هلكوا كلهم بها، يقال: صاح يصيح صياحا وصايحة ومصايحة وصيح به
تصييحا وإنها صيحة تخلع القلوب وتهدم الأبدان لعظمها وقوله (فكانوا كهشيم
المحتظر) أي صاروا كالهشيم، وهو المنقطع بالتكسير والترضيض، هشم أنفه يهشمه
إذا كسره ومنه الهاشمة وهي شجة مخصوصة. والهشم - ههنا - يبس الشجر المتفتت
الذي يجمعه صاحب الحظيرة و (المحتظر) المبتني حظيرة على بستانه أو غيره، تقول
احتظر احتظارا، وهو من الحظر، وهو المنع من الفعل بحايط أو غيره، وقد يكون
الحظر بالنهي. وقرأ بفتح الظاء وهو المكان الذي يحتظر فيه الهشيم. وقيل:
هشيم المحتظر قال الضحاك: هو الحظيرة تتخذ للغنم يبس فتصير رميما. وقيل:
الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه. وقيل: الهشيم اليبس من
الشجر أجمع الذي يفتت. وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)
قد فسرناه وقال قتادة: فهل من طالب علم يتعلم؟ وفيها دلالة على بطلان قول
المجبرة، لأنه ذكر انه يسر القرآن ليتذكر العباد به، ولو كان الامر على ما يقولون
لكان ليتذكر القليل منهم دون سائرهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (كذبت قوم لوط بالنذر) اخبار منه تعالى أن قوم لوط كذبوا الرسل بالانذار على ما فسرناه. وفائدة ذكر التحذير على ما بيناه من فعل مثله لئلا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، وفي الكلام حذف وتقديره فأهلكناهم. ثم بين كيف أهلكهم فقال (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) والحاصب الحجارة التي يرمى بها القوم، حصبوا بها إذا رموا، ومنه الحصباء الأرض ذات الحصى، لأنه يحصب بها وقيل: الحاصب سحاب رماهم بالحجارة وحصبهم بها قال الفرزدق:

مستقبلين رياح الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور (١)

ثم استثنى آل لوط، وتقديره إنا أرسلنا عليهم حاصبا أهلكناهم به (إلا آل لوط) فانا (نجيناهم) وخلصناهم من العذاب (بسحر) أي بليل لا سحرا بعينه، لان سحرا إذا أردت به سحر يومك لم تصرفه، وإذا أردت به سحرا من الأسحار صرفته.

وقوله (نعمة من عندنا) قال الزجاج نصبه على أنه مفعول له، ويجوز أن يكون على المصدر، وتقديره أنعمنا بها عليهم نعمة. ثم قال (كذلك نجزي من شكر) أي مثل ما فعلنا بهم نفعل بمن يشكر الله على نعمه، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم للمنعم، ونقيضه كفر النعمة، ومثله الحمد على النعمة.

ثم اخبر تعالى عن لوط بأنه أنذر قومه بطشة الله وهي الاخذ بالعذاب بشدة فكذلك أخذ الله - عز وجل - آل لوط بأشد العذاب بالائفاك ورمي الأحجار من السماء.

وقوله (فتماروا بالنذر) أي تدافعوا على وجه الجدال بالباطل، يقال: تمارى القوم تماريا وماراه مماراة ومراء، ومراه يمريه مريا إذا أستخرج ما عنده من العلم بالمري.

---

(١) مر في ٦ / ٥٠٢ و ٨ / ٢٠٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (ولقد راودوه عن ضيفه) إخبار منه تعالى بأن قوم لوط حاولوا ضيفه وراودوهم على الفساد، فالمراود المحاولة، فكأن قوم لوط طالبوه بأن يخلي بينهم وبين ضيفه لما يروته من الفاحشة. والضيف المنضم إلى غيره على طلب القرى، إذ كانوا أنوا لوطا على هذه الصفة إلى أن تبين أمرهم وانهم ملائكة الله أرسلهم لاهلاكهم وقوله (فطمسنا أعينهم) فالطمس محو الأثر بما يبطل معه إدراكه، طمس يطمس طمسا وطمس الكتاب تطميسا وطمست الريح الآثار إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، قال كعب بن زهير:

من كل نضاخة الذفرى إذا عرفت * عرضتها طامس الاعلام مجهول (١)

وقال الحسن وقتادة: عميت أبصارهم. وقال الضحاك: إنهم دخلوا البيت على لوط، فلما لم يروهم سألوا عنهم وانصرفوا.

وقوله (فذوقوا عذابي ونذر) معناه قالت لهم الملائكة ذوقوا عذاب الله ونذره أي وما خوفكم به من عذابه.

ثم قال تعالى (ولقد صبحهم) يعني قوم لوط (بكرة) نصبه على الظرف فإذا أردت بكرة يومك لم تصرفه. وإذا أردت بكرة من البكرات صرفته. ومثله غدوة وغدواة. وقوله (عذاب مستقر) أي استقر بهم حتى هلكوا جميعا. وقوله (فذوقوا عذابي ونذر) قيل: قالت لهم الملائكة ذلك. وقال قوم: القائل هو الله تعالى قال لهم في تلك الحال يعني عند طمس أعينهم. والائتفاك بهم ورميهم بالحجارة (ذوقوا عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقد فسرناه وبينا الوجه فيه.

---

(١) مر في ٢ / ٢٢٦ و ٣ / ٢١٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ولقد جاء آل فرعون النذر (٤١) كذبوا بآياتنا كلها
فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (٤٢) أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة
في الزبر (٤٣) أم يقولون نحن جميع منتصر (٤٤)
سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة
أدهى وأمر) (٤٦) ست آيات.
قرأ روح وزيد (سنهزم) بالنون على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه
الباقون بالياء على ما لم يسم فاعله.
اخبر الله تعالى عن آل فرعون انه جاءهم النذر. ويحتمل أن يكون جمع
نذير، وهو الرسول المخوف. ويحتمل أن يكون المراد به الانذار على ما بيناه ومعناه
إنه جاءهم التخويف من معاصي الله والوعيد عليها.
ثم اخبر تعالى عنهم بأنهم (كذبوا بآياتنا) يعني حججنا وبراهيننا (كلها)
وآل فرعون خاصته الذين كانوا ينضافون إليه بالقرابة. والموافقة في المذهب،
ويقال: آل القرآن آل الله، لأنهم بمنزلة الآل في الخاصة والإضافة. والانذار
الاعلام بموقع المخافة ليتقى. والنذر والانذار مثل النكر والانكار. وهو جمع نذير
وهم الرسل. والداعي إلى تكذيب الرسل الشبهة الداخلة على العقلاء والتقليد والعادة
السيئة وغير ذلك.
ثم اخبر تعالى انه اخذهم بالعذاب والاهلاك (أخذ عزيز مقتدر) وهو
القاهر الذي لا يقهر ولا ينال، مقتدر على جميع ما يريده لكثرة مقدوراته.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (اكفاركم) يعني قريش وأهل مكة (خير من أولئكم) الكفار، والمعنى إنهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح وعاد وثمود. وقوله (أم لكم براءة في الزبر) معناه ألكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله.

وقوله (أم يقولون نحن جميع منتصر) قال الزجاج: معناه أيقولون ذلك إدلالا بقوتهم. ويحتمل أن يكون أرادوا نحن جميع أي يد واحدة على قتاله وخصومته (منتصر) أي ندفعه عنا وينصر بعضنا بعضا فقال الله تعال مكذبا لظنونهم (سيهزم الجمع) معناه إن جميعهم سيهزمون (ويولون الدبر) ولا يثبتون لقتالك، وكان كذلك فكان موافقته لما أخبر به معجزا له لأنه إخبار بالغيب قبل كونه، وانهزم المشركون يوم بدر وقتلوا وسبوا على ما هو معروف.

ثم قال (بل الساعة) يعني القيامة (موعدهم) للجزاء لهم بأنواع العقاب والنيران وقوله (والساعة أدهى وأمر) فالأدهى الأعظم في الدهاء. والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية وجمعه دواه، والداهية البلية التي ليس في إزالتها حيلة، والمراد ما يجري عليهم من القتل والأسر عاجلا لا يخلصهم من عذاب الآخرة بل عذاب الآخرة أدهى وأمر. والامر الأشد في المرارة، وهي ضرب من الطعم به يكون الشئ مرا. ويحتمل الامر الأشد في استمرار البلاء، لان الأصل التمرر. وقيل مرارة لشدة مرورها وطلبها الخروج بحدة. وقيل: الامر الأشد مرارة من القتل والأسر.

قوله تعالى:

(إن المجرمين في ضلال وسعر (٤٧) يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر (٤٨) إنا كل شئ خلقناه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بقدر (٤٩) وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٥٠) ولقد أهلكنا
أشياعكم فهل من مدكر (٥١) وكل شئ فعلوه في الزبر (٥٢)
وكل صغير وكبير مستطر (٥٣) إن المتقين في جنات ونهر (٥٤)
في مقعد صدق عند مليك مقتدر) (٥٥) تسع آيات بلا خلاف.
هذا إخبار من الله تعالى بأن المجرمين الذين ارتكبوا معاصي الله وتركوا طاعاته في ضلال وسعر، ومعناه في ضلال عن الحق وعدول عنه (وفي سعر) يعني في عذاب النار تسعرهم ومعناه إنهم يصيرون إليه، وإنما جمع بين الضلال والسعر، لأنه لازم لهم ومنعقد بحالهم وإن كان الضلال بعصيانهم والسعر بالعقاب على الضلال، وكأنهم قد حصلوا فيه بحصولهم في سببه الذي يستحق به. وقيل معنى في ضلال يعني في ذهاب عن طريق الجنة والآخرة في نار مسعرة.
وقوله (يوم يسحبون) أي يوم يجرون في النار على وجوههم (ذوقوا مس سقر) أي يقال لهم مع ذلك ذوقوا مس سقر، وهو كقولهم وجدت مس الحمى وكيف ذقت طعم للضرب. وقيل: إن سقر جهنم وقيل: هو باب من أبوابها، ولم يصرف للتعريف والتأنيث. ولما وصف العقاب قال (إنا كل شئ خلقناه بقدر) أي العقاب على مقدار الاستحقاق الذي تقتضيه الحكمة وكذلك غيره في كل خصلة. وفي نصب (كل) ثلاثة أوجه:
أحدها - على تقدير إنا خلقنا كل شئ خلقناه بقدر.
الثاني - انه جاء على زيدا ضربته.
الثالث - على البدل الذي يشتمل عليه، كأنه قال (إن كل شئ خلقناه بقدر) أي هو مقدر في اللوح المحفوظ. وقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالبصر) فاللمح خطف البصر، والمعنى وما أمرنا إذا أردنا أن يكون شيئا إلا مرة واحدة إنما نقول له كن فيكون أي هذه منزلته في سرعته وانطياعه.
ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش وغيرهم " ولقد أهلكنا أشياعكم " يعني اتباع مذهبكم في كفرهم بعبادة الأوثان تتابعوا قرنا بعد قرن في الاهلاك بعذاب الاستئصال. والشيعة أتباع القائد إلى أمر. وقيل: المعنى ولقد أهلكنا أشياعكم ممن هو منكم كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله فهي لكل أمة فهل من متعظ. وقال الحسن:
هو على الأمم السالفة " فهل من مدكر " معناه فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الاهلاك.
وقوله (وكل شئ فعلوه في الزبر) يعني في الكتب التي كتبتها الحفظة.
وقال ابن زيد في الكتاب. وقال الضحاك في الكتب وقوله (وكل صغير، وكبير مستطر) قال ابن عباس معناه إن جميع ذلك مكتوب مسطور في الكتاب المحفوظ، لأنه من أعظم العبرة في علم ما يكون قبل أن يكون على التفصيل، وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.
ثم قال تعالى (إن المتقين) يعني الذين اتقوا معاصيه وفعلوا واجباته (في جنات) يعني بساتين تجنها الأشجار (ونهر) أي انهار، فوضع نهرا في موضع أنهار، لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير، والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء، وهو خلاف الجدول، لأنه المجرى الصغير الشديد الجرى من مجاري الماء (في مقعد صدق) معناه في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (عند مليك مقتدر) أي بالمكان الذي كرمه لأوليائه المليك المقتدر. وقيل: في مقعد صدق عند المليك المقتدر بما هو عليه من صدق دوام النعيم به. وقال الفراء: معنى (في جنات ونهر) أي في ضياء وسعة، ويقال: أنهر دمه إذا سال وانهر بطنه إذا جاء بطنه مثل جرى النهر.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٥ - سورة الرحمن

قال قوم: هي مكية. وقال آخرون هي مدنية: وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي والشامي وسبع وسبعون عند الحجازيين وست وسبعون في البصري.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان) (١٣).

ثلاث عشرة آية كوفي وشامي، واثنتا عشرة آية بصري وإحدى عشرة آية في ما عداه، عد الكوفي والشامي (الرحمن) ولم يعده الباقون، وعدوا (خلق الانسان) إلا أهل المدينة فإنهم عدوا (البيان) آخر الآية. وقرأ (الحب ذا العصف) بالنصب شامي (والريحان) خفض كوفي غير عاصم، وعد الكوفيون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(الرحمن) آية مع أنه ليس بجملة، لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة وهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله (سورة أنزلناها) (١) أي هذه أنزلناها، ومعنى (الرحمن) هو الذي وسعت رحمته كل شئ، فلذلك لا يجوز أن يوصف به إلا الله تعالى، فأما (راحم ورحيم) فيجوز ان يوصف به العباد.

وقوله (علم القرآن) فالتعليم تبين ما به يصير من لم يعلم عالما. والاعلام إيجاد ما به يصير عالما، وفى قوله (الرحمن علم القرآن) تذكير بالنعمة في ما علم من الحكم بالقرآن التي يحتاج إليها الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم وينالوا الفضل بطاعة ربهم ويستوجبوا به الثواب وينالوا الرضوان.

وقوله (خلق الانسان) معناه إنه الذي اخترع الانسان وأخرجه من العدم إلى الوجود، وقيل: المراد بالانسان - ههنا - آدم عليه السلام. وقيل: محمد صلى الله عليه وآله وقيل: جميع الناس وهو الظاهر وهو الأعم في الجميع. وقوله (علمه البيان) أي خلق فيه التمييز الذي بان به من سائر الحيوان. وقيل: معناه علمه الكلام الذي يبين به عن مراده ويتميز به عن سائر الحيوان، فالبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم. وقيل: البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس، ومعنى قادر من معنى عاجز، ومعنى عام من معنى خاص، ومعنى شئ من معنى هذا بعينه، وفيه تنبيه على أنه تعالى خلق الانسان غير عالم، ثم علمه البيان، خلافا لقول من يقول من الجهال: إن الانسان لم يزل عالما بالأشياء، وإنما يحتاج فيه إلى تذكير، فكيف يكون عالما من لم يخلق بعد لولا الغباوة وقلة التحصيل.

وقوله (والشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحسبان فاضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه، فيكون ارتفاع الشمس بالفعل المقدر. وقال قوم: ارتفعا بتقديرهما بحسبان أي بحساب، والمعنى علمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقيل: المعنى أن أمرهما يجري في الادوار على مقدار من الحساب على ما وضعه حكيم عليم بتدبير صحيح، قد كان يمكن وضعهما على خلافه غير أنه اختار ذلك لاستغناء العباد بها في وجوه المنافع وما في ذلك من المصالح. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد: بحسبان، ومنازل يجريان فيها ولا يعدوانها. وقيل: إن القمر يقطع بروج السماء في ثمانية وعشرين يوما، والشمس تقطع ذلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وشئ. وقوله (بحسبان) خبر الشمس والقمر على قول من رفعهما بالابتداء (وحسبان) مصدر حسبته أحسبه حسبانا نحو السكران والكفران. وقيل: هو جمع حساب كشهاب وشهبان.

وقوله (والنجم والشجر يسجدان) فالنجم من النبات ما طلع، يقال: نجم ينجم إذا طلع، ونجم القرن والنبات إذا طلعا، وبه سمي نجم السماء، وهو الكوكب لطلوعه. والنجم - ههنا - النبت الطالع من الأرض، وهو النبات الذي ليس له ساق - في قول ابن عباس وسعيد وسفيان - وقال مجاهد: هو نجم السماء، وبه قال قتادة، والأول أقوى لمصاحبة الشجر. والشجر عند أهل اللغة النبات الذي له ساق وورق وأغصان يبقى ساقه على دور الحول من الرمان وأكثره مما له ثمار تجنى على ما دبرها صانعها من الاتيان بها في أبانها.

وقوله (يسجدان) إخبار من الله تعالى بأنهما يسجدان، وسجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما وعلى وجوب الخضوع لله تعالى والتذلل له لما خلق فيها من الأقوات المختلفة في النبات للناس وغيرهم من الحيوان والاستمتاع بأصناف الثمار والفواكه والرياض اللذيذة، فلا شئ أدعى إلى الخضوع والعبادة لمن أنعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذي ذكرنا في النجم والشجر. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: سجودهما ظلالهما الذي يلقيانه بكرة وعشيا، فكل جسم له ظل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث الذي لا يقدر عليه إلا قادر لا يعجزه شئ.
وقوله (والسماء رفعها) أي رفع السماء رفعها فوق الأرض للاعتبار بها والتفكر فيها، وأنه لا يقدر على رفعها غير القادر لنفسه الذي لا يعجزه شئ ولا يماثله موجود.
وقوله " ووضع الميزان " فالميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان، والوزن يعدل في ذلك، ولولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق، فلذلك نبه على النعمة فيه والهداية إليه.
وقوله " إلا تطغوا في الميزان " نهي كأنه قال أي لا تطغوا، لان (أن) تكون بمعنى أي ويجوز أن تكون علة، وتقديره ووضع الميزان لان لا تطغوا، وإنما أعاد ذكر الميزان من غير إضمار لئلا يكون الثاني مضمنا بالأول، وليكون قائما بنفسه في النهي عنه إذا قيل ألا تطغوا في الميزان. وقيل: لأنه نزل في وقتين. والأول أحسن. وقيل: المراد بالميزان العدل لان المعادلة موازنة الأسباب، والطغيان الافراط في مجاوزة الحد في العدل. وقيل: لا تطغوا فيه لان مالا يضبط في الوزن موضوع عنهم. وقال الزجاج: تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا. ويحتمل أن يكون نهيا مفردا. ويجوز أن يكون بمعنى (أي) مفسرة
وقوله " وأقيموا الوزن بالقسط " أمر من الله تعالى أن يقيموا الوزن إذا أرادوا الاخذ أو الاعطاء " بالقسط " أي بالعدل " ولا تخسروا الميزان " بمعنى لا تنقصوه. والخسران نقصان أصل المال، وهو ذهاب ما كان من رأس المال: خسر يخسر خسرا وخسرانا، وخسره تخسيرا، فهو خاسر ومخسر. قال الزجاج: قولهم:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أخسرت الميزان وخسرت، فعلى خسرت " لا تخسر " بفتح التاء، وقد قرأ به بعض المتقدمين شاذا لا يؤخذ به.

وقوله " والأرض وضعها للأنام " ليستقروا عليها. وقال ابن عباس: الأنام كل شئ فيه روح. وقال الحسن: الأنام الإنس والجن. وقال قتادة: الأنام الخلق. ويجوز أن يكون الأنام من ونم الذباب إذا صوت من نفسه، ويسمى كل ما يصوت من نفسه أناما. وقلبت الواو من ونام همزة كقولهم: أناة من (وناة).

ثم بين وجه المنافع للخلق فوضع الأرض " فيها فاكهة " وهي أنواع الثمار التي تؤخذ من الشجر فيها أنواع الملاذ وفنون الامتاع، فسبحان الذي خلقه لعباده وأجرى فيه ضروب الطعوم بلطفه، وكله يسقى بماء واحد في ارض واحدة من شجرة يابسة تنقلب إلى حال الغضاضة والنضرة، ثم تحمل الثمرة الكريمة، وكل ذلك بعين المعتبر وعلم المفكر.

وقوله " والنخل ذات الأكمام " اسم جنس يقع على القليل والكثير وواحده نخلة، وهو يذكر ويؤنث، والأكمام جمع (كم) وهو وعاء ثمر النخل، تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه. وقيل: الأكمام ليف النخلة التي تكمم فيه - في قول الحسن وقتادة - وقال ابن زيد: الأكمام الطلع الذي فيه ثمر النخلة. وقال الزجاج: كم القميص من هذا، لأنه يغطي اليد.

وقوله " والحب ذو العصف والريحان " قال ابن عباس وقتادة وابن زيد: العصف التبن. لان الرياح تعصفه أي تطيره بشدة هبوبها ومنه الريح العاصف، قال علقمة بن عبدة:

تسفي مذانب قد مالت عصيفتها * حدورها من أني الماء مطموم (١)

---

(١) ديوانه ١١١ واللسان (عصف) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وهو دقاق الزرع إذا يبس عصفته الريح. وقيل: العصف التبن. ويقال:
له العصيفة. والحب حب الحنطة والشعير ونحوهما، والريحان الرزق - في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - وقال الحسن وابن زيد: الريحان هو الذي يشم. وفي رواية أخرى عن ابن عباس والضحاك: إن الريحان الحب. والعرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه ويقال: سبحانك وريحانك أي رزقك، قال النمر بن تولب

سماء الاله وريحانه * وجنته وسماء درد (١)

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " والريحان " جرا على تقدير، وذو الريحان.
الباقون بالرفع عطفا على (الحب) وقرأ ابن عامر وحده " والحب ذا العصف والريحان " بالنصب فيها كلها على تقدير، وخلق الحب ذا العصف وخلق الريحان
الباقون بالرفع على تقدير فيها الحب ذو العصف وفيها الريحان.
وقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه فبأي نعمة من نعمه يا معشر الجن والإنس تكذبان؟! وريحان أصله ريحان، فخفف. وتلخيصه وريحان على وزن فيعلان، فلما التقت الواو والياء والثاني ساكن قلبوا الواو ياء وأدغموا ثم خففوا كراهية التشديد كما قالوا: هين لين.
قوله تعالى:

(خلق الانسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجان
من مارج من نار (١٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب
المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٨)

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٤٣ واللسان (روح)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٢١) ثمان آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إنه " خلق الانسان " وانشائه ويعني به آدم عليه السلام " من صلصال " وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة - في قول قتادة - " كالفخار " أي مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفا " وخلق الجان من مارج من نار " فالمارج هو المختلط الاجزاء، قال الحسن إبليس أبو الجن، وهو مخلوق من لهب النار، كما أن آدم أبو البشر مخلوق من طين. وصف الله تعالى الانسان الذي هو آدم أبو البشر انه خلقه من صلصال. وفي موضع آخر " من طين لازب " (١) وفي موضع آخر " من حمأ مسنون " (٢) وفى موضع آخر " خلقه من تراب " (٣) واختلاف هذه الألفاظ لا تناقض فيها، لأنها ترجع إلى أصل واحد وهو التراب، فجعله طينا. ثم صار كالحمأ المسنون. ثم ييس فصار صلصالا كالفخار.

وقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " معناه فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان؟! وإنما كررت هذه الآية، لأنه تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة. كأنه قيل بأي هذه الآلاء تكذبان. ثم ذكرت آلاء أخر فاقتضت من التذكير والتقرير بها ما اقتضت الأولى ليتأمل كل واحد في نفسها وفى ما تقتضيه صفتها من حقيقتها التي تتفصل بها من غيرها.

وقوله " رب المشرقين ورب المغربين " تقديره هو رب المشرقين، فهو خبر ابتداء، ولو قرئ بالخفض ردا على قوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " لكان جائزا غير أنه

---

(١) سورة ٢٧ الصافات آية ١١

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٢٦، ٢٨، ٣٣

(٣) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لم يقرأ به أحد. والمعنى انه الخالق المشرق الشتاء ومشرق الصيف، وهو عند غاية طول النهار في الصيف وغاية قصره في الشتاء " ورب المغربين " مثل ذلك - وهو قول مجاهد وقتادة وابن زيد - والمشرق موضع شروق الشمس، وهو طلوعها تقول: شرقت الشمس تشرق شروقا إذا طلعت وأشرقت إذا أضائت وصفت.
والمغرب موضع غروب الشمس. والغروب مصيرها في حد الغروب وهو المغيب، غربت تغرب غروبا، ومنه الغريب وهو الصابر في حد الغائب عن النفس وأصله الحد ومنه الغروب مجاري الدموع لزوالها من حدها إلى الحد الآخر. وقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " أي فبأي نعمة ربكما معاشر الجن والإنس تكذبان. وقد بينا الوجه في تكراره. وواحد الآلاء إلى علي وزن (معا) و (ألا) على وزن (قفا) عن أبي عبيدة.
وقوله " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " معنى مرج أرسل - في قول ابن عباس. وقال الحسن وقتادة و (البحران) بحر فارس والروم. وقال ابن عباس في رواية أخرى هما بحر السماء وبحر الأرض " يلتقيان " في كل عام. وقيل البحران الملح والعذب. وقيل: مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتها " لا يبغيان " أي لا يبغي أحدهما على الآخر بأن يقلبه إلى مثل حاله في الملوحة والعذوبة. ومرج معناه أرسل باذهاب الشيئين فصاعدا في الأرض، فمرج البحرين أرسلهما بالاجراء في الأرض يلتقيان، ولا يختلطان، ذلك تقدير العزيز العليم. والبرزخ الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة. وقال قتادة: البرزخ الحاجز أن يبغي الملح على العذب أو العذب على الملح. وقال مجاهد: معناه لا يبغيان لا يختلطان ومعناه لا يبغيان على الناس.
والنعمة بتسخير الشمس أنها تجري دائبة بمنافع الخلق في الدنيا والدين، فبأي آلاء

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ربكما تكذبان معاشر الجن والإنس.
قوله تعالى:
(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما
تكذبان (٢٣) وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام (٢٤)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٥) كل من عليها فان (٢٦) ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٨)
يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن (٢٩) فبأي
آلاء ربكما تكذبان) (٣٠) تسع آيات بلا خلاف.
قرأ " المنشئات " بالكسر حمزة، ويحيى وقرأ " يخرج " بفتح الياء أهل الكوفة، وابن كثير وابن عامر أسندوا الفعل إلى اللؤلؤ والمرجان. الباقون، على ما لم يسم فاعله. وإنما أجازوا اسناد الفعل إلى الجوار واللؤلؤ والمرجان، كما قالوا مات زيد ومرض عمرو وما أشبه ذلك في ما يضاف الفعل إليه إذا وجد منه.
وإن كان في الحقيقة لغيره، وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول وأضاف السير إليه إتساعا، لان سيرها إنما يكون بهبوب الريح. وقال الزجاج: من فتح الشين أراد المرفوعات الشرع، وبالكسر الحاملات الرافعات الشرع.
لما ذكر الله تعالى النعمة على الخلق بمرج البحرين اللذين يلتقيان، وإنهما مع ذلك لا يبغيان، بين أيضا ما فيهما من النعمة، فقال يخرج منهما يعني من البحرين اللؤلؤ والمرجان. فاللؤلؤ معروف، ويقع على الصغار والكبار. والمرجان ضرب من الجوهر كالقضبان يخرج من البحر. وقال ابن عباس: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

صغاره. وبه قال الحسن وقتادة والضحاك، وسمي المرجان بذلك لأنه حب من الجوهر كبير مختلط به مرجت أي خلطت. وإنما جاز أن يقول يخرج منهما، وهو يخرج من الملح دون العذب، لان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح، كما يقال يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما تلده الأنثى. وقال قوم: لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه العذب والملح، وذلك معروف عند الغواصين. وقال الزجاج: لأنه إذا أخرجه من أحدهما فقد أخرجه من الآخر، لأنه داخل فيهما وقال ابن عباس: إذا جاء القطر من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ. وقال قوم المعنى من جهتهما ولا يجب إنه من كل واحد منهما، والأول وجه التأويل.

وقوله " وله الجوار المنشآت " والجوار جمع جارية وهي السفينة لأنها تجري في الماء بأمر الله تعالى. والجارية المرأة الشابة، لأنه يجري فيها ماء الشباب، والمنشئات المبتدءات للسير برفع القلاع. وقال مجاهد: ما رفع له القلاع، فهو منشأ وما لم يرفع قلاعه فليس بمنشأ، فجعل الانشاء برفع القلاع. والاعلام الجبال واحدها علم سمي بذلك لارتفاعه كارتفاع الاعلام المعروفة. وقال جرير:

إذا قطعن علما بعد علم * حتى تناهين بنا إلى حكم (١)

وقيل كالاعلام في العظم. وقوله " كل من عليها فان " إخبار من الله تعالى أن جميع من على وجه الأرض من العقلاء يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم. وإذا ثبت ذلك وكانت الجواهر لا تفنى إلا بفناء يضادها على الوجود، فإذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلها، لأنها اختصاص له بجوهر دون جوهر، فالآية دالة على عدم جميع الأجسام على ما قلناه، لأنه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ والقرطبي ١٧ / ١٦٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عدم غيرهم، لأنه لا يفرق من الأمة أحد بين الموضعين.
وقوله " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " معناه ويبقى ربك الظاهر بأدلته كظهور الانسان بوجهه فالوجه يذكر على وجهين:
أحدهما - بعض الشئ كوجه الانسان.
الثاني - بمعنى الشئ المعظم في الذكر كقولهم: هذا وجه الرأي، وهذا وجه التدبير أي هو التدبير، وهو الرأي. والاكرام والاعظام بالاحسان، فالله تعالى يستحق الاعظام بالاحسان الذي هو في أعلى مراتب الاحسان. ومعنى ذو الجلال ذو العظمة بالاحسان.
وقوله " يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن " معناه يسأل الله تعالى من في السماوات والأرض من العقلاء حوائجهم، ويضرعون إليه. ثم قال " كل يوم هو في شأن " فالشأن معنى له عظم، وكذلك قال كل يوم هو في شان، ويقال: لا يشغله شأن عن شأن. والمعنى إن كل يوم اله تعالى في شأن من احياء قوم وإماتة آخرين، وعافية قوم ومرض غيرهم، ونجاة واهلاك ورزق وحرمان وغير ذلك من الأمور والنعمة. وقوله " كل من عليها فان " في التسوية بين الخلق في الفناء " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد فسرناه.
قوله تعالى:
(سنفرغ لكم أية الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكما
تكذبان (٣٢) يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفدوا من
أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (٣٣)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٤) يرسل عليكما شواظ من نار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٣٦).
سبع آيات حجازي وست في ما عداه، عد الحجازيون " من نار " ولم يعده الباقون.
قرأ " شواظ " - بكسر الشين - أهل مكة. الباقون بضمها، وهما لغتان مثل صوار وصوار. وقرأ " نحاس " بالجر أهل مكة والبصرة، غير يعقوب عطفا على (نار). الباقون بالرفع عطفا على " شواظ " وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " سيفرغ " على تقدير سيفرغ الله لكم. الباقون - بالنون - على وجه الاخبار من الله عن نفسه يعني قوله " سنفرغ لكم " من أبلغ الوعيد وأعظم التهديد. وقيل في معناه قولان:
أحدهما - سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي ويأتيكم المتوعد به فشبه ذلك بمن فرغ من شئ وأخذ في غيره.
الثاني - إنا نستعمل عمل من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع فيه كما يقول: القائل: سأتفرغ لك. والله تعالى لا يشغله شئ عن شئ، لأنه من صفات الأجسام، وهو من أبلغ الوعيد لأنه يقتضي أن يجازى بصغير ذنبه وكبيره إذا كان مستحقا لسخط الله. والفراغ انتفاع القاطع عنه من القادر عليه. والشغل والفراغ من صفات الأجسام التي تحلها الاعراض، وشغلها عن الأضداد في تلك الحال ولذلك وجب أن يكون في صفة القديم تعالى مجازا.
وقوله " أيها الثقلان " خطاب للجن والانس، وإنما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما، فهما أثقل وزنا لعظم الشأن بالعقل والتمكين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والتكليف لأداء الواجب في الحقوق، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي) يريد عظيمي المقدار، فلذلك وصفهما بأنهما ثقلان.
وقوله " إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض " قال
الضحاك: ان استطعتم أن تنفذوها ربين من العذاب يقال: لهم ذلك يوم القيامة.
وقال قوم: معناه إن استطعتم أن تنفذوها ربين من الموت فاهربوا فإنه حيث كنتم
أدرككم الموت. وقال ابن عباس: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض
فاعلموا أنه لا يمكنكم ذلك.
وقوله " لا تنفذون إلا بسلطان " معناه إلا بحجة وبيان. وقيل معناه:
إلا بملك وقهر، وليس لكم ذلك. وقال الزجاج: المعنى " فانفذوا لا تنفذون
إلا بسلطان " أي حيثما كنتم شاهدين. ثم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده
وواحد الأقطار قطر وهي الأطراف - في قول سفيان - فانفذوا في صورة الامر
والمراد به التحدي. ثم قال " لا تنفذون إلا بسلطان " وهو القوة التي يتسلط بها
على الامر " فبأي آلاء ربكما تكذبان " وقد فسرناه. وفائدة الآية أن عجز الثقلين
عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار، وفي ذلك اليأس من رفع
الجزاء بوجه من الوجوه، فلينظر امرء ما يختار لنفسه مما يجازى به.
وقوله " يرسل عليكما شواظ من نار " فالشواظ لهب النار - في قول ابن
عباس ومجاهد وقتادة - ومنه قول رؤية:
إن لهم من وقعنا أيقاظا * ونار حرب تسعر الشواظا (١)
والنحاس الصفر المذاب للعذاب - في قول ابن عباس ومجاهد وسفيان وقتادة -
وفي رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد: النحاس الدخان قال النابغة الجعدي:

---

(١) اللسان (شوظ) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ والطبري ٢٧ / ٢٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يضئ كضوء سراج السليط * السليط لم يجعل الله فيها نحاسا (١)
أي دخانا. والسليط دهن السمسم. وقال قوم: هو دهن السنام. وقال
الفراء: هو دهن الزيت.
وقوله " فلا تنتصران " أي لا تقدران على دفع ذلك عنكما، ووجه النعمة
في إرسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما لهم في ذلك من الزجر في
دار التكليف عن مواقعة القبيح، وذلك نعمة جزيلة، فلذلك قال " فبأي آلاء
ربكما " معاشر الجن والإنس " تكذبان ".
قوله تعالى:
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأي آلاء
ربكما تكذبان (٣٨) فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٠) يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والاقدام (٤١) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٢) هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم
آن (٤٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٤٥).
ثمان آيات بصرى وتسع في ما عداه، عد الكل " يكذب بها المجرمين " ولم
يعده البصريون.
يقول الله تعالى " فإذا انشقت السماء " ومعناه إن ينفك بعضها عن بعض،
فالسماء تنشق يومئذ وتصير حمراء كالوردة. ثم تجرى كالدهان قال الفراء: الوردة

---

(١) ديوانه ٧٥ ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفرس الوردة. وقال الزجاج: يتلون كما يتلون الدهان المختلفة أي فكان كلون فرس ورده، وهو الكميت فيتلون في الشتاء لونه بخلاف لونه في الصيف، وكذلك في الفصول فسبحان خالقها والمصرف لها كما يشاء. والوردة واحدة الورد، وإنما تصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان، وهو جمع دهن كقولك قرط وقراط عند انقضاء الامر وتناهي المدة. وقال الحسن: هي كالدهان أي كالدهن الذي يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة. وقيل: تمور كالدهن صافية. وقال قتادة: لونها حينئذ الحمرة كالدهان في صفاء الدهن وإشراقه. وقال قوم: إن السماء تذوب يوم القيامة من حر نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن. قال الجبائي: وروي أن السماء الدنيا من حديد وليس في الآية ما يدل ما قاله، لاحتمال ذلك ما قاله المفسرون. والأقوال التي ذكرناها. وقال الفراء: الدهان الأديم الأحمر ووجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها في قوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف بانشقاق السماء فوقع في السبب ولا يصلح في المسبب أن يكون منفعة، ولكن لسبب النفع الذي هو الزجر في دار الدنيا، فلذلك وقع التقرير بقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان ".

وقوله " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان " معناه لا يسأل في ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش والذهول الذي تحار له العقول، وإن وقعت المسألة في وقت غيره بدلالة قوله " وقفوهم إنهم مسؤولون " (١) وقال قتادة: يكون المسائلة قبل ثم يختم على الأفواه عند الجحد فتنطق الجوارح. وقيل: معناه إن يومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان ليعرف المذنب من المؤمن المخلص، لان الله تعالى قد جعل عليهم علامة كسواد الوجوه وقبح الخلق ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتوبيخ

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٢٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والتقريع، لأنه تعالى قال " وقفوهم إنهم مسؤولون " وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل أنس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه. وقيل: يجوز أن يكون المراد أنه لا يسأل أحد من انس ولا جان عن ذنب غيره، وإنما يسأل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه.
وقوله " يعرف المجرمون بسيماهم " معناه إن الله تعالى جعل للكفار والعصاة علامات تعرفهم بها الملائكة والسيماء العلامة. ومنه قوله " سيماهم في وجوههم من اثر السجود " (١) وهو مشتق من السوم وهو رفع الثمن عن مقداره، ومنه " مسومين " (٢) أي معلمين بعلامة والعلامة يرفع باظهارها لتقع المعرفة بها والمعرفة هي العلم عند المتكلمين. وقال بعض النحويين: إن متعلق المعرفة المفرد ومتعلق العلم الجملة كقولهم عرفت زيدا وعلمت زيد قائما ولو جئت بقائم في عرفت لكان حالا ولم يخرج عن معرفة زيد.
وقوله " فيؤخذ بالنواصي والاقدام " قال الحسن: يجمع بين ناصيته وقدمه بالغل فيسحب إلى النار. والناصية شعر مقدم الرأس، ومنه ناصية الفرس ومنه قوله تعالى " لنسفعا بالناصية " (٣) أي ليقترن بها ما سحقته النار إذلالا لها وأصله الاتصال من قول الشاعر:
في يناصيها بلادقى
أي يتصل بها فالناصية متصلة بالرأس و (الاقدام) جمع قدم وهو العضو الذي يقدمه صاحبه للوطئ به على الأرض. وقيل: يأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى النار أي تأخذهم تارة بذا، وتارة بذا. وقال الحسن وقتادة يعرفون بأنهم سود الوجوه زرق العيون، كما قال تعالى " يوم تبيض وجوه وتسود

---

(١) سورة ٤٨ الفتح آية ٢٩
(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٢٥
(٣) سورة ٩٦ العلق آية ١٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وجوه " (١) " فبأي آلاء ربكما تكذبان " وجه النعمة بذلك ما فيه من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات وذلك نعمة من الله على العباد في الدين.
وقوله " هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون " معناه يقال لهم يوم القيامة إذا شاهدوا جهنم " هذه جهنم " ويحتمل أن يكون المراد هذه جهنم التي وصفتها هي التي يكذب بها المجرمون الكفار بنعم الله " يطوفون بينها وبين حميم آن " قيل: يطوفون بين أطباقها في عذاب النار، وبين الحميم آن. والحميم الماء الحار. والآن الذي بلغ نهايته. والمراد - ههنا - هو الذي قد بلغ نهاية حره من آنى يأني إنيا فهو آن، ومنه قوله " غير ناظرين إناه " (٢) يعني نضاجه وبلوغه غايته " فبأي آلاء ربكما تكذبان " والاخبار بذلك لطف وزجر عن المعاصي فلذلك كانت نعمة اعتد بها وقرر بها.
قوله تعالى:
(ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما
تكذبان (٤٧) ذواتا أفنان (٤٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٩)
فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥١) فيهما
من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٣)
متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤)
فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٥٥) عشر آيات بلا خلاف.
لما وصف الله تعالى ما أعد للكفار من أنواع العذاب، بين بعد ذلك ما أعد

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٠٦
(٢) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٥٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للمؤمنين والمتقين، فقال " ولمن خاف مقام ربه جنتان " والمعنى ولمن خاف المقام الذي يقفه فيه ربه للمسائلة عما عمل في ما يجب عليه مما أمره به أو نهاه عنه، فيكفه ذلك عما يدعوه هواه إليه يصبر صبر مؤثر للهدى على طريق الردى. والمقام الموضع الذي يصلح للقيام فيه وبضم الميم الموضع الذي يصلح للإقامة فيه. والجنتان اللتان وعد الله من وصفه بهما قيل هما جنتان: إحداهما داخل قصره والأخرى خارج قصره على ما طبع الله تعالى العباد عليه من شهوة ذلك وجلالته فشوقوا إلى ما في طباعهم شهوة مثله.

ثم وصف الجنتين فقال " ذواتا أفنان " والأفنان جمع (فن) وهو الغصن الفصن الورق، ومنه قولهم: له فنون، وهذا فن آخر أي نوع آخر أي ضرب آخر، وفيه فنون أي ضروب مختلفة، ويجوز أن يكون جمع فن. وقال ابن عباس: معناه ذواتا ألوان. وقال عكرمة. ظل الأغصان على الحيطان. وقال الضحاك: ذواتا ألوان يفضل بها على ما سواها " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد بيناه.

وقوله " فيهما عينان تجريان " اخبار منه تعالى أن في الجنتين اللتين وعدتهما المؤمنين عينين من الماء تجريان بين أشجارها، فالجاري هو الذاهب ذهاب الماء المنحدر، فكل ذاهب على هذه الصفة فهو جار، وصفت بالعين لصفائها أو بأنها جارية لأنه أمتنع لها " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد فسرناه.

وقوله " فيهما من كل فاكهة زوجان " معناه إن في تلك الجنتين من كل ثمرة نوعين وضربين متشاكلين كتشاكل الذكر والأنثى، فلذلك سماهما (زوجين) وذلك بالرطب واليابس من العنب والزبيب والتين والرطب واليابس، فكذلك سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفصل والطيب إلا أنه امتنع وأعذب بأن يكون على هذا المنهاج. وقيل: فيهما من كل نوع من الفواكه ضربان ضرب

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معروف وضرب من شكله غريب، وكل ذلك للاطراف والامتاع " فبأي آلاء ربكما تكذبان. متكئين على فرش بطائنها من إستبرق " فالاتكاء الاستناد للتكرمة والامتناع والمتكى هو ما يطرح للانسان في مجالس الملوك للاكرام والاجلال إتكا يتكي إتكاءا، فهو متكي، ومنه وكاة السقاء إذا شددته، ومنه قوله صلى الله عليه وآله (العين وكاء الجسد) والاتكاء شدة التقوية للاكرام والامتاع. وهو نصب على الحال (على فرش) وهو جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنوم عليه بطائنها، وهو جمع بطانة وهي باطن الظهار، فالبطانة من أسفله والظاهرة من أعلاه.

وقوله (وجنا الجنتين دان) فالجنى الثمرة التي قد أدركت في الشجرة وصلح أن تحبى غضه قال الشاعر:

هذا جناي وضياره فيه * إذ كل جان يده إلى فيه (١)

والإستبرق الغليظ من الديباج - في قول عكرمة وابن إسحاق - وقيل: ان ثمارها دانية لا يرد يده عنها بعد، ولا شوك - في قول قتادة - وقيل: الظواهر من سندس وهو الديباج الرقيق، والبطاين من إستبرق وهو الديباج الغليظ. وقيل: الإستبرق المتاع الصيني من الحرير، وهو بين الغليظ والرقيق. وقال الفراء: الإستبرق غليظ الديباج. وقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد تكرر تفسيره.

قوله تعالى:

(فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الاحسان إلا

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٨٠

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الاحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١) ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٦٥) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي (لم يطمثهن) بكسر إحداهما وضم الأخرى الباقون بكسرهما وهما لغتان، يقال: طمثت المرأة تطمث وتطمثت إذا حاضت. قال الزجاج وغيره: في الآية دلالة على أن الجن تنكح. وقال الفراء: لم ينكحهن إنس ولا جان نكاح تدمية أي لم يقتضهن، والطمث الدم. والضهير في قوله (فيهن قاصرات الطرف) عائد على الفرش التي بطائنها من إستبرق، لأنه قد تقدم ذكره، وكان أولى بالعود عليه، ولو لم يتقدم هذا الذكر لجاز أن يرجع إلى الجنان وإلى الجنتين المذكورتين وغيرهما من الجنان لأنه معلوم، لكن المذكور أولى، لان اقتضاءه له أشد، والقاصر المانع من ذهاب الشئ إلى جهة من الجهات، فالحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن إلى أزواجهن. والطرف جفن العين، لأنه طرف لها، فيطبق عليها تارة وينفتح تارة، ومنه الأطراف بالامر لأنه كالطرف الذي يليك بحدوثه لك.

وقوله (لم يطمثهن) قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال مجاهد وابن زيد وعكرمة: لم يمسسهن بجماع من قولهم: ما طمث هذا البعير جمل قط أي ما مسه جمل.

الثاني - قال ابن عباس: لم يدمهن بنكاح من قولهم: امرأة طامث أي حائض كأنه قال هن أبكار لم يقتضهن أحد قبلهم. والأصل المس، كأنه ما مسها دم الحيض. وقيل: إنما نفى الجان، لان للمؤمنين منهم لهم أزواجا من الحور،

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وهو قول ضمرة بن حبيب، قال البلخي: المعنى إن ما يهب الله لمؤمني الجن من الحور العين لم يطمثهن جان، وما يهب الله لمؤمني الانس لم يطمثهن إنس قبلهم، على أن هذا مبالغة. وقال ضمرة بن حبيب في: الآية دلالة على أن للجن ثوابا فالإنسيات للانس والجنيات للجن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى تفسيره.

وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان) قال الحسن: هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان. وقيل: كالياقوت في الحسن والصفاء والنور. وقال الحسن: المرجان أشد اللؤلؤ بياضا وهو صغاره (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد بيناه.

وقوله (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) معناه ليس جزاء من فعل الاعمال الحسنة وأنعم على غيره إلا أن ينعم عليه بالثواب ويحسن إليه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى بيانه.

وقوله (ومن دونهما جنتان) معناه إن من دون الجنتين اللتين ذكرنا (لمن خاف مقام ربه) جنتين أخرتين دون الأولتين، وإنهما أقرب إلى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف في طبع البشرية من شهوة مثل ذلك. ومعنى (دون) مكان قريب من الشئ بالإضافة إلى غيره، مما ليس له مثل قربه، وهو ظرف مكان، وإنما كان التنقل من جهة إلى جهة أنفع، لأنه أبعد من الملل على ما طبع عليه البشر، لان من الأشياء مالا يمل لغلبة محبته على النفس بالامر اللازم، ومنها ما يمل لتطلع النفس إلى غيره، ثم الرجوع إليه.

وقوله (مدهامتان) معناه خضراوتان تضرب خضرتهما إلى السواد من الري على أتم ما يكون من الحسن، لان الله شوق اليهما ووعد المطيعين في خوف مقامه بها، فناهيك بحسن صفتهما وما يقتضيه ذكرهما في موضعهما. وقال ابن عباس

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وابن الزبير وعطية وأبو صالح وقتادة: هما خضراوان من الري. وقال قوم: الجنان الأربع (لمن خاف مقام ربه) ذهب إليه ابن عباس: وقال الحسن: إلا وليان للسابقين والأخيرتان للتابعين.

قوله تعالى:

(فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧)
فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩) فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧١) حور
مقصورات في الخيام (٧٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم
يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٧٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٥)
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦) فبأي آلاء ربكما
تكذبان (٧٧) تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) (٧٨)

ثلاث عشرة آية.

قرأ أهل الشام (ذو الجلال) على الرفع، على أنه نعت ل (اسم). الباقون - بالخفض - على أنه نعت ل (ربك).

وقوله (فيهما) يعني الجنتين اللتين وصفهما بأنهما (مدها متان) (عينان نضاختان) فعين الماء المكان الذي ينبع منه الماء، ومعنى (نضاختان) فوارتان بالماء. وقيل: نضاختان بكل خير. والنضخ - بالخاء - أكثر من النضح - بالحاء - لان النضح غير المعجمة الرش وبالخاء كالبرك والفوارة التي ترمى بالماء صعداء،

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نضخ ينضخ نضخا فهو ناضخ. وفى نضاخة مبالغة، ووجه الحكمة في العين النضاخة أن النفس إذا رأت الماء يفور كان أمتع، وذلك على ما جرت به العادة (فبأي آلاء ربكما تكذبان).

وقوله (فيهما فاكهة ونخل ورمان) أخبار منه تعالى أن في الجنتين المتقدم وصفهما (فاكهة) وهي الثمار (ونخل ورمان) وإنما افرد ذكر النخل والرمان من الفاكهة، وإن كان من جملتها تنبيها على فضلهما وجلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرائيل وميكائيل في قوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) (١) وقال قوم: ليسا من الفاكهة بدلا الآية. وليس له في ذلك حجة، لاحتمال ما قلناه. قال يونس النحوي: النخل والرمان من أفضل الفاكهة، وإنما فضلا لفضلهما، والنخل شجر الرطب والتمر. والرمان مشتق من رم يرم رما، لان من شأنه أن يرم الفؤاد بجلائه له (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى بيانه.

وقوله (فيهن خيرات حسان) قال أبو عبيدة: امرأة خيرة ورجل خير، والجمع خيرات. والرجال أخيار قال الشاعر:

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات (٢)

وقال الزجاج: أصل (خيرات) خيرات، وخفف. وفى الخبر المرفوع إن المعنى (خيرات الأخلاق حسان الوجوه) وإنما قيل للمرأة في الجنة: خيرة، لأنها مما ينبغي أن تختار لفضلها في أخلاقها وأفعالها، وهي مع ذلك حسنة الصورة، فقد جمعت الأحوال التي تجل بها النعمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد بينا معناه.

وقوله (حور مقصورات في الخيام) فالحور البيض الحسان البياض، ومنه

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩٨

(٢) مر في ٥ / ٣١٩ وهو في مجاز القرآن شاهد ٢٩٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الدقيق الحواري لشدة بياضه، والعين الحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض، وشديدة سواد، السواد، وبذلك يتم حسن العين. وقال ابن عباس والحسن ومجاهد: الحور: البيض. وقوله (مقصورات) أي قصرن على أزواجهن، فلا بردن بدلا منهم - في قول مجاهد والربيع - وقيل: معناه محبوسات في الحجال - في قول ابن عباس وأبي العالية ومحمد بن كعب والضحاك والحسن، وعلى وجه الصيانة لهن والتكرمة لهن عن البذلة. وقال أبو عبيدة: مقصورات أي مخدرات و (الخيام) جمع خيمة وهو بيت من الثياب على الأعمدة، والأوتاد مما يتخذ للاصحار، فإذا اصحر هؤلاء الحور، كانت لهن الخيام في تلك الحال وغيرها مما ينفى الابتذال.
وقال الزجاج: يقال للهوارج الخيام وقال عبد الله: الخيام در مجوف على هيئة البيت وقال ابن عباس: بيوت اللؤلؤ. وقيل: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى بيانه.
وقوله (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى تفسيره. قال البلخي في الآية دلالة على قول الحسن البصري: أن الحور العين هو أزواجهم في الدنيا إذا كن مؤمنات مطيعات لان الله قال (لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان) وقال: من نصر الحسن أن المراد لم يطمثهن بعد النشأة الثانية إنس قبلهم ولا جان. وإنما كرر قوله (لم يطمثهن) في الآية للبيان على أن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف مع تمكين التشويق بهذه الحال الجليلة التي رغب فيها كل نفس سليمة.
وقوله (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) (متكئين) نصب على الحال، وقد فسرنا معناه. والرفارف جمع رفرف، وهي المجالس - في قول ابن عباس وقتادة والضحاك - وقيل: الرفرف هي فصول المجالس للفرش. وقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحسن: هي المرافق، وقيل: الرفارف الوسائد. وقيل: الرفرفة الروضة. وأصله من رف النبت يرف إذا صاد غضا نضرا. وقيل: لما في الأطراف رفرف، لأنه كالنبت الغض الذي يرف من غضاضته. والخضر جمع أخضر (والعبقري) الزرابي - في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة - وهي الطنافس. وقال مجاهد: هو الديباج: وقال الحسن: هو البسط. وقيل (عبقر) اسم بلد ينسج به ضروب من الوشي الحسن، قال زهير:

بخيل عليها جبة عبقرية * جد يرون يوما ان يبالوا ويستعلوا (١)

وقيل: الموشى من الديباج عبقري تشبيها بذلك، ومن قرأ (عباقري) فقط غلط لأنه لا يكون بعد الف الجمع أربعة أحرف ولا ثلاثة إلا أن يكون الثاني حرف لين نحو (قناديل).

وقوله (تبارك اسم ربك) معناه تعاظم وتعالى اسم ربك، لأنه يستحق أن يوصف بما لا يوصف به أحد من كونه قديما وإلها، وقادرا لنفسه وعالما حيا لنفسه وغير ذلك.

وقوله (ذي الجلال والاكرام) خفض، لأنه بدل من قوله (ربك) ومعنى الجلال العظمة والاكرام الاعظام بالاحسان والانعام. وقال الحسن: الاكرام الذي يكرم به أهل دينه وولايته. ومن قرأ (ذو الجلال) بالرفع أراد ان اسم الله فيه البركة، وإذا قرئ بالخفض دل على أن اسم الله غير الله، لأنه لو كان اسمه هو الله لجرى مجرى ذكر وجهه إلا ترى أنه لما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ورفعه، لأنه أراد الله تعالى وههنا بخلافه.

---

(١) ديوانه ١٠٣ ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٦ واللسان (عبقر)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٦ - سورة الواقعة

هي مكية بلا خلاف وهي تسع وتسعون آية حجازي وشامي، وسبع وتسعون بصرى، وست وتسعون كوفي، وسبع وتسعون في المدنيين. وروي عن مسروق أنه قال من أراد أن يعلم نبأ الأولين ونبأ الآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ الواقعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا وقعت الواقعة (١) ليس لواقعتها كاذبة (٢) خافضة
رافعة (٣) إذا رجت الأرض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥)
فكانت هباء منبثا (٦) وكنتم أزواجا ثلاثة (٧) فأصحاب الميمنة *
ما أصحاب الميمنة (٨) وأصحاب المشئمة * ما أصحاب المشئمة (٩)
والسابقون السابقون (١٠) أولئك المقربون (١١) في جنات النعيم (١٢)
ثلة من الأولين (١٣) وقليل من الآخرين (١٤) على سرر
موضونة (١٥) متكئين عليها متقابلين) (١٦).

ست عشرة آية كوفي، وسبع عشرة آية بصري وشامي، وثمان عشرة آية

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حجازي، عد الكل (وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة) ولم يعده الكوفيون. وعد الحجازيون والكوفيون (موضونة) ولم يعده الباقون.
(إذا) متعلقة بمحذوف، وتقديره إذكروا (إذا وقعت الواقعة) قال المبرد: إذا وقعت معناه إذا تقع، وإنما وقع الماضي - ههنا - لان (إذا) للاستقبال ومعناه إذا ظهرت القيامة وحدثت. والوقوع ظهور الشئ بالحدوث، وقع يقع وقوعا فهو واقع، والأنثى واقعة (وإذا) تقع للجزاء (ليس لوقعتها كاذبة) معناه قال الفراء ليس لها مردودة ولا رد. وقيل: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها، لاخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها، وقال قوم: معناه ليس لها نفس كاذبة في الخبر بها. وقيل: الكاذبة - ههنا - مصدر مثل العاقبة والعافية. وقال الضحاك: القيامة تقع بصيحة عند النفخة الثانية.
وقوله (خافضة رافعة) قيل: تخفيض قوما بالمعصية وترفع قوما بالطاعة، لأنها إنما وقعت للمجازاة، فالله تعالى يرفع أهل الثواب ويخفض أهل العقاب، فهو مضاف إلى الواقعة على هذا المعنى. وقال الحسن: تخفض أقواما إلى النار، وترفع أقواما إلى الجنة. والقراء: كلهم على رفع خافضة بتقدير هي خافضة رافعة. وقرأه الترمذي في اختياره بالنصب على الحال، وتقديره إذا وقعت الواقعة تقع خافضة رافعة على الحال.
وقوله (إذا رجت الأرض رجا) معناه زلزلت الأرض زلزالا - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - والزلزلة الحركة باضطراب واهتزاز، ومنه قولهم: ارتج السهم عند خروجه عن القوس. وقيل: ترتج الأرض بمعنى أنه ينهدم كل بناء على الأرض.
وقوله (وبست الجبال بسا) معناه فتت فتا - في قول ابن عباس ومجاهد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأبي صالح والسدي - وهو كما يبس السويق أي يلت. والبسيس السويق أو الدقيق يلت ويتخذ زادا. وقال لص من غطفان:

لا تخبزا خبزا وبسا بسا * ولا تطيلا مناخ حبسا (١)

وقال الزجاج: يجوز أن يكون معنى بست سيفت وأنشد:

وانبس حيات الكيثب الاهيل (٢)

وقوله " فكانت هباء منبثا " فالهباء غبار كالشعاع في الرقة، وكثيرا ما يخرج مع شعا الشمس من الكوة النافذة، فسبحان الله القادر على أن يجعل الجبال بهذه الصفة. والانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة، فكل أجزاء أنفرشت بالتفرق في الجهات فهي منبثة، وفى تفرق الجبال على هذه الصفة عبرة ومعجزة لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

وقوله " وكنتم أزواجا ثلاثة " معناه كنتم أصنافا ثلاثة، كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة، ولذلك قيل على هذه المزاوجة: قد زاوج بين الكلامين أي شاكل بينهما.

وقوله " فاصحب الميمنة " يعني أصحاب اليمن والبركة والثواب من الله تعالى. وقوله " ما أصحاب الميمنة " بصورة الاستفهام، والمراد تعظيم شأنهم في الخبر عن حالهم " وأصحاب المشئمة " معناه الشؤم والنكد وعقاب الأبد. وقوله " ما أصحاب المشأمة " على تعظيم شأنهم في الشر وسوء الحال. وقيل: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وخبر (أصحاب الميمنة) ما أصحاب الميمنة، كأنه قيل: أي

---

(١) الصحاح واللسان (بسس) والقرطبي ١٧ / ١٩٦.

(٢) الصحاح واللسان (بسس) والقرطبي ١٧ / ١٩٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شئ هم؟ وفيه تعجيب عن حالهم. وقيل: أصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وأصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.
وقوله " والسابقون السابقون " معناه الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء فصاروا أئمة الهدى. وقيل: السابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمته، والسابقون إلى الخير إنما كانوا أفضل لأنهم يقتدى بهم في الخير ويسبقوا إلى أعلى المراتب قبل من يجيئ بعدهم فلهذا تميزوا من التابعين بما لا يلحقونهم به ولو اجتهدوا كل الاجتهاد والسابقون الثاني يصلح أن يكون خبرا عن الأول، كأنه قال: والسابقون الأولون في الخير، ويصلح أن يكون " أولئك المقربون " وقوله " أولئك المقربون " معناه الذين قربوا من جزيل ثواب الله وعظيم كرامته بالامر الأكثر الذي لا يبلغه من دونهم في الفضل. والسابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة الله في أعلا المراتب وأقربها إلى مجالس كرامته بما يظهر لأهل المعرفة منزلة صاحبه في جلالته ويصل بذلك السرور إلى قلبه، وإنما قال " في جنات النعيم " مع أنه معلوم من صفة المقربين، لئلا يتوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى، وإنما هم مقربون من كرامة الله في الجنة لأنها درجات ومنازل بعضها أرفع من بعض. والفرق بين النعيم والنعمة أن النعمة تقتضي شكر المنعم من أنعم عليه نعمة وانعاما، والنعيم من نعم نعيما كقولك أنتفع انتفاعا.
وقوله " ثلة من الأولين " فالثلة الجماعة. وأصله القطعة من قولهم: ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره. والثلة القطعة من الناس، وقال الزجاج: الثل القطع، والثلة كالفرقة والقطعة. وهو خبر ابتداء محذوف، وتقديره: هم ثلة من الأولين، وهم قليل من الآخرين. وقوله " وقليل من الآخرين " إنما قال ذلك لان الذين سبقوا إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله قليل من كثير ممن سبق إلى النبيين.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " على سرر موضونة " فالموضونة المنسوجة المداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى:

ومن نسج داود موضونة * تساق إلى الحي عيرا فعيرا (١)

ومنه (وضين الناقة) وهي البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا وقيل: موضونة مشبكة بالذهب والجوهر، وقال ابن عباس ومجاهد: موضونة بالذهب وقال عكرمة: مشبكة بالدر، وقال ابن عباس - في رواية أخرى - موضونة معناه مظفورة، والوضين حبل منسوج من سيور.

وقوله " متكئين عليها متقابلين " معناه مستندين متحاذيين كل واحد بإزاء الآخر، وذلك أعظم في باب السرور. والتقابل والتحاذي والتواجه واحد.

والمعنى إن بعضهم ينظر إلى بعض وينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه، من حسن عشرته وتهذيب أخلاقه.

قوله تعالى:

(يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) بأكواب وأباريق
وكأس من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون (١٩) وفاكهة
مما يتخيرون (٢٠) ولحم طير مما يشتهون (٢١) وحور عين (٢٢)
كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤)
لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (٢٥) إلا قيلا سلاما سلاما) (٢٦)

عشر آيات كوفي ومدني الأخير، وتسع فيما عداه، عد المكي وإسماعيل

---

(١) ديوانه ٧١ واللسان (وضمن) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" وأباريق " ولم يعده الباقون. وعد المدني والكوفي " وحور عين " ولم يعده الباقون. قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا عاصما وخلفا " وحور عين " خفضا. الباقون بالرفع. فمن رفع حمله على: ولهم حور عين. واختاروا الرفع لان الحور العين لا يطاف بهن، وإنما يطاف بالكأس، وعلى هذا يلزم أن يقرأ " وفاكهة " رفعا وكذلك " ولحم طير " بالرفع لأنهما لا يطاف بهما، فما اعتذروا في ذلك فهو عذر من قرأ بالخفض. ومن خفض عطف على الأول لتشاكل الكلام من غير اخلال بالمعنى إذ هو مفهوم. وقال الزجاج: ويكون تقديره ينعمون بكذا وحور عين. وقال أبو علي تقديره وفي مجاورة حور عين أو معانقة حور عين، لان الكلام الأول يدل عليه وقال الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا (١)

والمعنى وكحلن العيون فرده على قوله (وزججن) ومثله:

(متقلدا سيفا ورمحا) (٢)

اي وحاملا رمحا. وكان يجوز النصب على تقدير ويعطون حورا عينا كما قال الشاعر:

جئني بمثل بني بدر لقومهم * أو مثل اخوة منظور بن سيار (٣)

لما كان معنى جئني هات عطف أو مثل على المعنى وقال الحسن الحور البيض. وقال مجاهد يحار فيهن البصر.

لما ذكر الله تعالى ان السابقين إلى الخيرات والطاعات هم المقربون إلى نعيم

---

(١) القرطبي ١٧ / ٢٠٥ (٢) مر في ٤ / ٢٣٢
(٣) مر في ٣ / ٤٥٥ و ٦ / ٣٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الجنة وثوابها، فإنهم على سرر موضونة متقابلين، اخبر انه " يطوف عليهم ولدان " يعني صبيان " مخلدون " فالطوف الزور بالتنقل في المكان، ومنه الطائف الذي يطوف بالبلد على وجه الحرس. والولدان جمع وليد. ومخلدون قال مجاهد معناه باقون لهم لا يموتون. وقال الحسن: معناه انهم على حالة واحد لا يهرمون، يقال: رجل مخلد اي باق زمانا أسود اللحية لا يشيب وقال الفراء: معناه مقرطون والخلد القرط. والأكواب جمع كوب وهي أباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم - في قول قتادة - قال الأعشى:

صليفية طيبا طعمها * لها زبد بين كوب ودن (١)

والأباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها إبريق و " كأس من معين " اي يطوفون عليهم أيضا بكأس من خمر معين ظاهر للعيون جار " لا يصدعون عنها " اي لا يلحقهم الصداع من شربها " ولا ينزفون " اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر - في قول مجاهد وقتادة والضحاك - ومن قرأ " ينزفون " بالكسر، وهو حمزة والكسائي وخلف، حمله على أنه لا تفنى خمرهم قال الابرد:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى كنتم آل أبجرا (٢)

وقوله " وفاكهة مما يتخيرون " أي ويطاف عليهم بفاكهة مما يختارونه ومما يشتهونه، وينعمون بفاكهة مما يشتهونه. وقوله " ولحم طير مما يشتهون " أي ويطاف عليهم أو ينعمون بلحم طير مما يشتهون. وقوله " وحور عين " من رفعه حمله على معنى ولهم فيها حور عين، لأنهن لا يطاف بهن وإنما يطاف بالكأس. ومن جر فعلى معنى وينعمون بحور عين أو يحصلون في معانقة حور عين. والحور جمع حوراء والحور نقاء البياض من كل شائب يجري مجرى الوسخ. وقوله " كأمثال اللؤلؤ "

---

(١) مر في ٩ / ٢١٦
(٢) مر في ٨ / ٤٩٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي مثل هؤلاء الحور في البياض والنقاء مثل اللؤلؤ " المكنون " يعني الدر المصون عما يلحق به من دنس كأنه مأخوذ من أن الدرة تبقى على حسنها أكثر مما يبقى غيرها لطبعها وصيانة الناس لها قال عمر بن أبي ربيعة:

وهي زهراء مثل لؤلؤ الغواص * ميزت من جوهر مكنون

" جزاء " أي يفعل ذلك بهم جزاء ومكافأة على ما عملوه في دار الدنيا من الطاعات واجتناب المعاصي ثم قال " لا يسمعون فيها لغوا " أي لا يسمع المثابون في الجنة

لغوا يعنى مالا فائدة فيه من الكلام، لان كل ما يتكلمون به فيه فائدة (ولا تأثيما) ولا يجري فيها ما يؤثم فيه قائله من قبيح القول (إلا قيلا سلاما سلاما) يعني لكن يسمعون قول بعضهم لبعض على وجه التحية " سلاما سلاما " إنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق الذي يوجب التواد، لان طباعهم قد هذبت على أتم الكمال. ونصب (سلاما) على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وحال الغبطة، وجاز ان يعمل فيه سلام، لأنه يدل عليه، كما يدل على قوله " والله أنبتكم من الأرض نباتا " (١) ويصلح أن يكون سلاما نعتا لقوله " قيلا " ويصلح أن ينتصب ب (قيل) فالوجوه الثلاثة محتملة. وقيل " إلا قيلا سلاما سلاما " أي قولا يؤدي إلى السلامة.

قوله تعالى:

(وأصحاب اليمين * ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١) وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤)

---

(١) سورة ٧١ نوح آية ١٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إنا أنشأناهن إنشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا (٣٦) عربا أترابا (٣٧)
لأصحاب اليمين (٣٨) ثلة من الأولين (٣٩) وثلة من الآخرين) (٤٠)
أربع عشرة آية كوفي وعدد إسماعيل وبصري، وخمس عشرة آية فيما عداه
عد المدني والمكي والبصري " وأصحاب اليمين " ولم يعده الباقون. وعد المدنيان
والمكي والكوفي والشامي " انشاء " ولم يعده الباقون.
قرأ إسماعيل وحمزة وخلف ويحيى " عربا " مخففة. الباقون مثقلة، وهما
لغتان. وروي عن علي عليه السلام انه قرأ " وطلع منضود " بالعين. والقراء على الحاء
وقال علي عليه السلام: هو كقوله " ونخل طلعها هضيم " (١) وقال كالمتعجب: وما هو
شأن الطلع؟! فقيل: له ألا تغيره؟ قال: القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.
وقوله " وأصحاب اليمين " قيل في معناه ثلاثة أقوال:
أولها - الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.
الثاني - الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة.
الثالث - أصحاب اليمين والبركة. وقوله " ما أصحاب اليمين " معنا ومعنى
" ما أصحاب الميمنة " سواء وقد فسرناه.
وقوله " في سدر مخضود " فالسدر شجر النبق، والمخضود هو الذي لا شوك
فيه وخضد بكثرة جملته وذهاب شوكه - في قول ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد
والضحاك - وأصل الخضد عطف العود اللين. فمن ههنا قيل: لا شوك فيه،
لان الغالب على الرطب اللين أنه لا شوك له.
وقوله " وطلح منضود " قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد:

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٤٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الطلح شجر الموز. وقال أبو عبيدة: الطلح كل شجر عظيم كثير الشوك، وقال الحارثي:

بشرها دليلها وقالا * غدا ترين الطلح والجبالا (١)

وقال الزجاج: الطلح شجر أم غيلان. وقد يكون على أحسن حال، والمنضود هو الذي نضد بعضه على بعض من الموز - ذكره ابن عباس - وهو من نضدت المتاع إذا عبيت بعضه على بعض. قيل: فقنوا الموز منضود بعضه على بعض " وظل ممدود " معناه دائم لا تنسخه الشمس قال لبيد:

غلب البقاء وكنت غير مغلب * دهر طويل دائم ممدود (٢)

وروي في الخبر أن (في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة).

وقوله " وماء مسكوب " أي مصبوب على الخمر يشرب بالمزاج. وقال قوم: يعني مصبوب يشرب على ما يرى من حسنه وصفائه، ولا يحتاجون إلى تعب في استقائه.

وقوله " وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة " أي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة. وقيل الوجه في تكرار ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا بأنها مما يتخيرون، وذكرت - ههنا - بأنها كثيرة وبأنها لا مقطوعة ولا ممنوعة. ومعناه لا مقطوعة كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء في أوقات مخصوصة، ولا ممنوع بتعذر تناول أو شوك يؤذي كما يكون ذلك في الدنيا.

وقوله " وفرش مرفوعة " أي عالية يقال: بناء مرفوع أي عال. وقيل: معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن. وقال الحسن: فرش

---

(١) القرطبي ١٧ / ٢٠٨ ومجاز القرآن ٢ / ٢٥٠

(٢) القرطبي ١٧ / ٢٠٩ والطبري ٢٧ / ٩٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مرفوعة بعضها فوق بعض، والفرش المهاد المهيأ للاضطجاع، فرش يفرش فرشا فهو فأرش والشئ مفروش، ومنه قوله " الذي جعل لكم الأرض فراشا " (١) لأنها تصلح للاستقرار عليها.

وقوله " إنا أنشأناهن انشاء " معناه إن اخترعنا أزواجهم اختراعا، وهذا يقوي قول من حمل الفرش على النساء. وقيل: المعنى انا أنشأناهن من البنية " فجعلناهن أبكارا " والبكر التي لم يفتضها الرجل، ولم تفتض وهي على خلقتها الأولى من حال الانشاء. واصله الأول، ومنه بكرة أول النهار. والابتكار عمل الشئ أولا.

والباكورة أول ما يأتي من الفاكهة. والبكر من الإبل الفتى في أول أمره وحداثة سنه. وقال الضحاك: ابكارا عذارى. وفى الخبر المرفوع (انهن كن عجائز رمضا في الدنيا).

وقوله " عربا أترابا " فالعرب العواشق لأزواجهن المنجبات إليهم - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة - وقال لبيد:

وفى الحدوج عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر (٢)

والعرب جمع عروب على وزن (رسول، ورسل) وهي اللعوب مع زوجها انسا به راغبة فيه، كأنس العربي بكلام العرب، فكأن لها فطنة العرب وإلفهم وعهدهم. والأتراب جمع ترب وهو الوليدة التي تنشأ مع مثلها في حال الصبي، وهو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب أي هم كالصبيان الذين على سن واحد. قال عمر ابن أبي ربيعة:

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٢

(٢) مجاز القرآن ٢ / ٢٥١ والقرطبي ١٧ / ٢١١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ابرزوها مثل المهاة تهادي * بين عشر كواعب أتراب (١)
وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك: الأتراب المستويات على سن
واحد. وقوله " لأصحاب اليمين " أي جميع ما تقدم ذكره لهم جزاء وثوابا على
طاعاتهم. وقوله " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " فالثلة القطعة من الجماعة،
فكأنه قال جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين. وإذا ذكر بالتنكير كان على
معنى البعض من الجملة، كما تقول رجال من جملة الرجال. وفائدة الآية أنه ليس
هذا لجميع الأولين والآخرين. وإنما هو لجماعة منهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه
قال (إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة) ثم تلا قوله " ثلة من الأولين
وثلة من الآخرين " وقال الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، فلذلك
قيل " وقليل من الآخرين " وفى التابعين وثلة من الآخرين.
قوله تعالى:
(وأصحاب الشمال * ما أصحاب الشمال (٤١) في سموم
وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) إنهم
كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث
العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا
لمبعوثون (٤٧) أو آباؤنا الأولون (٤٨) قل إن الأولين
والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) (٥٠).
عشر آيات كوفي عند جميعهم. وإحدى عشر آية في المدني الأول. عد

---

(١) مر في ٨ / ٥٧٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الكل " وأصحاب الشمال " ولم يعده الكوفيون. وعد الكل " في سموم وحميم " ولم يعده الكوفيون، وعد " المكنون " و " كانوا يقولون " ولم يعده الباقون. وعد الكل إلا إسماعيل والشاميين " الأولين والآخرين " وعد إسماعيل والشاميون " لمجموعون " ولم يعده الباقون.

قيل في معنى قوله " وأصحاب الشمال " ثلاثة أقوال:

أحدها - إنهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم.

الثاني - هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.

الثالث - الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد. وكل هذا من أوصافهم.

وقوله " ما أصحاب الشمال " معناه معنى قوله " وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشئمة " وقد فسرناه.

وقوله " في سموم وحميم " فالسموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، ومسام البدن خروقه، ومنه أخذ السم، لأنه يسري في المسام. والحميم الحار الشديد الحرارة من الماء، ومنه قوله " يصب من فوق رؤسهم الحميم " (١) وحم ذلك أي أدناه كأنه حرر أمره حتى دنا. وقيل: في سمون جهنم وحميمها.

وقوله " وظل من يحموم " فاليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار، وهو (يفعول) من الحم، وهو الشحم المسود باحتراق النار. وأسود يحموم أي شديد السواد " وظل من يحموم " أي دخان شديد السواد - في قول ابن عباس وأبي مالك ومجاهد وقتادة وابن زيد - وقوله " لا بارد ولا كريم " معناه لا بارد كبرد ظلال الشمس، لأنه دخان جهنم، ولا كريم، لان كل ما انتفى عنه الخير، فليس بكريم. وقال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر.

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ١٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " إنهم كانوا قبل ذلك مترفين " قال ابن عباس: معناه إنهم كانوا في الدنيا متنعمين. وقوله " وكانوا يصرون على الحنث العظيم " قال قتادة ومجاهد كانوا يقيمون على الذنب العظيم، ولا يتوبون منه، ولا يقلعون عنه. وقال الحسن والضحاك وابن زيد: كانوا يقيمون على الشرك العظيم. وقيل: اصرارهم على الحنث هو ما بينه الله تعالى في قوله " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت " (١) والاصرار الإقامة على الامر من جهة العزم على فعله، فالاصرار على الذنب نقيض التوبة منه، والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف، فهؤلاء ينقضون العهود التي يلزمهم الوفاء بها، ويقمون على ذلك غير تائبين منه، ووصف الذنب بأنه عظيم أنه أكبر من غيره مما هو أصغر منه من الذنوب.

وقوله " وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون "؟! حكاية من الله تعالى عما كان يقول هؤلاء الكفار من انكارهم البعث والنشور والثواب والعقاب وأنهم كانوا يقولون مستبعدين منكرين: أئذا متنا وخرجنا عن كوننا أحياء وصرنا ترابا وعظاما بالية أئنا لمبعوثون؟! ولم يجمع ابن عامر بين الاستفهامين إلا ههنا، أو يبعث واحد من آبائنا الذين تقدموا قبلنا ويحشرون ويردون إلى كونهم أحياء إن هذا لبعيد. والواو في قوله (أو آباؤنا) متحركة، لأنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي قل لهم يا محمد إن تقدمكم من آبائكم أو غير آبائكم، والآخرين الذين يتأخرون عن زمانكم يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عند الله، وهو يوم القيامة

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٣٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لآكلون من
شجر من زقوم (٥٢) فمالؤن منها البطون (٥٣) فشاربون عليه
من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم
الدين (٥٦) نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) أفرأيتم
ما تمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩) نحن
قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدل
أمثالكم وننشئكم في مالا تعلمون) (٦١) احدى عشرة آية بلا خلاف
قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وسهل (شرب الهيم) بضم الشين.
الباقون بالفتح، وهما لغتان. وقرأ (نحن قدرنا) خفيفة ابن كثير. الباقون بالتشديد
وهما لغتان. يقال قدرت، وقدرت، وقد فرق بينهما فيما ذكره.
لما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لمن انكر البعث والنشور قل لهم إنكم
ومن تقدمكم وتأخر عنكم مبعوثون ومحشورون إلى يوم القيامة بين مالهم في ذلك
اليوم فقال (ثم أنكم أيها الضالون المكذبون) يعني الذين ضللتم عن الدين وعن
طريق الحق وحرمتم عن اتباع الصحيح المكذبون الذين كذبتم بتوحيد الله واخلاص
العبادة له وجحدتم نبوة نبيه (لا كلون) يوم القيامة (من شجر من زقوم) فالزقوم
ما يبتلع بتصعب، يقال: تزقم هذا الطعام تزقما إذا ابتلعه بتصعب. وقيل: هو طعام
خشن مركريه يعسر نزوله في الحلق.
وقوله (فمالئون منها البطون) أي تملئون بطونكم من أكل هذا الزقوم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والشجر يؤنث ويذكر، فلذلك قال (منها) وكذلك الثمر يذكر ويؤنث، فالتذكير على الجنس، والتأنيث على المبالغة. والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر، وهو داخل الوعاء وخارجه ظهر، وبطن الامر إذا غمض، ومنه الظهارة والبطانة، وبطن الانسان، وبطن الأرض، وبطن الكتاب.

وقوله (فشاربون عليه من الحميم) معناه إنكم تشربون على هذا الزقوم الذي ملأتم بطونكم منه (من الحميم) وهو الماء الحار الشديد الحرارة (فشاربون شرب الهيم) أي تشربون مثل ما تشرب الهيم، فمن فتح الشين أراد المصدر ومن ضمه أراد الاسم، وقيل هما لغتان. وروى جعفر بن محمد أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بلالا ان

ينادي بمنى إنها أيام اكل وشرب - بفتح الشين - و (الهيم) الإبل التي لا تروى من الماء لداء يصيبها، واحدها (أهيم) والأنثى (هيما) ومن العرب من يقول: هايم وهايمة، وتجمعه على هيم كغايط وغيط. وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: معناه شرب الإبل العطاشى التي لا تروى. وقيل: هو داء الهيام. وحكى الفراء: إن الهيم الرجل الذي لا يروى من الماء يشرب ما يحصل فيه.

وقوله (هذا نزلهم يوم الدين) فالنزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه، ومنه النزل وهو الجاري للانسان من الخير، وأهل الضلال قد نزلوا على أنواع العذاب في النار، وكل ما فصله الله تعالى من ذلك ففيه أتم الزجر وأعظم الردع. وقيل: معنى الآية هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء.

وقوله (نحن خلقناكم) أي نحن أنشأناكم وابتدأناكم في النشأة الأولى (فهلا تصدقون) أنكم تبعثون. ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ما ذكرناه فقال (أفرأيتم ما تمنون) ومعناه الذي يخرج منكم من المني عند الجماع، ويخلق منه الولد (أأنتم تخلقونه) وتنشئونه (أم نحن الخالقون) فهم لا يمكنهم ادعاء إضافة ذلك

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إلى نفوسهم لعجزهم عن ذلك، فلا بد من الاعتراف بأن الله هو الخالق لذلك، وإذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن يكون قادرا على اعادته بعد موته لأنه مثله، وليس بأبعد منه، يقال: أمنى يمني، ومنى يمني، بمعنى واحد، وكذلك أمذى، ومذي - في قول الفراء.

وقوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) فالتقدير ترتيب الأمور على مقدار فالله تعالى أجرى الموت بين العباد على مقدار ما تقتضيه الحكمة، فإنما أجراه الحكيم على ذلك المقدار.

وقوله (وما نحن بمسبوقين) أي لسنا بمسبوقين في تدبيرنا، لأن الأمور كلها في مقدور الله وسلطانه على ما يصح ويجوز فيما مكن منه أو اعجز عنه. وقال مجاهد: تقدير الموت بالتعجيل لقوم والتأخير لغيرهم. وقيل (نحن قدرنا بينكم الموت) بأن كتبناه على مقدار، لا زيادة فيه ولا نقصان. ويقال: قدرت الشئ مخففا، وقدرته مثقلا بمعنى واحد.

وقوله (على أن نبدل أمثالكم) فالتبديل جعل الشئ موضع غيره، فتبديل الحكمة بالحكمة صواب وتبديل الحكمة بخلافها خطأ وسفه، فعلى هذا ينشئ الله قوما بعد قوم، لان المصلحة تقتضي ذلك، والحكمة توجب إنشاءهم في وقت وإماتتهم في وقت آخر. وانشاؤهم بعد ذلك للحساب والثواب والعقاب. وقيل: إن معنى (على أن نبدل) التبدل أي لنبدل أمثالكم، وبين (على) و (اللام) فرق، لأنه يجوز أن يقال: عمله على قبحه، ولا يجوز عمله لقبحه. وتعليم الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية فيه تعليم القياس.

وقوله (وننشئكم فيما لا تعلمون) معناه فيما لا تعلمون من الهيئات والصور المختلفة، لان المؤمن يخلق على أحسن صورة، والكافر على أقبح صورة. وقيل:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هذا على النشأة الثانية يكونها الله في وقت لا يعلمه العباد، ولا يعلمون كيفيته، كما علموا الانشاء الأول من جهة التناسل. وقيل: معناه لو أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم يعيننا ذلك، ولا سبقنا إليه سابق. ويجوز أن يقال: أمثال متفقة، ولا يجوز أن يقال أجناس متفقة، لان المثل ينفصل بالصورة كما ينفصل رجل عن رجل بالصورة، وما انفصل بالصورة يجوز جمعه، لان الصورة قد منعت أن تجري على الكثير منه صفة التوحيد، فلا يجوز أن يقال هؤلاء الرجال كلهم رجال واحد ويجوز هذا الماء كله ماء واحد، وهذه المذاهب كلها مذهب واحد، ولا يجوز هؤلاء الأمثال كلهم أمثال واحد، لأنهم ينفصلون بالصورة. وجرى مجرى المختلفة في أنه لا يقع على صفة التوحيد.

قوله تعالى:

(ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢) أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون (٦٥) إنا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلو لا تشكرون) (٧١) تسع آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر " أإنا لمغرمون " على الاستفهام. الباقون على الخبر.

يقول الله تعالى مخاطبا للكفار الذين أنكروا النشأة الثانية، ومنبها لهم على قدرته عليها، فقال (ولقد علمتم النشأة الأولى فهلا تذكرون) وتفكرون وتعتبرون

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بأن من قدر عليها قدر على النشأة الثانية. والنشأة المرة من الانشاء، كالضربة من الضرب، والانشاء إيجاد الشئ من غير سبب يولده، ومثله الاختراع والابتداع.
ثم نبههم على طريق غيره فقال (أفرأيتم ما تحرثون) من الزرع (أأنتم تزرعونه) أي أأنتم تنبتونه وتجعلونه رزقا (أم نحن الزارعون) فان من قدر على إنبات الزرع من الحبة الحقيرة وجعلها حبوبا كثيرة قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه. وقوله (لو نشاء لجعلناه) يعني ذات الزرع (حطاما) أي هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء لفعلنا. وقوله (فظلتم تفكهون) معناه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة - في رواية عنه - تعجبون. وقال الحسن وقتادة - في رواية - فظلتم تندمون أي لو جعلناه حطاما لظلتم تندمون. والمعنى إنكم كنتم تتروحون إلى التندم، كما تتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم، وأصله التفكه تناول ضروب الفاكهة للاكل، وقوله (إنا لمغرمون) المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض عنه. وأصله ذهاب المال بغير عوض، فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس على المدين من غير عوض منه في الاحتباس، والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه به الغريم. ومنه قوله (ان عذابها كان غراما) (١) أي ملحا دائما كالحاح الغريم. وقال الحسن: هو من الغرم. وقال قتادة معنى (لمغرمون) لمعذبون، قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعد *؟ جزيلا فإنه لا يبالي (٢)

أي يكن عقابه عذابا ملحا كالحاح الغريم. وقال الراجز:

يوم النسار ويوم الجفار * كانا عذابا وكانا غراما (٣).

أي ملحا كالحاح الغريم، وحذف يقولون إنا لمغرمون، لدلالة الحكاية.

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٥
(٢) مر في ٧ / ٥٠٥.
(٣) مر في ٧ / ٥٠٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقال: معنى لغرمون محدودون عن الخط. وقال قتادة محارفون. وقال مجاهد - في رواية أخرى - إنا لمولع بنا. وفى رواية غيره عنه معناه إنا لملقون في الشر.
ومن قرأ (أإنا لمغرمون) على الاستفهام حمل على أنهم يقرعون ويقولون منكرين. أإنا لمغرمون؟! ومن قرأ على الخبر حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم. ثم يستدركون فيقولون لا (بل نحن محرومون) مبخوسون بحظوظنا محارفون بهلاك زرعنا.
ثم قال لهم منبها على دلالة أخرى فقال (أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) والمعنى إنه تعالى امتن عليهم بما أنعم عليهم من انزال الماء العذب (من المزن) يعني السحاب ليشربوه وينتفعوا به، فقال لهم (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) له عليكم نعمة منا عليكم ورحمة بكم. ثم قال (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال الفراء: الأجاج المر الشديد المرارة من الماء. وقال قوم: الأجاج الذي اشتدت ملوحته (فلو لا تشكرون) أي فهلا تشكرون على هذه النعمة التي لا يقدر عليها غير الله، وعلمتم بذلك ان من قدر على ذلك قدر على النشأة الأخرى فإنها لا تتعذر عليه كمالا يتعذر عليه هذه النعم.
قوله تعالى:
(أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أأنتم أنشأتم شجرتها
أم نحن المنشؤن (٧٢) نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين (٧٣)
فسبح باسم ربك العظيم (٧٤) فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥)
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) إنه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب
مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين) (٨٠)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عشر آيات بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (بموقع) على التوحيد. الباقون (بمواقع) على الجمع.
هذا تنبيه آخر من الله تعالى على قدرته على النشأة الثانية، وعلى وجه الدلالة على ذلك وعلى اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره، لأنه قال (أفرأيتم) معاشر العقلاء (النار التي تورون) فالنار مأخوذ من النور، ومنه قول الحارث ابن حلزة:
فتنورت نارها من بعيد * بخزازي هيهات منك الصلاء (١)
وجمع النور أنوار، وجمع النار نيران، والنار على ضربين: نار محرقة، ونار غير محرقة. فالتي لا تحرق النار الكامنة بما هي مغمورة به كنار الشجر ونار الحجر ونار الكيد. والتي تحرق هي النار الظاهرة فيما هي مجاورة له مما من شأنه الاشتعال، وهي معروفة. ومعنى " تورون " تظهرون النار، ولا يجوز الهمزة، لأنه من اورى يورى إيراء إذا قدح، فمعنى تورون تقدحون. وورى الزند يوري، فهو وار إذا. انقدحت منه النار، ووريت بك زنادي إذا أصابك أمري كما يضيئ القدح بالزناد ثم قال " أأنتم أنشأتم شجرتها " يعني الشجرة التي تنقدح منها النار أي أنتم أنبتموها وابتدأتموها " أم نحن المنشئون " لها، فلا يمكن أحد ان يدعي ان الذي أنشأها غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة، وهو خشب معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار - ذكره الزجاج وغيره - وفى المثل (كل شجرة فيها نار واستمجد المرخ والعفار) فان قيل: لم لا يكون نار الشجر بطبع الشجر لا من

---

(١) اللسان (نور)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قادر عليه. قيل: الطبع غير معقول، فلا يجوز أن يسند إليه الافعال، ولو جاز ذلك للزم في جميع افعال الله، وذلك باطل ولو كان معقولا لكان ذلك الطبع لابد أن يكون في الشجر والله تعالى الذي أنشأ الشجرة وما فيها، فقد رجع إلى قادر عليه وإن كان بواسطة، ولو جاز أن تكون النار من غير قادر عليها لجاز أن يكون من عاجز، لأنه إذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا، لأنه فعل، وكل فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه.

وقوله " نحن جعلناها " يعني تلك النار " تذكرة ومتاعا للمقوين " أي جعلنا النار تذكرة للنار الكبرى، وهي نار جهنم، فيكون ذلك زجرا عن المعاصي التي يستحق بها النار - في قول مجاهد وقتادة - ويجوز أن يكون المراد تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها ويعتبر بها، فيعلم انه تعالى قادر على النشأة الثانية، كما قدر على إخراج النار من الشجر الرطب. وقوله " ومتاعا للمقوين " يعني ينتفع بها المسافرون الذين نزلوا الأرض القي وهي القفر، قال الراجز:

قي يناصيها بلاد قي (١)

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: للمقوين المسافرين، وقيل: هو من أقوت الدار إذا خلت من أهلها قال الشاعر:

أقوى واقفر من نعم وغيرها * هوج الرياح بها في الترب موار (٢)

وقد يكون المقوي الذي قويت خيله ونعمه في هذا الموضع.

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين بأن " سبح بحمد ربك العظيم " أي نزه الله تعالى عما لا يليق به وأدعه باسمه العظيم.

وقوله " فلا اقسم بمواقع النجوم " قال سعيد به جبير: (لا) صلة والتقدير

---

(١) اللسان (قوا)

(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٠٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أقسم. وقال الفراء: هي نفي بمعنى ليس الامر كما تقولون. ثم استؤنف " اقسم " وقيل (لا) تزاد قبل القسم، كقولك لا والله لا افعل، ولا والله ما كلمت زيدا وقال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري * لا يدعي القوم اني أفر (١)

بمعنى وأبيك و (لا) زائدة و " مواقع النجوم " قال ابن عباس ومجاهد أي القرآن، لأنه أنزل نجوما. وقال مجاهد - في رواية أخرى - وقتادة: يعني مساقط نجوم السماء ومطالعها. وقال الحسن: معناه انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة، ومن قرأ " بموقع " فلانه يقع على الكثير والقليل. ومن قرأ على الجمع، فلاختلاف أجناسه.

وقوله " وإنه لقسم لو تعلمون عظيم " اخبار من الله تعالى بأن هذا القسم الذي ذكره بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بعلمه. والقسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ على طريقة بالله إنه لكذا. وقال أبو علي الجبائي: القسم في كل ما ذكر في القرآن من المخلوقات إنما هو قسم بربه، وهذا ترك الظاهر من غير دليل، لأنه قد يجوز ذلك على جهة التنبيه على ما في الأشياء من العبرة والمنفعة. وقد روي أنه لا ينبغي لاحد أن يقسم إلا بالله، ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه، فعلى هذا كل من اقسم بغير الله أو بشي من صفاته من جميع المخلوقات أو الطلاق أو العتاق لا يكون ذلك يمينا منعقدة، بل يكون كلاما لغوا. والعظيم هو الذي يقصر عن مقداره غيره فيما يكون منه، وهو على ضربين: أحدهما - عظيم الشخص، والآخر - عظيم الشأن.

وقوله " إنه لقرآن كريم " معناه إن الذي تلوناه عليكم لقرآن تفرقون به

---

(١) ديوانه (السندوبى) ٩٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بين الحق والباطل " كريم " فالكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير، فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بالأدلة التي تؤدي إلى الحق في الدين كان كريما على حقيقة معنى الكريم، لا على التشبيه بطريق المجاز، والكريم في صفات الله من الصفات النفسية التي يجوز فيها لم يزل كريما، لان حقيقته تقتضي ذلك من جهة ان الكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير الكثير، فلما كان القادر على التكرم هو الذي لا يمنعه مانع من شأنه ان يعطي الخير الكثير صح أن يقال إنه لم يزل كريما.
وقوله " في كتاب مكنون " قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالى فيه القرآن والمكنون المصون.
وقوله " لا يمسه إلا المطهرون " قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: لا يمس الكتاب الذي في السماء إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة - في قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر وابن زيد وأبي نهيد ومجاهد. وقيل " لا يمسه إلا المطهرون " في حكم الله. وقد استدل بهذه الآية على أنه لا يجوز للجنب والحائض والمحدث أن يمسوا القرآن، وهو المكتوب في الكتاب الذي فيه القرآن أو اللوح.
وقال قوم: إنه لا يجوز لهم ان يمسوا الكتاب الذي فيه، ولا أطراف أو راقه، وحملوا الضمير على أنه راجع إلى الكتاب وهو كل كتاب فيه القرآن. وعندنا إن الضمير راجع إلى القرآن. وإن قلنا إن الكتاب هو اللوح المحفوظ، فلذلك وصفه بأنه مصون، ويبين ما قلناه قوله " تنزيل من رب العالمين " يعني هذا القرآن تنزيل من رب العالمين أنزله الله الذي خلق الخلائق ودبرهم على ما أراد.
قوله تعالى:
(أفبهذا الحديث أنتم مدهنون (٨١) وتجعلون رزقكم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أنكم تكذبون (٨٢) فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ
تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥)
فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صادقين (٨٧)
فأما إن كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان وجنت نعيم (٨٩)
وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب
اليمين) (٩١).

إثنا عشرة آية شامي، واحدى عشرة فيما عداه، عد الشاميون " وروح وريحان " ولم يعده الباقون.

قرأ يعقوب " فروح وريحان " بضم الراء. الباقون بفتحها، وهما لغتان.

وقال الزجاج: الروح بفتح الراء معناه الراحة وبالضم معناه حياة دائمة لا موت معها.

يقول الله تعالى مخاطبا للمكلفين على وجه التقريع لهم والتوبيخ بصورة الاستفهام " أفبهذا الحديث " الذي حدثناكم به وأخبرناكم به من حوادث الأمور " أنتم مدهنون " قال ابن عباس: معنى مدهنون مكذبون. وقال مجاهد: معناه تريدون أن تمالؤهم فيه وتركنوا إليهم لأنه جريان معهم في باطلهم. وقيل: معناه منافقون في التصديق بهذا الحديث وسماه الله تعالى حديثا كما قال " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها " (١) ومعناه معنى الحدوث شيئا بعد شئ ونقيض (حديث) قديم، والمدهن الذي يجري في الباطل على خلاف الظاهر، كالدهن في سهولة ذلك

---

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ٢٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليه والاسراع فيه، أدهن يدهن إدهانا وداهنه مداهنة مثل نافقه منافقة، وكل مدهن بصواب الحديث مذموم.
وقوله " وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " معناه وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم إنكم تكذبون ويجوز شكر رزقكم، وقال ابن عباس: معناه وتجعلون شكركم، وروي انه كان يقرأ كذلك. وقيل: حظكم من القرآن - الذي رزقكم الله - التكذيب به - في قول الحسن - وقيل: إنهم كانوا إذا أمطروا أو أخصبوا، قالوا مطرنا بنؤ كذا، فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم. وكذلك قرأ المفضل عن عاصم " تكذبون " بفتح التاء خفيفا.
وقوله " فلولا إذا بلغت الحلقوم " قال الحسن: معناه هلا إذا بلغت هذه النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها الحلقوم " وأنتم حينئذ تنظرون " أي تنظرون ما ينزل بكم من امر الله قال الزجاج: قوله تعالى " وأنتم حينئذ " خطاب لأهل الميت، وتقديره إذا بلغت الحلقوم وأنتم معاشر أهله ترونه على تلك الصورة.
ويحتمل أن يكون المراد وأنتم حينئذ تبصرون على ضرب من المجاز. وقوله " ونحن أقرب إليه منكم " معناه إن الله تعالى يراه من غير مسافة بينه وبينه، فلا شئ أقرب إليه منه، وأقرب من كل من يراه بمسافة بينه وبينه " ولكن لا تبصرون " معناه ولكن لا تعلمون ذلك لجهلكم بالله وبما يجوز عليه ومالا يجوز. ويحتمل أن يكون المراد ولكن لا تبصرون الله، لان الرؤية مستحيلة عليه. وقيل معناه: ولكن لا تبصرون الملائكة التي تتولى قبض روحه.
وقوله " فلولا ان كنتم غير مدينين " معناه هلا إن كنتم غير مجزيين بثواب الله أو عقابه على ما تدعونه من إنكار البعث والنشور " ترجعونها " أي تردون هذه النفس إلى موضعها " إن كنتم صادقين " في قولكم وادعائكم. وحكى الطبري

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن بعض النحويين ان الكلام خرج متوجها إلى قوم أنكروا البعث، وقالوا نحن نقدر على الامتناع من الموت، فقيل لهم: هلا رددتم النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين فيما تدعونه. وقال الفراء: جواب (لولا) (ترجعونها) وهو جواب " فلولا إن كنتم غير مدينين " اجيبا بجواب واحد، قال ومثله " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " (١) يعني إن الجواب والخبر في هذا على قياس واحد، وإنما جاز ان يجاب معنيان بجواب واحد، لان كل واحد منهما يوجب ذلك المعنى، والمعنى فلولا إذا بلغت الحلقوم على ادعائهم انه لا يصح أن يكون القادر على إخراجها قادرا على ردها يلزم أن يكون القادر على ردها غيره، وكذلك يلزم من قولهم إنه لا يصح ان يقدر على ردها للجزاء أن يكون القادر غيره منهم ومن أشباههم. والرجع جعل الشئ على الصفة التي كان عليها قبل، وهو انقلابه إلى الحال الأولى، ولو انقلب إلى غيرها لم يكن راجعا. ووجه إلزامهم على إنكار الجزاء ورجوع النفس إلى الدنيا ان إنكار أن يكون القادر على النشأة الأولى قادرا على النشأة الثانية كادعاء ان القادر على الثانية إنما هو من لم يقدر على الأولى، لان إنكار الأول يقتضي ايجاب الثاني كانكار أن يكون زيد المتحرك حركت نفسه في اقتضاء ان غيره حركه. ومعنى " غير مدينين " غير مجزبين. وقيل: معناه غير مملوكين، والدين الجزاء. ومنه قولهم: كما تدين تدان أي تجزي تجزى والدين العمل الذي يستحق به الجزاء من قوله " ان الدين عند الله الاسلام " (٢) ومنه دين اليهود غير دين النصارى، وفلان يتدين أي يعمل ما يطلب به الجزاء من الله تعالى، وال عبد مدين، لأنه تحت جزاء

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٨٨

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مولاه، وإنما يجوز الانقلاب من صفة إلى صفة على أن يكون على أحدهما بجعل جاعل ومن استحق صفة النفس لا لمعنى ولا بالفاعل لا يجوز ان ينقلب عنها إلى غيرها.
وقوله " فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم " اخبار من الله تعالى بما يستحقه المكلفون لمن كان منهم سابقا إلى الخيرات والى افعال الطاعات فله روح وريحان، وهو الهوى الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم. وقيل: الروح الراحة والريحان: الرزق - في قول مجاهد وسعيد بن جبير - وقال الحسن وقتادة: هو الريحان المشموم، وكل نبات طيب الريح، فهو ريحان، وقيل الروح الفرح. وقيل: الروح النسيم الذي تستريح إليه النفس. واصل ريحان روحان، لأنه من الواو إلا أنه خفف، وأهمل التثقيل للزيادة التي لحقته من الألف والنون - ذكره الزجاج -
وقوله " وجنة نعيم " أي ولهذا المقرب مع الروح والريحان " جنة نعيم " أي بستان ينعم فيها ويلتذ بأنواع الثمار والفواكه فيها.
وقوله " واما إن كان من أصحاب اليمين " وقد فسرنا معناه " فسلام لك من أصحاب اليمين " دخلت كاف الخطاب كما يدخل في ناهيك به شرفا، وحسبك به كرما أي لا تطلب زيادة جلالة على جلالة، وكذلك سلام لك منهم أي لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة. وقال قتادة: معناه فسلام لك أيها الانسان الذي من أصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله. وقال الفراء: وسلام لك إنك من أصحاب اليمين فحذفت إنك. وقيل معناه سلمت مما تكره لأنك من أصحاب اليمين. وقال الزجاج: معناه وسلام لك إنك ترى فيهم ما تحب من السلامة، وذكر أصحاب اليمين في أول السورة بأنهم " في سدر مخضود " وذكرهم في أخرها بأنهم يبشرون بالسلامة من كل ما يكرهون. وقيل: إنما كان التبرك باليمين، لان العمل يتيسر بها، واما الشمال فيتعسر العمل بها من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نحو الكتابة والتجارة والاعمال الدقيقة.
قوله تعالى:
(وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من
حميم (٩٣) وتصلية جحيم (٩٤) إن هذا أو حق اليقين (٩٥)
فسبح باسم ربك العظيم) (٩٦) خمس آيات بلا خلاف.
لما اخبر الله تعالى ما للسابقين من أنواع الثواب والنعيم، وبين ما لأصحاب اليمين من الخيرات والثواب الجزيل، اخبر بما للكفار المكذبين بيوم الدين المنكرين للبعث والنشور والجزاء بالثواب والعقاب، فقال " واما إن كان " هذا الانسان المكلف (من المكذبين) بتوحيد الله الجاحدين لنبوة نبيه الدافعين للبعث والنشور (الضالين) عن طريق الهدى العادلين عنه (فنزل من حميم) أي نزلهم الذي أعدلهم من الطعام والشراب من ماء من حميم (وتصلية جحيم) أي احراق بنار جهنم، يقال صلاه الله تصلية إذا ألزمه الاحتراق بها، وتقديره فله نزل من حميم.
وقوله (إن هذا لهو حق اليقين) أي هذا الذي أخبرنك به هو الحق الذي لاشك فيه بل هو اليقين الذي لا شبهة فيه وحق اليقين إنما جاز اضافته إلى نفسه، لأنها إضافة لفظية جعلت بدلا من الصفة، لان المعنى إن هذا لهو حق اليقين، كما قيل هذا نفس الحائط، بمعنى النفس الحايط، وجاز ذلك للايجاز مع مناسبة الإضافة للصفة. واما قولهم (رجل سوء) فكقولك رجل سواء وفساد. وقيل معنى حق اليقين حق الامر اليقين.
وقوله (فسبح باسم ربك العظيم) أمر من الله تعالى لنبيه ان ينزه الله تعالى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عما لا يليق به ويذكره باسمه العظيم. وقيل: انه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله
(ضعوها في ركوعكم) وقولوا (سبحان ربي العظيم) والعظيم في صفة الله معناه ان كل شئ سواه مقصر عن صفته بأنه قادر عالم غني إذ هو قادر لا يعجزه شئ ولا يساويه شئ في مقدوراته، وعالم لا يخفى عليه شي على كل وجوه التفصيل، وغني بنفسه عن كل شئ سواه لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه ولا على حال من الأحوال.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٧ - سورة الحديد
مدينة بلا خلاف، وهي تسع وعشرون آية في الكوفي والبصري وثمان وعشرون في المدينين.
بسم الله الرحمن الرحيم.
(سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (١)
له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شئ
قدير (٢) هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ
عليم (٣) هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منا وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما
تعملون بصير (٤) له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع
الأمور) (٥) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مخبرا ان جميع ما في السماوات والأرض يسبح له. وقد بينا في غير موضع معنى التسبيح وانه التنزيه له عن الصفات التي لا تليق به. فمن كان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من العقلاء عارفا به فإنه يسبحه لفظا ومعنى، وما ليس بعاقل من سائر الحيوان والجمادات فتسبيحها ما فيها من الآية الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه، وما فيها من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وأن خلقه لا يشبهه، ذلك بالتسبيح. وإنما كرر ذكر التسبيح في غير موضع من القرآن لانعقاده لمعان مختلفة لا ينوب بعضها مناب بعض، فمن ذلك قوله " وإن من شئ إلا يسبح بحمده " (١) فهذا تسبيح بحمد الله وأما " سبح لله ما في السماوات والأرض " فهو تسبيح بالله " العزيز الحكيم " فكل موضع ذكر فيه فلعقده بمعنى لا ينوب عنه غيره منابه، وإن كان مخرج الكلام على الاطلاق " والعزيز الحكيم " معناه المنيع بأنه قادر لا يعجزه شئ العليم بوجوه الصواب في التدبير، ولا تطلق صفة " العزيز الحكيم " إلا فيه تعالى، لأنه على هذا المعنى.

وقوله " له ملك السماوات والأرض " اخبار بأن له التصرف في جميع ما في السماوات والأرض وليس لاحد منعه منه ولا أن أحدا ملكه ذلك وذاك هو الملك الأعظم، لان كل ما عداه فما يملكه، فان الله هو الذي ملكه إياه، وله منعه منه.

وقوله " يحيي ويميت " معناه يحيي الموات، لأنه يجعل النطفة وهي جماد حيوانا ويحييها بعد موتها يوم القيامة، ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم " وهو على كل شئ قديرا " أي كل ما يصح أن يكون مقدورا له، فهو قادر عليه.

وقوله " هو الأول والآخر " قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال البلخي إنه كقول القائل: فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الامر وبه يتم.

الثاني - قال قوم: هو أول الموجودات لأنه قديم سابق لجميع الموجودات وما

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٤٤

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عداه محدث. والقديم يسبق المحدث بمالا يتناهى من تقدير الأوقات. والآخر بعد فناء كل شئ، لأنه تعالى يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض، ويبقى وحده ففي الآية دلالة على فناء الأجسام.

وقوله " الظاهر والباطن " قيل في معناه قولان:

أحدهما - انه العالم بما ظهر وما بطن.

الثاني - انه القاهر لما ظهر وما بطن من قوله تعالى " فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين " (١) ومنه قوله " ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٢) وقيل: المعنى إنه الظاهر بادلته الباطن من إحساس خلقه " وهو بكل شئ عليم " ما يصح أن يكون معلوما، لأنه عالم لنفسه.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال " هو الذي خلق السماوات والأرض " أي اخترعهما وأنشأهما " في ستة أيام " لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شئ بعد شئ من جهة ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان خلقها في لحظة واحدة، لأنه قادر على ذلك من حيث هو قادر لنفسه.

وقوله " ثم استوى على العرش " أي استولى عليه بالتدبير قال البعيث.

ثم استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق (٣)

وهو بشر بن مروان، لما ولاه اخوه عبد الملك بن مروان. وقيل: معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش، وقد بينا ذلك فيما تقدم. ثم قال " يعلم ما يلج في الأرض " أي ما يدخل في الأرض ويستتر فيها، فالله عالم به لا يخفى عليه منه شئ " وما يخرج منها " أي ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر النبات والحيوان والجماد

---

(١) سورة ٦١ الصف آية ١٤

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ٨٨

(٣) مر في ١ / ١٢٥، و ٢ / ٣٩٦ و ٤ / ٤٥٢ و ٥ / ٣٨٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولا يخفى عليه شئ " وما ينزل من السماء " أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من أنواع ما ينزل منها لا يخفى عليه شئ منها " وما يعرج فيها " أي ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع إليها من أعمال الخلق " وهو معكم " بعني بالعلم لا يخفى عليه حالكم وما تعملونه " والله بما تعملون بصير " من خير وشر أي عالم به.

ثم قال " له ملك السماوات والأرض " أي له التصرف فيهما على وجه ليس لأحد منعه منه " واليه ترجع الأمور " يوم القيامة. والمعنى أن جميع من ملكه شيئا في دار الدنيا يزول ملكه ولا يبقى ملك أحد، ويتفرد تعالى بالملك، فذلك معنى قوله (واليه ترجع الأمور) كما كان كذلك قبل أن يخلق الخلق.

قوله تعالى:

(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور (٦) آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٧) وما لكم
لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ
ميثاقكم إن كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤف
رحيم (٩) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات
والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
والله بما تعملون خبير) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو وحده (وقد اخذ ميثاقكم) بضم الألف، على ما لم يسم
فاعله. الباقون - بالفتح - بمعنى واخذ الله ميثاقكم، وقرأ ابن عامر ووحده (وكل
وعد الله الحسنى) بالرفع، وهي في مصاحفهم بلا الف جعله مبتدءا وخبرا وعدى
الفعل إلى ضميره، وتقديره: وكل وعده الله الحسنى، كما قال الراجز:
قد أصبحت أم الخيار تدعي * على ذنبا كله لم أصنع
أي لم اصنعه، فحذف الهاء. الباقون بالنصب على أنه مفعول (وعد الله)
وتقديره وعد الله كلا الحسنى، ويكون (الحسنى) في موضع نصب بأنه مفعول ثان
وهو الأقوى.
معنى قوله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي إن ما ينقص من
الليل يزيده في النهار، وما ينقص من النهار يزيده في الليل حسب ما قدره على علم
من مصالح عباده. وقيل: إن معناه إن كل واحد منهما يتعقب صاحبه (وهو عليم
بذات الصدور) ومعناه هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه في قلوبهم من الضمائر
والاعتقادات لا يخفى عليه شئ منها.
ثم امر تعالى المكلفين فقال (آمنوا بالله) معاشر العقلاء وصدقوا نبيه
وأقروا بوحدانيته واخلاص العبادة له، وصدقوا رسوله، واعترفوا بنبوته
(وانفقوا) في طاعة الله والوجوه التي أمركم الله بالانفاق فيها (مما جعلكم مستخلفين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيه) قال الحسن: معناه ما أستخلفكم فيه بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم.
ثم بين ما يكافيهم به إذا فعلوا ذلك، فقال (فالذين آمنوا منكم) بما أمرتهم بالايمان به (وانفقوا) مما دعوتهم إلى الانفاق فيه (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (واجر كبير) أي وثواب عظيم.
ثم قال الله تعالى على وجه التوبيخ لهم (ومالكم) معاشر المكلفين (لا تؤمنون بالله) وتعترفون بوحدانيته واخلاص العبادة له (والرسول يدعوكم) إلى ذلك (لتؤمنوا بربكم) أي لتعترفوا به وتقروا بوحدانيته (وقد أخذ ميثاقكم) معناه إنه لما ذكر تعالى دعاء الرسول إلى الايمان بين انه قد اخذ ميثاقكم أيضا به، ومعنى اخذ ميثاقكم انه نصب لكم الأدلة الدالة إلى الايمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم في خلافه، ومعنى (إن كنتم مؤمنين) اي إن كنتم مؤمنين بحق فالايمان قد ظهرت أعلامه ووضحت براهينه:
ثم قال (هو الذي ينزل على عبده) يعني ان الله تعالى هو الذي ينزل على محمد صلى الله عليه وآله (آيات بينات) أي حججا وأدلة واضحة وبراهين نيرة (ليخرجكم من الظلمات
إلى النور) ومعناه فعل بكم ذلك ليخرجكم من الضلال إلى الهدى - في قول مجاهد وغيره - وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة: إن الله تعالى خلق كثيرا من خلقه ليكفروا به ويضلوا عن دينه. وإنما أخرجهم من الضلال إلى الهدى بما نصب لهم من الأدلة التي إذا نظروا فيها أفضى بهم إلى الهدى والحق، فكأنه أخرجهم من الضلال، وإن كان الخروج من الضلال إلى الهدى من فعلهم، وسمى الدلالة نورا، لأنه يبصر بها الحق من الباطل، وكذلك العلم، لأنه يدرك به الأمور كما تدرك بالنور، فالقرآن بيان الاحكام على تفصيلها ومراتبها.
وقوله (إن الله بكم لرؤف رحيم) اخبار منه تعالى أنه بخلقه رؤوف رحيم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والرأفة والرحمة من النظائر.
وقوله " وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله " استبطأهم في الانفاق في سبيل الله الذي رغبهم بالانفاق فيها.
وقوله " ولله ميراث السماوات والأرض " قد بينا أن جميع ما يملكونه في الدنيا يرجع إلى الله، ويزول ملكهم عنه، فان أنفقوه كان ثواب ذلك باقيا لهم.
وقوله " لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل.. " بين الله تعالى أن الانفاق قبل الفتح في سبيل الله إذا انضم إليه الجهاد في سبيله أكثر ثوابا عند الله، والمراد بالفتح فتح مكة وفي الكلام حذف، لان تقديره لا يستوى هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح، والكلام يدل عليه. وإنما امتنع مساواة من انفق بعده لمن انفق قبله، لعظم العناية الذي لا يقوم غيره مقامه فيه، في الصلاح في الدين وعظم الانتفاع به، كمالا يقوم دعاء غير النبي صلى الله عليه وآله إلى الحق مقام دعائه ولا يبلغه
أبدا، وليس في الآية دلالة على فضل انسان بعينه ممن يدعى له الفضل، لأنه يحتاج أن يثبت ان له الانفاق قبل الفتح، وذلك غير ثابت. ويثبت أن له القتال بعده.
ولما يثبت ذلك أيضا فكيف يستدل به على فضله.
فأما الفتح فقال الشعبي: أراد فتح الحديبية. وقال زيد بن اسلم، وقتادة:
أراد به فتح مكة. ثم سوى تعالى بين الكل في الوعد بالخير والجنة والثواب فيها – وإن تفاضلوا في مقاديره – فقال " وكلا وعد الله الحسنى " يعني الجنة والثواب فيها " والله بما تعملون خبير " لا يخفى عليه شئ من ذلك من انفاقكم وقتالكم وغير ذلك فيجازيكم بحسب ذلك.
قوله تعالى:
(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أجر كريم (١١) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢) يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (١٣) ينادونهم ألم
نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله
الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
مأويكم النار هي موليكم وبئس المصير) (١٥).
خمس آيات كوفي وأربع فيما عداه، عد الكوفيون " من قبله العذاب " ولم يعده الباقون
قرأ ابن كثير " فيضعفه " بالتشديد وضم الفاء، وبه قرأ ابن عامر إلا أنه
فتح الفاء. وقد مضى تفسيره في البقرة، وقرأ حمزة وحده " للذين آمنوا انظرونا "
بقطع الهمزة وكسر الظاء. الباقون بوصلها وضم الظاء. وقرأ أبو جعفر وابن عامر
ويعقوب وسهل " فاليوم لا تؤخذ " بالتاء لتأنيث الفدية. الباقون - بالياء - لان
التأنيث ليس بحقيقي. وقد فصل بين الفعل والفاعل ب (منكم).
قال الحسن: معنى قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) هو التطوع
في جميع الدين. وقال غيره: معناه من ذا الذي ينفق في سبيل الله إنفاقا كالقرض

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والقرض اخذ الشئ من المال باذن صاحبه بشرط ضمان رده، وأصله القطع، فهو قطعه عن مالكه باذنه لانفاقه على رد مثله. والعرب تقول: لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيرا أو شرا قال الشاعر:

ونجزي سلامان بن مفرح قرضها * بما قدمت أيديهم وأزلت (١)

وقوله (فيضاعفه له) فالمضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله، وقد وعد الله بالحسنة عشر أمثالها، والانفاق في سبيل الله حسنة فهو داخل في هذا الوعد ومن شدد العين، فلان الله وعد بالحسنة عشر أمثالها. ومن ضم الفاء جعله عطفا على من ذا الذي يقرض فيضاعفه أو على تقدير فهو يضاعفه. ومن نصب فلانه جواب الاستفهام.

وقوله (وله أجر كريم) معناه إن له مع مضاعفة ما أنفقه اجرا زائدا كريما، فالكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير العظيم، فلما كان الاجر يعطي النفع العظيم، كان الاجر كريما، لأنه يوجد شرف النفع بما لا يلحقه ما ليس بأجر.

وقوله (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم) ف (يوم) يتعلق بقوله (لهم اجر كريم.. يوم ترى) قال قتادة: معناه إنه يسعى نورهم أي الضياء الذي يرونه (بين أيديهم وبأيمانهم) وقال الضحاك: نورهم هداهم. قال (وبأيمانهم) كتبهم. وقيل (وبأيمانهم) معناه وعن أيمانهم. وقيل: وفي أيمانهم. وقوله (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار " أي تجري تحت أشجارها الأنهار، أي يقال لهم: الذي تبشرون به اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار (خالدين فيها) أي مؤبدين لا يفنون.

ثم قال (ذلك هو الفوز العظيم) فعظم الفوز والفلاح يتضمن اجلال النعمة

---

(١) قائله الشنفري، تفسير الطبري ٢٧ / ١١٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والاكرام مع الحمد بالاحسان على طريق الدوام، فكل ما فعل من أجل الثواب فالنعمة به أجل والاحسان به أعظم.

وقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) يجوز أن يتعلق (يوم) بقوله (ذلك هو الفوز العظيم.. يوم) أي في يوم، ويجوز أن يكون على تقدير واذكر يوم يقول المنافقون والمنافقات (للذين آمنوا) ظاهرا وباطنا (انظرونا) فمن قطع الهمزة أراد أخرونا ولا تعجلوا علينا واستأخروا نستضئ بنوركم. ومن وصلها أراد ينظرون. وقيل: انظرني أيضا بمعنى انتظرني، قال عمرو ابن أم كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا * وانظرنا نخبرك اليقينا (١)

ويقال: انظرني بمعنى أخرني. وقوله (نقتبس من نوركم) فالنور الضياء، وهو ضد الظلمة، وبالنور يستضاء في البصر وفي الأمور، وفي البصر نور وكذلك في النار. ومعنى (نقتبس) نأخذ قبسا من نوركم، وهو جذوة منه فقالوا لهم (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أي ارجعوا إلى خلفكم فاطلبوا النور فإنه لا نور لكم عندنا، فإذا تأخروا ضرب الله بينهم بسور. ومن وصلها أراد انتظرونا.

ثم اخبر تعالى فقال (فضرب بينهم) يعني بين المؤمنين وبين المنافقين (بسور) والباء زائدة وهو المضروب بين الجنة والنار (له باب باطنه فيه الرحمة) لان فيه الجنة (وظاهره من قبله العذاب) يعني من قبل المنافقين العذاب، لكون جهنم هناك.

ثم حكى الله تعالى أنهم (ينادونهم) يعني المنافقون فيقولون لهم (ألم نكن معكم) في دار الدنيا ومخالطين لكم ومعاشرين، فيجيبهم المؤمنون فيقولون (بلى) كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي تعرضتم للفتنة وتربصتم بالمؤمنين

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ٢٤٥ والطبري ٢٧ / ١١٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الدوائر (وارتبتم وغرتكم الأماني) أي شككتم فيما أخبركم به رسولنا وغركم ما كنتم تمنون حتى طمعتم في غير مطمع (حتى جاء امر بالله) في نصرة نبيه والمؤمنين معه وغلبته إياكم (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان وسمي بذلك لكثرة ما يغر الناس. ومن غر غيره مرة واحدة فهو غار. وقرئ بالضم، وهو كل ما غرمن متاع الدنيا - ذكره الزجاج - والغرور بضم الغين المصدر. ثم يقول لهم الملائكة أو المؤمنون (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي ما تفدون به أنفسكم لا يقبل منكم (ولا يؤخذ (من الذين كفروا) الفداء (ومأواكم) أي مقركم وموضعكم الذي تأوون إليه " النار هي مولاكم " أي هي أولى بكم " وبئس المصير " أي بئس المأوى والموضع والمرجع إليه قال لبيد:

قعدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وأمامها (١)

أي تحسب أن كليهما أولى بالمخافة.

قوله تعالى:

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧) إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨) والذين آمنوا بالله

---

(١) مر في ٥ / ١٤٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم
ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
الجحيم (١٩) إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب
شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ (وما نزل من الحق) بتخفيف الزاي نافع وحفص عن عاصم، لأنه
يقع على القليل والكثير، ويكون النزول مضافا إلى الحق. الباقون بالتشديد بمعنى
أن الله هو الذي نزل الحق شيئا بعد شئ. وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم
وابن زيد (المصدقين والمصدقات) بتخفيف الصاد يذهبون إلى التصديق الذي هو
خلاف التكذيب، ومعناه إن المؤمنين والمؤمنات. الباقون - بتشديد الصاد -
يذهبون أن الأصل المتصدقين، فأدغمت التاء في الصاد لتقارب مخرجهما وشدد.
ومعنى قوله (ألم يأن) ألم يحن (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله)
أي تخضع لسماع ذكر الله ويخافون عقابه، وينبغي أن يكون هذا متوجها إلى طائفة
مخصوصة لم يكن فيهم الخشوع التام حثوا على الرقة والرحمة. وأما من كان ممن
وصفه الله بالخشوع والرحمة والرقة فطبقة فوق هؤلاء المؤمنين، ويقال أنى يأني أنا
إذا حان، ومنه قوله (غير ناظرين إناه) (٢) أي منتهاه. والخشوع لين القلب

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٥٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للحق بالانقياد له، ومثله الخضوع وضده قسوة القلب. والحق ما دعا إليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك، والحق مطلوب كل عاقل في نظره وإن أخطأ طريقه، والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق، قسا قلبه يقسو قسوة، فهو قاس.

(وما نزل من الحق) من خفف أضاف النزول إلى الحق ومن شدد أراد ما نزله الله من الحق (ولا يكونوا) أي وألا تكونوا (كالذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (من قبل) أي من قبلهم فيكون موضعه نصبا. ويحتمل أن يكون مجزوما على النهي (فطال عليهم الأمد) يعني المدة والوقت، فان أهل الكتاب لما طال عليهم مدة الجزاء على الطاعات (فقست قلوبهم) حتى عدلوا عن الواجب وعملوا بالباطل. وقيل: معناه طال عليهم الأمد ما بين زمانهم وزمن موسى. وقيل: طال عليهم الأمد ما بين نبيهم وزمن موسى. وقيل طال أمد الآخرة (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم.

ثم قال (اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها) بالجدب والقحط فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الايمان بعد موته بالضلال بأن يلطف له ما يؤمن عنده.

ثم قال (قد بينا لكم الآيات) يعني الحجج الواضحات والدلائل البينات (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وترجعوا إلى طاعته وتعملوا بما يأمركم به.

وقوله (إن المصدقين والمصدقات) من شدد أراد المتصدقين إلا أنه أدغم التاء في الصاد، ومن خفف أراد الذين صدقوا بالحق (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي انفقوا مالهم في طاعة الله وسبيل مرضاته. ثم بين ما أعد لهم من الجزاء فقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(يضاعف لهم) أي يجازون بأمثال ذلك. ومن شدد العين أراد التكثير، لان الله تعالى يعطي بالواحد عشرا إلى سبعين إلى سبع مئة، ثم قال " ولهم أجر كريم " أي لهم جزاء وثواب مع إكرام الله إياهم وإجلاله لهم. ثم قال (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني الذين صدقوا بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وأقروا بنبوة رسله (أولئك هم الصديقون) الذين صدقوا بالحق. ثم قال مستأنفا (والشهداء عند ربهم) قال ابن عباس ومسروق وأبو الضحى والضحاك: هو منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الأنبياء عليهم السلام ويجوز أن يكون معطوفا على ما تقدم وتقديره

أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء، ويكون لهم أجرهم ونورهم للجماعة من الصديقين والشهداء، فكأنه قال: كل مؤمن شهيد على ما رواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وعن عبد الله بن مسعود ومجاهد، فيكون التقدير أولئك هم الصديقون

عند ربهم والشهداء عند ربهم.

ثم قال (لهم أجرهم ونورهم) أي لهم ثواب طاعاتهم ونور إيمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنة. ثم قال (والذين كفروا) بالله وجحدوا توحيده وكذبوا رسله " وكذبوا بآياتنا " يعني حججه وبيناته " أولئك أصحاب الجحيم " يعني أنهم يلزمهم الله الجحيم فيبقون فيها دائمين. ثم زهد المؤمنين في الدنيا والسكون إلى لذاتها، فقال (اعلموا) معاشر العقلاء والمكلفين " إنما الحياة الدنيا " يعني في هذه الدنيا " لعب ولهو " لأنه لا بقاء لذلك ولا دوام وإنه يزول عن وشيك كما يزول اللعب واللهو " وزينة " تتزينون بها في الدنيا " وتفاخر بينكم " يفتخر بعضكم على بعض " وتكاثر في الأموال والأولاد " أي كل واحد يقول مالي أكثر وأولادي أكثر. ثم شبه ذلك بأن قال مثله في ذلك " كمثل غيث " يعني مطرا " أعجب الكفار نباته " أي أعجب الزراع ما نبت بذلك الغيث فالكفار الزراع. وقال الزجاج: ويحتمل أن يكون المراد الكفار

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالله لأنهم أشد إعجابا بالدنيا من غيرهم " ثم يهيج " أي ييبس فيسمع له لما تدخله الريح صوت الهائج " فتراه مصفرا " وهو إذا قارب اليبس (ثم يكون حطاما) أي هشيما بأن يهلكه الله مثل افعال الكافر بذلك، فإنها وإن كانت على ظاهر الحسن فان عاقبتها إلى هلاك ودمار مثل الزرع الذي ذكره. ثم قال وله مع ذلك " وفى الآخرة " (عذاب شديد) من عذاب النار للعصاة والكفار " ومغفرة من الله ورضوان " للمؤمنين المطيعين. ثم قال " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " معناه العمل للحياة الدنيا متاع الغرور وإنها كهذه الأشياء التي مثل بها في الزوال والفناء، والغرور - بضم الغين - ما يغر من متاع الدنيا وزينتها.

قوله تعالى:

(سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي
عزيز) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو " بما أتاكم " مقصور يعني بما جاءكم. الباقون بالمد يعني بما أعطاكم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام " فان الله الغني الحميد " بلا فصل لأنهم وجدوا في مصاحفهم كذلك، والباقون بأثبات (هو) وكذلك هو في مصاحفهم فمن اسقط (هو) جعل (الغني) خبر (ان) و (الحميد) نعته ومن زاد (هو) احتمل شيئين:
أحدهما - ان يجعل (هو) عمادا أو صلة زائدة.
والثاني - أن يجعله ابتداء، و (الغني) خبره، والجملة في موضع خبر (إن)
مثل قوله " ان شانئك هو الأبتر " (١) يقول الله تعالى آمرا للعقلاء المكلفين وحاثا لهم على الطاعات " سابقوا إلى مغفرة من ربكم " والمسابقة طلب العامل التقدم في عمله قبل عمل غيره بالاجتهاد فيه فعلى كل مكلف الاجتهاد في تقديم طاعة الله على كل عمل كما يجتهد المسابق لغيره والمسابقة إلى المغفرة بأن يتركوا المعاصي ويفعلوا الطاعات
وقوله " وجنة " معناه سابقوا إلى جنة أي إلى استحقاق ثواب جنة
" عرضها كعرض السماء والأرض " في السعة. وقال الحسن: ان الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه في طولها وعرضها، فبذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض. وقال غيره إن الله تعالى قال " عرضها كعرض السماء " الدنيا
" والأرض " والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي بين ذلك، وإذا كان العرض بهذه السعة فالطول أكثر منه أو مثله.
قوله " أعدت " اشتقاقه من العدد والاعداد، وضع الشئ لما يكون في

---

(١) سورة ١٠٨ الكوثر آية ٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المستقبل على ما يقتضيه من عدد الامر الذي له، والمعنى أن هذه الجنة وضعت وادخرت للذين آمنوا بالله ورسوله، فيوحدوا الله ويصدقوا رسله. ثم قال " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " أي هذا الذي ذكره بأنه معد للمؤمن فضل من الله يؤتيه من يشاء اي يعطيه من يشاء " والله ذو الفضل العظيم " فالفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر ان يفعله بغيره وله ان لا يفعله.

ثم قال تعالى " ما أصاب من مصيبة " أي ليس يصيب أحدا مصيبة " في الأرض " في ماله " ولا في أنفسكم إلا " وهو مثبت مذكور " في كتاب " يعني اللوح المحفوظ " من قبل ان نبرأها "، فالضمير راجع إلى النفس كأنه قال: من قبل ان نبرء النفس ويحتمل أن يكون راجعا إلى المصائب من الأمراض والفقر والجدب والغم بالثكل.

ثم قال " ان ذلك " يعني اثبات ذلك على ما ذكره " على الله يسير " أي سهل غير يسير. بين تعالى لم فعل ذلك فقال (لكيلا تأسوا) أي لا تحزنوا (على ما فاتكم) من لذات الدنيا وزينتها (ولا تفرحوا بما آتاكم) منها على وجه البطر والأشر، فمن قصر أراد بما جاءكم، ومن مد أرد بما أعطاكم. ثم قال (والله لا يحب كل مختال) أي متجبر (فخورا) على غيره على وجه التكبر عليه، فان من هذه صفته لا يحبه الله. وفرح البطر مذموم. وفرح الاغتباط بنعم الله محمود. كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) والتأسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله.

ثم بين صفة المختال الفخور، فقال (الذين يبخلون) بما أوجب الله عليهم من الحقوق في أموالهم (ويأمرون الناس بالبخل) أيضا. وقيل: نزلت في اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النبي على ما وجدوه في كتبهم وأمروا غيرهم بذلك. والبخل والبخل لغتان، وقرئ بهما. وهو منع الواجب.

ثم قال (ومن يتول) يعني ومن يعرض عما ذكره الله وخالف (فان الله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هو الغني الحميد) ومعناه إنه تعالى الغني عن جميع خلقه محمود في جميع افعاله، فمنع هؤلاء حقوق الله لا يضره، وإنما ضرر ذلك عليهم.
ثم اقسم تعالى فقال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) يعني الدلائل والحجج الواضحة (وأنزلنا معهم الكتاب) أي مكتوبا فيه ما يحتاج الخلق إليه كالتوراة والإنجيل والقرآن (والميزان) أي وأنزلنا الميزان وهو ذو الكفتين. وقيل: المراد به العدل (ليقوم الناس بالقسط) يعني بالعدل في الأمور (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) إخبار من الله تعالى انه الذي انزل الحديد. وروي ان الله تعالى أنزل مع آدم العلاءة - يعني السندان والمطرقة والكيتين - من السماء، وهذا صحيح ولا بد منه، لان الواحد منا لا يمكنه أن يفعل آلات من حديد وغيرها إلا بآلات قبلها، وينتهي إلى آلات يتولى الله صنعها تعالى الله علوا كبيرا.
وقوله (فيه بأس شديد) أي يمتنع به ويحارب به " ومنافع للناس " أي وفيه منافع للناس كأدواتهم وآلاتهم وجميع ما يتخذ من الحديد من آلات ينتفع بها كالسكين وغيرها (وليعلم الله من ينصره ورسله) أي فعلت ذلك لما لهم فيه من النفع به، وليعلم الله من ينصره
بنصرة موجودة، ومن يجاهد مع نبيه جهادا موجودا (بالغيب) أي ينصر الله ورسله ظاهرا وباطنا (إن الله قوي عزيز) أي قادر على ما يصح أن يكون مقدورا له لا يقدر أحد على قهره ولا على منعه. وقيل: في جواب قوله (الذين يبخلون) قولان:
أحدهما - إنه محذوف كما حذف في قوله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) (١) وتقديره الذين يبخلون فهم يستحقون العذاب والعقوبة.
وقيل: أيضا جوابه جواب قوله (ومن يتولى) فعطف بجزاءين على جزاء

---

(١) سورة ١٣ الرعد آية ٣٣

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

واحد، وجعل جزاءيهما واحد، كما تقول: إن تقم وتحسن آتك إلا أنه حذف الجواب قوله تعالى:

(ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٢٩).

خمس آيات بصرى وأربع فيما عداه، عد البصريون " وآتيناه الإنجيل " ولم يعده الباقون.

يقول الله تعالى مقسما إنه ارسل نوحا نبيا إلى قومه، وإبراهيم أيضا أرسله إلى قومه وذكر انه تعالى جعل في ذريتهما - يعني في ذرية نوح وإبراهيم أيضا بعد ما أرسلهما إلى قومهما " النبوة والكتاب " لان الأنبياء كلهم من نسلهما. وعليهم أنزل الكتاب.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال " فمنهم مهتد " إلى طريق الحق واتباعه " وكثير منهم فاسقون " أي خارجون عن طاعة الله إلى ذل معصيته. ثم اخبر تعالى إنه قفى على آثار من ذكرهم برسل أخر إلى قوم آخرين. والتقفية جعل الشئ في أثر الشئ على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر قوافي إذا كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه، فكأنه قال: وأنفذنا بعدهم بالرسل رسولا بعد رسولهم " وقفينا بعيسى بن مريم " بعدهم " وآتيناه " أي أعطينا عيسى ابن مريم " الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - إنه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالامر به والترغيب فيه. ثم أخبر انه رزق الرأفة والرحمة. قال أبو زيد: يقال رؤفت بالرجل ورأفت به رأفة - بفتح الهمزة، وسكونها -.

الثاني - إنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة. وإنما مدحهم على ذلك، لأنهم تعرضوا لهما.

وقوله " ورهبانية ابتدعوها " يعني ابتدعوا الرهبانية ابتدعوها وهي الخصلة عن العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إما في لبسه أو انفراده عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبها. ومعنى الآية ابتدعوا رهبانية لم تكتب عليهم. ثم قال " ما كتبناها عليهم " الرهبانية " إلا ابتغاء رضوان الله " فالثانية غير الأولى إلا أنه لما اتفق الاسمان فيهما كنى عنهما بما تقدم، وقام إعادة لفظهما مقامهما كما قال حسان:

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء (١)

فالتقدير ومن يمدحه. والابتداع ابتداء أمر لم يجد فيه على مثال. والبدعة

---

(١) مر في ١ / ٤١٠ و ٨ / ١٩٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إحداث أمر على خلاف السنة. وقال قتادة: الرهبانية التي أبتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع. وقال قتادة وابن زيد: تقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله " فما رعوها حق رعايتها " وقال قوم: الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال - في خبر مرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله فما رعاها
الذين بعدهم حق رعايتها، وذلك لتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله، وقيل: الرهبانية الانقطاع
عن الناس للانفراد بالعبادة.
وقوله " ما كتبناها عليهم " معناه ما فرضناها عليهم أي تلك الرهبانية البتة. وقال الزجاج: معناه ما كتبناها عليهم البتة ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فيكون بدلا من (ها) التي يشتمل عليه المعنى - ذكره الزجاج - وقيل: كان عليهم تتميمها كما على المبتدئ بصوم التطوع أن يتمه. وقال الحسن: فرضها الله عليهم بعد ما أبتدعوها، وقوله " فما رعوها حق رعايتها " معناه فما حفظوها حق حفظها.
ثم قال (فآتينا الذين آمنوا) معناه فأعطينا من آمن بالله ورسوله من جملة المذكورين (أجرهم) أي ثوابهم على إيمانهم. ثم قال (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته والكفر به.
وقوله " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله " معناه يا أيها الذين اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى واعترفوا بنبوتهما اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله - ذكره ابن عباس - " يؤتكم كفلين من رحمته " قال ابن عباس:
معناه يعطكم أجرين أجرا لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وآله وأجرا لايمانكم بمن تقدم من الرسل.
وأصل الكفل الحظ - في قول الفراء - ومنه الكفل الذي يكتفل به الراكب، وهو

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرتدف فيه فيحفظه من السقوط، ففيه حظ من التحرز من الوقوع " ويجعل لكم نورا تمشون به " قال مجاهد: ويجعل لكم هدى تهتدون به. وقال ابن عباس: النور القرآن، وفيه الأدلة على كل حق وبيان لكل خير، وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة " ويغفر لكم " أي يستر عليكم ذنوبكم " والله غفور الرحيم " أي ستار عليكم ذنوبكم رحيم بكم منعم عليكم

وقوله " لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله " معناه ليعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين منهم " أن لا يقدرون " أي انهم لا يقدرون " على شئ من فضل الله " في قول ابن عباس. و (ان) هي المخففة من الثقيلة. وقيل: معناه ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين بما وعدوا أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله، فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وآله إلى من يحبونه

و (لا) في (لئلا) صلة وتوكيد، وقيل: إنما تكون (لا) صلة في كل كلام دخل في أواخره جحد، وإن لم يكن مصرحا به نحو " ما منعك ان لا تسجد " (١) " وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون " (٢) وقوله، وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون " (٣).

وقوله " وإن الفضل بيد الله " معناه ليعلموا أن الفضل بيد الله " يؤتيه من يشاء " أي يعطيه من يحب " من عباده " ممن يعلم أنه يصلح له.

ثم قال " والله ذو الفضل العظيم " معناه ذو تفضل على خلقه واحسان على عباده تعظيم لا يحصى كثرة ولا يعد.

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١١

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٠٩

(٣) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٨ - سورة المجادلة

مدينة بلا خلاف، وهي إثنا وعشرون آية في الكوفي والبصري والمدني الأول وإحدى وعشرون في المدني الأخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى
الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (١) الذين يظاهرون
منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم
وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور (٢)
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة
من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير (٣)
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن
لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤) إن الذين يحادون الله
ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بينات وللكافرين عذاب مهين) (٥) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ المفضل عن عاصم " ما هن أمهاتهم " على الرفع على لغة بني تميم.
الباقون بنصب " أمهاتهم " على لغة أهل الحجاز، وهي لغة القرآن، كقوله " ما هذا بشرا " (١) وقرأ عاصم " يظاهرون " بضم الياء بألف. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " يظهرون " بغير الف مشددة الظاء والهاء. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي " يظاهرون " بتشديد الظاء والف، وفتح الياء. وقال أبو علي النحوي: ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما، فيصير تظاهر وتظهر، ويدخل حرف المضارعة، فيصير تتظاهر، ويتظهر. ثم يدغم التاء في الظاء لمقاربتهما، فيصير يظاهرون ويظهرون - بفتح الياء - التي هي للمضارعة، لأنها للمطاوعة، كما تفتحها في (يتدحرج) الذي هو مطاوع (دحرجته، فتدحرج) واختار عاصم أن المظاهرة من المضارعة، لان المفاعلة لا يكون إلا من نفسين. والظهار يكون بين الرجل وامرأته. ومن قرأ (يظاهرون) فأصله يتظاهرون فأدغم التاء في الظاء.
والظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وكان أهل الجاهلية إذا قال الرجل منهم هذا لامرأته بانت منه وطلقت. وفى الشرع لا تبين المرأة إلا أنه لا يجوز له وطؤها إلا بعد ان يكفر. وعندنا ان شروط الظهار هي شروط الطلاق سواء من كان المرأة طاهرا طهرا لم يقربها فيه بجماع، ويحضره شاهدين ويقصد التحريم فان اختل شئ من ذلك لم يقع به ظهار. ويقال فيه ظاهر فلان من امرأته ظهارا ومظاهرة وإظهارا، فلان ظاهر وتظاهر تظاهرا إلا أنه أدغم واظهر إظهارا.

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٣١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأصله تظهر تظهرا إلا أنه دغمت التاء في الظاء.
وقيل: إن هذه الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت
- في قول قتادة - وكان مجادلتها إياه مراجعتها في أمر زوجها. وقد كان ظاهر
منها، وهي تقول: كبرت سني ودق عظمي، وان أوسا تزوجني وانا شابة، فلما
علت سني يريد أن يطلقني. ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول بنت منه - على ما رواه
أبو
العالية - وفي رواية غيره أنه قال لها: ليس عندي في هذا شئ، فنزلت الآية.
وقال ابن عباس: نزلت الآية في أوس بن الصامت. وكانت تحته بنت عم له،
فقال لها: أنت علي كظهر أمي، فهو أول من ظاهر في الاسلام. وقيل كان يقال
للمرأة خولة بنت خويلد. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال لامرأته: أنت علي كظهر
أمي حرمت عليه، فأنزل الله تعالى في قصة الظهار آيات. ولا خلاف أن الحكم
عام في جميع من يظاهر، وإن نزلت الآية على سبب خاص.
فقال الله تعالى لنبيه " لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " فالجدال والمجادلة
هي المخاصمة. وقد يقال: للمراجعة والمقابلة للمعنى بما يخالفه مجادلة. واصل الجدال
الفتل. ومن قابل المعنى بخلافه طلبا للفائدة فليس بمجادل. فمجادلة المرأة لرسول
الله كان مراجعتها إياه في أمر زوجها، وذكرها أن كبرت سني وذق عظمي،
والنبي صلى الله عليه وآله يقول بنت منه - على ما رواه ابن العالية - لأنه لم يكن نزل عليه
في
ذلك وحي ولا حكم.
وقوله " وتشتكى إلى الله " أي تظهر ما بها من المكروه، تقول: اللهم إنك
تعلم حالي فارحمني، فالاشتكاء إظهار ما بالانسان من المكروه. والشكاية إظهار ما يصنعه
به غيره من المكروه.
وقوله " والله يسمع تحاور كما " أي مراجعة بعضكما لبعض. والتحاور التراجع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وهو المحاورة، تقول: تحاورا تحاورا وحاور محاورة أي راجعه في الكلام، قال عنترة:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى * ولكان لو علم الكلام مكلمي

و " إن الله سميع بصير " أي على صفة يصح معها ان يسمع المسموعات إذا وجدت، ويبصر المبصرات إذا وجدت.

ثم قال " الذين يظاهرون منكم من نسائهم " أي الذين يقولون لنسائهم: أنت علي كظهر أمي، ومعناه إن ظهرك علي حرام كظهر أمي، فقال الله تعالى " ما هن أمهاتهم " أي ليست أزواجهم أمهاتهم على الحقيقة " إن أمهاتهم " أي وليست أمهاتهم في الحقيقة " إلا اللائي ولدنهم " من الام وجداته. ثم اخبر " إنهم ليقولون " أي ان القائل لهذا يقول قولا " منكرا من القول " قبيحا " وزورا " أي كذبا، لأنه إذا جعل ظهرها كظهر أمه وليست كذلك كان كاذبا في قوله.

ثم قال تعالى " وإن الله لعفو غفور " أي رحيم بهم منعم عليهم متجاوز عن ذنبهم. وفى ذلك دلالة على أن الله رحمها وغيرها من النساء لرغبتها في زوجها بالتوسعة من جهة الكفارة التي تحل بها.

ثم بين تعالى ما يلزمه من الحكم، فقال " والذين يظاهرون من نسائهم " يعني الذين يقولون هذا القول الذي حكيناه " ثم يعودون لما قالوا " واختلفوا في معنى العود، فقال قتادة العود هو العزم على وطئها. وقال قوم: العود الامساك عزم أو لم يعزم وقال الشافعي: هو أن يمسكها بالعقد، ولا يتبع الظهار بطلاق.

وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا: فيه تقديم وتأخير وتقديره: والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم يعودون لما قالوا. وقال قوم: معناه ثم يعودون لنقض

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما قالوا وارتفاع حكمه. وقال قوم: لا تجب عليه الكفارة حتى يعاود القول ثانية. وهو خلاف أكثر أهل العلم.
والذي هو مذهبنا أن العود المراد به إرادة الوطئ أو نقض القول الذي قاله، فإنه لا يجوز له الوطئ إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم القول الأول إلا بعد ان يكفر.
وقال الفراء: يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا، وفي نقض ما قالوا، أي يرجعون عما قالوا، ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد ان فعله مرة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل أي نقض ما فعل، كما تقول: حلف ان يضربك بمعنى حلف ألا يضربك، وحلف ليضربنك.
وقوله " فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا " بيان لكيفية الكفارة، فان أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبة فالتحرير هو ان يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك انه حر. والرقبة ينبغي أن تكون مؤمنة سواء كانت ذكرا أو أنثى صغيرة أو كبيرة إذا كانت صحيحة الأعضاء. فان الاجماع واقع على أنه يقع الاجزاء بها، وقال الحسن وكثير من الفقهاء: إن كانت كافرة أجزأت. وفيه خلاف وتفاصيل. ذكرناه في كتب الفقه. وتحرير الرقبة واجب قبل المجامعة لظاهر قوله " من قبل ان يتماسا " أي من قبل ان يجامعها فيتماسا. وهو قول ابن عباس، فكان الحسن لا يرى بأسا ان يغشى المظاهر دون الفرج. وفى رواية أخرى عنه أنه يكره للمظاهر أن يقبل. والذي يقتضيه الظاهر ألا يقربها بجماع على حال ولا بمماسة شهوة وقوله " ذلكم توعظون به " ان تظاهروا ثم قال " والله بما تعملون خبير " أي عالم بما تفعلونه من خير وشر، فيجازيكم بحسبه.
ثم قال " فمن لم يجد " يعني الرقبة وعجز عنها " فيصام شهرين متتابعين من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قبل ان يتماسا " والتتابع عند أكثر العلماء ان يوالي بين أيام الشهرين الهلاليين أو يصوم ستين يوما. وعندنا انه إذا صام شهرا ومن الآخر ولو يوما، فقد تابع، فان فرق فيما بعد جاز. وعند قوم: ان يصوم شهرا ونصف شهر لا يفطر فيما بينهما فان افطر لا لعذر استأنف. وان افطر لعذر من مرض اختلفوا، فمنهم من قال يستأنف من عذر وغير عذر. وبه قال إبراهيم النخعي ورواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام وقال قوم: يبني، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء والشعبي. واجمعوا على أن المرأة إذا أفطرت للحيض في الشهرين المتتابعين في كفارة قتل الخطأ أو فطر يوم انها تبني فقاسوا عليه الظهار. وروى أصحابنا انه إذا صام شهرا ومن الثاني بعضه ولو يوما ثم افطر لغير عذر، فقد أخطأ إلا أنه يبني على ما قدمناه. وإن افطر قبل ذلك استأنف. ومتى بدأ بالصوم وصام بعضه ثم وجد العتق لا يلزمه العتق وإن رجع كان أفضل. وقال قوم: يلزمه الرجوع إلى العتق.

ومتى جامع في ليالي الصوم وجب عليه الاستئناف وبطل حكم التتابع، لأنه خلاف الظاهر. ومتى جامع قبل الكفارة لزمته كفارة ثانية عند أصحابنا، وكلما وطأ لزمته كفارة بعدد الوطئ.

وقوله " فمن لم يستطع " يعني من لم يقدر على الصوم " فاطعام ستين مسكينا " يعني - عندنا - لكل مسكين نصف صاع، فإن لم يقدر أعطاه مدا. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه اعطى المظاهر نصف وسق ثلاثين صاعا. وقال أطعم ستين مسكينا

وراجعها وذلك أنه كان فقيرا عاجزا عن جميع الكفارات. وقال الحسن: اعانه رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة عشر صاعا. والعدد مراعى، فإن لم يجد العدد كرر على الموجودين

تمام الستين.

وإن جامعها قبل ان يتم الاطعام، فظاهر المذهب يقتضي انه يلزمه كفارة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أخرى، لأنه وطأ قبل الكفارة. وقال قوم: لا يلزمه. وقال آخرون: يستأنف الكفارة
وقوله " ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله " معناه إنا شرعنا لكم ما ذكرناه في
حكم الظهار لما علمناه من مصلحتكم لتؤمنوا بالله ورسوله، فتصدقوهما وتقروا بتوحيد الله، وبنبوة نبيه.
ثم قال " وتلك حدود الله " يعني ما ذكرناه من حكم الظهار.
ثم قال " وللكافرين " أي للجاحدين لصحة ما قلناه " عذاب اليم " ومتى
نوى بلفظ الظهار الطلاق لم يقع به طلاق. وفيه خلاف بين الفقهاء، والاطعام لا يجوز
إلا للمسلمين دون أهل الذمة. وفيه خلاف. ومسائل الظهار وفروعها ذكرناها في
كتب الفقه.
ثم قال " إن الذين يحادون الله ورسوله " والمحادة المخالفة في الحدود أي من خالف
الله ورسوله فيما ذكراه من الحدود " كبتوا " أي اخذوا - في قول قتادة - وقال
غيره: اذلوا. وقال الفراء: معناه اغيظوا واحزنوا يوم الخندق " كما كبت الذين من
قبلهم " يعني من قاتل الأنبياء من قبلهم.
ثم قال تعالى " وقد أنزلنا آيات بينات " اي حجج واضحات من القرآن
وما فيه من الأدلة. ثم قال " وللكافرين " أي للجاحدين لما أنزلناه من القرآن
والآيات " عذاب مهين " أي يهينهم ويخزيهم.
قوله تعالى:
(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصيه الله ونسوه
والله على كل شئ شهيد (٦) ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا
هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شئ عليم (٧) ألم
تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك
به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير (٨) يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا
تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩) إنما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة وحده " ويتنجون " بغير الف. الباقون " يتناجون " بألف.
وقرأ أبو جعفر (ما يكون) بالياء. الباقون بالتاء، لان تأنيث نجوى ليس بحقيقي
لما قال الله تعالى ان الكافرين لحدود الله لهم عذاب مهين، بين متى يكون
ذلك، فقال (يوم يبعثهم الله جميعا) أي يحشرهم إلى ارض المحشر ويعيدهم احياء
(فينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم (بما عملوا) في دار الدنيا من المعاصي وارتكاب
القبائح، ثم قال (أحصاه الله ونسوه) أي أحصاه الله عليهم وأثبته في كتاب اعمالهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ونسوه هم (والله على كل شئ شهيد) ومعناه انه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شئ من ذلك وإن كان كثيرا من الأشياء لا يصح مشاهدتها ولا إدراكها، ومنه قوله (شهد الله انه لا إله إلا هو) (١) أي علم ذلك.

ثم بين فقال (ألم تر) ومعناه ألم تعلم، والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين

(ان الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) من الموجودات لا يخفى عليه شئ منها، لأنه عالم

لنفسه يجب أن يكون عالما بما يصح أن يكون معلوما. وقيل التقدير ألم تر ان الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض مما ترى من تدبيرهما من مسير الشمس والقمر ومجيئ

الحر والبرد والزرع والثمار وسائر صنوف الأشجار على ما تقتضي الحكمة عالما دبر ذلك وجعل كل شئ منه في وقته ولما يصلح له، وذلك يقتضي انه عالم بكل نجوى، لأنه عالم لنفسه لا بحدوث علم. وإذا ثبت انه عالم لنفسه وجب أن يكون عالما بكل معلوم.

وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) والمعنى انه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع، لا يخفى عليه شئ منها، فكأنما هو معهم مشاهد لهم. وعلى هذا يقال: إن الله تعالى مع الانسان حيث ما كان، لأنه عالم لا يخفى عليه شئ من أمره حتى أنه ظاهر له أتم الظهور لمن شاهده ممن هو معه في المكان، وحسن هذا لما فيه من البيان، فأما أن يكون معهم على طريق المجاورة فمحال، لان ذلك من صفات الأجسام، والله تعالى ليس بجسم. ويقولون: فلان رابع أربعة إذا كان أحد أربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة أربعة بكونه معهم.

ويجوز على هذا ان يقال: رابع ثلاثة ولا يجوز رابع أربعة، لأنه ليس فيه معنى

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٨

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفعل. ويجوز في (ثلاثة) الجر بإضافة النجوى إليها، ويجوز بأنها صفة النجوى. ويجوز النصب بأنها خبر (يكون).

وقوله (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) معناه يعلمهم بما عملوه من المعاصي في الدنيا والاعمال، ويخبرهم بها، لان الله بكل شئ عليم، لا يخفى عليه خافية.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع الأمة (ألم تر) بمعنى ألم تعلم (إلى الذين نهوا عن النجوى) قال مجاهد: كان النبي صلى الله عليه وآله نهى اليهود عن النجوى بينهم لأنهم كانوا لا يتناجون إلا بما يسواء المؤمنين. وقال الفراء: نزلت في المنافقين واليهود، ونهوا أن يتناجوا إذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد. والنجوى هي الاسرار، والنجوة الارتفاع من الأرض، وهو الأصل، ومنه النجا الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء.

وقوله (ثم يعودون لما نهوا عنه) معناه يعودون فيتناجون ويخالفون نهي النبي صلى الله عليه وآله (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) والتناجي والمناجاة تكون بين اثنين فصاعدا، ويقال: انتجوا بمعنى تناجوا، كما يقال اختصموا وتخاصموا وكذلك انتجوا وتناجوا بمعنى.

وحجة حمزة قول النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام (ما انا انتجيته، ولكن الله انتجاه) وحجة الباقين قوله (إذا تناجيتم) وكلاهما حسان.

قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم فيغيظ ذلك المؤمنين. وقال ابن زيد: كانوا يوهمون انه قد حدثت بلية على المسلمين من حرب أو نحوهن، فأخبر الله عنهم انهم كانوا يتناجون بالاثم يعني بالمعاصي. والعدوان التعدي إلى غير الواجب وبمعصية الرسول أي ما يعصون به الرسول النبي صلى الله عليه وآله.

وقوله (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال قتادة ومجاهد - وهو

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المروي عن عائشة - انه كانت تحيتهم السام عليكم يا با القاسم. وقال ابن عباس: كان المنافقون يقولون ذلك. وقيل: كان النبي صلى الله عليه وآله يرده على من قال ذلك، فيقول:
وعليك، وقال ابن زيد: السام الموت. وقال الحسن: كانت اليهود تقول: السام عليكم أي انكم ستسأمون دينكم هذا أي تملونه فتدعونه. ومن هذا سئمت الامر اسأمه سأما وسأما. ومن قال: السام الموت فهو سام الحياة بذهابها.
وقوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) قال كانوا يقولون: إن كان نبيا صادقا هلا يعذبنا الله بما نقول من النجوى وغيره. فقال الله تعالى لهم (حسبهم جهنم) أي كافيهم جهنم (يصلونها) يوم القيامة ويحترقون فيها (وبئس المصير) أي بئس المرجع والمال لما فيها من أنواع العقاب.
ثم امر المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) أنتم فيما بينكم أي تشاورتم (فلا تتناجوا بالاثم) يعني بالمعاصي ولا ب (العدوان) ولا ب (معصية الرسول) ومخالفته (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بافعال الخير والخوف من عذاب الله. ثم قال (واتقوا الله) باجتناب معاصيه (الذي إليه تحشرون) يعني يوم القيامة.
ثم قال (إنما النجوى من الشيطان) يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغمهم (من الشيطان) أي بدعاء الشيطان واغوائه يفعل ذلك (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله) معناه إلا بعلم الله وتمكينه إياهم لان تكليفهم إيمانهم بذلك، وقيل معناه إلا بفعل الله الغم والحزن في قلوبهم لان الشيطان لا يقدر على فعل ذلك. ثم قال تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يجب على المؤمنين ان يتوكلوا في جميع أمورهم عليه تعالى دون غيره.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير (١١)
يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم
صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فان الله غفور رحيم (١٢)
أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات فإذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله
ورسوله والله خبير بما تعملون (١٣) ألم تر إلى الذين تولوا قوما
غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون (١٤) أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) (١٥)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ عاصم وحده " تفسحوا في المجالس " على الجمع لاختلافها، الباقون
في " المجلس " على التوحيد، لأنهم ذهبوا مذهب الجنس، لأنه مصدر يدل على
القليل والكثير. لأنهم أرادوا مجلس النبي صلى الله عليه وآله فعلى هذا الوجه الافراد. ومن
جمع أراد كل جالس مجالس أي موضع جلوس، وقرأ " انشزوا " بضم الشين نافع
وابن عامر وعاصم إلا حمادا ويحيى عن أبي بكر. الباقون بكسر الشين وهما لغتان مثل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(يعرشون ويعرشون، ويعكفون ويعكفون).
يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وآمرا لهم بأنه إذا قيل لهم تفسحوا في المجلس بمعنى اتسعوا فيها، يقال: تفسح تفسحا وله في هذا الامر فسحة أي متسع. والتفسح الاتساع في المكان، وفسح له في المجلس يفسح فسحا. ومكان فسيح وفسح. والتفسيح والتوسع واحد. قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وآله فقيل لهم تفسحوا
وقال ابن عباس: أراد به مجلس القتال " فافسحوا " أي وسعوا " يفسح الله لكم " أي يوسع عليكم منازلكم في الجنة " وإذا قيل انشزوا فانشزوا " أي إذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس فارتفعوا، والنشوز الارتفاع عن الشئ بالذهاب عنه. ومنه نشوز المرأة عن زوجها، يقال: نشز ينشز نشوزا ونشزا. قال قتادة ومجاهد والضحاك: معناه إذا قيل قوموا إلى صلاة أو قتال عدو أو أمر بمعروف أي تفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقوموا.
وقوله " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " معناه متى ما فعلتم ما أمرتم به رفع الله الذين آمنوا منكم، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، لأنهم أحق بالرفعة. وفى ذلك دلالة على أن فعل العالم أكثر ثوابا من فعل من ليس بعالم " والله بما تعملون " من التفسح والنشوز وغير ذلك (خبير) أي عالم.
ثم خاطبهم أيضا فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) أي شاورتموه (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) قال الزجاج: كان سبب نزول الآية ان الأغنياء كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وآله فيشاورونه بما يريدون، والفقراء لا يتمكنون من النبي
تمكنهم، ففرض الله عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، وتعبدهم بأن لا يناجي أحد رسول الله إلا بعد ان يتصدق بشئ ما قل أو كثر، فلم يفعل أحد ذلك على ما روي، فاستقرض أمير المؤمنين علي عليه السلام دينارا وتصدق به، ثم ناجى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

النبي صلى الله عليه وآله، فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالآية التي بعدها.
وقوله (ذلك خير لكم وأطهر) أي ذلك التصديق بين يدي النبي صلى الله عليه وآله خير لكم وأطهر ومعناه إن فعل ذلك ادعى إلى مجانبة المعاصي من تركه. ثم قال قل لهم (فإن لم تجدوا) يعني ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يستر عليكم ترك ذلك ويرحمكم وينعم عليكم.
ثم قال ناسخا لهذا الحكم (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) وظاهر هذا الكلام توبيخ على ترك الصدقة، وانهم تركوا ذلك اشفاقا وخوفا على نقصان المال، فقال (فإذ لم تفعلوا) ذلك (وتاب الله عليكم) في تقصيركم في فعل الصدقة (فأقيموا الصلاة التي أوجبها الله عليكم) وأديموا فعلها وأدوا شروطها (وآتوا الزكاة) التي افترضها عليكم (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (والله خبير بما تعملون) أي عالم بما تعملونه من طاعة لله أو معصية وحسن وقبيح، فيجازيكم بحسبه.
ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله (ألم تر) يا محمد (إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) والمراد به قوم من المنافقين، كانوا يوالون اليهود ويغشون إليهم أسرارهم ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين - وهو قول قتادة وابن زيد - ثم قال
(ما هم منكم) أي ليسوا مؤمنين (ولا منهم) أي ولا هم يهود، فيكونوا منهم بل هم قوم منافقون.
ثم قال (ويحلفون) يعني هؤلاء المنافقون (على الكذب) يعني يقولون إنا معكم ونحن نتوب، وليسوا كذلك (وهم يعلمون) انه كذلك. ثم بين تعالى ما لهم من العقاب فقال (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي لأنهم كانوا يعملون المعاصي والقبائح.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله تعالى:
(اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب
مهين (١٦) لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدين (١٧) يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا إنهم هم
الكاذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطان فأنسيهم ذكر الله أولئك
حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) إن
الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) (٢٠).
خمس آيات عراقي وشامي، والمدني الأول، وأربع آيات وبعض آية مكي والمدني الآخر، عد العراقي والشامي والمدني الأول " في الأذلين " ولم يعده الباقون.
لما ذكر الله تعالى المنافقين بأنهم تولوا قوما من اليهود الذين غضب الله عليهم وذكر ما أعده لهم من العقاب، وذكر انهم يحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون قال إنهم (اتخذوا أيمانهم) التي يحلفون بها (جنة) أي سترة وترسايد يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة. والاتخاذ جعل الشئ عدة، كما يقال: اتخذ سلاحا، واتخذ كراعا ورجالا واتخذ دارا لنفسه إذا اعدهما لنفسه، فهؤلاء جعلوا الايمان عدة ليدفعوا بها عن نفوسهم الظنة. والجنة السترة وأصله التستر ومنه الجنة لاستتارهم عن العيون، والجنة لاستتارها بالشجر، والمجن الترس لستره صاحبه عن أن يناله السلاح.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله (فصدوا عن سبيل الله) أي صدوا نفوسهم وغيرهم عن سبيل الله التي هي الحق والهدى. وقيل: فصدوا عن سبيل الله من قبلهم بكفرهم. ثم بين تعالى مالهم على ذلك فقال (فلهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم والإهانة الاحتقار يقال: أهانه يهينه إهانة، ومثله أذله يذله إذلالا وأخزاه يخزيه إخزاء، ونقيضه الاكرام، ثم قال (لن تغني عنهم أموالهم) التي جمعوها (ولا أولادهم) الذين خلفوهم (من الله شيئا) يدفع عقابه عنهم، أغنى يغني عنى إذا دفع عنه دفعا يستغنى عنه. ثم قال (أولئك) مع هذا كله (أصحاب النار) أي الملازمون لها (وهم فيها خالدون) مؤبدون لا يخرجون عنها (يوم يبعثهم الله جميعا) و (يوم) يتعلق ب (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا.. يوم يبعثهم الله جميعا) يعنى يوم القيامة (فيحلفون له) أي يقسمون لله (كما يحلفون لكم) في الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون انهم على شئ) معناه يظنون أنهم على شئ في هذه الايمان. فقال الله تعالى (ألا انهم هم الكاذبون) فيما يذكرونه من الايمان والمعنى إنهم لم يكونوا مؤمنين على الحقيقة، وإنما كان اعتقادهم اعتقاد جهل. وقيل: معناه انهم (هم الكاذبون) في الدنيا. وقيل: معناه ألا إنهم هم الخائبون، يقال كذب ظنه إذا خاب أمله. وقال قوم (ويحسبون انهم على شئ) يعنى في دار الدنيا، ولا يحسبون ذلك في الآخرة لأنهم يعلمون الحق اضطرارا، وهم ملجئون إلى الأفعال الحسنة وترك القبيح.

قال الرماني: وهذا غلط، لأنه مخالف لظاهر القرآن بغير دليل، قال والصواب ما قال الحسن في أن الآخرة مواطن يمكنون في بعضها من فعل القبيح، ولا يمكنون في بعض، ويكون كذبهم ككذب الصبي الدهش الذي يلحقهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقال قوم: ان قوله (ألا انهم هم الكاذبون) اخبار عن حالهم في الدنيا
بأنهم كاذبون في الدنيا في قولهم: انا مؤمنون، وهم منافقون، لان الكذب لا يجوز
ان يقع منهم في الآخرة على وجه.
ثم قال تعالى " ان الذين يحادون الله ورسوله " أي يخالفونه في حدوده.
وقال مجاهد: معناه يشاقون الله ورسوله بأن يحصلوا في حد آخر عادلين عن حدود الله.
وقوله " أولئك في الأذلين " اخبار منه تعالى ان الذين يحادونه ويحادون
رسوله أولئك في الأحقرين المهانين عند الله. وقال الزجاج: معناه في المغلوبين.
وقوله " استحوذ عليهم الشيطان " معناه استولى عليهم، فالاستحواذ الاستيلاء
على الشئ بالاقتطاع. واصله من حاذه حوذا مثل جازه يجوزه جوزا " فأنساهم
ذكر الله " حتى لا يذكرون الله، ولا يخافونه ثم قال " أولئك " يعنى الذين " استحوذ
عليهم الشيطان " جنود الشيطان وحزبه. ثم قال " ألا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون " لأنهم يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار وذلك هو الخسران المبين
قوله تعالى:
(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (٢١)
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب
في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك
حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٢٢).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آيتان وبعض آية في المكي والمدني الأخير، وآيتان فيما عداه، عد المكي والمدني الأخير إلى " قوي عزيز " تمام التي قبلها.
قرأ الأعشى (عشيراتهم) على الجمع، الباقون (عشيرتهم) على الافراد.
قوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) معناه إنه كتب في اللوح المحفوظ
وما كتبه فلابد من أن يكون. وقال الحسن: ما أمر الله نبيا قط بحرب الا غلب إما في الحال أو فيما بعد. ويحتمل أن يكون المراد (كتب الله لا غلبن أنا ورسلي) بالحجج والبراهين، وان جاز ان يغلب في الحرب في بعض الأوقات. والغلبة قهر المنازع حتى يصير في حكم الذليل للقاهر، وقد يقهر ما ليس بمنازع، كقولهم قهر العمل حتى فرغ منه. والله تعالى غالب بمعنى انه قاهر لمن نازع أولياءه. وقوله (ان الله قوي عزيز) اخبار منه تعالى انه قادر لا يمكن أحدا من قهره ولا غلبته لان مقدوراته لا نهاية لها ومن كان كذلك لا يمكن قهره. والعزيز المنيع بكثرة مقدوراته.
وقوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)
معناه ان المؤمن لا يكون مؤمنا كامل الايمان والثواب يواد من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله ومعنى يواده يواليه، وإن كان ذلك الذي يواده أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقا، لا يكون كافرا، وكل كافر فهو محاد لله ولرسوله. والموادة الموالاة بالنصرة والمحبة، فهذا لا يجوز إلا للمؤمن بالله دون الكافر، والفاسق المرتكب للكبائر، لأنه يجب البراءة منهما، وهي منافية للموالاة. والآية نزلت في حاطب بن أبي بلتقة حين كتب إلى أهل مكة يشعرهم بأن النبي صلى الله عليه وآله عزم على أن يأتي مكة بغتة يفتحها. وكان النبي صلى الله عليه وآله
أخفى ذلك، فلما عوتب على ذلك، قال أهلي بمكة أحببت ان يحوطوهم بيد تكون لي عندهم، فأنزل الله تعالى فيه الآية.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال تعالى " أولئك " يعني الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر " كتب في قلوبهم الايمان " ومعناه انه جعله بحكمه، فكأنه مكتوب فيه. وقيل: معناه إنه جعل في قلوبهم سمة تدل من علمها أنهم من أهل الايمان. وقال الحسن: معناه انه ثبت الايمان في قلوبهم بما فعل بهم من الألطاف " وأيدهم بروح منه " أي قواهم بنور البرهان والحجج حتى اهتدوا للحق وعملوا به، وقيل: أيدهم بجبرائيل من أمر الله في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم " ويدخلهم جنات " أي بساتين " تجري من تحتها الأنهار " أي من تحت أشجارها الأنهار. وقيل: ان أنهارها أخاديد في الأرض، فلذلك قال " من تحتها الأنهار ". والأنهار جمع نهر " خالدين فيها " أي مؤبدين لا يفنون ولا يخرجون منها، وهو نصب على الحال " رضي الله عنهم " باخلاص الطاعة منهم " ورضوا عنه " بثواب الجنة. ثم قال " أولئك حزب الله " يعني جنده وأولياؤه، ثم قال " ألا " وهي كلمة تنبيه " إن حزب الله " يعني جنوده وأولياءه " هم المفلحون " والمفلح هو المنجح بادراك ما طلب. وقال الزجاج: حزب الله هم الذين اصطفاهم الله. وقرأ المفضل عن عاصم " كتب في قلوبهم الايمان " على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح الكاف بمعنى إن الله كتب ذلك عليهم.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٥٩ - سورة الحشر
مدينة بلا خلاف. وهي أربع وعشرون آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز
الحكيم (١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من
ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم
حصونهم من الله فأتيم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في
قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا
يا أولي الابصار (٢) ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بأنهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب (٤) ما قطعتم من
لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي
الفاسقين) (٥) خمس آيات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ أبو عمرو وحده " يخربون بيوتهم " بالتشديد قال الفراء: وهي قراءة
أبي عبد الرحمن السلمي والحسن. الباقون بالتخفيف. قال قوم: معناهما واحد مثل
أكرمته وكرمته. وقال بعضهم: معنى التخفيف انهم ينتقلون عنها فيعطلونها،
وبالتشديد يهدمونها.
قد مضي تفسير " سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم "
فلا معنى لا عادته.
وقوله " هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم " معناه ان الذي وصفه
بأنه عزيز حكيم هو الله الذي أخرج الكفار من اليهود من ديارهم " لأول الحشر "
قال قتادة ومجاهد: هم بنو النضير، لما نزل النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة عاقده بنو النضير
على أن لا يكونوا عليه ولا له. ثم نقضوا العهد وأرادوا أن يطرحوه حجرا حين
مضى النبي صلى الله عليه وآله إليهم يستعين بهم في تحمل بعض الديتين اللتين لزمتا صاحب
النبي صلى الله عليه وآله حين انقلب من بئر معونة فقتل نفسين، كان النبي صلى الله عليه وآله أجرهما، ومالوا
للمشركين على النبي صلى الله عليه وآله فأجلاهم الله عن ديارهم على أن لهم الذرية وما حملت إبلهم
والباقي لرسول الله فأجلاهم النبي صلى الله عليه وآله على هذا عن ديارهم ومنازلهم، فمنهم من
خرج إلى خيبر، ومنهم من خرج إلى الشام.
وقوله تعالى " لأول الحشر " قال قوم: أول الحشر هو حشر اليهود من
بني النضير إلى ارض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى ارض الشام
أيضا. وقال البلخي: يريد أول الجلاء، لان بني النضير أول من أجلي عن ارض
العرب. والحشر جمع الناس من كل ناحية، ومنه الحاشر الذي يجمع الناس إلى
ديوان الخراج، والجمع حشار " ما ظننتم أن يخرجوا " أي لم تظنوا خروجهم منها
" وظنو " هم " انهم مانعتهم حصونهم من الله " أي حسبوا ان الحصون التي هم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فيها تمنعهم من عذاب الله وإنزاله بهم على يد نبيه، فجعل تعالى امتناعهم من رسوله امتناعا منه.
وقوله تعالى " فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا " أي اتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا مجيئه منه " وقذف " أي ألقى " في قلوبهم الرعب " وهو الخوف " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين " معناه إنهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا ويخرب المؤمنون من خارج - على ما ذكره الحسن - ثم قال تعالى " فاعتبروا يا أولي الابصار " معناه اتعظوا وفكروا فلا تفعلوا كما فعل هؤلاء فيحل بكم ما حل بهم. والحصون جمع حصن، وهو البناء العالي المنيع، يقال: تحصن فلان إذا امتنع بدخوله الحصن.
ومن استدل بهذه الآية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعد. لأن الاعتبار ليس من القياس في شئ، وإنما معناه الاتعاظ على ما بيناه، ولا يليق بهذا الموضع قياس في الشرع، لأنه لو قال بعد قوله " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين " فقيسوا الأرز على الحنطة، لما كان كلاما صحيحا ولا يليق بما تقدم. وإنما يليق بما تقدم الاتعاظ والانزجار عن مثل افعال القوم من الكفر بالله.
وقوله تعالى " ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء " معناه لولا أن الله كتب في اللوح المحفوظ بما سبق في علمه انهم يجلون عن ديارهم يعني اليهود (لعذبهم في الدنيا) بعذاب الاستئصال. والجلاء الانتقال عن الديار والأوطان البلاء. وقيل: هو الفرار عن الأوطان يقال: جلا القوم عن منازلهم جلاء، وأجليتهم إجلاء.
ثم قال (ولهم في الآخرة) مع الجلاء عن الأوطان في الدنيا (عذاب النار) يعذبون بها. ثم بين لم فعل بهم ذلك فقال (ذلك) أي فعلنا بهم ذلك (بأنهم شاقوا الله ورسوله) وخالفوهما وعصوهما. ثم توعد من يسلك مسلكهم في المشاقة لله

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ورسوله، فقال " ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب " يعاقبهم على مشاقتهم بالشد العقاب.
وقوله " ما قطعتم من لينة " فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة - في قول ابن عباس وقتادة - وهي لغة أهل المدينة. وقال بعضهم: إلا البرني والعجوة، قال مجاهد وعمرو بن ميمون وابن زيد: كل نخلة لينة ولم يستثنوا. وقال سفيان: اللينة كرام النخل. وأصل اللينة اللونة فقلبت الواو ياء للكسرة. ويجمع ليانا، قال ذو الرمة:
طراق الخوافي مشرق فوق ريعة * ندى ليلة في ريشه يترقرق (١)
فكأنه قال لون من النخل أي ضرب منه. وقيل: يجوز أن تكون من اللبن للين ثمرتها، وقوله " أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله " أي قطعتموها أو تركتموها بحالها كل ذلك سائغ لكم، وهو بعلم الله وإذنه في ذلك وأمره به.
وقوله " وليخزي الفاسقين " أي فعل ذلك ليذل به الكفار الفاسقين من اليهود ويهينهم به لا أنهم يفعلونه على وجه الفساد في الأرض، لان فيما فعلوه إذلال أهل الشرك وعز أهل الاسلام.
قوله تعالى:
(وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير (٦) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول

---

(١) مر في ٨ / ٤٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون
دولة بين الأغنياء منكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم
عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧) للفقراء المهاجرين
الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوؤا
الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩) والذين
جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف
رحيم) (١٠) خمس آيات.
قرأ أبو جعفر " كيلا تكون " بالتاء " دولة " بالرفع أضاف الفعل إلى (دولة).
الباقون بالياء " دولة " نصب أرادوا الفئ والمال.
قوله " وما أفاء الله على رسوله منهم " يعني من اليهود الذين أجلاهم من بني
النضير، وإن كان الحكم ساريا في جميع الكفار إذا كان حكمهم، فالفئ رد ما كان
للمشركين على المسلمين بتمليك الله إياهم ذلك، على ما شرط فيه، يقال: فاء بفئ
فيئا إذا رجع وأفأته عليه إذا رددته عليه. وقال عمر بن الخطاب ومعمر: مال الفئ

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هو مال الجزية والخراج. والفئ كل ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين، سواء كان غنيمة أو غير غنيمة، فالغنيمة ما اخذ بالسيف، فأربعة أخماسه للمقاتلة وخمسه للذين ذكرهم الله في قوله " واعلموا أنما غنمتم.. " الآية (١).

وقال كثير من العلماء: ان الفئ المذكور في هذه الآية هو الغنيمة. وقال قوم: مال الفئ خلاف مال الصدقات، لان مال الفئ أوسع، فإنه يجوز ان يصرف في مصالح المسلمين، ومال الصدقات إنما هو في الأصناف الثمانية. وقال قوم: مال الفئ يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله باجماع الصحابة في زمن عمر ابن الخطاب، ولم يخالفه فيه أحد إلا الشافعي، فإنه قال: يأخذ منه الفقراء والأغنياء، وإنما ذكروا في الآية لأنهم منعوا الصدقة، فبين الله أن لهم في مال الفئ حقا.

وقال عمر بن الخطاب: مال بني النضير كان في الرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة " ولذي القربى " قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله من بني هاشم وبني عبد المطلب. وقيل: جعل أبو بكر وعمر سهمين: سهم رسوله وسهم قرابته من الأغنياء في سبيل الله، وصدقة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره قتادة. والباقي في أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا أبالهم، وابن السبيل المنقطع به من المسافرين في غير معصية الله. وقال يزيد ابن رومان: الغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقتال عنوة. وقيل: كانت الغنائم في صدر الاسلام لهؤلاء الأصناف. ثم نسخ بما ذكره في سورة الأنفال: بالخمس. والباقي للمحاربين - ذكره قتادة -.

والذي نذهب إليه أن مال الفئ غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما اخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقله إلى دار الاسلام، وما لا يمكن نقله إلى دار الاسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام ويصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح

---

(١) سورة ٨ الأنفال آية ٤١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المسلمين. والفئ كل ما اخذ من الكفار بغير قتال أو انجلاء أهلها وكان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله خاصة يضعه في المذكورين في هذه الآية، وهو لمن قام مقامه من الأئمة
الراشدين. وقد بين الله تعالى ذلك. ومال بني النضير كان للنبي خاصة، وقد بينه الله بقوله " وما أفاء الله " يعني ما رجعه الله ورده " على رسوله منهم " يعني من بني النضير. ثم بين فقال " فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " أي لم توجفوا على ذلك بخيل ولا ركاب. والايجاف الايقاع، وهو تسيير الخيل والركاب وهو من وجف يجف وجيفا، وهو تحرك باضطراب، فالايجاف الازعاج للسير، والركاب الإبل " ولكن الله يسلط رسله على من يشاء " من عباده حتى يقهروهم ويأخذوا ما لهم (والله على كل شئ قدير).
ثم قال مبينا من استحق ذلك، فقال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعني بني النضير (فلله وللرسول ولذي القربى) يعني أهل بيت رسول الله " واليتامى والمساكين وابن السبيل " من أهل بيت رسول الله لان تقديره ولذي قرباه ويتامى أهل بيته، وابن سبيلهم، لان الألف واللام تعاقب الضمير، وظاهره يقتضي أنه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء أو فقراء. ثم بين لم فعل ذلك فقال " كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم " فالدولة - بضم الدال - نقلة النعمة من قوم إلى قوم وبفتح الدال المرة من الاستيلاء والغلبة. ثم قال " وما أتاكم الرسول فخذوه " أي ما أعطاكم رسوله من الفئ فخذوه وارضوا به. وما أمركم به فافعلوه " وما نهاكم عنه فانتهوا " عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن أمر الله.
ثم قال " واتقوا الله " في ترك معاصيه وفعل طاعاته " إن الله شديد العقاب " لمن عصاه وترك أو امره.
ثم قال " للفقراء " يعني الذين لا مال لهم " المهاجرين " الذين هاجروا من

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مكة إلى المدينة أو هاجروا من دار الحرب إلى دار الاسلام " الذين اخرجوا من
ديارهم وأموالهم " الذي كان لهم بمكة فأخرجوا منها " يبتغون فضلا " أي طالبين
بذلك فضلا " من الله ورضوانا " فالجملة في موضع الحال " وينصرون الله ورسوله "
يعني ناصرين لدين الله ورسوله " أولئك هم الصادقون " عند الله في الحقيقة العظيموا
المنزلة لديه. وقيل: تقدير الآية " كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم " بل
للفقراء المهاجرين.
ثم وصف الأنصار فقال " والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم " أي جعلوا
ديارهم موضع مقامهم وآمنوا بالله من قبلهم نزلت في الأنصار، فإنهم نزلوا المدينة
قبل نزول المهاجرين. وقيل إن كان من نزل بالمدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله
فهو
من الأنصار.
وقوله " والايمان من قبلهم " يعني إن الأنصار آمنوا قبل هجرة المهاجرين
وإن كان في المهاجرين من آمن قبل إيمان الأنصار " يحبون من هاجر إليهم " من أهل
مكة
" ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا " قال الحسن يعني حسدا، قال
الزجاج: معناه لا تجد الأنصار في نفوسهم حاجة مما يعطون المهاجرين. وقال البلخي:
لا يجدون حاجة في نفوسهم مما يؤتون المهاجرين من الفضل في الدين، وقال الطبري:
معناه لا يجدون في نفوسهم حاجة فيما أعطي المهاجرين من مال بني النضير، فان
النبي خص به المهاجرين إلا رجلين من الأنصار: أباد دجانة سماك بن خرشة،
وسهل بن حنيف أعطاهما لفقرهما. وإنما فعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك لان مال بني
النضير
كان له خاصة. والمهاجرين بهم حاجة خصهم بذلك. والأنصار كانوا في غنى فرضوا
بذلك، ومدحهم الله على ذلك - ذكره ابن زيد -.
وقوله " ويؤثرون على أنفسهم " أي يختارون على أنفسهم من يولونه من مالهم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من المهاجرين " ولو كان بهم خصاصة " يعني حاجة. والخصاصة الحاجة التي يختل بها الحال. والخصاص الفرج التي يتخللها البصر، والواحد خصاص. قال الراجز:
والناظرات من خصاص لمحا
وأصله الاختصاص بالانفراد بالامر والخصاص الانفراد عما يحتاج إليه
والخصوص الانفراد ببعض ما وضع له الاسم، والخص انفراد كل قصبة من أختها في الاشراج، والخاصة انفراد المعنى بما يقوله دون غيره.
وقوله " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " أي من منع شح نفسه.
والشح والبخل واحد. وفى أسماء الدين هو منع الواجب " فأولئك هم المفلحون " يعني المنجحين الفائزين بثواب الله ونعيم جنته.
ثم قال " والذين جاؤوا من بعدهم " يعني بعد المهاجرين والأنصار، وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة - في قول الحسن - وهو كل من أسلم بعد العصر الأول. وقال الأصم: يعني من جاءك من المهاجرين أي بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الأنصار " يقولون ربنا " الجملة في موضع الحال، وتقديره قائلين " ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا " أي حقدا وغشا " للذين آمنوا " ويقولون " ربنا إنك رؤوف رحيم " أي متعطف على عبادك منعم عليهم.
وقسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان وللراجل سهم. وقال قوم: للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم إلا ما كان من الأرض والأشجار، فإنه للامام أن يقسمها إن شاء، وله ان يجعلها أرض الخراج ويردها إلى من كانت في أيديهم قبل، على هذا الوصف بحسب ما يرى، كما فعل عمر بأرض السواد. وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله
فتح مكة عنوة ولم يقسم أرضها بين المقاتلة. وقال قوم: فتحا سلما. وقسم كثيرا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم دون المقاتلة حتى وقع من نفر من الأنصار في ذلك ما وقع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اما ترضون ان يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون
برسول الله، فرضوا وسلموا لله ورسوله في قصة مشهورة،
قوله تعالى:
(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا
أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون (١١) لئن
أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون (١٢) لأنتم أشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (١٣) لا يقاتلونكم جميعا إلا
في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من
قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) (١٥) خمس آيات
قرأ ابن كثير وأبو عمرو " من وراء جدار " على التوحيد. الباقون " جدر " على الجمع.
لما وصف الله تعالى المهاجرين الذين هاجروا من مكة وما لهم من الفضل، وذكر الأنصار ومالهم من جزيل الثواب، وذكر التابعين باحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان، ذكر المنافقين وما يستحقونه وما هم عليه من الأوصاف. فقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" ألم تر " يا محمد " إلى الذين نافقوا " فأظهروا الايمان وأبطنوا الكفر " يقولون لاخوانهم " في الكفر وهم " الذين كفروا من أهل الكتاب " يعني يهود بني النضير (لئن أخرجتم) من بلادكم (لنخرجن معكم) مساعدين لكم (ولا نطيع فيكم أحدا ابدا) يعني في قتالكم ومخاصمتكم (ولئن قوتلتم) معاشر بني النضير (لننصرنكم) ولندفعن عنكم. فقال الله تعالى (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما يقولونه في مساعدتهم والخروج معهم والدفاع عنهم. وظاهره يدل على أنهم لم يخبروا عن ظنهم، لأنهم لو أخبروا عن ظنهم وعن نيتهم لما كانوا كاذبين. ويحتمل: ان يكونوا كاذبين في العزم أيضا بأن يقولوا إنهم عازمون ولا يكونوا كذلك. ثم قال تعالى (لئن أخرجوا) يعني بني النضير (لا يخرجون معهم) يعني المنافقون الذين قالوا لهم إنا نخرج معكم (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار) أي ينهزمون ويسلمونهم (ثم لا ينصرون) الجميع، وقال الزجاج: فيه وجهان:

أحدهما - إنهم لو تعاطوا نصرهم.

الثاني - ولئن نصرهم من بقي منهم لولوا الادبار، فعلى هذا لا ينافي قوله (لا ينصرونهم) قوله (ولئن نصروهم).

ثم خاطب المؤمنين، فقال (لأنهم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي أنتم أشد خوفا في قلوب هؤلاء المنافقين يخافونكم مالا يخافون الله (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أي لأنهم قوم لا يفقهون الحق ولا يعرفونه ولا يعرفون معاني صفات الله، فالفقه العلم بمفهوم الكلام في ظاهره ومتضمنه عند إدراكه، ويتفاضل أحوال الناس فيه. وقيل: إن المنافقين الذين نزلت فيهم هذه الآية عبد الله بن أبي سلول وجماعة معه بعثوا إلى بني النضير بهذه الرسالة - ذكره ابن عباس ومجاهد -

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم عاد تعالى إلى ذكر الخبر عن أحوال بني النضير، فقال (لا يقاتلونكم) معاشر المؤمنين (إلا في قرى محصنة) يعني ممتنعة جعل عليها حصون (أو من وراء جدر) أي من وراء الحيطان، فالجدار الحائط. فمن قرأ على التوحيد فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومن قرأ على الجمع، فلاختلاف الجدران.
ثم قال (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) معناه عداوة بعض هؤلاء اليهود لبعض شديدة وقلوبهم شتى بمعاداة بعضهم لبعض أي ظاهرهم على كلمة واحدة وهم متفرقون في الباطن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعنى ما فيه الرشد مما فيه الغي. وقال مجاهد (وقلوبهم شتى) يعني المنافقين وأهل الكتاب، وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم وأهوائهم، وداعي الحق واحد، وهو داعي العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والاحسان في الفعل.
وقوله (كمثل الذين من قبلهم قريبا) معناه مثل هؤلاء كمثل الذين من قبلهم يعني بني قنيقاع - في قول ابن عباس - وقال مجاهد: هم مشركوا قريش ببدر - (ذاقوا وبال أمرهم) من الشرك والكفر بالله فان عاقبة أمرهم كان القتل أو الجلاء وفي الآية دلالة على النبوة من جهة علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى
وقوله (ولئن نصروهم ليولن الادبار) جاء على تقدير المستقبل كما يجيئ في الماضي ب (لو) لتبين خورهم وضعف قلوبهم، واللام في قوله (لئن اخرجوا) و (لئن قوتلوا) و (لئن نصروهم) كلها لام القسم. واللام في قوله (ليولن الادبار) جواب القسم.
قوله تعالى:
(كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين (١٧) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسيهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) (٢٠) خمس آيات.

معنى قوله (كمثل الشيطان) أي مثل هؤلاء المنافقين فيما قالوا لليهود، مثل قيل الشيطان (إذ قال للانسان اكفر) وأغواه به ودعاه إليه (فلما كفر) يعني الانسان (قال) الشيطان (إني برئ منك اني أخاف الله رب العالمين) بمعنى أخاف عقابه. وإنما يقول الشيطان للانسان اكفر بأن يدعوه إليه ويغويه به ويقول له: التوحيد ليس له حقيقة والشرك هو الحق ويأمره بجحد النبوة، ويقول لا أصل لها. وإنما هي مخرقة. والبراءة قطع العلقة إلى ما تقتضيه العداوة فهذه البراءة من الدين، وقد تكون البراءة قطع العلقة بما يدفع المطالبة كبراءة الدين، وبراءة الطلاق، وبراءة الذمي إذا أخذت منه الجزية. والأصل قطع العلقة التي يقع بها مطالبة في نقيض الحكمة، فالتقدير في الآية إن مثل المنافقين في وعدهم لبني النضير مثل الشيطان في وعده للانسان بالغرور، فلما أحتاج إليه الانسان أسلمه للهلاك. وقيل: إن ذلك في إنسان بعينه كل من الرهبان فأغواه الشيطان بأن ينجيه من بلية وقع فيها عند السلطان، فقال له: اسجد لي سجدة واحدة، فلما احتاج إليه أسلمه حتى قتل - روي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود - وقال مجاهد:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هو عام في جميع الكفار، فقال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن أغواه والمنافقين واليهود (أنهما في النار) معذبان فيها، والعاقبة نهاية العمل في البادية، فعاقبة الطاعة الله تعالى الجنة، وعاقبة معصيته النار (خالدين فيها) أي مؤبدين فيها معذبين ثم قال (وذلك جزاء الظالمين) لأنفسهم بارتكاب المعاصي.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) باجتناب معاصيه وفعل طاعاته (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أي تنظر وتفكر ما الذي تقدمه من الافعال ليوم القيامة من طاعة أو معصية (واتقوا الله) باجتناب معاصيه وفعل طاعاته (إن الله خبير بما تعملون) أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم بحسبها على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب. وقيل معناه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما تقدم نفس لغد (واتقوا الله) فيما يعلمه منكم، وليس ذلك بتكرار ثم قال (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أي كالذين تركوا أداء حق الله فإنهم نسوه فأنساهم أنفسهم بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب، وقال سفيان: نسوا حق الله فأنساهم حظ أنفسهم. وقيل: نسوا الله بترك ذكره والشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضا، كما قال تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) (١) أي يسلم بعضكم على بعض ثم اخبر عنهم فقال (أولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا من طاعته إلى معصيته. وقوله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي لا يتساويان، لان هؤلاء مستحقون للنار وأولئك مستحقون لثواب الجنة، ثم قال (أصحاب الجنة هم الفائزون) بثواب الله. ولا يدل على أن من معه إيمان وفسق لا يدخل الجنة،

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ٦١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لأنه تعالى قسم أصحاب الجنة وأصحاب النار الذين يستحقون ثوابا بلا عقاب أو عقابا بلا ثواب، لأنهما لا يتقاربان، ولم يذكر من يستحق الامرين. وعندنا أن الفاسق المسلم يستحق الامرين فليس هو داخلا فيه.

قوله تعالى:

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١)
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن
الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما
يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى
يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٢٤)

أربع آيات.

يقول الله تعالى معظما لشأن القرآن الذي أنزله عليه مكبرا لحاله في جلالة موقعه بأنه لو أنزل القرآن على جبل لرئي الجبل خاشعا، والمراد به المثل، وتقديره لو كل الجبل مما ينزل عليه القرآن ولو شعر به - مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه - لخشع لمنزله تعظيما لشأنه ولتصدع من خشيته، فالانسان أحق بهذا لو عقل الاحكام التي فيه. والتصدع التفرق بعد التلاؤم، ومثله التفطر يقال: صدعه يصدعه صدعا فهو صادع وذاك مصدوع ومنه الصداع في الرأس وهو معروف، وتصدع تصدعا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وانصدع انصداعا فبين انه على وجه المثل بقوله (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعناه ليتفكروا، لان (لعل) بمعنى الشك، والشك لا يجوز على الله.

وقوله (هو الله الذي لا إله إلا هو) معناه هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له (عالم الغيب والشهادة) معناه عالم بما يشاهده العباد، وعالم بما يغيب عنهم علمه. وقيل: معناه (عالم الغيب) مالا يقع عليه حس من المعدوم أو الموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها (والشهادة) أي وعالم بما يصح عليه الادراك بالحواس. وقال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد، والشهادة ما أعلنوه، ففي الوصف بها بين كونه عالما بجميع المعلومات، لأنها لا تعدو هذين القسمين.

وقوله (هو الرحمن) يعني المنعم على جميع خلقه (الرحيم) بالمؤمنين، ولا يوصف بالرحمن سوى الله تعالى. وأما الرحيم، فإنه يوصف به غيره تعالى. ثم أعاد قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك) يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه (القدوس) ومعناه المطهر فتطهر صفاته عن أن يدخل فيها صفة نقص (السلام) وهو الذي يسلم عباده من ظلمه (المؤمن) الذي أمن العباد من ظلمه لهم إذ قال (لا يظلم مثقال ذرة) (١) (المهيمن) قال ابن عباس معناه الأمين. وقال قوم: معناه المؤمن إلا أنه أشد مبالغة في الصفة، لأنه جاء على الأصل في المؤمن، فقلبت الهمزة هاء، وفخم اللفظ به لتفخيم المعنى. وقال قتادة: معناه الشهيد كأنه شهيد على إيمان من آمن به أو الشهيد على الامن في شهادته (العزيز) يعنى القادر الذي لا يصح عليه القهر

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٣٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(الجبار) العظيم الشأن في الملك والسلطان، ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى، فان وصف بها العبد، فإنما هو على وضع لفظة في غير موضعها، فهو ذم على هذا المعنى (المتكبر) يعني في كل شئ. وقيل: معناه المستحق لصفات التعظيم.

وقوله (سبحان الله عما يشركون) تنزيه لله تعالى عن الشرك به كما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها.

ثم قال (هو الله الخالق) يعني للأجسام والاعراض المخصوصة (البارئ) المحدث المنشئ لجميع ذلك (المصور) الذي صور الأجسام على اختلافها من الحيوان والجماد (له الأسماء الحسنى) نحو الله، الرحمن، الرحيم، القادر، العالم، الحي وما أشبه ذلك. ثم قال (يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) وقد مضى تفسيره.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٦٠ - سورة الممتحنة
مدينة بلا خلاف وهي ثلاث عشرة آية بلا خلاف
بسم الله الرحمن الرحيم
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون
الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما
أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) (١)
آية بلا خلاف.
هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين عزم النبي صلى الله عليه وآله على أن يدخل مكة بغتة، فسأل الله أن يعمي اخبارهم على قريش ومنع أحدا أن يخرج من المدينة إلى مكة فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يعلمهم بذلك، فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فدعا عليا عليه السلام والزبير، وقال لهما: اخرجا حتى تلحقا
جارية سوداء متوجهة إلى مكة معها كتاب، فخذاه منها، فخرجا حتى لحقاها فسألاها عن الكتاب، فأنكرت ففتشاها، فلم يجدا معها شيئا، فقال الزبير: ارجع بنا فليس

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معها شئ، فقال علي عليه السلام يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: خذ الكتاب منها، وتقول:
ليس معي شئ!! ثم اقبل عليها، وسل سيفه. وقال: والله لئن لم تخرجي الكتاب
لا ضربن عنقك فقالت له أعرض بوجهك عني، فلما أعرض عنها أخرجت الكتاب
من بين ضفيرتين لها، وسلمته إليه، فلما عادا سلماه إلى النبي فأمر النبي صلى الله عليه وآله بأن
ينادى بالصلاة جامعة فاجتمع الناس، فصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر وخطب. ثم قال:
(أما إني كنت سألت الله ان يعمي اخبارنا عن قريش حتى ندخل مكة بغتة، وإن
رجلا منكم كتب إليهم ينذرهم خبرنا، وهذا كتابه فليقم صاحبه) فلم يقم أحد
فأعاد ثانيا، فلم يقم أحد، فأعاد ثلاثا، ثم قال: فليقم وإلا فضحه الوحي، فقام
حاطب، وهو يرعد، وقال يا رسول الله: والله ما نافقت منذ أسلمت، فقال
ما حملك على ذلك، فقال إن لي بمكة أهلا وليس لي بها عشيرة، فأردت ان اتخذ
بذلك عندهم يدا ان كانت الدائرة لهم، فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله
مرني بأن أضرب عنقه، فإنه نافق، فقال رسول الله: إنه من أهل بدر، ولعل
الله تعالى أطلع إطلاعة فغفر لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخاطب فيها المؤمنين
وينهاهم أن يتخذوا عدو الله من الكفار وعدو المؤمنين أولياء يوالونهم ويلقون إليهم
بالمودة. والباء زائدة وتقديره ويلقون إليهم المودة، وهي المحبة، كما قال الشاعر:
ولما زجت بالشرب هز لها العصا * شحيح له عند الازاء نهيم (١)
أي زجت الشرب، ويجوز أن يكون المراد يلقون إليهم ما يريدون بالمودة
(وقد كفروا) يعنى الكفار الذين يلقون إليهم المودة (بما جاءكم) به النبي صلى الله عليه وآله
(من الحق) يعنى من التوحيد والاخلاص لله في العبادة والقرآن وشريعة الاسلام
(يخرجون الرسول وإياكم) يعنى إخراجهم لهم من مكة (أن تؤمنوا بالله ربكم)

---

(١) مر في ٧ / ٣٠٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومعناه كراهة ان تؤمنوا بالله وقال قوم: أخرجوكم لايمانكم بالله ربكم الذي خلقكم (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) أي وطلبا لمرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمؤدة ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيل الله وطالبين مرضاته. قال الزجاج: وهو شرط جوابه متقدم وتقديره إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. و (جهادا، وابتغاء) منصوبان على المفعول له.

وقوله (تسرون إليهم بالمودة) فتكاتبونهم باخبار النبي صلى الله عليه وآله (وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي بسركم وعلانيتكم وظاهركم وباطنكم، لا يخفى علي من ذلك شئ، فكيف تسرون بمودتكم إياهم مني.

وقوله (ومن يفعله منكم) يعنى من ألقى إليهم المودة والقى إليهم اخبار النبي صلى الله عليه وآله

منكم جماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فقد ضل سواء السبيل) أي قد عدل من الحق وجار عن طريق الرشد. وفي الآية دليل على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الايمان، لان حاطب بن أبي بلتعة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعل ذلك، ولا يقول أحد انه أخرجه ذلك من الايمان.

قوله تعالى:

(إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم
وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (٢) لن تنفعكم أرحامكم
ولا أولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله تعملون بصير) (٣)

آيتان بلا خلاف.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع (يفصل) بضم الياء وفتح الصاد وسكون الفاء خفيفة. وقرأ ابن عامر - بضم الياء وفتح الياء وتشديد الصاد وفتحها - على ما لم يسم فاعله، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة. وقرأ عاصم ويعقوب وسهل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد خفيفة: أربع قراءات، يقال: فصلت بين الشئ أفصله فصلا إذا ميزته، وفصلته تفصيلا، بمعنى واحد. فمن قرأ بفتح الياء أراد إن الله يفصل بينهم ويميز بعضهم عن بعض، ومن ضم الياء جعله لما لم يسم فاعله ومعلوم أن الله هو المفصل بينهم.

وقوله (ان يثقفوكم) معناه أن يصادفوكم هؤلاء الكفار الذين تسرون إليهم بالمودة، يقال: ثقفته أثقفه ثقفا فأنا ثاقف، ومنه سمي ثقيف، ومنه المثاقفة، وهي طلب مصادفة العزة في المسابقة، وما يجرى مجراها من المصادفة بالشطب ونحوه و (يكونوا لكم أعداء) أي يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون إليهم " ويبسطوا إليكم أيديهم " بما يقدرون عليه من الأذى والقتل، ويبسطوا (ألسنتهم) أيضا (بالسوء) فيذكرونكم بكل ما تكرهونه وجميع ما يقدرون عليه من السوء ويحثون على قتالكم (وودوا) مع هذا كله (لو تكفرون) بالله كما كفروا وتجحدون كما جحدوا.

ثم قال (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) الذين جعلتموهم علة في القاء المودة إليهم والافشاء إليهم بسر النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة (والله يفصل بينكم) ذلك

اليوم ويميز بعضكم عن بعض إذا كانوا كفارا وكنتم مؤمنين (والله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه تمييز بعضكم عن بعض فيأمر بالمؤمنين إلى الجنة وبالكفار إلى النار

قوله تعالى:

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله
وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله
من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير (٤)
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز
الحكيم) (٥) آيتان بلا خلاف.
قرأ عاصم (أسوة) بضم الهمزة في جميع القرآن. الباقون - بكسرها -
وهما لغتان.
يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وحاثا لهم على ترك موالاة الكفار ومبينا لهم
ان ذلك غير جائز بأن قال (قد كانت لكم) في ترك موالاة الكفار وترك الركون
إلى جنايتهم (أسوة حسنة) أي اقتداء حسن (في إبراهيم) خليل الرحمن عليه السلام
(والذين معه) قال ابن زيد: يعني الأنبياء. وقال غيره: يعنى الذين آمنوا معه
(إذ قالوا) أي حين قالوا (لقومهم) من الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام
(إنا برآء منكم) على وزن فعلاء، ومثله ظريف وظرفاء وكريم وكرماء وفقير وفقراء
الهمزة الأولى لام الفعل والثانية المنقلبة من الف التأنيث والألف التي قبله
الهمزة زيادة مع علامة التأنيث، وهو جمع برئ وبراء منكم (ومما تعبدون من
دون الله) أي وبريئون من الأصنام التي تعبدونها، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية
ويكون المعنى وبريئون من عبادتكم للأصنام (كفرنا بكم) أي يقولون لهم: جحدنا
ما تعبدون من دون الله وكفرنا به (وبدأ بيننا) أي ظهر بيننا (وبينكم العداوة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والبغضاء ابدا) لا يكون بيننا وبينكم موالاة في الدين (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي حتى تصدقوا بوحدانيته وإخلاص العبادة له.

وقوله (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) استثناء لقول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن أي فلا تقتدوا به فيه. فان إبراهيم عليه السلام إنما استغفر لأبيه على (موعدة وعدها إياه) لان أباه كان وعده بالايمان، فوعده إبراهيم بالاستغفار، فلما اظهر له الايمان استغفر له إبراهيم في الظاهر (فلما تبين له انه عدو لله) وعرف ذلك من جهته (تبرأ منه) (١) قال الحسن: إنما تبين ذلك عند موت أبيه، ولو لم يستثن ذلك لظن إنه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالايمان منهم. وقيل: إن الاستثناء راجع إلى قوله (وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) لأنه لما كان استغفار إبراهيم لأبيه مخالفا لما تضمنته هذه الجملة وجب استثناؤه وإلا توهم بظاهر الكلام انه عامل أباه من العداوة والبراءة بما عامل به غيره. وقال البلخي: هذا استثناء منقطع. ومعناه لكن قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك كان لأجل موعدة أبيه بالايمان. ثم قال إبراهيم لأبيه (وما أملك لك من الله من شئ) إذا أراد عقابك، فلا يمكن دفع ذلك عنك.

وقوله (ربنا) أي يقولون ربن (عليك توكلنا) فالتوكل على الله تفويض الأمور إليه ثقة بحسن تدبيره في كل ما يدبره به (واليك أنبنا) أي رجعنا وتبنا إليك أي رجعنا إلى طاعتك (واليك المصير) معناه واليك مرجع كل شئ يوم القيامة، وقال أيضا وكانوا يقولون (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) ومعناه لا ترهم فينا ما يشمتون بجهلهم بنا. وقال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا ببلاء من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا (واغفر لنا ذنوبنا

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ١١٥

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إنك أنت العزيز الحكيم) في جميع أفعالك. وفي ذلك تعليم انه ينبغي ان يدعو الانسان بهذه الدعاء. وقال الحسن: كان استغفار إبراهيم لأبيه صغيرة، وقال عمرو ابن عبيد، واصل دعاء إبراهيم لأبيه بشرط الايمان بأنه إن آمن يستغفر له

قوله تعالى:

(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٦) عسى الله
أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله
غفور رحيم) (٧) آيتان بلا خلاف.

إنما أعيد ذكر الأسوة في الآيتين، لان الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول فان الثاني فيه بيان أنه كان أسوة في إبراهيم والذين معه، وهو لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب في اليوم والآخر، والأول فيه بيان ان الأسوة في المعاداة للكفار بالله حسنة وإذا انعقد الثاني بغير ما انعقد به الأول صارت الفائدة في الثاني خلاف الفائدة في الأول.

ووجه الجواب في قوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي من يذهب عما يحتاج إليه دون الداعي له، لان الداعي له غنى حميد، فجاء على الايجاز. والحميد هو المستحق للحمد على إحسانه، والمحمود الذي قد حمد، فان الله تعالى حميد محمود.

وقوله (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) بالاسلام وقال ابن زيد: وكان ذلك حين أسلم كثير منهم. وقيل معنى (عسى الله ان

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يجعل) أيي ليجعل بينكم مودة، وقيل معناه كونوا على رجاء من ذلك وطمع فيه وهو الوجه، لأنه الأصل في هذه اللفظة. ثم قال (والله قدير) أي قادر على كل ما يصح أن يكون مقدورا له (والله غفور) لذنوب عباده ساتر لمعاصيهم " رحيم " بهم أي منعم عليهم. قوله تعالى:

(لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (٩) آيتان بلا خلاف.

قال الحسن: إن المسلمين استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في أن يبروا قرباتهم من المشركين، وكان ذلك قبل أن يؤمروا بالقتال لجميع المشركين، فنزلت هذه الآية وقال قتادة: هي منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (١) وبه قال ابن عباس: يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين (لا ينهاكم الله) " عن " مخالطة " الذين لم يقاتلوكم في الدين " من الكفار " ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم " وتحسنوا إليهم " وتقسطوا إليهم " معناه تعدلوا إليهم " إن الله يحب المقسطين " يعني الذين يعدلون في الخلق. وقيل معناه إن الله يحب الذين يقسطون قسطا من أموالهم على وجه البر. وقوله " إن تبروهم " في موضع خفض، وتقديره: لا ينهاكم الله عن أن

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تبروهم، وهو بدل من (الذين) بدل الاشتمال. وقال مجاهد: عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من أهل مكة ولم يهاجروا، وقال ابن الزبير: هو عام في كل من كل بهذه الصفة، والذي عليه الاجماع والمفسرون بأن بر الرجل من شاء من أهل دار الحرب قرابة كان أو غير قرابة ليس بمحرم، وإنما الخلاف في اعطائهم الزكاة والفطرة والكفارات، فعندنا لا يجوز. وفيه خلاف. وقال الفراء الآية نزلت في جماعة كانوا عاقدوا النبي صلى الله عليه وآله ألا يقاتلوه ولا يخرجوه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببرهم والوفاء
لهم إلى مدة اجلهم. ثم بين تعالى على من يتوجه النهي ببره وإحسانه فقال " إنما ينهاكم الله عن " مبرة " الذين قاتلوكم في الدين " من أهل مكة وغيرهم " وأخرجوكم من دياركم " يعنى منازلكم وأملاككم " وظاهروا على اخراجكم " أي تعاونوا على ذلك وتعاضدوا، والمظاهرة هي المعاونة ليظهر بها على العدو بالغلبة. وقوله " أن تولوهم " أي ينهاكم عن أن تنصروهم وتوادوهم وتحبونهم ثم قال " ومن يتولهم " أي ومن ينصرهم ويواليهم " فأولئك هم الظالمون " لا نفسهم، لأنهم يستحقون بذلك العقاب والكون في النار.
قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا
ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لبن وآتوهم
ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) (١٠) آية بلا خلاف
قرأ أبو عمرو وأهل البصرة " ولا تمسكوا " بالتشديد. الباقون " تمسكوا " خفيفة وهما لغتان.
يقولون أمسكت به وتمسكت به. قيل كان سبب نزول هذه الآية إن
النبي صلى الله عليه وآله كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير أذن
وليه، فلما هاجر النساء وقيل: هاجرت كلثم بنت أبي معيط فجاء أخواها فسألا
رسول الله صلى الله عليه وآله أن يردها، فنهى الله تعالى ان يرددن إلى المشركين، ونسخ ذلك
الحكم، ذكره عروة بن الزبير.
فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا " بالله ورسوله " إذا جاءكم المؤمنات "
بالله ورسوله " مهاجرات " من دار الحرب إلى دار الاسلام " فامتحنوهن " وقيل
في كيفية الامتحان أربعة أقوال:
قال ابن عباس: كانت امتحان رسول الله إياهن أن يحلفن بالله ما خرجت من
بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن ارض، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله
ما خرجت إلا حبا لله ورسوله - وفى رواية أخرى - عن ابن عباس قال: كان
امتحانه لهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وروي عن عائشة
انه كان امتحانهن بما في الآية التي بعدها، يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن..، الآية، وقال ابن عباس وقتادة:
كان امتحانهن ما خرجن إلا للدين، ورغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله كقول
ابن عباس الأول.
ثم قال " الله أعلم بايمانهن " لأنه يعلم باطنهن وظاهرهن وأنتم لا تعلمون باطنهن

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال " فان علمتموهن مؤمنات " يعني في الظاهر " فلا ترجعوهن إلى الكفار " أي لا تردوهن إليهم " لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن " قال ابن زيد: وفرق بينهما النبي صلى الله عليه وآله وإن لم يطلق المشرك. وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله كان شرط لهم رد الرجال دون النساء، فعلى هذا لا نسخ في الآية. ومن قال كان شرط رد النساء والرجال قال: نسخ الله حكم رد النساء.

وقوله " وآتوهم ما أنفقوا " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: أعطوا رجالهم ما انفقوا من الصداق. وقال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صداقا كما كان يفعل قبل. وقيل نسخ رد المهور على الأزواج من المشركين ثم قال " ولا جناح عليكم " معاشر المؤمنين " ان تنكحوهن " يعني المهاجرات لأنهن بالاسلام قد بن من أزواجهن " إذا آتيتموهن " أجورهن " يعني مهورهن التي يستحل بها فروجهن.

وقوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر، فالكوافر جمع كافرة، والعصمة سبب تمنع به من المكروه وجمعه عصم. وفي ذلك دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت ذمية أو حربية أو عابدة وثن، وعلى كل حال، لأنه عام في جميع ذلك وليس لاحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم، لان المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب، وقوله " واسألوا ما أنفقتم " يعني إذا صارت المرأة المسلمة إلى دار الحرب عن دار الاسلام فاسألوهم عن أن يردوا عليكم مهرهن، كما يسئلونكم مهر نسائهم إذا هاجرون إليكم،

وهو قوله " وليسألوا ما انفقوا " ثم قال " ذلكم " يعني ما تقدم ذكروه وشرحه " حكم الله يحكم بينكم والله عليم. بجميع الأشياء " حكمي " فيما يفعله ويأمركم به. وقال الحسن: كان في صدر الاسلام وتكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فنسخت هذه الآية ذلك. والمفسرون على أن حكم هذه الآية منسوخ، وعندنا أن الآية غير منسوخة، وفيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية والنصرانية، لأنهما كافرتان والآية على عمومها في المنع من التمسك بعصم الكوافر، ولا نخصها إلا بدليل.

قوله تعالى:

(وإن فاتكم شئ من من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم
به مؤمنون (١١) يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك
في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١٢) يا أيها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة
كما يئس الكفار من أصحاب القبور) (١٣) ثلاث آيات.

معنى قوله " وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار " أي إن أعجزكم ومضى شئ من أزواجهم إلى كفار أهل مكة ومعنى شئ أحد، فكأنه قال وإن فاتكم أحد منكم " فعاقبتم " بمصير أزواج الكفار إليكم إما من جهة سبي أو مجيئهن مؤمنات " فآتوا الذين ذهبت أزواجهم " إلى الكفار " مثل ما انفقوا " من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم. قال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الزجاج: وقد قرئ " فعقبتم " بلا الف مشددا ومخففا، وجاء في التفسير فغمتم ومعناه في اللغة فكانت العقبى لكم أي كانت لكم الغلبة حتى غنمتم، قال " وعقبتم " مشددة أجودها في اللغة، ومخففة جيدة أيضا أي صارت لكم عقبى، والتشديد أبلغ ومعنى " فعاقبتم " أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم أي ان مضت امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه " فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا " يعني في مهورهن، وكذلك إن مضت إلى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر، فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى حقه كاملا بعد إخراج مهور النساء. وقال الزهري: فآتوا الذين ذهبت أزواجهم من المؤمنين مثل ما أنفقوا من مال الفئ. وقال ابن عباس من مال الغنيمة - وفي رواية عن الزهري - عليهم أن يعطوهم من صداق من لحق بهم وقال قوم: يعطونهم من جميع هذه الأموال. وقال قتادة: معنى الآية " وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار " الذين ليس بينهم وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عهد " فعاقبتم " يعني الغنيمة يقول: فإذا غنمتم فاعطوا زوجها صداقها الذي كان قد ساقه إليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم في براءة، فنبذ إلى كل ذي عهد عهده. ثم قال " واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون " أي اجتنبوا معاصي الله الذي أنتم مصدقون بثوابه وعقابه ومعترفون بنبوة نبيه.

وقوله " يا أيها النبي " خطاب للنبي صلى الله عليه وآله يقول الله له " إذا جاءك المؤمنات يبايعنك " ووجه بيعة النساء مع أنهن لسن من أهل النصرة في المحاربة هو أخذ العهد عليهن بما يصلح شأنهن في الدين للأنفس والأزواج، فكان ذلك في صدر الاسلام لئلا ينفتق بهن فتق لما صيغ من الاحكام، فبايعهن النبي صلى الله عليه وآله حسما لذلك

وقيل: إنه كان يبايعهن من وراء الثوب. وروى أنه استدعى ماء فوضع يده فيه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم أمر النساء ان يضعن أيديهن فيه، فكان ذلك جاريا مجرى المصافحة بأخذ العهد " على أن لا يشركن بالله شيئا " من الأصنام والأوثان " ولا يسرقن " لا من أزواجهن ولا من غيرهم " ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن " على وجه من الوجوه لا بالوأد، ولا بالاسقاط " ولا يأتين ببهتان " يعني بكذب " يفترينه بين أيديهن وأرجلهن " أي لا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن. وقال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم. وقال الفراء: كانت المرأة تلتقط فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وقال قوم: البهتان الذي نهوا عنه في الآية قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد إلى الأزواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان، ولا يعصينك في معروف، فالمعروف نقيض المنكر، وهو ما دل العقل والسمع على وجوبه أو ندبه، وسمي معروفا لان العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه. وقال زيد بن أسلم: فيما شرط ألا يعصينه فيه أن لا يلطمن ولا يشققن جيبا ولا يدعون بالويل والثبور، كفعل أهل الجاهلية. وقال ابن عباس: فيما شرط ألا يعصينه فيه النوح.

وقوله " فبايعهن " والمعنى إذا شرطت عليهن هذا الشروط ودخلن تحتها فبايعهن على ذلك " واستغفر لهن الله " أي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويستر عليهن " إن الله غفور رحيم " أي صفوح عنهن منعم عليهن. وقال الحسن: إذا جاءت المرأة اليوم من غير أهل العهد لم ترد إلى زوجها، ولم تمتحن وهذه الآية منسوخة.

ثم قال " يا أيها الذين آمنوا " يخاطب المؤمنين بالله ورسوله " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم " أي لا توالوا اليهود، ولا من يجري مجراهم من الكفار الذين غضب الله عليهم بأن يريد عقابهم " ولعنهم الله " ثم وصف الكفار، فقال

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

" قد يئسوا من الآخرة " جملة في موضع الحال أي باياسهم من الآخرة، فان اليهود ييأسون من ثواب الجنة على ما يقوله المسلمون من الأكل والشرب وغير ذلك من أنواع اللذات كما يئس من لم يؤمن بالبعث والنشور أصلا " كما يئس الكفار من أصحاب القبور " قال الحسن الذين يئسوا من الآخرة أي اليهود مع الإقامة على ما يغضب الله، كما يئس كفار العرب أن يرجع أهل القبور أبدا، وقيل هم أعداء المؤمنين من قريش قد يئسوا من خير الآخرة، كما يئس سائر الكفار من العرب من النشأة الثانية. وقيل " كما يئس الكفار من أصحاب القبور، من حظ الآخرة. وقيل: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من النشأة الثانية ذكره ابن عباس، وقال مجاهد: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس منه أصحاب القبور، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

٦١ - مدينة بلا خلاف، وهي أربع عشرة آية بلا خلاف.
بسم الله الرحمن الرحيم
(سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز
الحكيم (١) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (٢) كبر
مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٣) إن الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) وإذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما
زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) (٥) خمس آيات
قد مضى تفسير " سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز
الحكيم " في أول الحشر، وقد مضى تفسيره في أول الحديد، وإنما أعيد - ههنا - لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه، كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا جل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به، لان المقصد به حسب دلالته والفائدة في تعظيم ما ينبغي أن يستفتي به على جهة التعظيم لله، والتيمن بذكره.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقوله " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون " قال الحسن: نزلت في المنافقين، يقول الله لهم " لم تقولون " بألسنتكم مالا تفعلونه، فسماهم بالايمان على الظاهر. وقيل: نزلت في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر، ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا، وقال قتادة: نزلت في قوم: قالوا: جاهدنا وأبلينا ولم يفعلوا. وقال ابن عباس ومجاهد: نزلت في قوم قالوا: لو علمنا أحب الاعمال إلى الله لسارعنا إليها، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، فبين الله ذلك. وقال قوم: هو جار مجرى قوله " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " (١) فان القول الذي يجب الوفاء به هو القول الذي يعتقد بفعل البر على طريق الوعد من غير طلب.

وقوله " كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " إنما اطلق ذلك مع أنه ليس كل قول يجب الوفاء به. لأنه معلوم انه لا عيب بترك الوفاء فيما ليس بواجب الوفاء به، وإن الذم إنما يستحق بترك ما هو واجب أو ما أوجبه الانسان على نفسه بالنذر والعهد. والمقت البغض وهو ضد الحب، وهو على ضربين: أحدهما - يصرف عنه العقل. والآخر - يصرف عنه الطبع إلا أنه جرى على صيغة واحدة للبيان أن صارف العقل في التأكيد كصارف الطبع، كما أنه في الحب على داعي العقل أو داعي الطبع، وحذف الألف من " لم تقولون " لشدة الاتصال، ووضع حرف الاعتلال، لأنه حرف تغيير في موضع تغيير.

وقوله " مقتا " نصب على التمييز، وتقديره: كبر هذا القول أي عظم مقتا عند الله، وهو أن تقولوا مالا تفعلون. ويحتمل أن يكون تقديره كبر ان تقولوا مالا تفعلون مقتا عند الله.

قوله " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا " معناه إنه تعالى يحب

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ١

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من يقاتل في سبيله ويجاهد أعداء دينه ويزيد ثوابهم ومنافعهم. وقوله " صفا " أي يقاتلونهم مصطفين، وهو مصدر في موضع الحال. وقوله " كأنهم بنيان مرصوص " قيل في معناه قولان:

أحدهما - كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه ولشدة اتصاله.

الثاني - كأنه حائط ممدود على رص البناء أي احكامه واتصاله واستقامته والمرصوص المتلائم الذي لا خلل فيه ومثل مرصوص شديد اللصوق في الاتصال والثبوت ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وأذكر " إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم، لأنه مع العلم بنبوته لا يجوز إيذاءه، وكانوا يؤذونه، فيقولون: هذا ساحر كذاب، ويرمونه بالبرص وغير ذلك. وقوله " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " فالزيغ الذهاب عن الشئ باسراع فيه والأظهر فيه الذهاب عن الحق، والمعنى إنهم لما ذهبوا عن طريق الحق، ومالوا إلى طريق الباطل " أزاغ الله قلوبهم " بمعنى انه حكم عليها بالزيغ والميل عن الحق، ولذلك قال " والله لا يهدى القوم الفاسقين " ومعناه لا يحكم لهم بالهداية. وقيل: معناه فلما زاغوا عن الايمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب، ولا يجوز أن يكون المراد أزاغ الله قلوبهم عن الايمان لان الله لا يزيغ أحدا ولا يضله عن الايمان، وأيضا فإنه لا فائدة في الكلام على ما قالوه، لأنهم إذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفارا، فلا معنى لقوله أزاغ الله قوله تعالى:

(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفؤا نور الله
بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون) (٩) أربع آيات.
قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف " متم نوره "
مضافا. وقرأ الباقون
" متم نوره " منصوبا. والقراءتان متقاربتان إلا أن اسم
الفاعل إذا كان لما مضى لا يعمل ولا يجوز إلا الإضافة، وإذا كان للحال والاستقبال
جاز فيه التنوين والإضافة.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله اذكر يا محمد " إذ قال عيسى بن مريم " لقومه
الذين بعث إليهم " يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا " نصب على الحال
(لما بين يدي من التوراة) إنما سماه لما بين يديه وهو قد تقدمه وهو خلفه بمضيها
لأنها متقدمة. وهو متوجه إليها بالاخذ بها، فلها جهتان: جهة المضي جهة التقدم
(ومبشرا برسول) عطف على قوله (مصدقا) وهو أيضا نصب على الحال (يأتي
من بعدي اسمه أحمد) يعنى نبينا محمد صلى الله عليه وآله.
وقوله (اسمه أحمد) فأحمد عبارة عن الشخص. والاسم قول، والقول
لا يكون الشخص. وخبر المبتدأ ينبغي أن يكون هو المبتدأ إذا كان مفردا. والوجه
فيه ان يقدر فيه (قول) فكأنه قال اسمه قول أحمد، كما تقول: الليلة الهلال، وأنت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تريد الليلة طلوع الهلال فتحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه.
وقوله (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قيل فيه قولان:
أحدهما - إن محمدا لما جاء كفار قومه بالبينات أي المعجزات، قالوا هذا سحر واضح بين.
وقال قوم: معناه فلما جاء عيسى قومه بالبينات والمعجزات قالوا له هذا القول. ومن نسب الحق إلى السحر فقد جرى في ذلك مجرى الجحد لنعم الله في أنه قد كفر، فإن كان دون ذلك كان جاهلا وفاسقا، لو لم يكفر. والسحر حيلة توهم امرا ليس له حقيقة كايهام انقلاب الحبل حية.
وقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام) صورته صورة الاستفهام والمراد به التبكيت. ومعناه لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على الله الكذب وخرص عليه، وهو يدعى إلى الاسلام يعني الاستسلام لامره والانقياد لطاعته، وهو متوجه إلى كفار قريش وسائر في جميع الكفار.
ثم قال (والله لا يهدي القوم الظالمين) ومعناه لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار. وقيل: معناه لا يهدي الكفار إلى الثواب، لأنهم كفار ظالمون لأنفسهم بفعل الكفر والمعاصي التي يستحق بها العقاب، وكل كافر ظالم لأنه أضر نفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من الله تعالى، فكفره ضرر قبيح.
ثم وصف الكافرين الذين عناهم بالآية فقال (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) ومعناه إنهم يريدون إذهاب نور الاسلام والايمان بفاسد الكلام الذي يجرى مجرى تراكم الظلام. وقيل: معناه هم كمن أراد اطفاء نور الشمس بفيه.
وقوله (والله متم نوره ولو كره الكافرون) معناه إن الله يتم نور الاسلام ويبلغ غايته وإن كره ذلك الكفار الجاحدون لنعم الله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ثم قال (هو الذي) يعني الله الذي اخبر عنه بأنه يتم نوره (أرسل رسوله) يعني محمد صلى الله عليه وآله (بالهدى ودين الحق) من التوحيد وإخلاص العبادة لله ودين الاسلام وما تعبد فيه الخلق (ليظهره على الدين كله) بالحجج القاهرة والدلائل الباهرة (ولو كره المشركون) ذلك. وفى الآية دلالة على صحة النبوة، لأنه تعالى قد أظهر دينه على الأديان كلها بالاستعلاء والقهر، كما وعد في حال القلة والضعف.

قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣) يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١٤) خمس آيات.

قرأ ابن عامر (تنجيكم من عذاب اليم) مشددة الجيم. الباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر (أنصارا الله) منونا. الباقون بالإضافة

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لقولهم في الجواب (نحن أنصار الله) وقرأ نافع وحده (أنصاري إلى الله) بفتح الياء. الباقون باسكانها وهما جميعا جيدان.

يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) بالله واعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته وصدقوا رسوله (هل أدلكم على تجارة) صورته صورة العرض والمراد به الامر. والتجارة طلب الربح في شراء المتاع. وقيل لطلب الثواب بعمل الطاعة تجارة تشبيها بذلك، لما بينهما من المقاربة (تنجيكم) أي تخلصكم (من عذاب أليم) أي مؤلم، وهو عذاب النار. ثم فسر تلك التجارة فقال (تؤمنون بالله ورسوله) أي تعترفون بتوحيد الله وتخلصون العبادة له وتصدقون رسوله فيما يؤديه إليكم عن الله. وإنما قال (تؤمنون) مع أنه قال (يا أيها الذين آمنوا) لان ذلك جار مجرى قوله (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) (١) وقد بيناه فيما مضى (٢) (وتجاهدون في سبيل الله) يعني قتال أعدائه الكفار (بأموالكم) فتنفقونها في ذلك (وأنفسكم) فتحاربون بنفوسكم. ثم قال (ذلكم خير لكم) أي ما ذكرته لكم ووصفته أنفع لكم وخير عاقبة إن علمتم ذلك واعترفتم بصحته. وإنما قال (ذلكم خير لكم) مع أن تركه قبيح ومعصية لله، لان المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم، لان ما أدى إلى الثواب خير من رفعه إلى نعيم ليس بثواب من الله تعالى. والتكليف خير من رفعه إلى الابتداء بالنعم لكل من عمل بموجبه، وقيل: إيمانكم بالله خير لكم من تضييعه بالمشتهى من أفعالكم (إن كنتم تعلمون) مضار الأشياء ومنافعها وإنما جاز (تؤمنون بالله) مع أنه محمول على التجارة وخبر عنها، ولا يصلح أن يقال التجارة تؤمنون. وإنما يقال التجارة أن تؤمنوا بالله، لأنه على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وانعقاده بالتجارة في المعنى

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١٣٩

(٢) انظر ٣ / ٣٠٧، ٣٥٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لا في اللفظ. وفى ذلك توطئة لما بنى على المعنى من الايجاز. والعرب تقول: هل لك في خير تقدم إلى فلان، فتعوده وأن تقدم إليه.

وقوله (يغفر لكم ذنوبكم) أي متى فعلتم ذلك ستر عليكم ذنوبكم، وجزمه لأنه جواب (تؤمنون) لأنه في معنى آمنوا يغفر لكم. وقال الفراء: هو جواب (هل) وإنما جاز جزم (يغفر لكم) لأنه جواب الاستفهام. والمعنى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم يعلمكم بها، فإنكم إن عملتم بها يغفر لكم ذنوبكم وكان أبو عمرو يدغم الراء في اللام في قوله (يغفر لكم) ولا يجوز ذلك عند الخليل وسيبويه، لان في الراء تكرار، ولذلك غلبت المستعلي في طارد. (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على قوله (يغفر لكم) فلذلك جزمه (خالدين فيها) أي مؤبدين (ومساكن طيبة) أي ولهم في الجنة مساكن طيبة مستلذة (في جنات عدن) أي في بساتين إقامة مؤبدة. ثم قال (ذلك الفوز العظيم) يعني الذي وصفه من النعيم هو الفلاح العظيم الذي لا يوازيه نعمة. وقيل: الفوز النجاة من الهلاك إلى النعيم.

وقوله (وأخرى تحبونها) معناه ولكم خصلة أخرى مع ثواب الآخرة (نصر من الله) في الدنيا عليهم (وفتح قريب) لبلادهم. ثم قال (وبشر المؤمنين) بذلك أي بما ذكرته من النعيم والنصر في الدنيا والفتح القريب.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) ومعناه كونوا أنصار دين الله الذي هو الاسلام بأن تدفعوا أعداءه عنه وعن دينه الذي جاء به (كما قال عيسى بن مريم للحواريين) أي مثلكم مثل قول عيسى للحواريين، وهم خاصته، وسمي خاصة الأنبياء حواريين، لأنهم أخلصوا من كل عيب - في قول الزجاج - وقيل: سموا حواريين لبياض ثيابهم. وقال ابن عباس: كانوا صيادين

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للسمك. وقال الضحاك: كانوا غسالين.
وقوله (من أنصاري إلى الله) يعني من أنصاري مع الله، و (إلى) تكون بمعنى (مع) ومثله (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) (١) يعني مع أموالكم. وقيل سمي النصارى نصارى لقولهم (نحن أنصار الله) وقيل: لأنهم كانوا من الناصرة وهي قرية في بلاد الروم، فأجابه الحواريون بأن قالوا (نحن أنصار الله) وإنما قيل لهم (كونوا أنصار الله) مع أن المراد به دين الله، تعظيما للدين وتشريفا له. كما يقال الكعبة بيت الله، وحمزة أسد الله، وما أشبه ذلك (فآمنت طائفة من بني إسرائيل) يعني صدقت بعيسى عليه السلام طائفة من بني إسرائيل (وكفرت) به (طائفة) أخرى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أي قوينا المؤمنين على عدوهم (فأصبحوا ظاهرين) أي غالبين لهم وقال إبراهيم: معناه أيد الذين آمنوا بعيسى بمحمد، فأصبحوا ظاهرين عليهم. وقال مجاهد: بل أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى عليه السلام وقال بعضهم ألم يكن من المسيح قتال. والتأويل أنهم أصبحوا ظاهرين على مخالفيهم بالحجة. وقال قوم: كانت الحرب بعد المسيح لما اختلف أصحابه اقتتلوا فظفر أهل الحق، وهذا ضعيف، لأنه لم يكن من دينهم بعده القتال. وقال ابن عباس قاتلوا ليلا فأصبحوا ظاهرين.
تم المجلد التاسع من التبيان ويليه المجلد العاشر وأوله أول سورة الجمعة
طبع في محرم الحرام سنة ١٣٨٣ ه حزيران سنة ١٩٦٣ م
تم مجلد التاسع من التبيان

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٢

http://www.ShiaOnlineLibrary.com